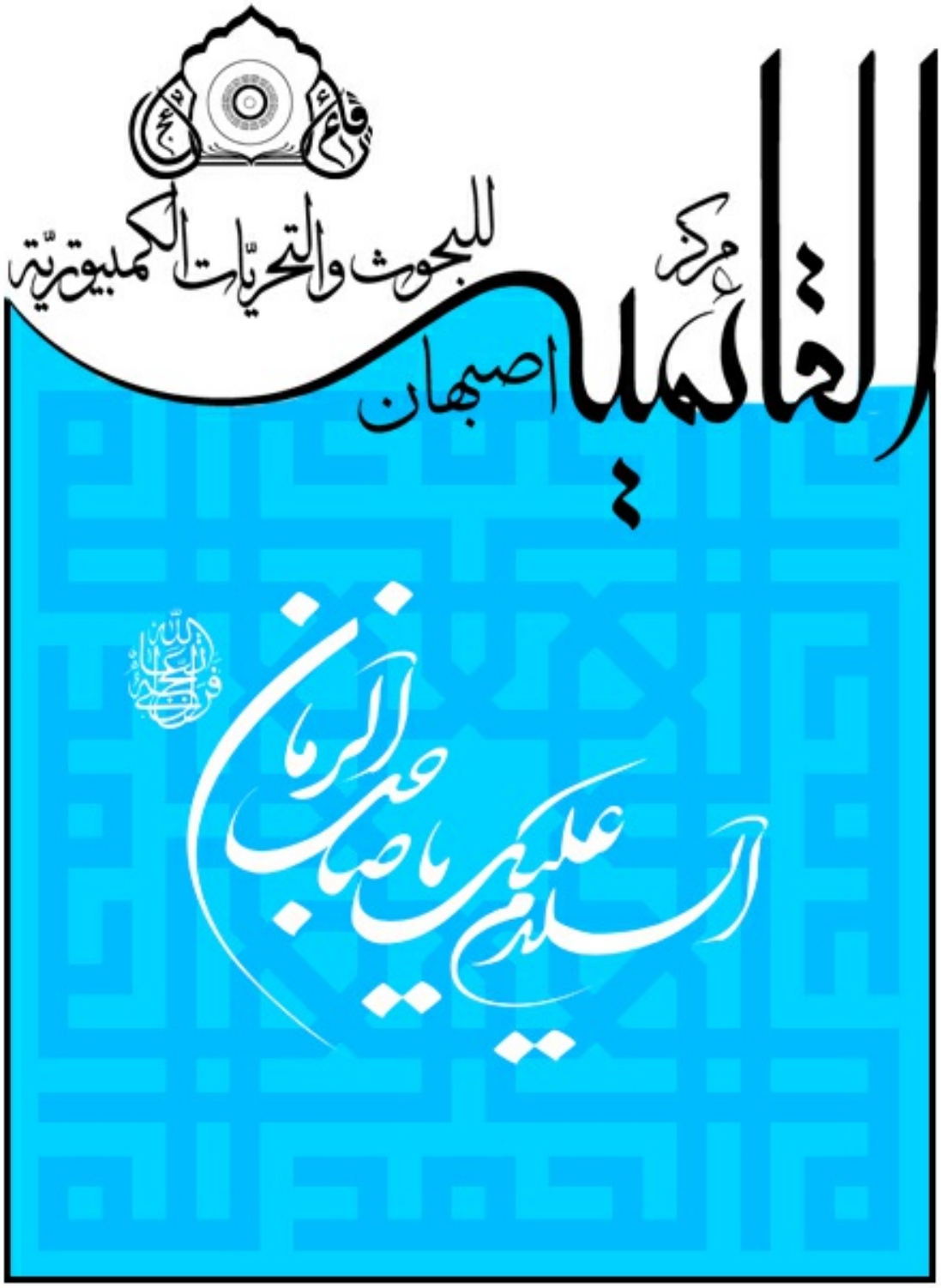

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة ٣٥٦هـ

إعداد

مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي

طبعة تاسعة مزيدة ومصححة ومنقحة

محققة على أوسع المخطوطات ومزينة بفهارس شاملة

«١١ — ١٢»

دار إحياء التراث العربي

بيروت — لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

كتاب الأغاني

كاتب:

أبى الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

نشرت في الطباعة:

دار احياء التراث العربي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الأغاني المجلد 11 24

هوية الكتاب 24

اشارة 24

تتمة التراجم 28

اشارة 28

1 - أخبار النابغة و نسبه 28

نسب النابغة: 28

من الطبعة الأولى: 28

سأل عمر بن الخطاب عن شعر فلما أخبر أنه له قال إنه أشعر العرب: 28

سئل ابن عباس عن أشعر الناس فأمر أبا الأسود بالجواب فذكره: 30

حوار في شعر له في مجلس الجنيد بن عبد الرحمن: 30

كان يجلس للشعراء بعكاظ فمدح شعر الخنساء و حواره مع حسان: 30

تذاكر قوم الشعر و هم في الصحراء فإذا هم بجني يقول إنه أشعر الناس: 32

فضله أبو عمرو على زهير: 32

سأل عبد الملك عن شعر له في اعتذاره للنعمان و قال إنه أشعر العرب: 32

سئل حماد بم تقدّم النابغة فأجاب: 33

كان أثيرا عند النعمان فدخل على زوجته المتجردة فوصفها: 33

كان يقوى فلما ذهب إلى يثرب تبين له هذا العيب فأصلحه: 35

اشارة 35

صوت 37

قال صالح بن حسان إنه كان مختثا: 39

هروبه من النعمان إلى ملوك غسان و اختلاف الرواة في سببه: 39

كان المنخل اليشكري يهوى هندا بنت عمرو بن هند فتغزل فيها فقتله: 41
اشارة 41
صوت 41
مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغساني و أخاه النّعمان: 43
اشارة 43
صوت 43
صوت 47
فضله الشعبي على الأخطل في مواجهته في مجلس عبد الملك: 47
حديث حسان عنه حين وفد على النعمان: 57
اشارة 57
صوت 59
صوت 61
مما يغنى فيه من شعره: 61
اشارة 61
صوت 61
صوت 63
صوت 67
أخذ معنى لزرقاء اليمامة: 67
اشارة 67
صوت 69
رواية أخرى في حديث حسان عنه حين وفد على النعمان: 69
اشارة 69
صوت 73
صوت 73
صوت 73

2 - أخبار الحارث بن حلزة و نسبه 75
نسب الحارث بن حلزة: 75
السبب في قول قصيدته المعلقة: 75
كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجاله معلقته في موقف واحد، و شرح أبيات منها: 78
قصيدة له دالية: 82
اشارة 82
صوت 82
صوت 84
3 - نسب عمرو بن كلثوم و خبره 85
نسب عمرو بن كلثوم من قبل أبويه: 85
قصة قتله لعمرو بن هند: 87
تعظيم تغلب بقصيدته المعلقة: 87
فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند: 87
أغار على بني تميم ثم انتهى إلى بني حنيفة فأسره يزيد ابن عمرو ثم أطلقه فمدحه: 89
حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مر ببني تغلب فلم يكرموه: 91
هجاؤه للنعمان بن المنذر: 93
وفاته و نصيحته لبنيه: 95
اشارة 95
صوت 95
4 - ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير و الأخطل 97
سبب التهاجي بين جرير و الأخطل: 97
قصيدة للأخطل و شرح بعض كلماتها: 98
اشارة 98
صوت 98
صوت 100

مدح الرشيد بيتا للأخطل: 104
مدح آدم بن عمر بن عبد العزيز بيتا للأخطل في مجلس المهدي فأغضبه: 104
اشارة 104
صوت 105
5 - ذكر أوس بن حجر و شيء من أخباره 107
نسب أوس بن حجر: 107
في الشعر: 107
غنت فتاة أعرابية بشعر له في السحاب: 107
كان يسير ليلا فصرعته ناقته، فأكرمه فضالة بن كلدة، فمدحه: 109
رثى فضالة بن كلدة حين مات: 111
اشارة 111
صوت 111
صوت 113
6 - خبر ورقاء بن زهير و نسبه و قصة شعره هذا: 114
اشارة 114
مقتل شأس بن زهير أخيه و البحث عن قاتله ثم محاولة الثأر منه: 114
رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس: 117
7 - مقتل زهير بن جذيمة العبسيّ 122
قتله خالد بن جعفر و تعظيم هوازن له: 122
حلف خالد بن جعفر أن يقتله و شعره في ذلك: 122
وصف مقتله و ما كان قبله من حوادث: 124
شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده: 130
شعر لخالد بن جعفر يمنّ على هوازن بقتله زهير: 132
شعر للفرزدق ينعي فيه على بني عبس ضربة ورقاء خالدا: 132
8 - ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب 137

مقتل خالد بن جعفر و سببه: 137
شعر قيس بن زهير للحارث حين قتل خالدا و إجابته له: 141
إباء غطفان جوار الحارث و لحوقه ببني تميم و طلب بني عامر له: 143
شعر الحارث حين أمره حاجب بالتنحي و رد حاجب عليه: 145
شعر لعامر بن مالك يرد به على حاجب: 147
قتل الحارث لابن النعمان: 147
أخذ النعمان عم الحارث فاعتذر إليه فخلى عنه، و قال شعرا: 147
شعر للحارث في قتله ابن النعمان: 149
شعر للحارث يخاطب به النعمان: 151
أخذ مصدق للنعمان إبلا لديهث فاستجارت بالحارث فردها إليها: 153
خروج الحارث إلى صديق من كندة: 153
لجوؤه إلى بني عجل بن لجيم: 155
لحوقه بطيء: 155
أخذ الأسود أموال جارات له فردها هو إليهن: 155
رواية أخرى في قتله بن الملك: 157
وجود نعل شرحبيل بن الأسود في بني محارب و تعذيب الأسود لهم: 161
أخذ الأسود لسنان بن أبي حارثة الذي قتل ابنه عنده و اعتذار الحارث بن سفيان عنه: 161
لحوق الحارث ببني دارم: 163
أسر بني قيس و بني هزان للحارث و حديثه معهم: 165
مروره برجل من بني أسد: 169
لحوقه بمكة و انتماؤه إلى قريش: 169
لحوقه بالشام عند ملك من غسان و مقتله: 169
9 - خبر الحارث و عمرو بن الإطنابة 174
اشارة 174
عضب عمرو بن الإطنابة على الحارث لقتله خالدا و شعره في ذلك: 174

مسير الحارث إلى عمرو و انخذال عمرو عنه و شعر الحارث في ذلك: 176
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني 176
اشارة 176
صوت 176
الغناء في شعر عمرو و الحارث: 176
صوت 178
صوت 178
و نذكر هاهنا خبر رحرحان و يوم قتله إذ كان مقتل الحارث و خبره خبرهما 178
يوم رحرحان الثاني و السبب فيه: 178
أسر معبد بن زرارة و مقتله: 182
شعر لعوف بن عطية يعير لقيطا: 183
مما قاله الشعراء في وقعة رحرحان: 185
و هذا يوم شعب جبلة: 185
السبب في يوم جبلة: 185
شعر لدختنوس بنت لقيط تعير ابن قهوس: 189
تشاور بني عامر في أمرهم: 191
دخولهم شعب جبلة: 193
من شهد الوقعة من القبائل: 195
تفرق بجيلة في بطون بنى عامر: 195
ما فعله كرب بن صفوان لتميم و أسد: 197
صعود بني عامر الشعب و تشاور أعدائهم في الصعود إليهم: 197
شعر لبعض بني عامر في الوقعة: 201
قتال بني تميم ضد بني عامر: 201
سقوط لقيط في الموقعة: 203
شعر لدختنوس في أبيها: 205

من قتل في الموقعة و من نجا و أخبارهم: ----- 207
تاريخ يوم جبلة: ----- 225
ما قيل في هذا اليوم من الشعر: ----- 225
اشارة ----- 225
صوت ----- 229
عمليق ملك طسم و جديس و سبب قتله: ----- 231
أمر أ لا تزوّج بكر من جديس حتى يفترعها: ----- 231
تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليه: ----- 233
ائتمار جديس للغدر به و بقومه: ----- 233
غزوة حسان بن تبع لجديس و هروب الأسود و قتل طيئ له: ----- 235
اشارة ----- 235
صوت ----- 237
حديث عمر بن أبي ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذري: ----- 237
الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه و مسعى عمر في زواجه من عشقها: ----- 239
اشارة ----- 239
صوت ----- 243
صوت ----- 245
10 - أخبار عائشة بنت طلحة و نسبها ----- 246
نسب عائشة بنت طلحة: ----- 246
كانت لا تستر وجهها و عتاب مصعب لها في ذلك: ----- 246
غضبت على مصعب فبعث إليها ابن قيس الرقيات: ----- 246
غضبت على مصعب فاسترضاها أشعب فرضيت: ----- 246
وصف عزة الميلاء لها و لعائشة بنت عثمان و أم القاسم بنت زكريا: ----- 248
اشارة ----- 248
صوت ----- 248

أمها، و خالتها، و زواجها من ابن خالها و أولادها منه: 250
مصارمتها لزوجها و إيلاؤه منها: 250
زواجها من مصعب بن الزبير: 252
كانت تعاسر مصعبا فاحتال له كاتبه ابن أبي فروة حتى ياسرته: 252
أخبار لها مع مصعب: 252
خطبها بشر بن مروان فتزوجت عمر بن عبيد اللّه: 254
ما كان في يوم زواجها من عمر بن عبيد اللّه: 256
ثم رجع الخبر إلى سياقة خبرها: 256
حديث امرأة عنها و قد اختلى بها عمر: 256
طلبت ضرتها من مولاة لها أن تراها متجردة ثم ندمت أن رأتها 256
أخبار لها مع عمر بن عبيد اللّه: 258
طلبت من الوليد بن عبد الملك أعوانا حين حجت: 260
حجت مع سكينة بنت الحسين و كانت أحسن آلة و ثقلا: 260
بهر موكب عاتكة بنت يزيد في الحج: 260
كان كبر عجيزتها مثار العجب: 262
إعجاب أبي هريرة بجمالها: 262
وفدت على هشام فأعجب سامروه بعلمها: 262
مر بها النميري الشاعر فاستنشدته و خبره معها: 262
أخر الحارث بن خالد الصلاة لتتم طوافها: 264
كانت معناة بعجيزتها: 264
خطبها أبان بن سعيد على يد أخيه فأبت: 266
اشارة 266
صوت 266
سئل ابن عمران الطلحيّ أن يعاون صيرفيا أفلس فتمثل ببيتين لكثير: 266
أن يفرض له فأبى فتمثل الأبرش ببيتين لكثير: 266

من شعر عمرو بن شأس: 268
صوت 268
11 - نسب عمرو بن شأس و أخباره في هذا الشعر و غيره: 270
نسب عمرو بن شأس: 270
كانت امرأته تؤذي ابنه عرارا و تشتمه و يشتمها، فقال هو شعرا يخاطبها به: 270
لما يئس من الصلح بين امرأته و ابنه طلقها ثم ندم و قال شعرا: 272
خبر ابنه عرار مع عبد الملك حين جاءه رسولا من قبل الحجاج: 274
قال شعرا في قتل ملك من غسان يقال له عديّ: 274
اشارة 274
صوت 276
خطب بنت رجل كان مجاورا له فلما أحس منه امتناعا أراد أن يصيبها سبية ثم تذمم و قال شعرا: 276
اشارة 276
صوت 278
سئل ابن سيرين عن النسيب فأنشد بيتين في شعره دلالة على جوازه: 278
اشارة 278
صوت 278
12 - ذكر ليلى و نسبها و خبر توبة بن الحميّر معها و خبر مقتله 280
نسب ليلى الأخيلية: 280
كان توبة بن الحمير يهواها و نسبه: 280
جاءها توبة يوما فسفرت له لتحذره: 280
عرفها رجل من بنى كلاب و خبره معها و مع زوجها: 282
سألها الحجاج هل كان بينها و بين توبة ريبة و جوابها له: 284
اشارة 284
صوت 284
رأي الأصمعيّ فيما تضمنه شعر لتوبة: 286

مقتل توبة و سببه و كيف كان: 288
رواية لأبي عبيدة في مقتله و سببه: 296
قصيدة لعبد اللّه بن الحمير يعتذر فيها إلى قومه بعد قتل أخيه: 298
رواية أبي عبيدة عن مزرّع في مقتله و سببه: 302
رثت ليلى توبة بعدّة قصائد: 304
اشارة 304
صوت 310
خرج توبة إلى الشام فلقيه زنجي و خبره معه: 320
حديث معاوية مع ليلى في توبة: 320
ما كان بين توبة و جميل أمام بثينة: 324
سأل عبد الملك بن مروان ليلى عما رآه توبة فيها فأجابته: 326
وفود ليلى على الحجاج و حديثه معها: 326
وفاتها و كيف كانت: 330
اشارة 330
صوت 330
كان توبة شريرا كثير الغارات: 332
خبر ليلى مع عبد الملك بن مروان حين رآها عند زوجته عاتكة: 332
رواية أخرى في وفودها على الحجاج: 334
اشارة 334
صوت 338
13 - ذكر الأقيشر و أخباره 339
نسب الأقيشر و اسمه و لقبه و كنيته: 339
قال في مسجد سماك بالكوفة شعرا ذم فيه بني دودان ثم ترضاهم ببيت: 339
كان خليعا ماجنا مدمنا لشرب الخمر: 341
اجتاز على مجلس لبني عبس فناداه أحدهم بلقبه و كان يغضب منه فهجاه: 341

كتب له أبو الضحاك التميمي شعرا يذمه فرد عليه و تكرر ذلك: 343
سمع عبد الملك بن مروان شعرا له في طلحة الفياض فمدحه: 345
لقيه الكميت فسمع من شعره و أثنى عليه: 345
كان عنينا فقال شعرا في ضدّ ذلك داعب به رجلا من قيس: 345
دعاه عابس و هو في جنازة بنت زياد العصفري لغداء و شراب فقال شعرا: 347
أخذه الشرط من حانة فتخلص منهم برشوة و قال شعرا: 347
سأل عبد الملك وفد بني أسد عنه و قال إنه شاعرهم: 347
سأل جارا له طحانا كان يقرض الناس فلم يعطه فقال فيه شعرا: 349
تعرض له رجل من هجيم فهجاهم فاستكفوه فكف: 349
شرب مع مقعد و أعمى و غناهم مغن فطربوا فقال هو شعرا: 351
كان صاحب سراب و ندامى تفرق أصحابه فقال شعرا: 351
شعر له في بغل أبي المضاء و كان يكتريه فيركبه إلى الحيرة: 353
خدعته امرأة بأنها أم حنين الخمار و أخذت منه درهمين، فأخذ يهجو أم حنين حتى استرضاه حنين: 353
استكتبه العريان بن الهيثم من ملحه ثم أرسل له خمسين درهما فاستقلها و هجاه، ثم استرضاه أبوه الهيثم: 355
خطب رجل من حضر موت امرأة من بني أسد و سأله عنها فهجاه: 357
طلبت إليه عمته أن يصلي فقال اختاري إما الصلاة أو الوضوء: 357
جاءه شرطي و هو يشرب فخافه و سقاه بأنبوب من ثقب الباب: 357
أعطاه قيس بن محمد مالا و نجمه له فكرر ذلك مرارا فرده فهجاه: 357
كان سكران فحكموه في الصحابة فقال شعرا: 359
أعطاه ابن رأس البغل مهر ابنة عم له فمدحه فاعترض عليه فأجابه: 359
ذهب إلى عكرمة بن ربعيّ فلم يعطه فهجاه: 359
شرب بما معه و بثيابه ثم جلس في تبن و حديث الخمار معه: 361
لقيه هشام الشرطي و هو سكران فحاوره في سكره: 361
استنشد قتيبة بن مسلم مرداس بن جذام شعره في قدامة بن جعدة: 363
استنشده عبد الملك أبياته في الخمر و حاوره فيها: 363

قصة له مع بعض ندمائه في حانة: 365
قصته مع عمه و بشر بن مروان حين مدح بشرا فوصله: 365
مدح خمارة بشعر داعر فسرّت به: 365
مدح فاتك بن فضالة حين وفد على عبد الملك: 367
تولى الكوفة رجل من بني تميم فانكسر المنبر من تحته فهجاهم: 367
سئل عن قريظة بن قرظة فتكاسل عن ذكر اسمه فهجاه فرد عليه: 367
سمع الرشيد من يتغنى بشعر له في توبته من الخمر فأعجب به: 369
خرج لغزو الشام فباع حماره و أنفق ثمنه في الفجور ثم رجع مع الغازين: 371
مما يغنى فيه من شعره: 373
اشارة 373
صوت 373
صوت 375
14 - أخبار ابن الغريزة و نسبه 376
اشارة 376
نسب ابن الغريزة: 376
قصيدته التي يذكر فيها يوم الطالقان و يرثي من قتل فيه: 376
اشارة 376
صوت 378
15 - أخبار أعشى بني تغلب و نسبه 380
نسب أعشى تغلب و كان نصرانيا: 380
قصته مع الحر بن يوسف: 380
مدح مدركا الكناني فأساء ثوابه فهجاه: 382
شعره في شمعلة بن عامر حين قطع الخليفة بضعة من فخذه: 382
وفد على عمر بن عبد العزيز فلم يعطه فقال شعرا: 382
شعره حين قعد مالك بن مسمع عن معاونة بني شيبان: 382

اشارة 382
صوت 384
16 - أخبار أبي النّضير و نسبه 386
اسم أبي النضير و نسبه: 386
هو شاعر بصري انقطع إلى البرامكة فأغنوه: 386
قال إسحاق الموصلي إنه أظرف الناس: 386
دخل على الفضل بن يحيى فهنأه بمولود ارتجالا: 386
نقد الفضل بن يحيى شعرا له في مدحهم فأجابه: 388
كتب إلى عنان و كان يهواها فأجابته: 388
شعر له في عنان: 388
صوت 389
طلبت منه مكتومة المغنية صوتا كان يغنيه فمازحها: 390
شعر له في مدح أبي جعفر عبد اللّه بن هشام: 390
اشارة 390
صوت 390
كان يرى أن الغناء على تقطيع العروض: 391
قاطعه أبان اللاحقي و قال شعرا يهجوه: 392
كتب إلى حماد عجرد يسأله عن حاله في الشراب فأجابه: 392
كتب إلى حمدان اللاحقي يشكو إليه عمر بن يحيى و يهجوه: 394
أنشد الفضل بن الربيع شعرا في امرأة تزوجها و طلقها: 394
اشارة 394
صوت 396
17 - أخبار العلبيّ و نسبه 397
نسبه، و هو من مخضرمي الدولتين: 397
سبب نسبه إلى العبلات: 397

كان في أيام بني أمية يميل إلى بني هاشم ثم خرج على المنصور مع محمد بن عبد اللّه بن الحسن: 397
فرّق هشام بن عبد الملك أموالا و لم يعطه فقال شعرا: 397
استقدمه المنصور و استنشده فغضب عليه فذهب إلى المدينة: 399
أخذت حرمه و أمواله فمدح السفاح فأكرمه و ردّ إليه ما أخذ منه: 399
وفد على عبد اللّه بن حسن و أجازه هو و ابناه و زوجه: 401
استنشده عبد اللّه بن حسن مما رثى به قومه ثم أكرمه هو و أهله: 403
ولى الطائف لمحمد بن عبد اللّه بن حسن ثم فرّ إلى اليمن و شعره في ذلك: 407
أنشد عبد اللّه بن حسن من شعره فبكى: 409
قيل إن القصيدة السينية اشترك فيها آخران معه حين أتاهم قتل بني أمية: 409
كان يكره ما يجري عليه بنو أمية من سب عليّ و شعره في ذلك: 409
دخل مع وفود قريش على هشام بن عبد الملك و مدحه ففضل هشام بني مخزوم فقال هو شعرا: 411
قصيدة له يندب فيها فرقة بني أمية: 415
اشارة 415
صوت 419
18 - أخبار أبي جلدة و نسبه 420
اشارة 420
نسب أبي جلدة: 420
كان من أخص الناس بالحجاج ثم صار من أشدّهم تحريضا عليه حين خرج مع ابن الأشعث و قتل: 420
ذم من القعقاع بن سويد بعض ما عامله به فقال فيه شعرا: 424
مدح مسمع بن مالك حين ولي سجستان و رثاه حين توفي: 424
كان ينادم شقيق بن سليط و استثقل أخاه ثعلبة فهجاه: 428
أعطى مسمع مالا لعشيرته و جفا بكر فقال هو شعرا فأكرمه و أرضاه: 428
كان جاره سيف يشرب و يعربد عليه فهجاه: 430
خبره مع القعقاع حين أرجف به فتهدّده بالعزل: 430
شبب ببنت دهقان فأهدى له ليترك ذكرها: 432

لحقه ضيم فلم يمنعه قومه فهتف بمسمع بن مالك و آخرين فسعى له قومه: 432
خطب خليعة بنت صعب فأبت و تزوّجت غيره فقال شعرا: 434
اشارة 434
صوت 434
ضرط بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضرطوا: 434
هجا زيادا الأعجم لهجوه بني يشكر: 436
مدح سليمان بن عمرو بن مرثد كان صديقا له: 436
سأل الحضين بن المنذر شيئا فلم يعطه إياه فهجاه: 438
تهدده بنو رقاش لهجائه الحضين فقال شعرا: 440
شعره في دهقانة كان يختلف إليها: 442
قال شعرا في يزيد بن المهلب ثم تنصل منه: 444
سئل عنه البعيث فذكر شعرا لقتادة بن معرب يهجوه به: 444
شعر له يناقض به قتادة بن معرب: 446
عربد عليه ابن عم له فاحتمله و قال شعرا: 446
شعر له و قد دعا رجلا من قومه للشراب فأبى: 448
مر به مسمع بن مالك فوثب إليه و قال فيه شعرا: 448
مدح مقاتل بن مسمع طمعا في مثل ما كان مسمع يعطيه فلما ردّه هجاه: 450
19 - أخبار علّويه و نسبه 453
نسب علويه و أصله: 453
مهارته في الغناء و الضرب و بعض أخلاقه و نشأته و سبب وفاته: 453
رأي إسحاق الموصلي فيه و في مخارق: 453
اشارة 453
صوت 455
شاع له صوت كان الناس يظنونه لإسحاق: 455
اشارة 455

صوت ----- 455
أتاه بعض أصحابه فأطعمهم و غناهم ألحانا له: ----- 455
اشارة ----- 455
صوت ----- 457
صوت ----- 457
وصف الواثق له: ----- 457
خطأ إسحاق لحنا غناه عند المعتصم فردّ هو عليه: ----- 459
كان أعسر و عوده مقلوب الأوتار: ----- 459
كان بينه و بين ابن أخته الخلنجي القاضي منازعة فغنى بشعره للمأمون فعزله عن القضاء: ----- 459
ضربه الأمين بوشاية ابن الربيع ثم تقرّب بذلك إلى المأمون فلم ير منه ما يحب: ----- 461
غضب الأمين على إبراهيم الموصلي بعد موته لتقديم اسم المأمون عليه في شعره و ترضاه ابنه إسحاق: ----- 463
مدحه عبد اللّه بن طاهر: ----- 463
حضر عند سعيد بن عجيف فأكرمه ثم طلبه عجيف: ----- 465
اشارة ----- 465
صوت ----- 465
فضله عمرو بن بانة على نفسه: ----- 465
غنى في شعر هجى به عليّ بن الهيثم فأغرى الفضل بن الربيع بن الأمين حتى ضربه ثم رضي عنه: ----- 467
ادعى أنه لو شاء جعل الغناء كالجوز فرد عليه إسحاق بما أخجله: ----- 469
اشارة ----- 469
صوت ----- 469
ترك موعد المأمون ليذهب إلى عريب ثم غناه بما صنعاه فاستظرفه: ----- 469
اشارة ----- 469
صوت ----- 469
سمع منه إبراهيم بن المهدي صوتين فحسده: ----- 471
اشارة ----- 471

صوت ---- 471
صوت ---- 471
نحله إبراهيم الموصلي صوتا فلم يظهره إلا أمام المأمون: ---- 471
غنى المأمون لحنا في بيت لم يعرفه أحد ثم عرف بعد: ---- 473
دفع إلى المعتصم رقعة في أمر رزقه ثم غناه بشعر لابن هرمة: ---- 475
اشارة ---- 475
صوت ---- 477
غنى هو و مخارق معترضين بفرس كميت للمعتصم فأعطاهما غيره: ---- 477
اجتمع مع أصحاب له عند زلبهزة و معهم هاشمي حصلوا منه بحيلة على مال: ---- 479
اشارة ---- 479
صوت ---- 479
هو مصلى كل سابق في الصنعة و الضرب و طيب الصوت: ---- 481
غنى المأمون في دمشق بما أسرّه فغضب عليه و شتمه: ---- 481
نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر ---- 483
صوت ---- 483
صوت ---- 485
اعترض علي خضابه فأجاب: ---- 485
مدح إسحاق لحنا له: ---- 485
قال المأمون أبياتا فغناه فيها فوصله: ---- 487
اشارة ---- 487
صوت ---- 487
غنى في مجلس الرشيد بما أغضبه عليه: ---- 487
نسبة هذه الأصوات التي تقدّمت ---- 489
صوت ---- 489
خبر أخذ إسحاق صوتا من سليمان المصاب: ---- 489

اشارة 489
صوت 491
صوت 491
صوت 491
صوت 491
20 - نسب إسماعيل بن عمار و أخباره 494
نسب إسماعيل بن عمار: 494
من مخضرمي الدولتين و كان ينزل الكوفة: 494
كان ممن يختلف إلى ابن رامين و جواريه: 494
قصيدة له في جواري ابن رامين: 494
باع ابن رامين سلامة في حجه فقال هو شعرا: 498
مات له ابن فرثاه: 500
رفض أن يكون عاملا لما رأى العمال يعذبون و شعره في ذلك: 500
شعره في بوبة وصيفة عبد الرحمن ابن عنبسة: 502
هجاؤه لجارية له كان يبغضها: 504
هجا جارا له بنى مسجدا قرب داره: 508
استعدى على غاضري كلف رهطه الطواف: 508
كان منقطعا إلى خالد بن خالد بن وليد فلما مات رثاه: 510
سعى به عثمان بن درباس فهجاه فاستعدى عليه السلطان فحبسه: 510
كتب إلى ابن أخيه شعرا من الحبس فأجابه: 512
أطلقه الحكم بن الصلت من السجن و شعره فيه حين عزل: 514
ذم ولاية خالد القسريّ: 516
شعر له في عينه و قلبه: 516
شعر له في عينه و قلبه: 516
شعر للأعشى و شرحه: 518

صوت ---------- 518

فهرس موضوعات الجزء الحادي عشر ---------- 521

تعريف مركز ---------- 523

الأغاني المجلد 11

هوية الكتاب

الأغاني

المؤلفين الآخرين

مدقق لغوي ومترجم:

مكتبة تحقيق دار احياء التراث العربي

المجلدات : 25ج

لسان: العربية

ناشر:دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان

سنة النشر: 1415 هجرى قمرى1994 ميلادى

رمز الكونغرس: PJA 3892 /الف 6 1374

إعداد النص الرقمي : ميثم الحيدري

ص: 1

اشارة

تتمة التراجم

اشارة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ *

1 - أخبار النابغة و نسبه

نسب النابغة:

النابغة اسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب(1) بن يربوع بن غيظ بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. و يكنى أبا أمامة(2). و ذكر أهل الرّواية أنه إنما لقّب النّابغة لقوله:

فقد نبغت لهم منّا شئون

من الطبعة الأولى:

و هو أحد الأشراف الذين غضّ الشعر منهم. و هو من الطبقة الأولى المقدّمين على سائر الشعراء.

سأل عمر بن الخطاب عن شعر فلما أخبر أنه له قال إنه أشعر العرب:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو نعيم قال حدّثنا شريك عن مجاهد عن الشّعبيّ عن ربعيّ بن حراش قال:

/قال عمر: يا معشر غطفان، من الّذي يقول:

أتيتك عاريا خلقا ثيابي *** على خوف تظنّ بي الظّنون

قلنا: النابغة. ذاك أشعر شعرائكم.

أخبرني أحمد و حبيب قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عبيد بن جنّاد قال حدّثنا معن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السّلميّ عن جدّه عن الشّعبيّ قال: قال عمر: من أشعر الناس؟ قالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين. قال: من الّذي يقول:

إلاّ سليمان إذ قال الإله له(3) *** قم في البريّة فاحددها عن الفند(4)

و خبّر(5) الجنّ أنّي قد أذنت لهم *** يبنون تدمر(6) بالصّفّاح و العمد(7)

1- في «شرح التبريزي للمعلقات العشر»: «جابر بن يربوع» بدل «جناب بن يربوع».

2- و يكنى أيضا: «أبا ثمامة». كني بابنتيه أمامة و ثمامة. (راجع «شرح المعلقات العشر» للتبريزي و كتاب «الشعر و الشعراء».)

3- و يروى: «إذ قال المليك». (و الروايات المشار إليها هنا و فيما يأتي عن «شرح التبريزي للمعلقات العشر»).

4- فاحددها: فامنعها. و يروى: «فازجرها». و الفند: الخطأ.

5- في «ج» و «ديوانه» و «شرح التبريزي»: «و خيس الجن إني إلخ» أي ذللهم.

6- تدمر: مدينة قديمة مشهورة كانت ببرية الشام. و كانوا يزعمون أنها مما بنته الجن لسليمان عليه السلام.

7- الصفاح (بالضم): حجارة دقاق عراض، واحدها صفاحة. و العمد (بفتحتين و بضمتين): جمع عمود.

قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول:

أتيتك عاريا خلقا ثيابي *** على خوف تظنّ بي الظنون

قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة *** و ليس وراء اللّه للمرء مذهب

لئن كنت قد بلّغت عنّي خيانة *** لمبلغك الواشي أغشّ و أكذب

/و لست بمستبق أخا لا تلمّه(1) *** على شعث أيّ الرجال المهذّب

قالوا: النابغة. قال: فهو أشعر العرب.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّه قال حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدّثنا عمر بن أبي زائدة عن الشّعبيّ قال: ذكر الشّعر عند عمر؛ ثم ذكر مثله.

سئل ابن عباس عن أشعر الناس فأمر أبا الأسود بالجواب فذكره:

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثني عليّ بن محمد عن المدائنيّ عن عبد اللّه بن الحسن عن عمر بن الحباب عن أبي المؤمّل قال:

قام رجل إلى ابن عبّاس فقال: أيّ الناس أشعر؟ فقال ابن عباس: أخبره يا أبا الأسود الدّؤليّ: قال الذي يقول:

فإنّك كاللّيل الذي هو مدركي *** و إنّ خلت أنّ المنتأى(2) عنك واسع

حوار في شعر له في مجلس الجنيد بن عبد الرحمن:

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي جرير بن شريك بن جرير بن عبد اللّه البجليّ قال: كنّا عند الجنيد بن عبد الرحمن بخراسان و عنده بنو مرة و جلساؤه من الناس، فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا قوله:

فإنّك كاللّيل الذي هو مدركي *** و إن خلت أنّ المنتأى عنك واسع

/فقال شيخ من بني مرّة: ما الّذي رأى في النّعمان حيث يقول له هذا! و هل كان النّعمان إلا على منظرة من مناظر الحيرة! و قالت ذلك القيسيّة فأكثروا. فنظر إليّ/الجنيد و قال: يا أبا خالد! لا يهولنّك قول هؤلاء الأعاريض(3)! فأقسم باللّه أن لو عاينوا من النّعمان ما عاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال، و لكنهم قالوا ما تسمع و هم آمنون.

كان يجلس للشعراء بعكاظ فمدح شعر الخنساء و حواره مع حسان:

أخبرني حبيب بن نصر و أحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو بكر العليميّ قال حدّثني

1- استبقى الصاحب: عفا عن زلله فاستبقى مودّته. و لم الأمر: جمعه و أصلحه. و الشعث (بالفتح و بالتحريك): انتشار الأمر و فساده؛ يقال: لم اللّه شعثه يلمه لما أي جمع ما تفرّق من أموره و أصلحه. و قوله «أي الرجال المهذب» يقول: و أي الناس لا تكون فيه خصلة غير مرضية.

2- المنتأى: اسم مكان من انتأى إذا بعد.

3- كذا في «الأصول»: و لعلها: «هؤلاء الأعاريب».

عبد الملك بن قريب(1) قال:

كان يضرب للنابغة قبّة من أدم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. قال: و أوّل من أنشده الأعشى ثم حسّان بن ثابت ثم أنشدته الشعراء، ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو بن الشّريد:

و إنّ صخرا لتأتمّ الهداة به *** كأنّه علم في رأسه نار

فقال: و اللّه لو لا أنّ أبا بصير أنشدني آنفا لقلت إنك أشعر الجنّ و الإنس. فقام حسّان فقال: و اللّه لأنا أشعر منك و من أبيك!. فقال له النابغة: يا ابن أخي، أنت لا تحسن أن تقول:

فإنّك كاللّيل الذي هو مدركي *** و إن خلت أنّ المنتأى عنك واسع

خطاطيف(2) حجن في حبال متينة *** تمدّ بها أيد إليك نوازع

قال: فخنس(3) حسّان لقوله.

تذاكر قوم الشعر و هم في الصحراء فإذا هم بجني يقول إنه أشعر الناس:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال حدّثنا أبو عمرو بن العلاء قال قال فلان لرجل سمّاه فأنسيته:

بينا نحن نسير بين أنقاء(4) من الأرض تذاكرنا الشعر، فإذا راكب أطيلس(5) يقول أشعر الناس زياد بن معاوية؛ ثم تملّس(6) فلم نره.

فضله أبو عمرو على زهير:

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا عمرو يقول: ما كان ينبغي للنابغة إلاّ أن يكون زهير أجيرا له.

سأل عبد الملك عن شعر له في اعتذاره للنعمان و قال إنه أشعر العرب:

1- عبد الملك بن قريب: هو اسم الأصمعي الراوية المشهور.

2- الخطاطيف: جمع خطاف (بالضم). و خطاف البئر: حديدة حجناء تستخرج بها الدلاء و غيرها. و حجن: معوجة، واحدها أحجن و الأنثى حجناء و نوازع: جواذب. يقول: لك خطاطيف هذه صفتها أجرّ بها إليك. و هذا تمثيل. يريد أنه في قبضة يده و أنه لا مفرّ له منه.

3- خنس: انقبض، أو رجع و تنحى.

4- الأنقاء: جمع نقا و هو القطعة من الرمل تنقاد محدودبة. و يقال في تثنيته نقوان و نقيان.

5- أطيلس: تصغير أطلس، و هو ما في لونه غيرة إلى السواد.

6- تملس: تملص و أفلت.

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال عمرو بن المنتشر المراديّ:

وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه، فقام رجل فاعتذر من أمر و حلف عليه. فقال له عبد الملك: ما كنت حريّا أن تفعل و لا تعتذر. ثم أقبل على أهل الشام فقال: أيّكم يروي من اعتذار النابغة إلى النّعمان:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة *** و ليس وراء اللّه للمرء مذهب

فلم يجد فيهم من يرويه؛ فأقبل عليّ فقال: أ ترويه؟ قلت نعم! فأنشدته القصيدة كلّها؛ فقال: هذا أشعر العرب.

سئل حماد بم تقدّم النابغة فأجاب:

أخبرنا حبيب بن نصر و أحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال:

قال معاوية بن بكر الباهليّ قلت لحمّاد الراوية: بم تقدّم النابغة؟ قال: باكتفائك بالبيت الواحد من شعره، لا بل بنصف بيت، لا بل بربع بيت، مثل قوله:

/

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة *** و ليس وراء اللّه للمرء مذهب

[كلّ نصف يغنيك عن صاحبه، و قوله: «أيّ الرجال المهذّب» ربع بيت يغنيك عن غيره(1)].

و هذه القصيدة العينيّة(2) يقولها في النّعمان بن المنذر يعتذر إليه بها و بعدّة قصائد قالها فيه تذكر في مواضعها.

و لقد اختلفت الرّواة في السبب الذي دعاه إلى ذلك.

كان أثيرا عند النعمان فدخل على زوجته المتجردة فوصفها:

فأخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة عن أبي/عبيدة و غيره من علمائهم:

انّ النابغة كان كبيرا(3) عند النّعمان خاصّا به و كان من ندمائه و أهل أنسه؛ فرأى زوجته المتجرّدة يوما و غشيها تشبيها(4) بالفجاءة، فسقط نصيفها و استترت بيدها و ذراعها، فكادت ذراعها تستر وجهها لعبالتها و غلظها؛ فقال قصيدته التي أوّلها:

أ من آل ميّة رائح(5) أو مغتدي *** عجلان ذا زاد و غير مزوّد

زعم البوارح أنّ رحلتنا غدا *** و بذاك تنعاب الغراب الأسود

لا مرحبا بغد و لا غير أنّ ركابنا *** لمّا تزل برحالنا و كأن قد

في إثر غانية رمتك بسهمها *** فأصاب قلبك غير أن لم تقصد(6)

1- التكملة عن «شرح الديوان» للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي.

2- هي قصيدته التي مطلعها: عفا ذو حسا من فرتني فالفوارع فجنبا أريك فالقلاع الدوافع

3- في «ج» أ، «كثيرا». و لعل صوابه: «كان أثيرا عند النعمان... إلخ».

4- لعله «شبيها بالفجاءة» أي غشيها غشيانا شبيها بالمفاجأة.

5- رائح: خبر لمحذوف، و التقدير: أ من آل مية أنت رائح، كما قال الأصمعي.

6- تقصد: تقتل؛ يقال: أقصد الشيء إذا ضربه أو رماه فمات مكانه.

بالدّرّ

و الياقوت زيّن نحرها *** و مفضّل من لؤلؤ و زبرجد

/عروضه من الكامل. و غنّاه أبو كامل من رواية حبش ثقيلا أول بالبنصر. و غنّاه الغريض من روايته ثاني ثقيل بالوسطى. و غنّاه ابن سريج من رواية إسحاق ثقيلا أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى.

قوله: أ من آل ميّة: يخاطب نفسه كالمستثبت. و عجلان: من العجلة، نصبه على الحال. و الزاد في هذا الموضع: ما كان من تسليم و ردّ تحيّة. و البوارح: ما جاء من ميامنك إلى مياسرك فولاّك مياسره. و السانح ما جاء من مياسرك فولاّك ميامنه؛ حكى ذلك أبو عبيدة عن رؤبة و قد سأله يونس عنه. و أهل نجد يتشاءمون بالبوارح، و غيرهم من العرب تتشاءم بالسانح و تتيمّن بالبارح؛ و منهم من لا يرى ذلك شيئا؛ قال بعضهم(1):

و لقد غدوت و كنت لا *** أغدو على واق و حاتم(2)

فإذا الأشائم كالأيا *** من و الأيامن كالأشائم

و تنعاب الغراب: صياحه؛ يقال: نعب الغراب ينعب نعيبا و نعبانا، و التنعاب تفعال من هذا. و كان النابغة قال في هذا البيت: «و بذاك خبّرنا الغراب الأسود» ثم ورد يثرب فسمعه يغنّى فيه، فبان له الإقواء، فغيّره في مواضع من شعره.

كان يقوى فلما ذهب إلى يثرب تبين له هذا العيب فأصلحه:

اشارة

و أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأت على أبي:

قال أبو عبيدة: كان فحلان من الشعراء يقويان: النابغة و بشر بن أبي خازم. فأمّا النابغة فدخل يثرب فهابوه أن يقولوا له لحنت و أكفأت(3)، فدعوا قينة و أمروها أن تغنّي في شعره ففعلت. فلمّا سمع الغناء و «غير مزوّد» و «الغراب الأسود» و بان له ذلك في اللحن فطن لموضع الخطأ فلم يعد. و أمّا بشر بن أبي خازم فقال له أخوه سوادة: إنّك تقوي. قال) و ما ذاك؟ قال: قولك:

و ينسي مثل ما نسيت جذام(4)

1- هو مرقش السدومي، و قيل: إنه لخزز (بضم ففتح) بن لوزان. (عن «لسان العرب»).

2- الواقي (وزان القاضي) هنا: الصرد (بضم ففتح) و هو طائر فوق العصفور كانت العرب تتطير بصوته. و الحاتم هنا: الغراب الأسود. و قبل البيتين: لا يمنعنك من بغا الخير تعقاد التمائم و بعدهما: و كذاك لا خير و لا شر على أحد بدائم قد خط ذلك في ذلك في الزبو ر الأوّليات القدائم «الزبور»: الكتب، واحدها زبر (بالكسر). (راجع «لسان العرب» مادتي وقى و حتم).

3- الإكفاء في الشعر عند العرب: الفساد في قوافيه باختلاف الحركات أو الحروف القريبة المحارج بأن يكون روي القافية ميما ثم يجيء

الرويّ في بعض القصيدة نونا. و الإكفاء عند أهل العروض: اختلاف إعراب القوافي.

4- في «الأصول»: أ من الأحلام إذ صحبي نيام و التصويب من «خزانة الأدب» (ج 2 ص 262)؛ فإن الشطر الأوّل في «الأصول» من الرمل، و الثاني من الوافر. و تمام البيت الأوّل: أ لم تر أن طول الدهر يسلي و ينسي مثل ما نسيب جذام تمام البيت الثاني: و كانوا قومنا فبغوا علينا فسقناهم إلى البلد الشآم

ثم قلت بعده «إلى البلد الشآم». ففطن فلم يعد.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا خلاّد الأرقط و غيره من علمائنا قالوا:

كان النابغة يقول: إنّ في شعري لعاهة ما أقف عليها. فلمّا قدم المدينة غنّي في شعره؛ فلمّا سمع قوله:

«و اتّقتنا باليد» و «يكاد من اللّطافة يعقد» تبيّن له لمّا مدّت «باليد» فصارت الكسرة ياء و مدّت «يعقد» فصارت الضمّة كالواو؛ ففطن فغيّره و جعله:

غنم على أغصانه لم يعقد

/و كان يقول: وردت يثرب و في/شعري بعض العاهة، فصدرت عنها و أنا أشعر الناس. و قوله لا مرحبا: لا سعة؛ و نصبه هاهنا شبيه بالمصدر؛ كأنه قال لا رحب رحبا و لا أهل أهلا. و أزف: قرب.

قال: و قال في قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المتجرّدة و سترها وجهها بذراعها:

صوت

سقط النّصيف و لم ترد إسقاطه *** فتناولته و اتّقتنا باليد

بمخضّب رخص كأنّ بنانه *** عنم على أغصانه لم يعقد

و يفاحم رجل أثيث نبته *** كالكرم مال على الدّعام المسند

نظرت إليك بحاجة لم تقضها *** نظر السّقيم إلى وجوه العوّد

غنّاه ابن سريج، و لحنه من خفيف الثّقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو. و النّصيف: الخمار، و الجمع أنصفة و نصف.

و العنم، فيما ذكر أبو عبيدة، يساريع(1) حمر تكون في البقل في الربيع. و قال الأصمعيّ: الغنم: شجر يحمرّ و ينعم(2) نبته. و الفاحم: الشديد السواد. و الرّجل: الذي ليس بجعد. و الأثيث: المتكاثف؛ قال امرؤ القيس:

أثيث(3) كقنو النخلة المتعثكل

و يقال: شعر رجل و رجل. و يروى:

و رنت إليّ بمقلتي مكحولة

/و المكحولة: البقرة. و قوله: لم تقضها: يعني المرأة أي لم تقدر على الكلام من مخافة أهلها، فهي كالسّقيم الذي ينظر إلى من يعوده.

غنّاه ابن سريج خفيف ثقيل أوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

1- اليساريع: جمع يسروع (بضم الياء و فتحها، و يقال فيها أسروع بضم الهمزة و فتحها) و هي دودة حمراء تكون في البقل، تشبه بها الأصابع.

2- نعم العود (من باب فرح): اخضرّ و نضر.

3- صدر البيت: و فرع يغشى المتن أسود فاحم و الفرع: الشعر الطويل. و المتن: الظهر. و القنو: العذق (و هو من المخل كالعنقود من العنب). و المتعثكل: ذو العثاكيل (الشماريخ).

قال صالح بن حسان إنه كان مخنثا:

و أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العمريّ قال:

قال الهيثم بن عديّ قال لي صالح بن حسّان: كان و اللّه النابغة مخنّثا. قلت: و ما علمك به؟ أ رأيته قط؟ قال:

لا و اللّه!. قلت: أ فأخبرت عنه؟ قال لا.

قلت: فما علمك به؟ قال: أ ما سمعت قوله:

سقط النّصيف و لم ترد إسقاطه *** فتناولته و اتّقتنا باليد

لا و اللّه ما أحسن هذه الإشارة و لا هذا القول إلا مخنّث.

هروبه من النعمان إلى ملوك غسان و اختلاف الرواة في سببه:

قال: فأنشدها النابغة مرّة بن سعد القريعيّ، فأنشدها مرّة النّعمان، فامتلأ غضبا فأوعد النابغة و تهدده؛ فهرب منه فأتى قومه، ثم شخص إلى ملوك غسّان بالشأم فامتدحهم. و قيل: إنّ عصام بن شهبر الجرميّ حاجب النّعمان أنذره(1) و عرّفه ما يريده النّعمان، و كان صديقه، فهرب. و عصام الذي يقول فيه الراجز:

نفس عصام سوّدت عصاما *** و علّمته الكرّ و الإقداما

و جعلته ملكا هماما

/و قال من رويت عنه خبر النابغة: إنّ السبب في هربه من النّعمان أنّ عبد القيس بن خفاف التّميميّ و مرّة بن(2) سعد بن قريع السّعديّ عملا هجاء في النّعمان على لسانه، و أنشدا النّعمان منه أبياتا يقال فيها:

ملك يلاعب أمّه و قطينه *** رخو المفاصل أيره كالمرود

و منه:

قبّح اللّه ثم ثنّى بلعن *** وارث الصائغ الجبان الجهولا

من يضرّ الأدنى و يعجز عن ضرّ الأقاصي و من يخون الخليلا /

يجمع الجيش ذا الألوف و يغزو *** ثم لا يرزأ العدوّ فتيلا

يعني بوارث الصائغ النّعمان؛ و كان جدّه لأمّه صائغا بفدك(3) يقال له عطيّة. و أمّ النّعمان سلمى بنت عطيّة.

فأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمي عبيد اللّه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل: أنّ مرّة بن سعد القريعيّ الذي

وشـى بالنابغة كان له سـيف قاطع يقال له ذو الرّيقة من كثرة فرنده و جوهره، فذكر النابغة للنعمان، فأخذه. فاضـطغن ذلك حتى وشى به إلى النّعمان و حرّضه عليه.

و أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء، و أخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة، و أخبرنا أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة، قالوا جميعا:

1- أنذره: أعلمه.

2- في «خزانة الأدب» (ج 1 ص 371 و 427) و «شرح لديوانه»: «ابن ربيعة» بدل «ابن سعد».

3- فدك: قرية بالحجاز من نواحي خيبر.

/إنّ الذي من أجله هرب النابغة من النّعمان أنه كان و المنخّل بن عبيد بن عامر اليشكريّ جالسين عنده، و كان النّعمان دميما أبرش(1) قبيح المنظر، و كان المنخّل بن عبيد من أجمل العرب، و كان يرمى بالمتجرّدة زوجة النّعمان، و يتحدّث العرب أنّ ابني النّعمان منها كانا من المنخّل. فقال النّعمان للنابغة: يا أبا أمامة، صف المتجرّدة في شعرك؛ فقال قصيدته التي وصفها فيها و وصف بطنها و روادفها و فرجها. فلحقت المنخّل من ذلك غيرة، فقال للنّعمان: ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلاّ من جرّبه. فوقر ذلك في نفس النّعمان. و بلغ النّابغة فخافه فهرب فصار في غسّان.

كان المنخل اليشكري يهوى هندا بنت عمرو بن هند فتغزل فيها فقتله:

اشارة

قالوا: و كان المنخّل يهوى هندا بنت عمرو بن هند، و فيها يقول:

صوت

و لقد دخلت على الفتا *** ة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء تر *** فل في الدّمقس و في الحرير

فدفعتها(2) فتدافعت *** مشي القطاة إلى الغدير

و لثمتها فتنفّست *** كتنفّس الظّبي البهير(3)

- غنّاه إبراهيم الموصليّ من رواية عمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق.

/و بدت(4) و قالت يا منخّل ما بجسمك من فتور؟ ما مسّ جسمي غير حبّك فاهدئي(5) عنّي و سيري

و لقد شربت من المدى *** مة بالكبير و بالصغير

فإذا سكرت فإنّني *** ربّ الخورنق و السّدير(6)

و إذا صحوت فإنّني *** ربّ الشّويهة و البعير

يا هند هل من نائل *** يا هند للعاني الأسير

و أحبّها و تحبّني *** و تحبّ(7) ناقتها بعيري

- و قال حمّاد بن إسحاق عن أبيه في كتاب أغاني ابن مسحج: في هذا الصوت لمالك و معبد و ابن سريج و ابن

1- الأبرش: الذي في لونه اختلاف بأن تكون نقطة حمراء و أخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك.

2- في «الأغاني» في ترجمة «المنخل اليشكري» (ج 18 ص 154 طبعة بلاق): «دافعتها». و في رواية هذه القصيدة هنا و في ترجمة المنخل فيما سيأتي في «الأغاني» و في كتاب «الشعر و الشعراء». اختلاف في بعض الكلمات سنشير إلى بعضه هاهنا.

3- البهير: الذي تتابع نفسه من الأعباء و التعب؛ يقال: انبهر و بهر (مبنيا للمجهول) فهو مبهور و بهير. و رواية البيت في كتاب «الشعر و الشعراء»: و عطفتها فتعطفت كتعطف الظبي الغرير

4- في ترجمة «المنخل»: «و رنت». و في كتاب «الشعر و الشعراء»: «فترت».

5- كذا في ح، أ، و ترجمة «المنخل» فيما يأتي و كتاب «الشعر و الشعراء». و في سائر الأصول هنا: «فاعزبي».

6- الخورنق و السدير: قصران، و قيل: هما نهران.

7- في ترجمة «المنخل» و كتاب «الشعر و الشعراء»: «و يحب».

محرز و الغريض و ابن مسحج لكلهم فيه ألحان – قال: فبلغ عمرا خبر المنخّل فأخذه فقتله. و قال المنخل قبل أن يقتله و هو محبوس في يده يحضّ قومه على طلب الثأر به:

/

ظلّ وسط العراق قتلي بلا جر *** م و قومي ينتجون السّخالا

رجع الخبر إلى سياقه. قالوا جميعا: فلمّا صار النّابغة إلى غسّان نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر(1) – و أمّ الحارث الأعرج مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع(2) الكنديّة/و هي ذات القرطين اللّذين يضرب بهما المثل فيقال لما يغلى به الثمن «[خذه و لو(3)] بقرطي مارية». و أختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار. و إيّاها عنى حسّان بقوله في جبلة بن الأيهم:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم *** قبر ابن مارية الجواد المفضل

مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغساني و أخاه النّعمان:

اشارة

و لذلك خبر يأتي في موضعه – فمدحه النابغة و مدح أخاه النّعمان. و لم يزل مقيما مع عمرو حتى مات، و ملك أخوه النّعمان؛ فصار معه إلى أن استطلعه(4) النّعمان فعاد إليه. فممّا مدح به عمرا قوله:

صوت

كليني لهمّ يا أميمة(5) ناصب *** و ليل أقاسيه بطيء الكواكب

و صدر أراح الليل عازب همّه *** تضاعف فيه الحزن من كلّ جانب

تقاعس حتى قلت ليس بمنقض *** و ليس الذي يهدي النّجوم بآئب

عليّ لعمرو نعمة بعد نعمة *** لوالده ليست بذات عقارب

عروضه من الطويل. غنّي في البيتين الأوّلين ابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو. و غنّى فيه الأبجر من رواية حبش ثاني ثقيل بالوسطى. و غنّى مالك في البيت الرابع ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات. و غنى في الأربعة الأبيات عبد اللّه ابن العبّاس الرّبيعيّ ماخوريّا عن حبش، و غنّى فيها طويس رملا بالوسطى بحكايتين عن حبش. /هكذا روي قوله «يا أميمة» مفتوح الهاء. قال الخليل: من عادة العرب أن تنادي المؤنّث بالترخيم فتقول يا أميم و يا عزّ و يا سلم؛ فلمّا لم يرخّم لحاجته إلى الترخيم(6) أجراها على لفظها مرخّمة(7) و أتى بها بالفتح. و كليني أي دعيني. و وكلته إلى كذا أكله و كالة(8).

1- يقال فيه أيضا شمر (بكسر أوله و سكون ثانيه). (راجع «خزانة الأدب» ج 1 ص 371).

2- ضبطه الحافظ في «التبصير» كمحسن، و ضبطه الصاغاني في «العباب» كمحدّث. (عن «القاموس و شرحه»).

3- التكملة عن كتب الأمثال.

4- استطلعه: طلب طلوعه إليه. يريد: استقدمه إليه.

5- أميمة: تصغير أمامة و هي بنته. و أقاسيه: أكابده و أعالج طوله.

6- لعل صوابه: «لحاجته إلى ترك الترخيم» لأن الترخيم هنا يفسد وزن الشعر.

7- هذا رأي الجمهور، قالوا: إن أميمة مرخم، و الأصل يا أميم، ثم دخلت الهاء غير معتد بها، و فتحت لأنها وقعت موقع ما يستحق الفتح و هو ما قبل هاء التأنيث. و فيه آراء أخرى مبسوطة في كتب النّحو.

8- الـذي في كتب اللغة أنه يقال: وكل الأمر إليه يكله وكلا و وكولا إذا سـلمه إليه و تركه، و وكله إلى نفسه وكلا و وكولا. و الوكالة (بالفتح و بالكسر أيضا): اسم من التوكيل.

و ناصب(1): متعب. و بطيء الكواكب أي قد طال حتى إن كواكبه لا تجري و لا تغور. أراح: ردّ. يقال أراح الرجل إبله أي ردّها. فيقول: ردّ هـذا الليـل إليّ مـا عزب من همّي بالنهـار؛ لأنه يتعلّل نهارا بمحادثـة النّاس و التشاغل بغير الفكر، فإذا خلا بالليل راح إليه همّه. و تقاعس تأخّر؛ و أصل التقاعس الرجوع إلى خلف القهقري، فشبّه اللّيل في طوله بالمتقاعس. و الذي يهدي النّجوم أوّلها، شبهها بهواديها(2). و قوله «ليست بذات عقارب» أي لا يكدّرها و لا يمنّها.

/و مما يغنّى فيه هذه القصيدة:

حلفت يمينا غير ذي مثنويّة(3) *** و لا علم إلاّ حسن ظنّي(4) بصاحب

لئن كان للقبرين قبر بجلّق(5) *** و قبر بصيداء الذي عن حارب

و للحارث(6) الجفنيّ سيّد قومه *** ليلتمسن بالجيش دار المحارب

- غنّاه إسـحاق خفيف ثقيل أوّل بالبنصـر على مـذهبه من روايـة عمرو بن بانة عنه و من رواية/حبش. و غنّاه ابن سـريج ثاني ثقيل بالبنصـر. يقول: ليس لي علم بما يكون من صاحبي إلا أنّي أحسن الظنّ به. و قوله: «لئن كان للقبرين» يعني لئن كان عمرو ابنا للمـدفونين في هـذين القبرين، يعني قبر أبيه و جـدّه و همـا الحـارث الأـكبر و الحـارث الأعرج، ليلتمسنّ جيشه دار المحارب له؛ يحرّضه بـذلك و يروي «أرض المحارب» -

و لا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم *** بهنّ فلول(7) من قراع الكتائب

إذا استنزلوا(8) عنهنّ للطعن أرقلوا *** إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

1- أي فناصب بمعنى منصب من النّصب (بالتحريك) و هو التعب جيء به على طرح الزوائـد. و حمله سـيبويه على النّسب أي ذو نصب، كما يقال، طريق خائف أي ذو خوف. و قال أبو عمرو: همّ ناصب من قولك نصب به الهم أي حل. و قال ابن الأعرابي: نصب له الهم إذا كان لا يفارقه. (راجع «خزانة الأدب البغدادي» ج 1 ص 370، و شروح «ديوان» النابغة).

2- في هـذه الجملـة غموض، قـد يرجع إلى سـهو النّساخ عن بعض الكلام. و معنى «و ليس الـذي يهـدي النّجوم بآئب»، كما في شـروح «الـديوان»، أن الـذي يهـدي النّجوم ما يتقدّمها؛ إذ هادي كل شـيء ما يتقدّمه. فقيل المراد به أوّل النّجوم، و معنى كونه غير آئب: غير راجع إلى مسـقطه و مغيبه. و قيل المراد بهادي النّجوم الشـمس لأنها تتقـدّم النّجوم في المغيب، و معنى كونها غير آئبة: غير راجعة إلى مشـرقها؛ فكأنه ليل لا نهار بعده. و يروى: «و ليس الذي يرعى النّجوم...».

3- غير ذي مثنوية: حال من فاعل حلفت أي لم أستثن فيها.

4- رواية «ديوان» النابغة و شروحه: «إلا حسن ظن» بتنكير الظن.

5- جلق (بكسـر الجيم و تشديـد اللام مكسورة أو مفتوحة): موضع بالشام، و قيل: هو اسم مدينة دمشق نفسـها، و قيل: اسم لكورة الغوطة كلها، و قيل موضع بقرية من قرى دمشق. و صيداء: مدينة على ساحل بحر الشام شرقي صور بينهما ستة فراسخ. و حارب: موضع.

6- الحارث الجفني: هو الحارث بن أبي شمر الجفني الغساني.

7- فلول: ثلوم. و القراع: المجالـدة، يقـال: قارعه مقارعـة و قراعا. و الكتيبـة: الجيش أو القطعـة منه. و هـذا الضـرب من الاسـتثناء يسـميه أصحاب البديع تأكيد المدح بما يشبه الذم، و مثله: فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

8- الضمير في «عنهن» للخيل في قوله: على عارفات للطعان عوابس و هو وارد في «الديوان» قبل هذا البيت مباشرة.

صوت

لهم شيمة لم يعطها اللّه غيرهم *** من النّاس و الأحلام غير عوازب

على عارفات للطّعان عوابس *** بهنّ كلوم بين دام و جالب

و لا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم *** بهن فلول من قراع الكتائب

إذا استنزلوا عنهنّ للطعن أرقلوا *** إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

حبوت بها غسّان إذ كنت لاحقا *** بقومي و إذ أعيت عليّ مذاهبي

وجدت في كتاب لهارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات في البيتين(1) و الثالث و الرابع لحنا منسوبا إلى معبد من خفيف الرمل بالوسطى. و أحسبه من لحن يحيى المكّيّ. الشّيمة: الطبيعة، و جمعها شيم. غير عوازب أي لا تعزب أحلامهم فتنفذ عنهم. و عارفات للطعان أي صابرات عليه عوّدت أن يحارب عليها. و عوابس كوالح. و جالب أي عليه جلبة و هي قشرة تكون على الجرح؛ يقال جلب الجرح يجلب جلوبا و أجلب إجلابا. و الإرقال: مشي يشبه الخبب سريع. و المصاعب واحدها مصعب و هو الفحل الذي لم يمسسه الحبل و إنما يقتنى للفحلة، و يقال له قرم و مقرم. و قوله «حبوت بها» يعني بالقصيدة. و روى أبو عبيدة «إذ كنت لاحقا بقوم» و قال: يعني إذ كنت لاحقا بغيركم أي بقوم آخرين، فكنتم أحقّ بالمدح منهم.

قالوا: فنظر إلى النّعمان بن الحارث أخي عمرو و هو يومئذ غلام فقال:

هذا غلام حسن وجهه *** مقتبل الخير سريع التّمام

للحارث الأكبر و الحارث ال *** أصغر و الأعرج خير الأنام(2)

/ثم لهند و لهند فقد *** أسرع في الخيرات منه إمام(3)

خمسة آباء و هم ما هم *** هم خير من يشرب صوب الغمام(4)

غنّاه حنين خفيف رمل بالبنصر عن حبش.

فضله الشعبي على الأخطل في مواجهته في مجلس عبد الملك:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا هارون بن عبد اللّه الزبيريّ قال حدّثنا شيخ يكنى أبا داود عن الشعبيّ قال:

دخلت على عبد الملك بن مروان و عنده الأخطل و أنا لا أعرفه. فقلت حين دخلت: عامر بن شراحيل الشّعبيّ. فقال(5): على علم ما أذنّا لك. فقلت في نفسي: خذ واحدة على وافد أهل العراق. فسأل عبد الملك

1- كذا في «الأصول» (؟).

2- كذا في كتاب «الشعر و الشعراء» و «خزانة الأدب». و في «الأصول» هنا و فيما يأتي: «و الحارث خير الأنام».

3- في كتاب «الشعر و الشعراء» و «خزانة الأدب»: ..... و قد ينجع في الروضات ماء الغمام

4- في هذين المصدرين: «يشرب صفو المدام».

5- أي الأخطل.

الأخطل: من أشعر النّاس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. فقلت لعبد الملك: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فتبسّم و قال:

هذا الأخطل. فقلت في نفسي: خذها ثنتين على وافد أهل العراق، فقلت: أشعر منك الذي يقول:

/

هذا غلام حسن وجهه *** مستقبل الخير سريع التّمام

للحارث الأكبر و الحارث ال *** أصغر و الأعرج خير الأنام

خمسة آباء و هم ما هم *** هم خير من يشرب ماء الغمام

– و الشعر للنابغة – فقال الأخطل: إنّ أمير المؤمنين إنما سألني عن أشعر أهل زمانه، و لو سألني عن أشعر أهل الجاهليّة لكنت حريّا أن أقول كما قلت أو شبيها به. فقلت في نفسي: خذها ثلاثا على وافد أهل العراق. (يعني أنه أخطأ ثلاث مرات). و نسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز و لم أسمعه من/أحد، و وجدته أتمّ مما رأيت في كل موضع، فأتيت به في هذا الموضع و إن لم يكن من خاصّ خبر النّابغة لأنه أليق به. قال أحمد بن الحارث الخرّاز حدّثني المدائنيّ عن عبد الملك بن مسلم قال:

كتب عبد الملك إلى الحجّاج: إنه ليس شيء من لذّة الدنيا إلاّ و قد أصبت منه، و لم يكن عندي شيء ألذّه إلا مناقلة الإخوان للحديث. و قبلك عامر الشّعبيّ، فابعث به إليّ يحدّثني. فدعا الحجّاج الشعبيّ فجهّزه و بعث به إليه و قرّظه و أطراه في كتابه. فخرج الشعبيّ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب: استأذن لي. قال: من أنت؟ قال: أنا عامر الشعبيّ. قال: حيّاك اللّه! ثم نهض فأجلسني على كرسيّه. فلم يلبث أن خرج إليّ فقال: ادخل يرحمك اللّه. فدخلت، فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ و بين يديه رجل أبيض الرأس و اللّحية على كرسيّ، فسلّمت فردّ عليّ السلام، ثم أومأ إليّ بقضيبه فقعدت عن يساره، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال: ويحك! من أشعر النّاس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. قال الشعبيّ. فأظلم عليّ ما بيني و بين عبد الملك، فلم أصبر أن قلت: و من هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر النّاس؟! – قال: فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي – قال: هذا الأخطل. فقلت: يا أخطل! أشعر و اللّه منك الذي يقول:

هذا غلام حسن وجهه *** مستقبل الخير سريع التّمام

للحارث الأكبر و الحارث ال *** أصغر و الأعرج خير الأنام

ثم لهند و لهند فقد *** أسرع في الخيرات منه إمام

خمسة آباء و هم ما هم *** هم خير من يشرب صوب الغمام

فردّدتها حتى حفظها عبد الملك. فقال الأخطل: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الشعبيّ. قال فقال: صدق و اللّه يا أمير المؤمنين، النابغة و اللّه أشعر منّي. فقال الشعبيّ: ثم أقبل عليّ فقال: كيف أنت يا شعبيّ؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين فلا زلت به. ثم ذهبت لأضع معاذيري لما كان من خلافي(1) على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث؛ فقال: مه(2)! إنّا لا نحتاج إلى هذا المنطق و لا تراه منّا في قول و لا فعل حتى تفارقنا. ثم أقبل عليّ فقال: ما تقول في النّابغة؟ قال قلت: يا أمير المؤمنين، قد فضّله عمر بن الخطّاب في غير

1- كذا في «أمالي السيد المرتضى» (ج 3 ص 102 الطبعة الأولى بمطبعة السعادة بالقاهرة). و في «الأصول»: «... خلافي عن الحجاج».
2- مه: اسم فعل بمعنى اكفف.

أجمعين، و ببابه وفد غطفان فقال: يا معشر غطفان، أيّ شعرائكم الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة *** و ليس وراء اللّه للمرء مذهب

/لئن كنت قد بلّغت عنّي خيانة *** لمبلغك الواشي أغشّ و أكذب

و لست بمستبق أخا لا تلمّه *** على شعث أيّ الرجال المهذّب

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: فأيّكم الذي يقول:

فإنك كاللّيل الذي هو مدركي *** و إن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطاطيف جحن في حبال متينة *** تمدّ بها أيد إليك نوازع

قالوا: النابغة. قال: فأيّكم الذي يقول:

إلى اين محرّق أعملت نفسي *** و راحلتي و قد هدت(1) العيون

أتيتك عاريا خلقا ثيابي *** على خوف تظنّ بي الظّنون

فألفيت الأمانة لم تخنها *** كذلك كان نوح لا يخون

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: هذا أشعر شعرائكم. قال: ثم أقبل على الأخطل فقال: أ تحبّ أنّ لك قياضا(2) بشعرك شعر أحد من العرب أو(3) تحبّ أنك قلته؟ قال: لا و اللّه يا أمير المؤمنين، إلاّ أنّي وددت أن كنت قلت أبياتا قالها رجل منّا، كان و اللّه ما علمت مغدف(4) القناع قليل السّماع قصير الذّراع. قال: و ما قال؟ فأنشد قصيدته:

إنّ محيّوك فاسلم أيّها الطّلل *** و إن بليت و إن طالت بك الطّيل(5)

ليس الجديد به(6) تبقى بشاشته *** إلا قليلا و لا ذو خلّة يصل

و العيش لا عيش إلاّ ما تقرّ به *** عين و لا حال إلاّ سوف تنتقل

إن ترجعي من أبي عثمان منجحة(7) *** فقد يهون على المستنجح العمل

و الناس من يلق خيرا قائلون له *** ما يشتهي و لأمّ المخطئ الهبل

قد يدرك المتأنّي بعض حاجته *** و قد يكون مع المستعجل الزلل

حتى أتى على آخرها. قال الشعبيّ: فقلت: قد قال القطاميّ أفضل من هذا. قال: و ما قال؟ قلت قال:

1- أصله «هدأت» بالهمز، فسهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين.

2- كذا في «ج» و «أمالي السيد المرتضى». و في سائر الأصول: «نياطا» و هو تحريف.

3- كذا في «أمالي السيد المرتضى». و في الأصول: «أم تحب».

4- كذا في «أمالي السيد المرتضى». و قد وردت هذه الكلمة في «الأصول» محرفة؛ ففي بعضها: «مفرق القناع»، و في بعضها: «مغرف القناع». و إغداف القناع: إرساله على الوجه.

5- الطلل: ما شخص من آثار الديار. و الطيل: جمع طيلة و هي الدهر.

6- الضمير في «به» للدهر في بيت قبل هذا البيت و هو: كانت منازل منا قد نحل بها حتى تغير دهر خائن خبل

7- الخطاب لناقته. و منجحة: ظافرة. و المستنجح: طالب النجاح.

طرقت

جنوب رحالنا من مطرق *** ما كنت أحسبها قريب المعنق(1)

/قطعت إليك بمثل جيد جداية(2)*** حسن معلّق تومتيه مطوّق

و مصرّعين من الكلال كأنما *** شربوا(3) الغبوق من الرّحيق المعرق

متوسّدين ذراع(4) كلّ نجيبة *** و مفرّج عرق المقذّ منوّق

و جثت(5) على ركب تهدّ بها الصّفا *** و على كلاكل كالنّقيل المطرق

و إذا سمعن إلى هماهم(6) رفقة *** و من النجوم غوابر(7) لم تخفق

جعلت تميل خدودها آذانها *** طربا بهنّ إلى حداء السّوق

كالمنصتات إلى الغناء سمعنه *** من رائع لقلوبهن مشوّق

و إذا نظرن إلى الطريق رأينه *** لهقا(8) كشاكلة الحصان الأبلق

و إذا تخلّف بعدهنّ لحاجة *** حاد يشسع نعله(9) لم يلحق

/و إذا يصيبك و الحوادث جمّة *** حدث حداك إلى أخيك الأوثق

/لئن الهموم عن الفؤاد تفرّقت(10)*** و خلا التّكلّم للّسان المطلق

قال: فقال عبد الملك: هذا و اللّه أشعر، ثكلت القطاميّ أمّه!. قال: فالتفت إليّ الأخطل فقال: يا شعبيّ، إن لك

1- و في الأصول: «قريب المعنق». و التصويب من «ديوان القطامي» و «أمالي السيد المرتضى» و «لسان العرب». و المعنق: المكان الذي أعنقت منه. يقول: لم أظن أنها تقدر على أن تعنق و تسرع من هذا المكان. و العنق: ضرب من السير سريع؛ يقال عانق و أعنق إذا أسرع.

2- الجداية (بالفتح و يكسر): الغزال. و التومة (بالضم): اللؤلؤة، و القرط فيه حبة كبيرة.

3- في الأصول: «سمر و الغبوق من الرحيق المغبق». و التصويب من «الديوان» و «لسان العرب» (مادة عرق). و فيهما «الطلاء» بدل الرحيق. و الكلال: الإعياء و التعب. و الغبوق: ما يشرب بالعشي، و هو أيضا الشرب بالعشي. و الرحيق: من أسماء الخمر. و المعرق: القليل الماء؛ يقال: أعرقت الكأس و عرّقتها (بتشديد الراء) إذا أقللت ماءها.

4- في «لسان العرب» (مادة فرج): «زمام كل نجيبة»: و النجيبة من الإبل: الكريمة. و المفرج: ما بان مرفقه عن إبطه، و هي صفة ممدوحة في الإبل. و المقذ: ما خلف الأذن. و عرق (بضم ففتح): كثير العرق. و بعير منوّق: مذلل كأنه ناقة، أو هو الذي قد اختير و تنوّق فيه.

5- جثا يجثو و جثى يجثي جثوا و جثيا (على فعول فيهما): جلس على ركبتيه. و الصفا: جمع صفاة و هي الحجر الصلد الضخم. و الكلاكل: الصدور، واحدها كلكل. و النقيل: رقاع النعل و الخف، واحدتها نقيلة. و المطرق: الذي وضع بعضه فوق بعض، أي هي شديدة كأنها نعال مرقعة.

6- رواية «الديوان»: «فإذا سمعن هماهما من رفقة». و الهماهم: جمع همهمة و هي الكلام الخفي أو ترديد الصوت في الصدر.

7- كذا في «الديوان». و غوابر: بواق. تخفق: تغيب. و في الأصول: «غوائر لم تلحق».

8- كذا في «ج» و «الديوان». و في سائر الأصول: «كهفا» و هو تحريف. و اللهق (بكسر الهاء و فتحها): الشديد البياض. و الشاكلة: الخاصرة. و الأبلق من الخيل: الذي ارتفع تحجيله إلى فخذيه.

9- شسع نعله (بالتشديد): جعل لها شسعا. و مثله شسع (بالتخفيف) و أشسع. و الشسع (بالكسر): أحد سيور النعل، و هو الذي يدخل بين الأصبعين و يدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل.

10- كذا في «الديوان». و فيه «تفرجت» بدل «تفرقت». و جواب القسم في البيت الذي بعده و هو: لأعلقن على المطي قصائدا أذر الرواة بها طويلى المنطق و في «الأصول»: «ليت الهموم...».

فنونا في الأحاديث، و إنما لنا فنّ واحد؛ فإن رأيت ألاّ تحملني على أكتاف قومك فأدعهم حرضا(1)!. فقلت: لا أعرض لك في شيء من الشعر أبدا، فأقلني في هذه المرّة. قال: من يتكفّل بك؟ قلت: أمير المؤمنين. فقال عبد الملك: هو عليّ ألاّ يعرض لك أبدا؛ ثم قال: يا شعبيّ، أيّ نساء الجاهليّة أشعر؟ قلت: خنساء. قال: و لم فضّلتها على غيرها؟ قلت: لقولها:

و قائلة و النّعش(2) قد فات خطوها *** لتدركه يا لهف نفسي على صخر

ألا ثكلت أمّ الذين غدوا به *** إلى القبر! ما ذا يحملون إلى القبر

فقال عبد الملك: أشعر منها و اللّه التي تقول(3):

مهفهف(4) الكشح و السربال منخرق *** عنه القميص لسير الليل محتقر

/لا يأمن الناس ممساه و مصبحه *** في كلّ فجّ و إن لم يغز ينتظر(5)

ثم قال: يا شعبيّ، لعلّك شقّ عليك ما سمعت. قلت: إي و اللّه يا أمير المؤمنين أشدّ المشقّة. إني أحدّثك منذ شهرين لم أفدك(6) إلاّ أبيات النابغة في الغلام. قال: يا شعبيّ، إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أنّ أهل العراق يتطاولون على أهل الشام، يقولون: إن كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم و الرواية؛ و أهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق؛ ثم ردّ عليّ الأبيات أبيات ليلى(7) حتى حفظتها، و لم أزل عنده؛ فكنت أوّل داخل و آخر خارج. قال: فمكثت كذلك سنين(8)، و جعلني في ألفين من العطاء و عشرين رجلا من ولدي و أهل بيتي في ألفين ألفين؛ فبعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر و كتب إليه: يا أخي، إني قد بعثت إليك الشعبيّ، فانظر هل رأيت مثله قطّ؟! ثم أذن فانصرفت.

1- الحرض (بالتحريك) الرديء من الناس. يريد: أجعلهم بهجائي من أراذل الناس. و الحرض يوصف به المفرد مذكرا و مؤنثا و المثنى و الجمع بلفظ واحد لأنه مصدر. و يقال رجل حرض (بكسر الراء) و حارض؛ و هذان الوصفان مؤنثان و يثنيان و يجمعان.

2- في الأصول: «و الناس». و التصويب من «أمالي السيد المرتضى» (ج 3 ص 105).

3- هي ليلى أخت المنتشر بن وهب الباهلي - و قيل الدعجاء أخته - ترثيه بقصيدة منها هذان البيتان. و الذي في «الكامل» للمبرد أن هذين البيتين من قصيدة لأعشى باهلة يرثي بها المنتشر هذا.

4- مهفهف الكشح: ضامره. و هفهفة السربال: رقته و خفته. و منخرق عنه القميص أي «لا يبالي كيف كانت ثيابه لأنه لا يزين نفسه، إنما يزين حسبه و يصون كرمه. و قيل معناه أنه غليظ المناكب، و إذا كان كذلك أسرع الخرق إلى قميصه. و قيل: أرادت أنه كثير الغزوات متصل الأسفار؛ فقميصه منخرق لذلك». بهذا شرح أبو زكريا التبريزي قول ليلى الأخيلية في «ديوان الحماسة»: و مخرّق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما

5- رواية «الكامل» للشطر الأوّل من البيت الأوّل: مهفهف أهضم الكشحين منخرق و للشطر الثاني من البيت الثاني: من كل أوب و إن لم يأت ينتظر

6- كذا في «ج»، و «أمالي السيد المرتضى». و «لم أفدك» جملة حالية و في «أ، م»: «إلا أفدك إلا...» و في «ب، س»: «إني إن أحدثك» بزيادة «إن» قبل «أحدثك».

7- تراجع الحاشية رقم 4 من ص 25 من هذا الجزء.

8- في «ج»: «سنتين».

حديث حسان عنه حين وفد على النعمان:

اشارة

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ، و أخبرني ببعضه أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمر بن شبّة عن أبي بكر الهذليّ قال:

/قال حسّان بن ثابت: قدمت على النّعمان بن المنذر و قد امتدحته، فأتيت حاجبه عصام بن شهبر فجلست إليه، فقال: إنّي لأرى عربيا، أ فمن الحجاز أنت؟ قلت نعم. قال: فكن قحطانيّا. فقلت: فأنا قحطانيّ. قال: فكن يثربيا.

قلت: فأنا يثربيّ. قال: فكن خزرجيا. قلت: فأنا خزرجيّ. قال: فكن حسّان بن ثابت. قلت: فأنا هو. قال: أ جئت بمدحة الملك؟ قلت نعم. قال: فإني أرشدك: إذا دخلت إليه فإنه يسألك عن جبلة بن الأيهم و يسبّه، فإيّاك أن تساعده على ذلك، و لكن أمرّ ذكره إمرارا لا توافق فيه و لا تخالف، و قل: ما دخول مثلي أيّها الملك بينك و بين جبلة و هو منك و أنت منه!. و إن دعاك إلى الطعام فلا تؤاكله، فإن أقسم عليك فأصب منه اليسير إصابة بارّ قسمه متشرّف بمؤاكلته لا أكل جائع سغب، و لا تطل محادثته، و لا تبدأه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك، و لا تطل الإقامة في مجلسه. فقلت: أحسن اللّه رفدك! قد أوصيت واعيا. و دخل ثم خرج إليّ فقال لي: ادخل. فدخلت فسلّمت و حيّيت تحيّة الملوك. فجاراني من أمر جبلة ما قاله عصام كأنه/كان حاضرا، و أجبت بما أمرني، ثم استأذنته في الإنشاد فأذن لي فأنشدته. ثم دعا بالطعام، ففعلت ما أمرني عصام به، و بالشراب ففعلت مثل ذلك. فأمر لي بجائزة سنيّة و خرجت.

فقال لي عصام: بقيت عليّ واحدة لم أوصك بها، قد بلغني أنّ النابغة الذّبيانيّ قدم(1) عليه، و إذا قدم فليس لأحد منه حظّ سواه، فاستأذن حينئذ و انصرف مكرّما خير من أن تنصرف مجفوا، فأقمت ببابه شهرا. ثم قدم عليه الفزاريّان و كان بينهما و بين النعمان دخلل (أي خاصّة) و كان معهما النابغة قد استجار بهما/و سألهما مسألة النعمان أن يرضى عنه.

فضرب عليهما قبّة من أدم، و لم يشعر بأنّ النابغة معهما. و دسّ النابغة قينة تغنّيه بشعره:

يا دار ميّة بالعلياء فالسّند

فلمّا سمع الشعر قال: أقسم باللّه إنه لشعر النابغة! و سأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريّين، فكلّماه فيه فأمنه.

و قال أبو زيد عمر بن شبّة في خبره: لمّا صار معهما إلى النعمان كان يرسل إليهما بطيب و ألطاف مع قينة من إمائه، فكانا يأمرانها أن تبدأ بالنابغة قبلهما. فذكرت ذلك للنّعمان، فعلم أنّه النابغة. ثم ألقى عليها شعره هذا و سألها أن تغنّيه به إذا أخذت فيه الخمر، ففعلت فأطربته، فقال: هذا شعر علويّ(2)، هذا شعر النابغة!. قال: ثم خرج في غبّ سماء، فعارضه الفزاريّان و النابغة بينهما قد خضب بحنّاء فقنأ(3) خضابه. فلما رآه النّعمان قال: هي بدم كانت أحرى أن تخضب. فقال الفزاريّان: أبيت اللّعن! لا تثريب(4)، قد أجرناه، و العفو أجمل. فأمّنه و استنشده أشعاره. فعند ذلك قال حسّان بن ثابت: فحسدته على ثلاث لا أدري على أيتهن كنت له أشدّ حسدا:

على إدناء النّعمان له بعد المباعدة و مسامرته(5) له و إصغائه إليه، أم على جودة شعره، أم على مائة بعير من

1- لعله «قادم عليه».

2- علوي (بالضم): نسبة إلى العالية على غير القياس، و هي ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة و قرى بظاهر المدينة.

3- في «الأصول»: «فأفنأ». و التصويب من كتب اللغة. و قنوه الخضاب: اشتداد حمرته.

4- التثريب: اللوم و التعيير بالذنب و التذكير به.

5- في «ج»: «و مسايرته له».

عصافيره(1) أمر له بها.

قال أبو عبيـدة: قيل لأبي عمرو: أ فمن مخافته امتـدحه و أتاه بعد هربه منه أم لغير ذلك؟ فقال: لا لعمر اللّه ما لمخافته فعل، إن كان لآمنا من أن يوجّه النعمان له/جيشا، و ما كانت عشـيرته لتسـلمه لأوّل وهلة، و لكنه رغب في عطاياه و عصافيره. و كان النابغة يأكل و يشـرب في آنية الفضّة و الذهب من عطايا النعمان و أبيه و جدّه، لا يستعمل غير ذلك. و قيل: إنّ السبب في رجوعه إلى النّعمان بعد هربه منه أنه بلغه عليل لا ـ يرجى، فأقلقه ذلك و لم يملك الصبر على البعـد عنه مع علّته و ما خافه عليه و أشـفق من حـدوثه به، فصار إليه و ألفاه محمولا(2) على سريره ينقـل مـا بين الغمر و قصور الحيرة. فقـال لعصام بن شـهبر حاجبه - فيما أخبرنا به اليزيـديّ عن عمّه عبيـد اللّه و ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل -:

صوت

أ لم أقسم عليك لتخبرنّي *** أ محمول على النّعش الهمام

فإنّي لا ألومك في دخولي *** و لكن ما وراءك يا عصام

فإن يهلك أبو قابوس(3) يهلك *** ربيع النّاس و الشهر الحرام

و نمسك(4) بعده بذناب عيش *** أجبّ الظهر ليس له سنام

غنّاه حنين ثقيلا أوّل بالبنصر عن حبش.

قال أبو عبيـدة: كانت ملوك العرب إذا مرض/أحـدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبونه، فيكون كـذلك على أكتاب الرجال، لأنه عنـدهم أوطأ من الأرض.

/و قوله:

فإني لا ألومك في دخولي

أي لا ألومك في ترك الإذن لي في الدخول، و لكن أخبرني بكنه أمره. و قوله:

ربيع الناس و الشهر الحرام

يريد أنه كالربيع في الخصب لمجتديه، و كالشهر الحرام لجاره، لا يوصل إلى من أجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام إلى أحد.

1- العصافير: إبل نجائب كانت للملوك.

2- في «الأصول»: مجموما على سريره و هو تحريف.

3- أبو قابوس: كنية النعمان بن المنذر.

4- نمسك معطوف على جواب الشرط في البيت الذي قبله، فيجوز فيه الجزم بالعطف، و النصب بأن مقدرة، و الرفع على الاستئناف. و يروى: «و نأخذ بعده». و ذناب كل شيء (بكسر أوّله): عقبه و مؤخره. و أجب الظهر: مقطوع السنام، كأن سنامه قد جب أي قطع من أصله، يقال: بعير أجب، و ناقة جباء. يقول: و نمسك بعده بطرف عيش قليل الخير بمنزلة البعير المهزول الذي ذهب سنامه و انقطع لشدّة هزاله. و الأحسن في «الظهر» الجر بالإضافة، و يجوز في مثله الرفع على قبح، و النصب على ضعف. قال ابن مالك في الكافية: و الرفع و النصب حكوا و الجرا في قول من قال أجب الظهرا

صوت

مما يغنى فيه من شعره:

اشارة

رأيتك ترعاني(1) بعين بصيرة *** و تبعث حراسا عليّ و ناظرا(2)

فآليت(3) لا آتيك إن كنت مجرما *** و لا أبتغي جارا سواك مجاورا

و أهلي فداء لامرئ إن أتيته(4) *** تقبّل معروفي و سدّ(5) المفاقرا(6)

ألا أبلغ النّعمان حيث لقيته *** و أهدي له اللّه الغيوث البواكرا

غنّاه خليد(7) الواديّ رملا بالبنصر من رواية حبش.

/و مما يغنّى فيه من قصائد النابغة التي يعتذر فيها إلى النعمان:

صوت

يا دار ميّة بالعلياء فالسّند *** أقوت و طال عليها سالف الأمد

وقفت فيها أصيلانا أسائلها *** أعيت جوابا و ما بالرّبع من أحد

إلا الأواريّ لأيا ما أبيّنها *** و النّؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

ردّت عليه أقاصيه و لبّده *** ضرب الوليدة بالمسحاة في الثأد(8)

خلّت سبيل أتيّ كان يحبسه *** و رفّعته إلى السّجفين فالنّضد

أضحت خلاء و أضحى أهلها احتملوا *** أخنى عليها الذي أخنى على لبد

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لجميلة ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو و حبش.

قال الأصمعيّ: قوله «يا دار ميّة» يريد أهل دار ميّة، كما قال امرؤ القيس:

ألاعم صباحا أيّها الطّلل البالي

يريد أهل الطلل. و قال الفرّاء. إنما نادى الدار لا أهلها أسفا عليها و تشوّقا إلى أهلها و تمنّيه أن تكون أهلا.

1- ترعاني: تحرسني و تحفظني.

2- في «شرح لديوانه» (طبع المطبعة الوهبية بمصر سنة 1293 ه): «و ناصرا».

3- آليت: أقسمت. و مجرما: مذنبا، يقال: جرم فهو جارم، و أجرم فهو مجرم. بقول: أقسمت لا آتيك حتى أعتبك و أرضيك. و يروي «محرما» بالحاء المهملة. أي لا آتيك و معي حرمة من أحد. و قيل: معنى «محرم» داخل في الشهر الحرام، و من دخل في الشهر الحرام أمن. أي لا آتيك في الشهر الحرام من خوفك و لكني آتيك في شهور الحل و أنا آمن بأمانك.

4- في بعض نسخ «الديوان»: «إذ أتيته». قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي: رواية الطوسي «إذ أتيته» و فسره فقال: «إذ لما مضى، و هو الآن غائب عنه، فأخبر بإتيانه إياه فيما مضى و إحسانه إليه».

5- يريد بمعروفه الذي تقبله ثناءه عليه و مدحه إياه.

6- يقال: سدّ اللّه مفاقره أي أغناه و سد وجوه فقره، لا واحد له من لفظه، و قيل: هو جمع فقر على غير قياس، كحسن و محاسن.

7- هو خليد بن عتيك أحد المغنين بوادي القرى. (راجع ص 280 س 12 ج 6 من هذه الطبعة).

8- الكلام على حذف مضاف أي في موضع الثأد، و موضع الثأد التراب الندي المبلول، و هو إذا ضرب بالمسحاة التصق بعضه ببعض و انخفض.

و العلياء: المكان المرتفع بناؤه، يقال من ذلك علا يعلو و علي يعلى، مثل حلا يحلو و حلي، و سلا يسلو و سلي يسلي. و السّند: سند الجبل و هو ارتفاعه حيث يسند فيه أي يصعد. أقوت: أقفرت و خلت من أهلها. و قال أبو عبيدة في قوله يا دارميّة ثم قال أقوت و لم يقل أقويت: إنّ من شأن العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه و يكفّوا عنه.

و روي الأصمعيّ «أصيلانا(1)» و هو/تصغير أصلان(2). و يروي «عيّت(3) جوابا» أي عييت بالجواب. و الأواريّ:

جمع آري(4). و لأيا: بطئا. و المظلومة: التي لم يكن فيها أثر فحفر أهلها فيها حوضا، و ظلمهم إيّاها إحداثهم فيها ما لم يكن فيها. شبّه النّؤى بذلك الحوض لاستدارته. و الجلد: الأرض الصّلبة الغليظة من غير حجارة. و إنما جعلها جلدا لأنّ الحفر فيها لا يسهل. و قوله «ردّت عليه(5) أقاصيه» يعني أمة فعلت ذلك، أضمرها و لم يكن جرى لها ذكر. و أقاصيه: يعني أقاصي النّؤي على أدناه ليرتفع. و لبّده: طأمنه(6). و الوليدة: الأمة الشابّة. و الثأد: النّدى.

و السبيل: الطريق. و الأتيّ: النهر المحفور، و الأتيّ: السيل من حيث كان. يقول: لمّا/أفسدت طريق الأتيّ سهّلت له طريقا حتى جرى. و رفعته أي قدّمت الحفر إلى موضع السجفين، و ليس رفعته هاهنا من ارتفاع العلوّ(7).

و السّجفان: ستران رقيقان يكونان في مقدّم البيت. و النّضد: /ما نضد من المتاع. و أخنى: أفسد(8). و لبد. آخر نسور لقمان التي اختار أن يعمّر مثل أعمارها، و له حديث ليس هذا موضعه.

صوت

أسرت(9) عليه من الجوزاء سارية *** تزجي الشمال عليه جامد البرد(10)

فارتاع من صوت كلاّب فبات له *** طوع الشّوامت من خوف و من صرد

فبثّهن(11) عليه و استمرّ به *** صمع الكعوب بريّات من الحرد

1- و يروى «أصيلالا» بابدال النون لاما. و يروى «أصيلا كي أسائلها». و يروى «طويلا كي أسائلها».

2- أصلان: قيل: إنه جمع أصيل و هو العشي، كرغيف و رغفان. و رد هذا القول بأنه لو كان جمع كثرة لما صح تصغيره، إذ يدل بصيغته على التكثير و بتصغيره على التقليل، فيكون المرء مكثرا مقللا، و هذا لا يكون، و أن الصحيح أنه مفرد بني من الأصيل على وزن الغفران و التكلان.

3- هذه هي الرواية الصحيحة، يقال: عيّ بالجواب (بالإدغام) و عي بالجواب (بالتصحيح). و أما أعيا ففي المشي، يقال: أعيا الرجل في المشي فهو معي. و في «لسان العرب» في الكلام على هذا البيت: «و لا ينشد أعيت جوابا».

4- الأريّ: الآخية التي تشدّ بها الدابة.

5- و يروي: «ردت» بضم الراء بالبناء للمفعول. و تنتفي على هذه الرواية ضرورة تسكين الياء في «أقاصيه»، و ضرورة إضمار الفاعل من غير أن يجري له ذكر.

6- طامنه: خفضة و سكنه.

7- قال البطليوسي في شرحه «لديوانه»: «معنى البيت أن الأمة لما خافت من السيل على بيتها خلت سبيل الماء في الأتي بتنقيتها له من التراب كأنه كان انكبس فكنسته و محت ما فيه من مدر و غير ذلك مما كان يحبس الماء فيه حتى بلغت بحفرها إلى موضع السجفين... و الهاء في رفعته تعود على النؤى أي قدمت النؤى حتى بلغت إلى سجفي البيت لتقى السجفين و متاع البيت من السيل».

8- قال التبريزي في «شرح المعلقات»: «أخنى: فيه قولان، أحدهما أن المعنى: أتى عليها. و القول الآخر، و هو الجيد، أن المعنى أفسد، لأن الخنا الفساد و النقصان».

9- هذه رواية الأصمعي، و يروي أيضا: «سرت» بدون ألف و هي المناسبة لقوله «سارية». و يرى الأصمعي أنه جاء باللغتين.

10- البرد (بالتحريل): حب الغمام.

11- بثهن: فرقهن. و فاعل «استمر» «صمع الكعوب» أي مضت به كعوبه الصمع. يريد أنه جدّ و أسرع.

و كان ضمران(1) منه حيث يوزعه *** طعن المعارك عند المحجر النّجد

شكّ الفريصة بالمدرى فأنفذها *** طعن المبيطر إذ يشفى من العضد

غنى فيه إبراهيم الموصليّ هزجا بالبنصر من رواية عمرو بن بانة. و فيه لحن لمالك. يعني أنّ سحابة مرّت عليه ليلا و أن أنواء الجوزاء أسرت عليه بها. و تزجي: تسوق و تدفع. عليه أي على الثور(2). و الكلاّب: صاحب الكلاب. و قوله «بات له طوع/الشوامت» أي بات له ما يسرّ السوامت اللّواتي شمتن(3) به. و صمع الكعوب: يعني قوائمه أنها لازقة محدّدة الأطراف ليست برهلات. و أصل الصّمع رقّة الشيء و لطافته. و الحرد(4): داء يعيبه، يقال بعير أحرد، و ناقة حرداء. و المحجر: الملجأ. و النّجد(5): الشجاع. و الفريصة: مرجع الكتف إلى الخاصرة و المدري: القرن.

و المبيطر: البيطار. و العضد: داء يأخذ في العضد.

و في لحن إبراهيم الموصليّ بعد «فارتاع من صوت كلاّب»:

كأنّ رحلي و قد زال النّهار بنا *** يوم الجليل على مستأنس(6) وحد

من وحش وجرة موشيّ أكارعه *** طاوي المصير كسيف الصّيقل الفرد

قال الأصمعيّ: زال النهار بنا أي انتصف. و «بنا» هاهنا في موضع «علينا». و من روى «مستوجس» فإنه يعني أنه قد أوجس شيئا خافه(7) فهو يستوجس. و الجليل(8): الثّمام، واحدته جليلة. و وجرة: طرف السّيّ(9) و هي فلاة بين مرّان و ذات عرق و هي/ستون ميلا يجتمع فيها الوحش. و موشيّ أكارعه أي أنه أبيض في قوائمه نقط سود و في وجهه سفعة(10). و طاوي المصير: ضامر. و المصير المعى، و جمعه المصران. و الفرد: المنقطع القرين، يقال:

فرد و فرد و فرد.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال:

1- ضمران: اسم كلب: و كان الرياشي يرويه بالفتح عن الأصمعي. و يوزعه: يغريه. أي كان الكلب من الثور بالمكان الذي يغريه الكلاب، كما تقول للرجل: أنا حيث يحب. و نصب طعن بمحذوف أي طعنه طعن المعارك. و المعارك: المقاتل. يريد أنه لما دنا الكلب من الثور طعنه الثور فنشب في قرنه. و إذا ففي الكلام إيجاز بالحذف.

2- الثور المذكور في قوله: «كأن رحلي... إلخ» البيتين الآتيين، و هما مذكوران في «الديوان» قبل هذا البيت.

3- هذا الشرح الذي ذكره المؤلف إنما هو على رواية «طوع الشوامت» بالرفع. قال ابن السكيت في بيان هذه الرواية: يقول بات له ما أطاع شامته من البرد و الخوف أي بات له ما تشتهي شوامته. قال: و سرورها به هو طوعها، و من ذلك يقال: اللهم لا تطيعن بي شامتا أي لا تفعل بي ما يحب فتكون كأنك أطعته. و يروي «طوع الشوامت» بالنصب. و الشوامت على هذه الرواية هي القوائم، واحدتها شامتة. يقول: فبات له الثور طوع شوامته أي قوائمه أي بات قائما. (راجع «لسان العرب» في مادة شمت).

4- الحرد: استرخاء عصب في يـدي البعير من شـد العقال و ربما كان خلقه. و إذا كان به هذا الداء نفض يديه و ضـرب بهما الأرض ضـربا شديدا.

5- هذا على رواية ضم الجيم، و هو حينئذ صفة للمعارك. و يروي «النجد» بكسر الجيم وصفا من النجد (بالتحريك) و هو العرق من عمل أو كرب أو غيره. و هو على هذه الرواية يكون وصفا للمحجر، أي المحجر المكروب.

6- قال ابن الأعرابي: الاستئناس: النظر و التوجس كأنه يخاف الإنس.

7- في «الأصول»: «عاقه» و هو تحريف.

8- و الجليل أيضا: اسم موضع ينبت فيه الثمام، و لعله هو المراد.

9- السيّ (بكسر أوله): موضع بتلك الجهة التي ذكرها المؤلف.

10- السفعة: السواد أو هي سواد مشرب حمرة.

غنّى مخارق بين يدي الرشيد:

سرت عليه من الجوزاء سارية

فلمّا بلغ إلى قوله:

فارتاع من صوت كلاّب فبات له

قال: فارتاع (بضم العين)، فأردت أن أردّ عليه خطأه، ثم خفت أن يغضب الرشيد و يظنّ أنّي حسدته على منزلته منه و أردت إسقاطه. فالتفت إليه بعض من حضر - أظنّه قال محمد بن عمر الروميّ - فقال له: ويلك يا مخارق! أ تغنّي بمثل هذا الخطأ القبيح لسوقة فضلا عن الملوك! ويلك! /لو قلت: «فارتاع» كان أخفّ على اللسان و أسهل من قولك «فارتاع». فخجل مخارق، و كفيت ما أردته بغيري. قال: و كان مخارق لحّانا.

و منها:

صوت

قالت ألا ليتما هذا الحمام(1) لنا *** إلى حمامتنا و نصفه فقد

يحفّه جانبا نيق و تتبعه *** مثل الزّجاجة لم تكحل من الرّمد

/فحسبوه فألفوه كما حسبت(2) *** تسعا و تسعين لم تنقص و لم تزد

فكمّلت مائة فيها حمامتها *** و أسرعت حسبة في ذلك العدد

غنّاه ابن سريج خفيف ثقيل عن الهشاميّ. هذا خبر روي عن زرقاء اليمامة(3)، و يروى عن بنت الخسّ(4).

أخذ معنى لزرقاء اليمامة:

اشارة

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الأحول يقول: هذا أخذه النابغة من زرقاء اليمامة، قالت:

ليت الحمام ليه *** و نصفه قديه(5)

إلى حمامتيه *** تمّ الحمام ميه

فسلخه النابغة. و قال الأصمعيّ: سمعت أناسا من أهل البادية يتحدّثون أنّ بنت الخسّ كانت قاعدة في جوار، فمرّ بها قطا وارد في مضيق من الجبل، فقالت:

يا ليت ذا القطاليه *** و مثل نصف معيه

إلى قطاة أهليه *** إذا لنا قطا ميه

ص: 25

1- يروي بنصب الحمام على أن «ليت» عاملة، و يروي بالرفع على أنها مكفوفة عن العمل بما.

2- و يروي: «كما زعمت».

3- زرقاء اليمامة: امرأة من بقايا طسم و جديس كانت حديدة النظر و كانوا يزعمون أنها تبصر مسيرة ثلاثة أيام.

4- بنت الخس: امرأة من إياد كانت مشهورة بالفصاحة، اسمها هند، و قيل: جمعة.

5- قديه: حسبي، و الهاء الساكنة للسكت.

و أتبعت فعـدّت على الماء فإذا هي ستّ و سـتّون. و قوله: «فقد» أي فحسب. و يحفّه(1) أي يكون من ناحيـة هذا الثّمد، يقال: حفّ القوم بالرجل أي اكتنفوه. /و النّيق: الجبل. و مثل الزجاجة: يريد عينا صافية كصفاء الزجاجة.

الحسبة: الهيئة التي تحسب، يقال: ما أحسن حسبته، مثل الجلسة و اللّبسة و الرّكبة.

و منها:

صوت

نبّئت أنّ أبا قابوس أوعدني *** و لا قرار على زأر من الأسد

مهلا فداء لك الأقوام كلّهم *** و ما أثّر من مال و من ولد

إن كنت قلت الذي بلّغت معتمدا *** إذا فلا رفعت سوطي إليّ يدي

هذا الثناء فإن تسمع به حسنا *** فلم أعرّض أبيت اللّعن بالصّفد

غنّاه الهـذليّ، و لحنه من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ. أثّر: أصـلح و أجمع. و الزّأر: صـياح الأسـد، يقال: زأر زئيرا و هو الزأر. و الصّفد(2): العطيّة، يقال: أصفده يصفده إصفادا إذا أعطاه، و صفده يصفده صفدا(3) إذا أوثقه.

رواية أخرى في حديث حسان عنه حين وفد على النعمان:

اشارة

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شـبّة قال حدّثني الصّلت بن مسـعود قال حدّثنا أحمد بن شـبّويه عن سـليمان بن صالح عن عبد اللّه بن المبارك عن فليح بن سـليمان عن رجل قد سـمّاه عن حسّان بن ثابت، و نسخت من كتاب ابن أبي خيثمة عن أبيه عن مصـعب الزبيريّ قال قال حسّان بن ثابت، و أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي يوسف بن محمد عن عمه إسماعيل/بن أبي محمـد قـال قـال أبو عمرو الشـيبانيّ قـال حسان بن ثابت – و قـد جمعت رواياتهم و ذكرت اختلافهم فيها، و أكثر اللفظ للجوهريّ – قال: خرجت إلى النّعمـان بن المنـذر، فلقيت رجلا– و قال اليزيـديّ في خبره: فلقيت صائغا من أهل فـدك – فلما رآني/قال: كن يثربيا، فقلت: الأـمر كـذلك. قـال: كن خزرجيـا، قلت: أنـا خزرجيّ. قال: كن نجّاريا، قلت: أنا نجّاريّ. قال: كن حسّان بن ثابت، قلت: أنا هو. فقال: أين تريـد؟ قلت: إلى هـذا الملك. قال: تريـد أن أسدّدك إلى أين تذهب و من تريد؟ قلت نعم. قال: إن لي به علما و خبرا. قلت: فأعلمني ذلك. قال: فإنك إذا جئته متروك شـهرا قبل أن يرسل إليك ثم عسـى أن يسأل عنك رأس الشـهر، ثم إنك متروك أخر بعد المسألة ثم عسى أن يؤذن لك. فإن أنت خلوت(4) به و أعجبته فأنت مصيب منه خيرا، فأقم ما أقمت، فإن رأيت أبا أمامة فاظعن، فلا شيء لك عنده. قال:

فقدمت ففعل بي ما قال الرجل ثم أذن لي و أصبت منه مالا كثيرا و نادمته و أكلت معه. فبينا أنا على ذلك و أنا معه في قبّة له إذا رجل يرتجز حولها:

1- يريد الشاعر أن جانبي الجبل أحاطا بالحمام فكان الحمام بينهما. قال الأصمعيّ: «إذا كان الحمام بين جانبي نيق ضاق عليه فركب بعضه بعضا أشدّ لعده و جزره، و إذا كان في موضع واسع كان أسهل لعده، فكان أحكم لها إذا أصابته في هذه الحال». و بهذا يعلم ما في الأصول لشرح كلمة «بحقه» هنا من غموض.

2- و يقال فيه أيضا الصفد (بسكون الفاء).

3- و مثله صفده تصفيدا.

4- في «الأصول»: «خلوته». و الذي في كتب اللغة أنّه يقال: خلا الرجل بصاحبه و إليه و معه، إذا اجتمع معه في خلوة.

أصمّ أم يسمع ربّ القبّه *** يا أوهب الناس لعنس(1) صلبه

ضرّابة بالمشفر الأذبه(2) *** ذات هباب(3) في يديها جلبة(4)

في لاحب(5) كأنّه الأطبّه

- و في رواية اليزيدي «في يديها خدبة(6)» أي طول و اضطراب. و الأطبّة: جمع طباب(7) و هو الشّراك يجمع فيه بين الأديمين في الخرز. و قال عمر بن شبّة في خبره: قال/فليح بن سليمان: أخذت هذا الرجز عن ابن دأب - قال فقال: أ ليس بأبي أمامة؟ قالوا بلى. قال: فأذنوا له. و دخل فحيّاه و شرب معه. ثم وردت النّعم السّود، و لم يكن لأحد من العرب بعير أسود يعرف مكانه و لا يفتحل أحد بعيرا أسود غير النعمان. فاستأذنه في أن ينشده كلمته على الباء، فأذن له أن ينشده قصيدته التي يقول فيها:

فإنّك شمس و الملوك كواكب *** إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

و وردت عليه مائة من الإبل السّود الكلبيّة فيها رعاؤها و بيتها و كلبها، فقال: شأنك بها يا أبا أمامة، فهي لك بما فيها. قال حسّان. فما أصابني حسد في موضع ما أصابني يومئذ، و ما أدري أيّما كنت أحسد له عليه: ألما أسمع من فضل شعره، أم ما أرى من جزيل عطائه، فجمعت جراميزي(8) و ركبت إلى بلادي. و قد روى الواقديّ عن محمد بن صالح الخبر فذكر أن حسّان قدم على جبلة بن أبي شمر، و لعله غلط. أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي يوسف قال حدّثني عمّي إسماعيل عن الواقديّ عن محمد بن صالح قال:

كان حسّان بن ثابت يقدم على جبلة بن الأيهم سنة و يقيم سنة في أهله. فقال: لو وفدت على الحارث، فإن له قرابة و رحما بصاحبي، و هو أبذل الناس لمعروف، و قد يئس منّي أن أقدم عليه لما يعرف من انقطاعي إلى جبلة.

فخرجت في السنة التي كنت أقيم فيها بالمدينة حتى قدمت على الحارث و قد هيّأت مديحا. فقال لي حاجبه و كان لي ناصحا: إنّ الملك قد سرّ بقدومك/عليه، و هو لا يدعك حتى تذكر جبلة. فإيّاك أن تقع فيه فإنه يختبرك، فإنّك إن وقعت فيه زهد فيك و إن ذكرت محاسنه ثقل عليه، فلا تبتدئ بذكره، فإن سألك عنه فلا تطنب/في الثناء عليه و لا تعبه، امسح ذكره مسحا و جاوزه. و إنه سوف يدعوك إلى الطعام و هو يثقل عليه أن يؤكل طعامه أو يشرب شرابه، فلا تضع يدك في شيء حتى يدعوك إليه. فشكرت له ذلك. ثم دعاني فسألني عن البلاد و الناس و عن عيشنا في الحجاز و كيف ما بيننا من الحرب، و كلّ ذلك أخبره، حتى انتهى إلى ذكر جبلة فقال: كيف تجد جبلة، فقد انقطعت إليه و تركتنا؟ فقلت له: إنما جبلة منك و أنت منه، فلم أجر معه في مدح و لا ذمّ، و فعلت في الطعام

1- في ج، م: «لعيس». و العنس: الناقة القوية. و العيس من الإبل: التي تضرب إلى الصفرة أو هي البيض مع شقرة يسيرة، واحدها أعيس و الأنثى عيساء.

2- الأذبة: جمع قلة الذباب.

3- الهباب (بالكسر): النشاط و السرعة، يقال: هب يهب (بالكسر) هبا و هبوبا و هبابا إذا نشط و أسرع. و في «الأصول»: «ذات هيات» و هو تصحيف.

4- كذا في «أ». و في «سائر الأصول»: «خلبة» بالخاء المعجمة.

5- اللاحب: الطريق الواضح.

6- في «أكثر الأصول»: «جذبة». و التصويب من «أ، م».

7- طباب: جمع طبابة (بكسر الطاء) و معناها ما ذكره المؤلّف في تفسير جمعها.

8- يقال: جمع فلان إليه جراميزه إذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى.

و الشـراب كما قال لي الحاجب. قال: ثم قال لي الحاجب: قـد بلغني قـدوم النابغـة و هو صـديقه و آنس به، و هو قبيح أن يجفوك بعد البرّ، فاستأذنه من الآن فهو أحسن. فاستأذنته فأذن لي و أمر لي بخمسمائة دينار و كسا و حملان(1)، فقبضتها و انصرفت إلى أهلي.

صوت

ملوك و إخوان إذا ما لقيتهم *** أحكّم في أموالهم و أقرّب

و لكنّني كنت امرأ لي جانب *** من الأرض فيه مستراد و مطلب

الغنـاء لإبـراهيم ثقيـل أوّل. الجانب هنا: المتّسع من الأرض. و المستراد: المختلف يـذهب فيه و يجيء، و يقال: راد الرجل لأهله إذا خرج رائدا لهم في طلب الكلى و نحوه. ثم ذكر مستراده فقال: «ملوك و إخوان».

و من القصيدة العينيّة:

صوت

عفا ذو حسا من قرتنا فالفوارع *** فجنبا أريك فالتّلاع الدوافع(2)

/فمجتمع الأشراج غيّر رسمها *** مصايف مرّت بعدنا و مرابع(3)

توهّمت آيات لها فعرفتها *** لستّة(4) أعوام و ذا العام سابع

رماد ككحل العين ما إن أبينه(5) *** و نؤي كجذم الحوض أثلم خاشع

غنّاه معبد من رواية حبش رملا بالبنصر.

صوت

آذنتنا ببينها أسماء *** ربّ ثاو يملّ منه الثّواء

بعد عهد لها ببرقة شمّا *** ء فأدنى ديارها الخلصاء

عروضه من الخفيف. آذنتنا: أعلمتنا. و البين: الفرقة. و الثاوي: المقيم، يقال ثوى ثواء. و البرقة: أرض ذات رمل و طين. و شمّاء و الخلصاء: موضعان. الشعر للحارث بن حلّزة اليشكريّ. و الغناء لمعبد، ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو، و من الناس من ينسبه إلى حنين.

1- الحملان (بالضم): دواب الحمل في الهبة خاصة.

2- عفا: درس و امحى، يقال: عفت الدار، و عفت الريح الدار، فهو لازم و متعدّ. و ذو حسا و أريك: موضعان. و فرتنا: اسم امرأة. و الفوارع: تلاـل مشـرفات المسائل. و في «الأصول»: «فالقوارع» و التصويب من نسـخ «الـديوان». و التلاع: جمع تلعـة، و هي هنا: مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض. و الدوافع: التي تدفع بالماء إلى الوادي.

3- الأشـراج: جمع شـرج (بالفتح و يجمع جمع كثرة على شـراج و شروج) و هو مجرى الماء من الحرار إلى السهولة. و المصايف: جمع مصـيف من الصيف، و مثله المرابع من الربيع. أي غير رسمها ما يحدث في المصايف و المرابع من رياح و أمطار، أو غيره تعاقبهما عليها و طول اختلافهما.

4- اللام هنا بمعن «بعد» أي بعد ستة أعوام.

5- في بعض نسخ «الديوان»: لأيا أبيته» أي أبيته بعد جهد و مشـقة. و النؤي: حفير حول الخيمة ليحجز عنها الماء. و جذم كل شيء: أصله. ذكر الشاعر في هـذا البيت بعض الآيات التي توهمها فعرف بها الـدار، و هي رماد ككحل العين في سواده، و قلته، و نؤي متثلم متكسـر قد ذهب شخصه و لم يبق منه إلاّ ما يبقى من الحوض إذا تهدّم.

2 - أخبار الحارث بن حلزة و نسبه

نسب الحارث بن حلزة:

هو الحارث بن حلّزة بن مكروه بن يزيد(1) بن عبد اللّه بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن عاصم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن/جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

السبب في قول قصيدته المعلقة:

قال أبو عمرو الشيبانيّ: كان من خبر هذه القصيدة و السبب الذي دعا الحارث إلى قولها أنّ عمرو بن هند الملك، و كان جبّارا عظيم الشأن و الملك، لمّا جمع بكرا و تغلب ابني وائل و أصلح بينهم، أخذ من الحيّين رهنا من كلّ حيّ مائة غلام ليكفّ بعضهم عن بعض، فكان أولئك الرّهن يكونون معه في مسيره و يغزون معه، فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامّة التّغلبيّين و سلم البكريّون. فقالت تغلب لبكر: أعطونا ديات أبنائنا، فإن ذلك لكم لازم، فأبت بكر بن وائل. فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم و أخبروه بالقصة. فقال عمرو [ابن كلثوم لتغلب: بمن ترون بكرا تعصب أمرها اليوم؟ قالوا: بمن عسى إلاّ برجل من أولاد ثعلبة. قال عمرو(2)]: أرى و اللّه الأمر سينجلي عن أحمر أصلج(3) أصمّ من بني يشكر. فجاءت بكر بالنّعمان بن هرم أحد بني ثعلبة بن غنم بن يشكر، و جاءت تغلب بعمرو بن كلثوم. فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم: يا أصمّ! جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم و هم يفخرون عليك!. فقال النّعمان: و على من أظلت/السماء كلّها يفخرون ثم لا ـ ينكر ذلك. فقال عمرو بن كلثوم له: أما و اللّه لو لطمتك لطمة ما أخذوا لك بها. فقال له النّعمان: و اللّه لو فعلت ما أفلتّ بها قيس أير أبيك. فغضب عمرو بن هند و كان يؤثر بني تغلب على بكر، فقال: يا جارية(4) أعطيه لحيا بلسان(5) أنثى (أي سبّيه بلسانك). فقال: أيها الملك أعط ذلك أحبّ أهلك إليك. فقال: يا نعمان أ يسرّك أنّي أبوك؟ قال: لا! و لكن وددت أنّك أميّ فغضب عمرو بن هند غضبا شديدا حتى همّ بالنّعمان. و قام الحارث بن حلّزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالا، توكّأ على قوسه و أنشدها و انتظم(6) كفّه و هو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها. قال ابن الكلبيّ: أنشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة و كان به

1- في شرح «المعلقات العشر للتبريزي»: «بديد».

2- الزيادة من شرح «المعلقات السبع لابن الأنباري» (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم 153 أدب ش) و شرح «المعلقات العشر للتبريزي».

3- في «شرحي ابن الأنباري و التبريزي للمعلقات»: «أصلع». و الأصلج: الأصم، و الأصلج في لغة بعض قيس: الأصلع.

4- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «يا حارثة» و هو تصحيف.

5- في «الأصول»: لحنا» بالنون، و التصويب من «شرح المعلقات العشر للتبريزي» و «شرح المعلقات السبع لابن الأنباري». و العبارة فيهما: «أعطيه لحيا بلسان. يقول الحية».

6- كذا في «ج» و «شرح ابن الأنباري و التبريزي للمعلقات». و انتظم هنا: طعن. يريد: و جرح كفه. و في «م»: «و اقتط». و في «سائر الأصول»: و اقتطم».

وضح(1)، فقيل لعمرو بن هند: إنّ به وضحا، فأمر أن يجعل بينه و بينه ستر. فلمّا تكلّم أعجب بمنطقه، فلم يزل عمرو يقول: أدنوه أدنوه حتى أمر بطرح السّتر و أقعده معه قريبا منه لإعجابه به. هذه رواية أبي عمرو. و ذكر الأصمعيّ نحوا من ذلك و قال: أخذ منهم ثمانين غلاما من كل حيّ و أصلح بينهم بذي المجاز(2)، و ذكر أنّ الغلمان من بني تغلب كانوا معه في حرب فأصيبوا. و قال في خبره: إنّ الحارث بن حلّزة لمّا ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته:

قفي قبل التفرّق يا ظعينا

و غير الأصمعيّ ينكر ذلك و ينكر أنه السبب في قول عمرو بن كلثوم.

/و ذكر ابن الكلبيّ عن أبيه أنّ الصلح كان بين بكر و تغلب عند المنذر بن ماء السماء، و كان قد شرط: أيّ رجل وجد قتيلا في دار قوم فهم ضامنون لدمه، و إن وجد بين محلّتين قيس ما بينهما فينظر أقربهما إليه فتضمن ذلك القتيل. و كان الذي ولي ذلك و احتمى لبني تغلب قيس بن شراحيل بن مرة بن همّام. ثم إنّ المنذر أخذ من الحيّين أشرافهم و أعلامهم فبعث بهم إلى مكة، فشرط بعضهم على بعض و تواثقوا على ألاّ يبقي واحد منهم لصاحبه غائلة و لا يطلبه بشيء مما كان من الآخر من الدّماء. و بعث المنذر معهم رجلا من بني تميم يقال له الغلاّق. و في ذلك يقول الحارث بن حلّزة:

فهلاّ سعيت لصلح الصّديق *** كصلح ابن مارية الأقصم(3)

/و قيس تدارك بكر العراق *** و تغلب من شرّها الأعظم

و بيت شراحيل في وائل *** مكان الثّريا من الأنجم

فأصلح ما أفسدوا بينهم *** كذلك فعل الفتى الأكرم

- ابن مارية هو قيس بن شراحيل. و مارية أمّه بنت الصبّاح بن شيبان من بني هند - فلبثوا كذلك ما شاء اللّه، و قد أخذ المنذر من الفريقين رهنا بأحداثهم، فمتى التوى أحد منهم بحقّ صاحبه أقاد من الرّهن. فسرّح النّعمان بن المنذر ركبا من بني تغلب إلى جبل طيّئ في أمر من أمره، فنزلوا بالطرفة(4) و هي لبنى شيبان و تيم اللات. فذكروا أنهم أجلوهم عن الماء و حملوهم على المفازة، فمات القوم عطشا. فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا و أتوا عمرو بن هند فاستعدوه على بكر، و قالوا: غدرتم و نقضتم العهد و انتهكتم الحرمة و سفكتم الدّماء و قالت بكر: أنتم الذين فعلتم ذلك، /قذفتمونا بالعضيهة(5) و سمّعتم الناس بها، و هتكتم الحجاب و السّتر بادّعائكم الباطل علينا قد سقيناهم إذ وردوا، و حملناهم على الطريق إذ خرجوا، فهل علينا إذ حار القوم و ضلّوا!. و يصدّق ذلك قول الحارث بن حلّزة:

لم يغرّوكم غرورا و لكن *** يرفع(6) الآل جرمهم و الضّحاء

1- الوضح هنا: البرص.

2- ذو المجاز: «موضع سوق من أسواق العرب بعرفة.

3- الأقصم: المكسور الثنية من النصف.

4- لم نجد هذا الاسم في «كتب البلدان».

5- العضيهة: الإفك و البهتان و القالة القبيحة.

6- في «الأصول»: «يدفع» بالدال، و التصويب من «المعلقات». و الآل: السراب، و هو ما يرى كالماء نهارا بين السماء و الأرض يرفع الشخوص. و قيل: الآل ما كان في الضحى و العشي، و السراب ما كان نصف النهار. و الضحاء: ارتفاع النهار. يقول: ما أتوكم على غرة و إنما أتوكم نهارا ظاهرين و أنتم ترونهم، يرفع الآل أشخاصهم و يكشفها الضحاء. و يروي. «يرفع الآل شخصهم»، و يروي: «جمعهم».

كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجاله معلقته في موقف واحد، و شرح أبيات منها:

و قال يعقوب بن السّكّيت: كان أبو عمرو الشيبانيّ يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد و يقول: لو قالها في حول لم يلم. قال: و قد جمع فيها ذكر عدّة من أيّام العرب عيّر ببعضها بني تغلب تصريحا، و عرّض ببعضها لعمرو بن هند، فمن ذلك قوله:

أ علينا جناح كندة أن يغ *** نم غازيهم و منّا الجزاء

قال: و كانت كندة قد كسرت الخراج على الملك، فبعث إليهم رجالا من بني تغلب يطالبونهم بذلك، فقتلوا و لم يدرك بثأرهم، فعيّرهم بذلك. هكذا ذكر الأصمعيّ. و ذكر غيره أنّ كندة غزتهم فقتلت و سبت و استاقت، فلم يكن في ذلك منهم(1) شيء و لا أدركوا ثأرا. قال: و هكذا البيت الذي يليه و هو:

أم علينا جرّى(2) قضاعة أم لي *** س علينا فيما جنوا أنداء(3)

/فإنه عيّره بأن قضاعة كانت غزت بني تغلب ففعلت بهم فعل كندة، و لم يكن منهم في ذلك شيء و لا أدركوا منهم ثأرا. قال: و قوله:

أم علينا جرّى حنيفة أم ما *** جمّعت من محارب غبراء(4)

قال: و كانت حنيفة محالفة لتغلب على بكر، فأذكر الحارث عمرو بن هند بهذا البيت قتل شمر بن عمرو الحنفيّ أحد بني سحيم المنذر بن ماء السماء غيلة لمّا حارب الحارث بن جبلة الغسّانيّ، و بعث الحارث إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شمر هذا يسأله الأمان على أن يخرج له عن ملكه و يكون من قبله، فركن المنذر إلى ذلك و أقام الغلمان معه، فاغتاله شمر بن عمرو الحنفيّ فقتله غيلة، و تفرّق من كان مع المنذر، و انتهبوا عسكره. فحرّضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حنيفة. قال و قوله:

و ثمانون من تميم بأيدي *** هم رماح صدورهنّ القضاء(5)

/يعني عمرا أحد بني سعد [بن زيد] مناة، خرج في ثمانين رجلا من تميم فأغار على قوم من بني قطن من تغلب يقال لهم بنو رزاح كانوا يسكنون أرضا تعرف بنطاع قريبة من البحرين، فقتل فيهم و أخذ أموالا كثيرة، فلم يدرك منه بثأر. قال: و قوله:

ثمّ خيل(6) من بعد ذاك مع الغلاّق و لا رأفة و لا إبقاء

1- في «الأصول هنا»: «تغيير» بدل «شيء»، و قد تكررت هذه العبارة بعد ثلاثة أسطر، فأثبتناها هنا كما وردت هناك.

2- الجرى (و يمد): الجناية.

3- وردت هذه الكلمة محرفة في «الأصول» بين «أتواء» و «أنواء» و «أفراء» و التصويب من «المعلقات». و الأنداء: جمع ندى، و هو هنا ما يلحق الإنسان من الشر، يقال: ما لحقني من فلان ندى أي شر، و ما ندين من فلان شيء أكرهه أي ما بلني و لا أصابني.

4- غبراء أي جماعة غبراء، يريد الفقراء و الصعاليك، و قيل لهم غبراء لما عليهم من أثر الفقر و الضر. يريد: أم ما جمعت صعاليك محارب. و الغبراء أيضا: الأرض، و يقال للفقراء بنو غبراء، لأنهم لا مأوى لهم إلاّ الصحراء و ما أشبهها.

5- القضاء هنا: الموت.

6- يريـد: ثم غزتهم من بعد بني تميم خيل مع الغلاق فقتلت فيهم و لم يدرك منها بثأر. و معنى قوله: لا رأفة و لا إبقاء أي ليس لأصـحاب الغلاق رأفة بهم و لا إبقاء عليهم.

قال: الغلاّق صاحب هجائن النّعمان بن المنذر، و كان من بني حنظلة بن زيد مناة تميميا.

/و كان عمرو بن هند دعا بني تغلب بعد قتل المنذر إلى الطلب بثأره من غسّان، فامتنعوا و قالوا: لا نطيع أحدا من بني المنذر أبدا! أ يظنّ ابن هنـد أنّـا له رعاء!. فغضب عمرو بن هنـد و جمع جموعا كثيرة من العرب، فلما اجتمعت آلى ألاّ يغزو قبل تغلب أحـدا، فغزاهم فقتل منهم قوما، ثم استعطفه من معه لهم و استوهبوه جريرتهم، فأمسك عن بقيّتهم، و طلّت(1) دماء القتلى. فذلك قول الحارث:

من أصابوا من تغلبيّ فمطلو *** ل عليه(2) إذا تولّى العفاء

ثم اعتدّ على عمرو بحسن بلاء بكر عنده فقال:

من لنا عنده من الخير آيا *** ت ثلاث في كلّهن القضاء(3)

آية شارق(4) الشّقيقة إذ جا *** ءوا جميعا لكل حيّ لواء

حول قيس مستلئمين(5) بكبش *** قرظيّ كأنه عبلاء

فرددناهم(6) بضرب كما يخ *** رج من خربة المزاد الماء

ثم حجرا(7) أعني ابن أمّ قطام *** و له فارسيّة(8) خضراء

/أسد في اللّقاء ذو(9) أشبال *** و ربيع إن شنّعت(10) غبراء

فرددناهم بطعن كما تن *** هز(11) في جمّة الطّويّ الدّلاء

و فككنا غلّ امرئ القيس عنه *** بعد ما طال حبسه و العناء

و أقدناه(12) ربّ غسّان بالمن *** ذر كرها و ما تكال(13) الدّماء

1- طل دمه: أهدر و لم يثأر به، يقال: طل دمه و أطل مبنيين للمفعول. و جوز أبو عبيدة و الكسائي أن يقال: طل دمه مبينا للفاعل.

2- في «الأصول»: «عليهم» و التصويب من المعلقات. و يروي: «إذا أصـيب» بدل «إذا تولى». و عليه العفاء: دعاء. و العفاء هنا: الدروس و الهلاك، أي ينسى فيصير كالشيء الدارس.

3- الآيات: العلامات. و قوله «في كلهن القضاء» أي في كلهن يقضي لنا بولاء الملك.

4- شارق: جاء من قبل المشرق.

5- المستلئم: لابس اللاّمة و هي الدرع. و المراد بالكبش هنا الرئيس. و قرظيّ: نسبة إلى البلاد التي ينبت بها القرظ و هي اليمن. و العبلاء: الصخرة البيضاء.

6- و يروي: «فجبهناهم» أي تلقينا جباههم بضـرب... إلـخ. و الخربـة هاهنا: عزلاء المزادة (القربة) و هي مسـيل الماء منها. فشـبه خروج

الدم و نزوه من الجروح التي يصيبونهم بها بخروج الماء من أفواه القرب و ثقوبها.

7- نصب حجر بالنسق على الضمير المتصوب في «فرددناهم» أي ثم رددنا حجرا.

8- فارسية: يريد كتيبة سلاحها من عمل فارس. و وصفها بالخضرة لكثرة ما تحمل من سلاح.

9- و يروي: «ورد هموس» و الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة. و الهموس: المختال الذي يخفي وطأه حتى يأخذ فريسته.

10- شنعت: جاءت بأمر شنيع. و الغبراء هنا: السنة التي لا مطر بها.

11- نهز الدلاء: تحريكها لتمتلئ، يقال: نهزت بالدلو في البئر إذا ضربت بها في الماء لتمتلئ، و نهزتها إذا نزعت بها. و الجمة (بالفتح): المكان الذي يجتمع فيه الماء، و الجمة (بالضم): الماء الكثير أو معظم الماء. و الطويّ: البئر المطوية، أي المبنية بالحجارة.

12- أقدت القاتل بالقتيل: قتلته به. و رب غسان: ملكها.

13- في «الأصول»: «و ما تطل الدماء»، و التصويب من «المعلقات». و معنى «و ما تكال الدماء» أي لا تحصى لكثرتها، أو لا يقام لها كيل و لا وزن فتذهب هدرا. و يروى: «إذ ما تكال».

و فديناهم بتسعة أملا *** ك كرام أسلابهم(1) أغلاء

[و مع الجؤن(2) جون آل بني الأو *** س عنود(3) كأنها دفواء]

يعني بهذه الأيّام أيّاما كانت كلها لبكر مع المنذر، فمنها يوم الشّقيقة و هم قوم من شيبان جاءوا مع قيس بن معد يكرب و معه جمع عظيم من أهل اليمن يغيرون على إبل لعمرو بن هند، فردّتهم بنو يشكر و قتلوا فيهم، و لم يوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند. و منها يوم غزا حجر الكنديّ، و هو حجر بن أمّ قطام، امرأ القيس و هو/ماء السماء بن المنذر، لقيه و مع حجر جمع كثير من كندة، و كانت بكر مع امرئ القيس، فخرجت إلى حجر فردّته و قتلت جنوده. و قوله:

ففككنا غلّ امرئ القيس عنه

و كانت غسّان أسرته يوم قتل المنذر أبيه، فأغارت بكر بن وائل على بعض بوادي الشام فقتلوا ملكا من ملوك غسّان و استنقذوا امرأ القيس بن المنذر، و أخذ عمرو بن هند بنتا لذلك الملك يقال لها ميسون. و قوله: «و فديناهم بتسعة...» يعني بني حجر آكل المرار. و كان المنذر وجّه خيلا من بكر في طلب بني حجر، فظفرت بهم بكر بن وائل فأتوا المنذر بهم و هم تسعة، فأمر بذبحهم في ظاهر الحيرة/فذبحوا بمكان يقال له جفر الأملاك. قال: و الجون جون آل بني الأوس: ملك من ملوك كندة و هو ابن عم قيس بن معد يكرب. و كان الجون جاء ليمنع بني آكل المرار و معه كتيبة خشناء، فحاربته بكر فهزموه، و أخذوا بني الجون فجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم.

قال: فلمّا فرغ الحارث من هذه القصيدة حكم عمرو بن هند أنه لا يلزم بكر بن وائل ما حدث على رهائن تغلب، فتفرقوا على هذه الحال. ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتّى هم باستخدام أمّ عمرو بن كلثوم تعرّضا لهم و إذلالا، فقتله عمرو بن كلثوم. و خبره يذكر هناك.

قصيدة له دالية:

اشارة

قال يعقوب بن السّكّيت أنشدني النّضر بن شميل للحارث بن حلّزة - و كان يستحسنها و يستجيدها و يقول: للّه درة ما أشعره -:

صوت

من حاكم بيني و بي *** ن الدّهر مال عليّ عمدا

أودى بسادتنا و قد *** تركوا لنا حلقا و جردا(4)

/خيلي و فارسها و ربّ أبيك كان أعزّ فقدا فلو انّ ما يأوي إليّ أصاب من ثهلان(5) هدّا

1- الأسلاب: جمع سلب (بالتحريك) و هو ما يكون مع القوم من ثياب و سلاح و دواب. و أغلاء: غالية.

2- أثبتنا هذا البيت زيادة على ما في «الأصول» لأن المؤلّف سيتعرّض له في شرحه.

3- عنود: يريـد هنا كتيبة، كأنها تعند في سـيرها أي تطغي و تجور عن القصد. و الدفواء: المائلة. و الدفواء: العقاب لعوج منقارها. فيحتمل أنه يريد: كأنها مائلة من بغيها، أو كأنها عقاب لأنها تنقض على العدو كما تنقض العقاب على الصيد.

4- الحلق هنا: الدروع. و الجرد: الخيل القصيرة الشعر، واحدها أجرد.

5- ثهلان: جبل.

فضعي قناعك إنّ ري *** ب الدّهر قد أفنى معدّا

فلكم رأيت معاشرا *** قد جمّعوا مالا و ولدا

و هم زباب حائر(1) لا يضر *** لا تسمع(2) الآذان رعدا

فعش بجدّ(3) لا يضر *** ك النّوك ما لا لاقيت جدا

العيش خير في ظلا *** ل النّوك ممن عاش كذا(4)

في البيت الأوّل من القصيدة و البيتين الأخيرين خفيف ثقيل أوّل بالوسطى لعبد اللّه بن العبّاس الرّبيعيّ، و من الناس من ينسبه إلى بابويه.

صوت

ألا(5) هبيّ بصحنك فاصبحينا *** و لا تبقي خمور الأندرينا

/مشعشعة(6) كأنّ الحصّ فيها *** إذا ما الماء خالطها سخينا(7)

عروضه من الوافر. الشعر لعمرو بن كلثوم التّغلبيّ. و الغناء لإسحاق ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى من روايته. و فيه لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو.

1- الزباب: ضرب من الفئرة لا تسع، يشبه بها الجاهل، و الواحدة زبابة.

2- أي لا تسمع آذانها الرعد لما بها من صمم.

3- الجد (بفتح الجيم): الحظ. و النوك (بالضم و بالفتح): الحمق. و يحتمل أن يكون الأصل: «عيشن بجد» إلخ.

4- استشهد أصحاب المعاني بهذا البيت على الإيجاز المخل. إذ هو يريد أن العيش الناعم في ظل النوك خير من العيش الشاق في ظل العقل، و ألفاظ البيت لا تفي بهذا المعنى.

5- هبي: قومي من نومك، يقال: هب من نومه هبا إذا انتبه و قام من مضجعه. و الصحن: القدح الواسع الضخم. و اصبحينا: اسقينا الصبوح و هو شراب الغداة. و أندرين: قرية كانت جنوبي حلب في طرف البرية و كانت من القرى الشهيرة بالخمر. و قد قال اللغويون فيها غير هذا القول أقوالا كثيرة فندها جميعا ياقوت في كتابه «معجم البلدان».

6- مشعشعة: ممزوجة بالماء و أرق مزجها. و هي منصوبة على أنها مفعول «أصبحينا» أو على أنها حال من «خمور الأندرين» أو بدل منها، و يجوز الرفع على تقدير هي مشعشعة. و الحص (بالضم): الورس (نبت أصفر باليمن) أو هو الزعفران. شبه صفرتها بصفرته.

7- سخينا: حال من الماء، قال أبو عمرو الشيباني: كانوا يسخنون لها الماء ثم يمزجونها به، أو نعت لمحذوف، و المعنى: فاسقينا شرابا سخينا. و قيل: أن «سخينا» فعل و فاعل أي جدنا. و في فعل «سخا» لغات، يقال: سخى يسخى (و زان فرح) سخا و سخوة، و سخا يسخو، و سخا يسخى (و زان فتح) سخاء، و سخو يسخو (و زان كرم) سخاء و سخوا و سخاوة.

3 - نسب عمرو بن كلثوم و خبره

نسب عمرو بن كلثوم من قبل أبويه:

هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب بن سعد بن زهير بن جشم [بن بكر(1)] بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان. و أمّ عمرو بن كلثوم ليلى بنت مهلهل أخي كليب، و أمّها بنت بعج(2) بن عتبة بن سعد بن زهير.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني العكليّ(3) عن العبّاس بن هشام عن أبيه عن خراش بن إسماعيل عن رجل من بني تغلب ثم من بني عتّاب قال: سمعت الأخذر - و كان نسّابة - يقول:

لمّا تزوّج مهلهل بنت بعج بن عتبة أهديت(4) إليه، /فولدت له ليلى بنت مهلهل. فقال مهلهل لامرأته هند:

اقتليها. فأمرت خادما لها أن تغيّبها عنها. فلمّا نام هتف به هاتف يقول:

كم من فتى يؤمّل *** و سيّد شمردل(5)

و عدّة لا تجهل *** في بطن بنت مهلهل

و استيقظ فقال: يا هند أين بنتي؟ قالت: قتلتها. قال: كلاّ و إله ربيعة! - فكان أوّل من حلف بها - فاصدقيني، فأخبرته. فقال: أحسني غداءها. فتزوّجها كلثوم بن مالك بن عتّاب. فلما حملت بعمرو بن كلثوم قالت: إنّه أتاني آت في المنام فقال:

/

يا لك ليلى من ولد *** يقدم إقدام الأسد

من جشم فيه العدد *** أقول قيلا لا قند

فولدت غلاما فسمّته عمرا. فلما أتت عليه سنة قالت أتاني ذلك الآتي في الليل أعرفه، فأشار إلى الصبيّ و قال:

إنّي زعيم لك أمّ عمرو *** بماجد الجدّ كريم النّجر(6)

أشجع من ذي لبد(7) هزبر *** وقّاص أقران(8) شديد الأسر(9)

1- زيادة عن «خزانة الأدب» (ج 1 ص 519) و «شرح التبريزي» لل «معلقات» و كتاب «المعارف» لابن قتيبة و «شرح ديوان المفضليات» لأبي محمد الأنباري.

2- لم نوفق لضبط هذا الاسم. و الذي في «خزانة الأدب»: «هند بنت عتيبة» بحذف «بعج» و تصغير «عتبة».

3- في «الأصول»: «... حدّثني العكليّ بن العباس».

4- هدى العروس إلى زوجها و أهداها: زفها إليه.

5- الشمردل: القوي الفتيّ الحسن الخلق.

6- النجر: الأصل.

7- اللبدة: شعر الأسد الذي على كتفيه. و الهزبر: من أسماء الأسد.

8- وردت هذه الكلمة محرّفة في «الأصول». و التصويب من «خزانة الأدب». و الوقص: الكسر و الدق.

9- شديد الأسر: معصوب الخلق غير مسترخ.

يسودهم في خمسة و عشر

قال الأخذر: فكان كما قال ساد و هو ابن خمسة عشر، و مات و له مائة و خمسون سنة.

قصة قتله لعمرو بن هند:

قال أبو عمرو حدّثني أسد بن عمرو الحنفيّ و كرد بن السّمعيّ و غيرهما، و قال ابن الكلبي حدّثني أبي و شرقيّ بن القطاميّ، و أخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة:

أنّ عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه: هل تعلمون أحدا من العرب تأنف أمّه من خدمة أمّي؟ فقالوا: نعم! أم عمرو بن كلثوم. قال: و لم؟ قالوا: لأنّ أباها مهلهل بن ربيعة، و عمّها كليب وائل أعزّ العرب، و بعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب، و ابنها عمرو و هو سيّد قومه. فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره و يسأله أن يزير أمّه أمّه. فأقبل عمرو من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة بني تغلب. و أمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة و الفرات، و أرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب. فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه، /و دخلت ليلى و هند في قبّة من جانب الرّواق. و كانت هند عمّة امرئ القيس بن حجر الشاعر، و كانت أمّ ليلى بنت مهلهل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أمّ امرئ القيس، و بينهما هذا النسب. و قد كان عمرو بن هند أمر أمّه أن تنحّي الخدم إذا دعا بالطّرف و تستخدم ليلى. فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطّرف. فقالت هند:

ناوليني يا ليلى ذلك الطّبق. فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها. فأعادت عليها و ألحّت. فصاحت ليلى:

وا ذلّآ ه! يا لتغلب! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدّم في وجهه، و نظر إليه عمرو بن هند فعرف الشرّ في وجهه، فوثب عمرو بن كلثوم إلى سيف لعمرو بن هند معلّق بالرّواق ليس هناك سيف غيره، فضرب به رأس عمرو بن هند، و نادى في بني تغلب، فانتهبوا ما في الرّواق و ساقوا نجائبه، و ساروا نحو الجزيرة. ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم:

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا

تعظيم تغلب بقصيدته المعلقة:

و كان قام بها خطيبا بسوق عكاظ و قام بها في/موسم مكة. و بنو تغلب تعظّمها جدّا و يرويها صغارهم و كبارهم، حتى هجوا بذلك؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة *** قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها(1) أبدا مذ كان أوّلهم *** يا للرجال لشعر غير مسئوم

فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند:

و قال الفرزدق يردّ على جرير في هجائه الأخطل:

ما ضرّ تغلب وائل أ هجوتها *** أم بلت حيث تناطح البحران

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة *** عمرا و هم قسطوا(2) على النّعمان

1- و يروى: «يفاخرون بها».

2- قسطوا: جاروا؛ يقال: أقسط إذا عدل، و قسط إذا جار.

/و قال أفنون(1) صريم التّغلبيّ يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدة له:

لعمرك ما عمرو بن هند و قد دعا *** لتخدم ليلى(2) أمّه بموفّق

فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتا(3) *** فأمسك من ندمانه(4) بالمخنّق

و جلّله عمرو على الرأس ضربة *** بذي شطب(5) صافي الحديدة رونق

قال: و كان لعمرو أخ يقال له مرّة بن كلثوم، فقتل المنذر بن النّعمان و أخاه. و إيّاه عنى الأخطل بقوله لجرير:

أ بني كليب إنّ عمّيّ اللّذا(6) *** قتلا الملوك و فكّكا الأغلالا

و كان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عبّاد، و هو قاتل بشر بن عمرو بن عدس. و لعمرو بن كلثوم عقب باق، و منهم كلثوم(7) بن عمرو العتّابيّ الشاعر صاحب الرسائل.

أغار على بني تميم ثم انتهى إلى بني حنيفة فأسره يزيد ابن عمرو ثم أطلقه فمدحه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابيّ قال:

أغار عمرو بن كلثوم التغلبيّ على بني تميم ثم مرّ من غزوة ذلك على حيّ من بني قيس بن ثعلبة، فملأ يديه منهم و أصاب أسارى و سبايا؛ و كان فيمن أصاب/أحمد بن جندل السّعديّ، ثم انتهى إلى بني حنيفة باليمامة و فيهم أناس من عجل، فسمع به(8) أهل حجر(9)؛ فكان أوّل من أتاه من بني حنيفة بنو سحيم عليهم يزيد بن عمرو بن شمر. فلما رآهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال:

من عاذ منّي بعدها فلا اجتبر *** و لا سقى الماء و لا أرعى الشّجر

بنو لجيم(10) و جعاسيس(11) مضر *** بجانب الدّوّ(12) يدهدون العكر

1- أفنون: لقب صريم بن معشر بن ذهل بن تيم بن عمرو بن تغلب، توفي بالألاهة (موضع) و له في وفاته بها قصة ذكرها ياقوت في «معجم البلدان». و في «الأصول»: «أفنون بن صريم» بزيادة «ابن» و هو تحريف. (راجع «النقائض» ص 886 طبع أوربا و «القاموس» و شرحه و «معجم البلدان» لياقوت في كلامه على الألاهة).

2- في «الأصول»: «لتخدم أمي أمه» و التصويب من «النقائض».

3- أصلت السيف: جرّده من غمده؛ فهو مصلت (بكسر اللام) و السيف مصلت (بفتحها).

4- الندمان «بفتح النون»: الذي ينادمك على الشراب. و المخنق: موضع حبل الخنق من العنق.

5- شطب السيف: طرائقه في متنه من شدّة بريقه، الواحدة شطبة. و الرونق: ماء السيف و صفاؤه و حسنه.

6- أي اللذان، فحذف النون تخفيفا.

7- له ترجمة في «الأغاني» في أوّل الجزء الثاني عشر من طبعة بلاق.

8- في «الأصول»: «فسمع بها»، و ظاهر أن مرجع الضمير عمرو بن كلثوم.

9- حجر (بالفتح): عاصمة اليمامة.

10- هو لجيم بن صعب؛ و حنيفة أبو القبيلة أحد أولاده. و سياق الكلام قبله يرجح أن يكون الخطاب لبني سحيم. فلعل «لجيما» محرف عن «سحيم».

11- الجعاسيس: اللئام الخلق و الخلق، و الواحد جعسوس.

12- الدوّ: الفلاة. و يدهدون: يدحرجون و يقلبون؛ يقال: «دهدي الشيء إذا قلب بعضه على بعض، مثل دهدهه. و العكر (بالتحريك) دردي كل شيء. و في «ج»: «يدهون» و في «أ، م»: «نجائب الدوّ يدهون». و في «ب، س»: «يديهون» و كله تحريف؛ إذ الظاهر أنه يريد أن يذم هؤلاء القوم فوصفهم بأنهم يعملون في أحقر الأشياء و لا شأن لهم و لا خطر.

فانتهى إليه يزيد بن عمرو فطعنه فصرعه عن فرسه و أسره. و كان يزيد شديدا جسيما، فشدّه في القدّ و قال له: أنت الذي تقول:

متى تعقد(1) قرينتنا بحبل *** تجذّ الحبل أو تقص القرينا

أما إنّي سأقرنك إلى ناقتي هـذه فأطردكما(2) جميعا. فنادى عمرو بن كلثوم يا لربيعـة! أمثلـة!. قال: فاجتمعت بنو لجيم(3) فنهوه و لم يكن يريد ذلك به. فسار به حتّى أتى قصـرا بحجر من قصورهم، و ضرب عليه قبّة و نحر له و كساه و حمله على نجيبه و سقاه الخمر. فلما أخذت برأسه تغنّى:

/

أ أجمع صحبتي السّحر ارتحالا *** و لـم أشعر ببين منك هالا(4)

و لـم أر مثل هالة في معدّ *** أشبّه حسنها إلاّ الهلالا

ألا أبلغ بني جشم بن بكر *** و تغلب كلّما أتيا حلالا(5)

/بأنّ الماجد القرم ابن عمرو *** غداة نطاع(6) قد صدق القتالا

كتيبته(7) ململمة رداح *** إذا يرمونها تفني النّبالا

جزى اللّه الأغرّ يزيد خيرا *** و لقّاه المسرّة و الجمالا

بمأخذه ابن كلثوم بن عمرو *** يزيد الخير نازله نزالا

بجمع من بني قرّان(8) صيد *** يجيلون الطعان إذا أجالا

يزيد يقدم السفراء(9) حتى *** يروّي صدرها الأسل النّهالا

حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مر ببني تغلب فلم يكرموه:

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا الأحول عن ابن الأعرابيّ قال:

زعموا أنّ بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء فلحقوا بالشأم خوفا منه. فمرّ بهم عمرو(10) بن أبي حجر

1- روايـة «المعلقات» في عـدة نسـخ «متى نعقـد» بالنون. و القرينـة: التي تقرن إلى غيرها أي تربط مع غيرها بحبل. و تجـذ: تقطع، و هو مجزوم في جواب الشرط، فيجوز فيه الكسر لالتقاء الساكنين و هو المختار، و الفتح للتخفيف، و الضم اتباعا لضمة ما قبله. و تقص: تكسر؛ يقال: وقص عنقه يقصها وقصا إذا كسرها و دقها.

2- طرد الإبل: ساقها.

3- تقدّم أن «لجيما» جد أعلى لهم، و أن الجد الذي ينتسبون إليه «سحيم».

4- يريد: يا هالة.

5- حلال: جمع حلة (بالكسر) و هي جماعة بيوت الناس، و مجتمع القوم.

6- نطاع: أرض، و قد ذكرها المؤلف في صفحة 46 من هذا الجزء.

7- الكتيبة: الجيش أو فرقة منه. و ململمة: مجتمعة. و رداح: ثقيلة جرارة.

8- قرّان حصن باليمامة، نسب إليه أهله كأنه أب لهم. (راجع شرح «ديوان المفضليات» لأبي محمد الأنباري ص 434 طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة 1920 م)

9- كذا في «الأصول». و لم نوفق لوجه الصواب فيه.

10- في كتاب «الكامل» لابن الأثير أنه الحارث بن أبي شمر الغساني. و سياق هذا الخبر فيه أتم و أوضح مما هنا. و أحسب أن مصدر الغموض و الاضطراب في «الأغاني» هنا سقوط كلام من النساخ. و نص الخبر في كتاب «الكامل»: «..... فخرج ملك غسان بالشام و هو الحارث بن أبي شمر الغساني، فمر بأفاريق من تغلب فلم يستقبلوه. و ركب عمرو بن كلثوم التغلبي فلقيه فقال له: ما منع قومك أن يتلقوني؟! فقال لم يعلموا بمرورك. فقال: لئن رجعت لأغزونهم غزوة تتركهم أيقاظا لقدومي. فقال عمرو: ما استيقظ قوم قط إلا نبل رأيهم و عزت جماعتهم؛ فلا- توقظن نائمهم. فقال: كأنك تتوعدني بهم! أما و اللّه لتعلمن إذا نالت (لعلها أجالت) غطاريف غسان الخيل في دياركم أن أيقاظ قومك سينامون نومة لا حلم فيها: تجتث أصولهم و ينقى فلهم إلى اليابس الجرد و النازح الثمد. ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه و جمع قومه و قال: ألا فاعلم... إلخ».

الغسّاني، فتلقّاه عمرو بن كلثوم. فقال له: يا عمرو، ما منع/قومك أن يتلقّوني؟! فقال له: يا عمرو يا خير الفتيان، فإن قومي لم يستيقظوا لحرب قطّ إلا علا فيها أمرهم و اشتدّ شأنهم و منعوا ما وراء ظهورهم. فقال له:

أيقاظ(1) نومة ليس فيها حلم، أجتثّ فيها أصولهم، و أنفى فلّهم(2) إلى اليابس الجرد، و النازح الثّمد. فانصرف عمرو بن كلثوم و هو يقول:

ألا فاعلم أبيت اللّعن أنّا *** على عمد سنأتي ما نريد

تعلّم أنّ محملنا ثقيل *** و أنّ زناد كبتنا(3) شديد

و أنّا ليس حيّ من معدّ *** يوازينا إذا لبس الحديد

هجاؤه للنعمان بن المنذر:

قال: و قال ابن الأعرابيّ: بلغ عمرو بن كلثوم أنّ النعمان بن المنذر يتوعّده، فدعا كاتبا من العرب فكتب إليه:

ألا أبلغ النّعمان عنّي رسالة *** فمدحك حوليّ و ذمّك قارح(4)

متى تلقني في تغلب ابنة وائل *** و أشياعها ترقى إليك المسالح(5)

و هجا النّعمان بن المنذر هجاء كثيرا، منه قوله يعيّره بأمّه سليمى:

حلّت سليمى بخبت(6) بعد فرتاج *** و قد تكون قديما في بني ناج

/إذ لا ترجّي سليمى أن يكون لها *** من بالخورنق من قين و نسّاج

و لا يكون على أبوابها حرس *** كما تلفّف قبطيّ بديباج

تمشي بعدلين من لؤم و منقصة *** مشي المقيّد في الينبوت(7) و الحاج

1- في «الأصول»: «إيقاظي» بياء في آخرها.

2- الفل: القوم المنهزمون. و الجرد (بالتحريك): من الأرض ما لا ينبت. و الثمد (بالفتح بالتحريك): الماء القليل الذي لا مادّ له. و النازح: الذي نفد ماؤه؛ يقال نزحنا البئر، و نزحت البئر، فهو لازم متعدّ. يريد أن ينفي المنهزمين منهم إلى أرض لا نبات فيها و لا ماء.

3- كذا في «ج». و الكبة (بالفتح): الحملة في الحرب و الدفعة في القتال، و كبة كل شيء شدته و دفعته مثل كبة الشتاء و الجري. و في «أ، م»: «و أن زناد كتبنا» بتقديم التاء المثناة من فوق على الباء الموحدة. و في «ب، س»: «زناد كتبتنا» بزيادة تاء قبل النون. و أحسب أن صوابه: «و أن ذياد كبتنا شديد» أي أن دفع حملتنا في القتال شديد لا يطاق.

4- الحولي: ما أتى عليه حول. و القارح من ذي الحافر: الذي شق نابه. و هو في السنة الأولى حولي ثم ثنى ثم رباع ثم قارح.

5- المسالح: جمع مسلحة، و هي القوم ذوو السلاح.

6- الخبت: المطمئن من الأرض، و اسم لعدة مواضع. و فرتاج (بكسر الفاء): موضع. و بنو ناج: بطن من عدوان.

7- في «أكثر الأصول»: «اليابوت». و في «ج»: «اليلبوت»، و كلاهما تحريف. و الينبوت: نبات، و هو ضربان، أحدهما ذو شوك، و هو المراد هنا. و الحاج: الشوك أو ضرب منه. يريد أنها تمشي مثقلة بما تحمل من لؤم و منقصة كما يمشي المقيد في هذين الضربين من الشوك.

قال و قال في النعمان:

لحا اللّه أدنانا إلى اللّؤم زلفة(1) *** و ألأمنا خالا و أعجزنا أبا

و أجدرنا أن ينفخ الكير خاله *** يصوغ القروط و الشّنوف بيثربا

وفاته و نصيحته لبنيه:

اشارة

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد الدّمشقيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عليّ بن المغيرة عن ابن الكلبيّ عن رجل من النّمر بن قاسط قال:

لمّا حضرت عمرو بن كلثوم الوفاة و قد أتت عليه خمسون و مائة سنة، جمع بنيه فقال: يا بنيّ، قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي، و لا بدّ أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت. و إني و اللّه/ما عيّرت أحدا بشيء إلا عيّرت بمثله، إن كان حقّا فحقّا، و إن كان باطلا فباطلا. و من سبّ سبّ؛ فكفّوا عن الشتم فإنه أسلم لكم، و أحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم، و امنعوا من ضيم الغريب؛ فربّ رجل خير من ألف، و ردّ خير من خلف. و إذا حدّثتم فعوا، و إذا حدّثتم فأوجزوا؛ فإن مع الإكثار تكون الأهذار(2). و أشجع القوم العطوف بعد الكرّ، كما أنّ أكرم المنايا /القتل. و لا خير فيمن لا رويّة له عند الغضب، و لا من إذا عوتب لم يعتب(3). و من الناس من لا يرجى خيره، و لا يخاف شرّه؛ فبكئوه(4) خير من درّه، و عقوقه خير من برّه. و لا تتزوّجوا في حيّكم فإنه يؤدّي إلى قبيح البغض.

صوت

لمن الديار ببرقة الرّوحان(5) *** إذ لا نبيع زماننا بزمان

صدع الغواني إذ رمين فؤاده *** صدع الزّجاجة ما لذاك تداني

إن زرت أهلك لم أنوّل حاجة *** و إذا هجرتك شفّني هجراني

الشعر لجرير يهجو الأخطل و يردّ عليه حكومته التي حكم بها للفرزدق عليه. و الغناء، فيما ذكره عليّ بن يحيى المنجّم في كتابه الذي لقّبه بالمحدث، لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى، و ذكر الهشاميّ أنّه لحنين، قال و يقال: إنه لمعبد. و فيه ليزيد حوراء لحن ذكره عبد الملك بن موسى عنه، و قال: لا أدري أ هو الثقيل الأوّل أم خفيف الرمل.

و ذكر حبش أنّ الثقيل الأوّل للغريض و أنّ خفيف الرمل بالبنصر للدّلال.

1- الزلفة (بالضم) - و مثلها الزلفى و الزلف (بالتحريك) -: القربة و الدرجة و المنزلة.

2- الأهذار: جمع هذر (بالتحريك) و هو سقط الكلام.

3- الإعتاب: رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب، و الاسم منه العتبي.

4- أصـل البـكء: قلـة اللبن أو انقطاعه، يقال: بكأت الناقـة أو الشاة تبكأ بكاء (من باب فتـح) و بكؤت تبكؤ (من باب كرم) بكاءة و بكوءا. و المعنى المراد: فمنعه خير من عطائه.

5- راجع الحاشية رقم 1 ص 63 من هذا الجزء.

4 - ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير و الأخطل

سبب التهاجي بين جرير و الأخطل:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش و محمد بن العبّاس اليزيديّ قالا حدّثنا أبو سعيد السكّريّ عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة و عن أبي غسّان دماذ عن أبي عبيدة، و أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل قال حدّثنا أبو غسّان عن أبي عبيدة، و أخبرنا الصّوليّ عن إبراهيم بن المعلّى الباهليّ عن الطوسيّ عن ابن الأعرابيّ و أبي عمرو الشيبانيّ، و قد جمعت رواياتهم. قال أبو عبيدة حدّثني عامر بن مالك المسمعيّ قال:

كان الذي هاج التهاجي بين جرير و الأخطل أنّه لمّا بلغ الأخطل تهاجي جرير و الفرزدق قال لابنه مالك - و هو أكبر ولده و به كان يكنى -: انحدر إلى العراق حتّى تسمع منهما و تأتيني بخبرهما. فانحدر مالك حتى لقيهما و سمع منهما ثم أتى أباه. فقال له: كيف وجدتهما؟ قال: وجدت جريرا يغرف من بحر، و وجدت الفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطل: الذي يغرف من بحر أشعرهما؛ و قال يفضّل جريرا على الفرزدق:

إنّي قضيت قضاء غير ذي جنف *** لمّا سمعت و لمّا جاءني الخبر

أنّ الفرزدق قد شالت نعامته *** و عضّه حيّة من قومه ذكر

و في رواية ابن الأعرابيّ «قد سال الفرات به». قال أبو عبيدة: ثم إن بشر بن مروان دخل الكوفة، فقدم عليه الأخطل، فبعث إليه محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بألف درهم و كسوة و بغلة و خمر، و قال له: لا تعن على شاعرنا، /و اهج هذا الكلب الذي/يهجو بني دارم؛ فإنك قد قضيت على صاحبنا، فقل أبياتا و اقض لصاحبنا عليه. فقال الأخطل:

أ جرير إنّك و الذي تسمو له *** كأسيفة(1) فخرت بحدج حصان

عملت لربّتها فلمّا عوليت(2) *** نسلت تعارضها مع الرّكبان

أتعدّ مأثرة لغيرك فخرها *** و ثناؤها في سالف الأزمان

تاج(3) الملوك و فخرهم في دارم *** أيّام يربوع(4) مع الرّعيان

1- الأسيفة: الأمة. و الحدج (بالكسر): مركب من مراكب النساء يشبه المحفة. و الحصان العفيفة. و يعنى بها هنا الحرة لمقابلتها للأمة.

2- في «ديوان» الأخطل: «حملت». و ربتها: سيدتها. و عوليت: رفعت أي حملت على مركب. و نسلت: أسرعت في المشي؛ و قيل: أصل النسلان للذئب ثم استعمل في غيره.

3- رواية «الديوان»: في دارم تاج الملوك و صهرها

4- يربوع: جدّ لجرير.

و هي طويلة يقول فيها:

فاخسأ إليك كليب إنّ مجاشعا *** و أبا الفوارس نهشلا أخوان

سبقوا أباك بكلّ أعلى(1) تلعة *** في المجد عند مواقف الرّكبان

قوم إذا خطرت عليك قرومهم *** ألقتك بين كلاكل و جران(2)

و إذا وضعت أباك في ميزانهم *** رجحوا و شال أبوك في الميزان(3)

/و قال جرير يردّ حكومة الأخطل:

لمن الدّيار ببرقة الرّوحان(4) *** إذ لا نبيع زماننا بزمان

و هي طويلة يقول فيها:

يا ذا الغباوة(5) إنّ بشرا قد قضى *** ألاّ تجوز حكومة النّشوان(6)

فدعوا الحكومة لستم من أهلها *** إنّ الحكومة في بني شيبان

قتلوا كليبكم بلقحة جارهم *** يا خزر تغلب لستم بهجان(7)

قصيدة للأخطل و شرح بعض كلماتها:

اشارة

و مما غنيّ فيه من نقائض جرير و الأخطل:

صوت

أناخوا فجرّوا شاصيات كأنّها *** رجال من السّودان لم يتسربلوا

فقلت اصبحوني(8) لا أبا لأبيكم *** و ما وضعوا الأثقال إلاّ ليفعلوا

تمرّ بها الأيدي سنيحا و بارحا *** و ترفع(9) باللّهمّ حيّ و تنزل

الشاصيات: الشائلات القوائم من امتلائها. و عنى بالشاصيات هاهنا الزّقاق، لأنها إذا امتلأت شالت أكارعها؛

1- في «الديوان»: «مجمع تلعة».

2- القرم (بالفتح): الفحل من الإبل، و يستعمل في السيد المعظم من الرجال على التشبيه. و الكلاكل: الصدور. و الجران: باطن عنق البعير أو مقدمة من مذبحه إلى منحره.

3- شولان الميزان (بالتحريك): ارتفاع إحدى كفتيه؛ و يستعمل في المفاخرة على التمثيل؛ يقال: فاخرت فلانا فشال ميزانه أو شال في ميزانه، أي فخرته و غلبته.

4- برقة الروحان: روضة باليمامة. و في «الأصول» هنا: «ببرقة الريحان» و التصويب من «الأغاني» (ج 5 ص 186 من هذه الطبعة) و «النقائض» و «معجم البلدان» لياقوت.

5- كذا في «كل الأصول» هنا. و قد أثبت في الجزء الثامن: «يا ذا العباءة». (راجع فيه الحاشية رقم 5 ص 17).

6- في «الأصول»: «النسوان» بالسين المهملة و هو تصحيف.

7- اللقحة: الناقة الحلوب. و الخزر (بالضم): جمع أخزرة و الخزر: صغر العين و ضيقها. و الهجان: البيض الكرام. يشير في هذا البيت إلى مقتل كليب بن ربيعة و سببه.

8- صبحه: سقاه الصبوح و هو الشراب بالغداة. و الأثقال: الأمتعة، واحدها ثقل (بالتحريك).

9- في «بعض الأصول»: «و ترفعها باللم» و هو تحريف. يعني أنه يسمى عليها بذكر اللّه في رفعها و إنزالها. و يروى: «و توضع..... ... و تحمل».

يقال) شصا برجله إذا رفعها، و شصا ببصره إذا شخص؛ قال الراجز يصف الشاخص.

/

و بقر خماص(1)*** ينظرن من خصاص(2)

بأعين شواصي *** كفلق(3) الرّصاص

و السانح و السنيح: ما جاء عن يمينك يريد شمالك. و البارح: ما جاء عن شمالك يريد يمينك. و الجابه: ما جاء من أمامك مواجها لك. و القعيد و الخفيف: ما جاء من ورائك. شبّه دور الكأس و اختلافها بينهم بالسوانح و البوارح.

الشعر للأخطل. و الغناء لمالك، فيه لحنان كلاهما له، أحدهما رمل بالبنصر في مجراها في الأبيات الثلاثة على الولاء من رواية إسحاق، و الآخر خفيف رمل بالوسطى في الثالث ثم الأوّل و الثاني عن عمرو. و ذكر عمرو أنّ الرمل ايضا لابن سريج و أنه بالوسطى. و فيه بالبنصر في الاول و الثاني عن الهشاميّ و عمرو. و فيه لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو و الهشاميّ.

و منها:

صوت

خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا *** و أزعجتهم نوّى في صرفها غير

كأنّني شارب يوم استبدّ بهم *** من قرقف ضمّنتها حمص(4) أو جدر

جادت بها ذوات القار مترعة *** كلفاء ينحتّ من خرطومها المدر

يا قاتل اللّه وصل الغانيات إذا *** أيقنّ أنّك ممن قد زها الكبر

أعرضن لمّا حنى قوسي موتّرها *** و ابيضّ بعد سواد اللّمّة الشّعر

/استبدّ بهم أي علي(5) عليهم. و القرقف: التي تأخذ شاربها رعدة لشدّتها. و الكلفاء: الخابية في لونها كلف(6).

و قوله «زها الكبر» يعني استخفّه و أضعفه؛ يقال: زهاه و ازدهاه. و قال أبو عبيدة: الأصل في زهاه رفعه؛ فكأنه أراد أنه رفعه في علوّ سنّه عما يردن منه. و اللّمّة: الشعر المجتمع.

الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مروان و يهجو قيسا و بني كليب و يقول فيها:

أمّا كليب بن يربوع فليس لها *** عند التفاخر(7) إيراد و لا صدر

مخلّفون و يقضي الناس أمرهم *** و هم بغيب و في عمياء ما شعروا

1- خماص: ضامرات البطون، الواحد خمصان (بفتح الخاء و ضمها) للمذكر، و خمصانة للمؤنث.

2- الخصاص: الخروق، واحدها خصاصة.

3- في «الأصول»: «تعلق بالرصاص». و التصويب من «لسان العرب» (مادة شـصا). و فيه زيادة عما هنا، هي: يا رب مهر شاص و موضعه في أول الرجز.

4- حمص: مدينة مشهورة بالشام بين دمشق و حلب في نصف الطريق. و جدر: قرية بين حمص و سلمية تنسب إليها الخمر.

5- في «الأصول»: «علا عليهم» و هو تحريف. يعني أنهم غلبوا على أمرهم.

6- الكلف: حمرة كدرة، أو هو لون بين السواد و الحمرة.

7- في «الديوان»: «عند التفارط»: و التفارط التقدم في طلب الماء.

ملطّمون بأعقار(1) الحياض فما *** ينفكّ من دارميّ فيهم أثر

بئس الصحاة(2) و بئس الشّرب شربهم *** إذا جرى فيهم المزّاء و السّكر

قوم تناهت إليهم كلّ مخزية *** و كلّ فاحشة سبّت بها مضر

الآكلون خبيث الزّاد وحدهم *** و السائلون بظهر الغيب ما الخبر

و هذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل و مقدّمه و مما غلّب فيه على جرير. و قد احتاج جرير إلى سلخ(3) بيته هذا الأخير فردّه عليه بعينه في نقيضة هذه القصيدة، و ضمّنه بيتين من شعره فقال:

/

الآكلون خبيث الزّاد وحدهم *** و النازلون إذا واراهم الخمر(4)

و الظاعنون على العمياء إن رحلوا *** و السائلون بظهر الغيب ما الخبر

و في هذه القصيدة يقول الأخطل يمدح عبد الملك:

إلى امرئ لا تعرّينا(5) نوافله *** أظفره اللّه فليهنئ له الظّفر

الخائض الغمر و الميمون طائره *** خليفة اللّه يستسقى به المطر

و الهمّ بعد نجيّ النفس يبعثه(6) *** بالحزم و الأصمعان(7) القلب و الحذر

و ما الفرات إذا جاشت غواربه *** في حافتيه و في أوساطه العشر(8)

و زعزعته(9) رياح الصّيف(10) و اضطربت *** فوق الجآجئ(11) من آذيّه غدر

مسحنفر(12) من جبال(13) الروم يستره *** منها أكافيف(14) فيها دونه زور

1- الأعقار: جمع عقر (بالضم) و هو مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردت، أو هو مقام الشاربة منه.

2- كذا في «الديوان». و هو يريد أن يذم بني يربوع في حل سكرهم إذا شربوا و صحوهم. و في «الأصول»: «بئس الصحاب». و المزاء (بالضم): من أسماء الخمر؛ سميت بذلك للذعها اللسان.

3- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «نسخ بيته».

4- الخمر (بالتحريك): ما واراك من شجر و غيره.

5- كذا في «الديوان». و في «أكثر الأصول»: «لا تعدينا». و في «ح»: «لا يعدينا».

6- في «الأصول»: «بلغته» و التصويب من «الديوان».

7- في الأصول «و الأصـمعين» و التصويب من «الديوان»؛ إذ المعنى المراد: و الأصمعان القلب و الحذر يبعثانه أيضا. و القلب الأصمع: الذكي المتوقد الفطن، و كذلك يوصف بالصمع الرأي الحازم.

8- جاشت: هاجت. و الغوارب: المتون؛ يريد أمواجه و أعاليه. و في «الديوان»: «حوالبه» و هي أمواجه. و العشر: شجر.

9- زعزعته: حركته، و قيل حركته تحريكا شديدا. و في «الديوان»: «ذعذعته» بالذال المعجمة، و هما بمعنى واحد.

10- في «الأصول»: «رياح الطير» و التصويب من «الديوان».

11- الجآجيّ: الصـدور، واحـدها جؤجؤ. و الآذيّ: الموج. و الغـدر: جمع غـدير. و في «الأصول» عـذر (بعين مهملـة و ذال معجمـة) و التصويب من «الديوان».

12- مسحنفر: سريع الجري.

13- في «الأصول»: «من بلاد الروم» و التصويب من «الديوان» و «لسان العرب».

14- في «الأـصول»: «أكاليف» و التصويب من «الـديوان» و «لسان العرب» (مادة كفف). و أكافيف الجبل: حيوده أي حروفه الناتئـة في أعراضه. و الزور (بالتحريك): الميل. يصف الفرات و جريه في جبال الروم المطلة عليه حتى يشق بلاد العراق.

/

يوما بأجود منه حين تسأله *** و لا بأجهر(1) منه حين يجتهر

في نبعة(2) من قريش يعصبون(3) بها *** ما إن يوازى بأعلى نبتها الشجر

حشد على الخير عيّافو الخنا أنف *** إذا ألمّت بهم مكروهة صبروا

لا يستقلّ(4) ذوو الأضغان حربهم *** و لا يبيّن في عيدانهم خور

شمس(5) العداوة حتى يستقاد لهم *** و أعظم الناس أحلاما إذا قدروا

مدح الرشيد بيتا للأخطل:

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح عن أبيه:

أنّ الرشيد قال لجماعة من أهله و جلسائه: أيّ بيت مدح به الحلفاء منّا و من بني أميّة أفخر؟ فقالوا و أكثروا.

فقال الرشيد: أمدح بيت و أفخره قول ابن النّصرانيّة في عبد الملك:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم *** و أعظم الناس أحلاما إذا قدروا

مدح آدم بن عمر بن عبد العزيز بيتا للأخطل في مجلس المهدي فأغضبه:

اشارة

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال:

قال المهدي يوما و بين يديه مروان بن أبي حفصة: أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور:

/

له لحظات عن حفافي سريره *** إذا كرّها فيها عقاب و نائل

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال: هيهات و اللّه يا أمير المؤمنين أن يقول هذا و لا ابن هرمة كما قال الأخطل:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم *** و أعظم الناس أحلاما إذا قدروا

قال: فغضب المهديّ حتى استشاط و قال: كذب و اللّه ابن النّصرانيّة العاضّ بظر أمّه و كذبت يا عاضّ بظر أمّك! و اللّه لو لا أن يقال: إني خفرت(6) بك لعرّفتك من أكثر شعرا! خذوا برجل ابن الفاعلة فأخرجوه عنّي! فأخرجوه على تلك الحال، و جعل يشتمه و هو يجرّ و يقول: يا

بن الفاعلة! أراها في رءوسكم و أنفسكم!.

صوت

إنّي أرقت و لم يأرق معي صاح *** لمستكفّ بعيد النّوم لوّاح

1- في «الأصول»: «بأجهد» و التصويب من «الديوان». أي بأعظم و لا أحسن مرآة منه؛ يقال جهرت فلانا و اجتهرته إذا رأيته عظيما حسن المرآة في عينك.

2- النبع: ضرب من الشجر و هو من أجوده.

3- هذه رواية «الديوان». و في «الأصول»: «يعصمون بها». و يعصبون بها: يطيفون بها و يلزمونها.

4- استقل الشيء: حمله. يريد أن خصومهم لا يستطيعون أن ينهضوا بحربهم. و يبين: يتضح و يظهر.

5- شمس: جمع شموس، و هو من الرجال العسر في عداوته الشديد الخلاف على من عانده. و الأصل في هذا الجمع أن يكون مضموم العين، و يجوز فيه التسكين كما ورد في البيت هنا.

6- كذا في «الأصول». و الذي في كتب اللغة أنه يقال: خفرت فلانا و خفرت به إذا أجرته و أمنته، و أخفرته إذا غدرته، و يقال خفرت ذمته إذا لم يوف بها.

دان مسفّ فويق الأرض هيدبه *** يكاد يدفعه من قام بالرّاح

عروضه من البسيط. الشعر لأوس بن حجر - و هكذا رواه الأصمعيّ، أخبرنا بذلك اليزيديّ عن الرّياشيّ عنه، و وافقه بعض الكوفيين، و غير هؤلاء يرويه لعبيد بن الأبرص - و الغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. و لحسين بن محرز لحن في البيت الثاني و بعده:

إن أشرب الخمر أو أغلى بها ثمنا *** فلا محالة يوما أنني صاح

و طريقته خفيف رمل بالوسطى.

/قوله: مستكفّ: يعني مستديرا؛ و كلّ طرّة كفّة. أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الريّاشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا مهديّ يقول و هو يصف شجاعا(1) عرض له في طريقه: تبعني شجاع من هذه الشّجعان، فمرّ خلفي/كأنه سهم زالج، فحدت عنه، و استكفّ كأنه كفّة حابل، فرميته فنظرت ثلاثة أثنائه(2)و كذلك يقال كفّة الحابل و كفّة الميزان بالكسر، و الأولى مضمومة(3). و لوّاح: من قولهم لاح يلوح إذا ظهر.

و مسفّ: قد أسفّ على وجه الأرض إذا صار عليها أو قرب منها أو دنا إليها؛ و من هذا يقال: أسفّ الطائر إذا طار على وجه الأرض؛ و يقال ذلك للسهم أيضا. و هيدبه: الذي تراه كالمتعلّق بالسحاب. يقول: هذا السحاب يكاد من مقام أن يمسّه و يدفعه براحته لقربه من الأرض؛ و هو أحسن ما وصف به السحاب.

1- الشجاع (بضم الشين و كسرها، و جمعه شجعان بضم الشين و كسرها): الحية الذكر، أو الحية مطلقا، أو هو ضرب من الحيات.

2- أثناء الحية: مطاويها إذا تحوّت و تثنت، واحدها ثني (بالكسر). و يقال أيضا مثاني الحية، جمع مثناة (بفتح الميم و كسرها).

3- لأهل اللغة في ضبط كلمة «كفة» في معانيها المختلفة آراء كثيرة مبسوطة في كتاب «لسان العرب». و غيره.

5 - ذكر أوس بن حجر و شيء من أخباره

نسب أوس بن حجر:

و قد اختلف في نسبه، فقال الأصمعي، فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ عن الرياشي عنه، هو أوس بن حجر بن مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نمير. و قال ابن حبيب، فيما ذكره السكّريّ عنه،: هو أوس بن حجر من شعراء الجاهليّة و فحولها.

و ذكر أبو عبيدة أنه من الطبقة الثالثة، و قرنه بالحطيئة نابغة بني جعدة.

في الشعر:

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عبيدة حدّثنا يونس عن(1) أبي عمرو قال:

كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة و زهير، فهو شاعر تميم في الجاهليّة غير مدافع.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا عمرو يقول: كان أوس بن حجر فحل الشعراء؛ فلما نشأ النابغة طأطأ منه. و أمّا الكلبيّ فإنه زعم أنّ من هذه الطبقة لبيد بن ربيعة و الشّمّاخ بن ضرار. قال:

و تميم إلى الآن مقيمة على تقديم أوس. قال: و منهم من يقول بتقديم عديّ؛ و أنشد لحارثة بن بدر الغدانيّ:

و الشّعر كان مبيته و مظلّه *** عند العباديّ الذي لا يجهل

و قال يعقوب بن سليمان قال حمّاد: أدركت رجالا من بني تميم لا يفضّلون على عديّ في الشعر أحدا.

أخبرني اليزيديّ عن الرّياشيّ عن الأصمعيّ قال: تميم تروى هذه القصيدة الحائيّة لعبيد، و ذلك غلط؛ و من الناس من يخلطها بقصيدته التي على وزنها و رويّها لتشابههما.

غنت فتاة أعرابية بشعر له في السحاب:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السّكّريّ قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح قال حدّثني عبيد اللّه بن الحسين بن المسوّد بن وردان مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال:

خرج أعرابيّ مكفوف و معه ابنة عمّ له لرعي غنم لهما. فقال الشيخ: أجد ريح النّسيم قد دنا، فارفعي رأسك فانظري. فقالت: أراها كأنها ربرب معزى هزلي. قال: ارعي و احذري. ثم قال لها بعد ساعة: إني أجد ريح النسيم قد دنا، فارفعي رأسك فانظري. فقال: أراها كأنها بغال دهم تجرّ جلالها. قال: ارعي و احذري. ثم مكث ساعة ثم قال: إني لأجد ريح النسيم قد دنا، فانظري. قالت: أراها كأنها بطن حمار أصحر. فقال: ارعي و احذري. ثم

1- في «الأصول»: «حدّثنا يونس بن أبي عمرو...» و هو تحريف.

مكث ساعة فقال: إني لأجد ريح النسيم، فما ترين؟ قالت: أراها كما قال الشاعر:

دان مسفّ فويق الأرض هيدبه *** يكاد يدفعه من قام بالراح

/كأنما بين أعلاه و أسفله *** ريط منشّرة أو ضوء مصباح

فمن بمحفله كمن بنجوته *** و المستكنّ كمن يمشي بقرواح

فقال: انجي لا أبا لك! فما انقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهما.

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب و لا الأصمعيّ.

معنى قول الجاريـة «كأنها بطن حمار أصـحر»: تعني أنه أبيض فيه حمرة. و الصـحرة لون كذلك. و قوله: «فمن بمحفله كمن بنجوته»: يعني من هو بحيث احتفل السـيل - و احتفال كل شـيء معظمه - كمن في نجوته. و قد روي «بمحفشه»، و هما واحد، و معناهما مجرى معظم السـيل. يقول: فمن هو في هذا الموضع منه كمن بنجوته (أي ناحية عنه) سواء لكثرة المطر. و القرواح: الفضاء؛ /يقال قرواح و قرياح. و يقال في معنى المحفش: حفشت الأودية إذا سالت، و تحفّشت المرأة على ولدها إذا قامت عليه.

كان يسير ليلا فصرعته ناقته، فأكرمه فضالة بن كلدة، فمدحه:

أخبرني عليّ بن سـليمان الأخفش قال حدّثني عليّ بن أبي عامر السّـهميّ المصريّ قال حدّثني أبو يوسف الأصبهانيّ قال حدّثني أبو محمد الباهليّ عن الأصمعيّ، و ذكر هذا الخبر أيضا التّوّزيّ عن أبي عبيدة، فجمعت روايتيهما، قالا:

كان أوس بن حجر غزلا مغرما بالنساء؛ فخرج في سـفر، حتى إذا كان بأرض بني أسد بين شرج و ناظرة(1)، فبينا هو يسير ظلاما إذ جالت به ناقته فصـرعته فانـدقّت فخذاه فبات مكانه؛ حتى إذا أصـبح غدا جواري الحيّ يجتنين الكمأة و غيرها من نبات الأرض و الناس في ربيع. فبينا هنّ كذلك إذ بصـرن بناقته تجول و قد علق زمامها في شـجرة و أبصرنه ملقى، ففزعن فهربن. فدعا بجارية منهن فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا حليمة بنت فضالة بن كلدة، و كانت أصـغرهن؛ فأعطاها حجرا و قال لها: اذهبي إلى أبيك فقولي له: ابن هذا يقرئك السلام. فأخبرته فقال: يا بنيّة، لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل. ثم احتمل هو و أهله حتى بنى عليه بيته حيث صرع و قال: و اللّه لا أتحوّل أبدا حتى تبرأ؛ و كانت حليمة تقوم عليه حتى استقلّ. فقال أوس بن حجر في ذلك:

جدلت(2) على ليلة ساهره *** بصحراء شرج إلى ناظره

تزاد لياليّ في طولها *** فليست بطلق و لا ساكره(3)

أنوء برجل بها ذهنها(4) *** و أعيت بها أختها الغابرة

1- شرج و ناظره: موضعان.

2- الجدل: الصرع؛ يقال: جدله و جدّله تجديلا فانجدل و تجدّل. و في «الأصول» و «الديوان»: «خذلت» و ظاهر أنه تصحيف.

3- ليلة طلق و طلقة: طيبة لا خرّ فيها و لا برد و لا مطر و لا قر؛ و يقال: يوم طلق. و ليلة ساكرة: ساكنة الريح؛ يقال: سكرت الريح تسكر (على وزان قعد) سكورا و سكرانا إذا سكنت بعد الهبوب.

4- كذا في «اللسان» (في مادة ذهن). و الذهن: القوّة. و الغابرة: الباقية. و في «الأصول» و «الديوان»:... دهيها... العاثرة.

/و قال في حليمة:

لعمرك ما ملّت ثواء ثويّها(1) *** حليمة إذ ألقى مراسي مقعد(2)

و لكن تلقت باليدين ضمانتي(3) *** و حلّ بشرج م القبائل(4) عوّدي

و لم تلهها(5) تلك التكاليف إنّها *** كما شئت من أكرومة و تخرّد(6)

سأجزيك أو يجزيك(7) عنّي مثوّب *** و قصرك(8) أن يثنى عليك و تحمدي

رثى فضالة بن كلدة حين مات:

اشارة

قالا: ثم مات فضالة بن كلدة، و كان يكنى أبا دليجة، فقال فيه أوس بن حجر يرثيه.

يا عين لا بدّ من سكب و تهمال *** على فضالة جلّ الرّزء العالي

/و يروى «عينيّ». العالي: الأمر العظيم الغالب. و هي طويلة جدّا. و فيها مما يغنّى فيه:

صوت

أبا دليجة من توصي بأرملة *** أم من لأشعث(9) ذي طمرين ممحال

أبا دليجة من يكفي العشيرة إذ *** أمسوا من الأمر في لبس و بلبال

لا زال مسك و ريحان له أرج *** على صداك(10) بصافي اللّون سلسال

/غنّى فيه دحمان خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. و ذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رملا بالوسطى عن عمرو. و ذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رملا بالبنصر، و لداود بن العباس ثاني ثقيل، و لابن جامع خفيف ثقيل.

و من فاضل مراثيه إياه و نادرها قوله:

أيّتها النفس أجملي جزعا *** إنّ الذي تكرهين قد وقعا

إنّ الذي جمّع السماحة و ال *** نّجدة و الحزم و القوى جمعا

1- الثواء: الإقامة. و الثوى هنا: الضيف.

2- المقعد: الذي به داء يقعده. و في بعض «الأصول» و «الديوان»: «مقعدي» بياء في آخره.

3- الضـمانة: الداء في الجسد من كبر أو بلاء أو غير ذلك. و مثل الضـمانة الضمان و الضمن (بالتحريك) و الضمنة (بالتحريك) و الضمنة (بالضم)؛ يقال: رجل ضـمن (بالتحريك) لا يثنى و لا يجمع لأنه وصف بالمصدر، و رجل ضـمن (بكسر عينه) و ضمين؛ و هذان الوصفان يثنيان و يجمعان؛ و جمع الأوّل: ضمنون، و الثاني: ضمني.

4- أي من القبائل. و في «الأصول»: «فالقبائل» و التصويب من «الديوان».

5- يقال: لهى عن الشيء يلهى (و زان فرح) إذا كف عنه و تركه. يريد: لم يجعلها تتركه ما تلاقيه في القيام عليه من تكاليف.

6- التخرد: الحياء و الخفر؛ يقال: خردت الفتاة خردا (من باب فرح) و تخرّدت.

7- المثوب هنا: الذي يعطي المحسن ثواب ما عمل؛ يقال: أثابه اللّه و أثوبه و ثوّبه.

8- قصرك: غايتك و كفايتك؛ و مثله قصارك و قصاراك (بضم القاف فيهما).

9- رجل أشـعث: مغبر الرأس متلبد الشعر أو منتشره لقلة تعهده بالدهن و الاستحداد. و الطمر: الثوب الخلق. و ممحال: مجدب. يريد أنّه فقير.

10- الصدى هنا: جثة الميت في قبره. و بصافي اللون أي مع صافي اللون، يريد الماء. و الدعاء للقبور بالسقيا معروف عند العرب.

المخلف المتلف(1) المرزّأ لم *** يمتع بضعف و لم يمت طبعا

أودى و هل تنفع الإشاحة(2) من *** شيء لمن قد يحاول البدعا

و هي قصيدة أيضا يمدحه بها في حياته و يرثيه بعد وفاته. و له فيه قصائد غير هذه.

صوت

رأيت زهيرا كلكل خالد *** فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

فشلّت يميني يوم أضرب خالدا *** و يمنعه مني الحديد المظاهر

عروضه من الطويل. الشعر لورقاء بن زهير. و الغناء لكردم، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق، و ذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد، و ذكر إسحاق أنه ينسبه إلى معبد من لا يعلم، و روى عن أبى سياط عن يونس أنه أخذه من كردم و أعلمه أن الصنعة فيه له.

1- المخلف المتلف: يريد أنه يتلف ماله كرما، و يخلفه نجدة؛ كما قال آخر: فأتلف ذاك متلاف كسوب و المرزأ: الذي تناله الرزيات في ماله لما يعطي و يسأل. و الإمتاع: الإقامة. يقول: لم يقم و هو ضعيف. و الطبع: الدنس. و أصل الطبع (بالتحريك): الوسخ و الصدأ يغشيان السيف و غيره. و قد استعير لما يغشي النفس من الخلال الذميمة.

2- أودى هلك. و الإشاحة: الحذر. يقول: هل ينفع الحذر و الخوف شيئا لمن يحاول دفع الموت. و عبر عن محاولة دفع الموت بمحاولة البدع، إذ محاولة دفع الموت بدعة. و في «الأصول»: «لمن قد يحاول النزعا». و التصويب من «لسان العرب» (مادة شيح) و «الكامل» للمبرد (ص 730 طبعة أوربا).

6 - خبر ورقاء بن زهير و نسبه و قصة شعره هذا:

اشارة

هو ورقاء بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة من مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس(1) بن بغيض بن ريث بن غطفان، يقوله لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة(2)، أباه زهير بن جذيمة. و كان السبب في ذلك - فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شبّة، و نسخت بعض هذا الخبر عن الأثرم و رواية ابن الكلبيّ، و أضفت بعض الروايات إلى بعض إلاّ ما أفردته و جلبته عن راويه. قال أبو عبيدة حدّثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد اللّه بن رافع بن مالك بن عبد بن جلهمة بن حدّاق بن يربوع بن سعد بن تغلب بن سعد بن عوف بن جلاّن بن غنم بن أعصر، قال حدّثني أبي عبد الواحد و عمّي صفوان ابنا عاصم عن أبيهما عاصم بن عبد اللّه عمن أدرك شأس بن زهير. قال: كان مولد عاصم قبل مبعث النبيّ صلى اللّه عليه و سلم، و كان عاصم جاهليّا. قال: و قال عبد الحميد حدّثني سيّار بن عمرو أحد بني عبيد بن سعد بن عوف بن جلاّن بن غنم - /قال أبو عبيدة: و كان أعلم غنيّ(3) - عن شيوخهم -:

مقتل شأس بن زهير أخيه و البحث عن قاتله ثم محاولة الثأر منه:

أن شأس بن زهير بن جذيمة أقبل من عند ملك - قال أبو عبيدة: أراه النعمان - و كان بينه و بين زهير صهر - قال أبو عبيدة: ثم حدّثني مرّة أخرى قال: كانت ابنة زهير عنده - فأقبل شأس بن زهير من عنده و قد حباه أفضل/الحبوة مسكا و كسا و قطفا و طنافس، فأناخ ناقته في يوم شمال و قرّ على ردهة(4) في جبل و رياح بن الأسكّ(5) أحد بني رباع بن عبيد بن سعد بن عوف بن جلاّن على الرّدهة ليس غير بيته بالجبل؛ فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة و البيت؛ فاستدبره رياح فأهوى له بسهم فبتر به صلبه. قال أبو عبيدة و حدّثني رجل يخيّل إليّ أنه أبو يحيى الغنويّ قال: ورد شأس و قد حباه الملك بحبوة فيها قطيفة حمراء ذات هدب و طيب، فورد منعجا(6) و عليه خباء ملقى لرياح بن الأسكّ فيه أهله في الظّهيرة؛ فألقى ثيابه بفنائه ثم قعد يهريق عليه الماء، و المرأة قريبة منه (يعني امرأة رياح) فإذا هو مثل الثور الأبيض. فقال رياح لامرأته: أنطيني(7) قوسي؛ فمدّت إليه قوسه و سهما، و انتزعت المرأة نصله لئلا يقتله؛ فأهوى عجلان إليه فوضع السهم في مستدقّ الصّلب بين فقارتين ففصلهما، و خرّ ساقطا؛ و حفر له حفرا فهدمه عليه، و نحر جمله و أكله. قال: و قال عبد الحميد: أكل ركوبته و أولج متاعه بيته. و قال

1- كذا في كتاب «المعارف» لابن قتيبة و «القاموس». و في «الأصول»: «قطيعة بن قيس».

2- في «الأصول»: «حفصة» و هو تحريف.

3- كذا في ج. و في «سائر الأصول»: «و كان بلغني عن شيوخهم» و هو تحريف.

4- الردهة (بالفتح): النقرة في الجبل أو في الصخر يستنقع فيها الماء.

5- في كتاب «الكامل» لابن الأثير (ج 1 ص 411): «رياح بن الأشل».

6- منعج (بفتح فسكون فكسر): موضع.

7- في «أ، م»: «اعطيني». و أنطيني لغة في اعطيني.

عبد الحميد: و فقد شأس و قصّ أثره و نشد، و ركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله. فقال لهم الملك: حبوته و سرّحته.

فقالوا: و ما متّعته به؟ قال: مسك و كسا و نطوع و قطف. فأقبلوا يقصّون أثره فلم تتّضح لهم سبيله. فمكثوا كذلك ما شاء اللّه، لا أدري كم، حتى رأوا امرأة رياح باعت بعكاظ قطيفة حمراء أو بعض ما كان من حباء الملك، فعرفت و تيقّنوا أن رياحا ثأرهم. قال أبو عبيدة: و زعم الآخر قال: نشد(1) زهير بن جذيمة الناس، فانقطع ذكره على منعج وسط غنيّ، ثم أصابت الناس جائحة و جوع، فنحر زهير ناقة(2)، فأعطى امرأة شطّيها(3)/فقال: اشترى لي الهدب و الطّيب. فخرجت بذلك الشحم و السّنام تبيعه حتى دفعت(4) إلى امرأة رياح، فقالت: إنّ معي شحما أبيعه في الهدب و الطّيب؛ فاشترت المرأة منها. فأتت المرأة زهيرا بذلك، فعرف الهدب. فأتى زهير غنيّا، فقالوا: نعم! قتله رياح بن الأسكّ، و نحن برءاء منه. و قد لحق بخاله من بني الطمّاح و بني أسد بن خزيمة. فكان يكون اللّيل عنده و يظهر في أبان(5) إذا أحسّ الصبح، يرمي الأروى(6)؛ إلى أن أصبح ذات يوم و هو عنده و عبس تريغه(7). فركب خاله جملا و جعله على كفل(8) وراءه. فبينا هو كذلك إذا دنت، فقالوا(9): هذه خيل عبس تطلبك. فطمر(10) في قاع شجر فحفر في أصل سوقه. و لقيت الخيل خاله فقالوا: هل كان معك أحد؟ قال لا. فقالوا: ما هذا المركب وراءك؟ لتخبرنّا أو لنقتلنّك! قال: لا كذب، هو رياح في ذلك القاع. فلما دنوا منه قال الحصينان: يا بني عبس دعونا و ثأرنا، فخنسوا(11) عنهما. فأخذ رياح نعلين من سبت(12) فصيّرهما على صدره حيال كبده، و نادى: هذا غزالكما الذي تبغيان. فحمل عليه أحدهما فطعنه، فأزالت النعل الرمح إلى حيث شاكلته، و رماه رياح مولّيا فجذم(13) صلبه. قال: ثم جاء الآخر فطعنه فلم يغن شيئا، و رماه مولّيا فصرعه. فقالت عبس: أين تذهبون إلى هذا! و اللّه/ليقتلنّ منكم عدد مراميه، و قد جرحاه فسيموت. قال: و أخذ رياح رمحيهما و سلبيهما و خرج حتى سند إلى أبان. فأتته عجوز و هو يستدمي(14) على الحوض ليشرب منه/و قالت: استأسر تحي، فقال: جنّبيني(15) حتى أشرب. قال: فأبت و لم تنته. فلما غلبته أخذ مشقّصا(16) و كنّع(17) به كرسوعي يديها. قال فقال عبد الحميد: فلما

1- يريد: سأل الناس.

2- كذا في «ح». و في «سائر الأصول»: «ناقته».

3- شطيها: جانبي سنامها.

4- دفعت: انتهت.

5- أبان: جبل.

6- الأروى: اسم جمع للأروية و هي أنثى الوعول.

7- تريغه: تطلبه.

8- الكفل (بالكسر): شيء مستدير يتخذ من الخرق و نحوها و يوضع على سنام البعير.

9- كذا في «الأصول». و لعل صوابه: «إذ دنت الخيل فقال هذه... إلخ».

10- طمر: معناها هنا استخفى.

11- خنسوا: تأخروا و تنحوا.

12- السبت: (بالكسر): الجلد المدبوغ.

13- جذمه: قطعه بسرعة.

14- يستدمي: يطأطئ رأسه يقطر منه الدم.

15- جنبيني: ابعـدي عني؛ يقـال: جنبه تجنيبا و تجنبه و جانبه و تجانبه و اجتنبه إذا بعـد عنه. و في «الأصول»: «اجنبيني» بزيادة الألف، و هو تحريف. و يقال: جنبه الشيء يجنبه (من باب نصر)، و جنّبه إياه تجنيبا، و أجنبه إياه، إذا نحاه عنه.

16- المشقص: نصل عريض أو هو سهم فيه ذلك النصل.

17- كتع (بالتضعيف): قطع. و في بعض «الأصول»: «كنع» بالتاء، و هو تصحيف.

استبان لزهير بن جذيمة أنّ رياحا ثأره قال يرثي شأسا:

رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس:

بكيت لشأس حين خبّرت أنّه *** بماء غنيّ آخر اللّيل يسلب

لقد كان مأتاه الرّداه لحتفه *** و ما كان لو لا غرّة اللّيل يغلب

فتيل غنيّ ليس شكل كشكله *** كذاك لعمري الحين للمرء يجلب

سأبكي عليه إن بكيت بعبرة *** و حقّ لشأس عبرة حين تسكب

و حزن عليه ما حييت و عولة *** على مثل ضوء البدر أو هو أعجب

إذا سيم(1) ضيما كان للضيم منكرا *** و كان لدي الهيجاء يخشى و يرهب

و إن صوّت الداعي إلى الخير مرّة *** أجاب لما يدعو له حين يكرب(2)

ففرّج عنه ثم كان وليّه *** فقلبي عليه لو بدا القلب ملهب

و قال زهير بن جذيمة حين قتل شأس: شأس و ما شأس! و البأس و ما البأس! لو لا مقتل شأس، لم يكن بيننا بأس.

قال: ثم انصرف إلى قومه، فكان لا يقدر على غنويّ إلاّ قتله.

قال عبد الحميد: فغزت بنو عبس غنيّا قبل أن يطلبوا قودا أو دية مع أخي شأس الحصين بن زهير بن جذيمة و الحصين بن أسيد بن جذيمة ابن أخي زهير. فقيل/ذلك لغنيّ؛ فقالت لرياح: انج، لعلنا نصالح على شيء أو نرضيهم بدية و فداء. فخرج رياح رديفا لرجل من بين كلاب - و زعم أبو حيّة النّميريّ أنه من بني جعد(3) - و كان معهما صحيفة فيها آراب(4) لحم، لا يريان إلاّ أنهما قد خالفا وجهة القوم، فأوجفا أيديهما في الصّحيفة فأخذ كل و اخذ منهما و ذرة(5) ليأكلها، مترادفين لا يقدران على النزول. قال: فمرّ فوق رءوسهما صرد(6) فصرصر، فألقيا اللحم و أمسكا بأيديهما و قالا: ما هذا! ثم عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظما، و مرّ الصّرد فوق رءوسهما فصرصر؛ فألقيا العظمين و أمسكا بأيديهما و قالا: ما هذا! ثم عادا الثالثة فأخذ كل واحد منهما قطعة، فمرّ الصّرد فوق رءوسهما فصرصر، فألقيا القطعتين(7)؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرات، فإذا هما بالقوم أدنى ظلم (و أدنى ظلم(8) أي أدنى شيء) و قد كانا يظنّان أنهما قد خالفا وجهة القوم. فقال صاحبه لرياح: اذهب فإني آتي القوم أشاغلهم عنك و أحدّثهم حتى تعجزهم ثم ماض إن تركوني. فانحدر رياح عن عجز الجمل فأخذ

1- سامه الأمر: كلفه إياه، و أكثر ما يستعمل في العذاب و الشر و الظلم.

2- يكرب: يصيبه الكرب و هو الحزن و الغم الذي يأخذ بالنفس.

3- لم نجد المظان «بني جعد». فلعله «من بني جعدة».

4- آراب لحم: قطع لحم. و في «الأصول»: «أداب لحم» و هو تحريف.

5- كذا في «ج». و الوذرة (بالفتح و يحرك): القطعة الصغيرة من اللحم لا عظم فيها، و قيل: هي ما قطع من اللحم مجتمعا عرضها بغير طول. و في «سائر الأصول»: «وضرة» و هو تحريف.

6- الصرد. طائر أبقع ضخم الرأس يكون في الشجر، نصفه أبيض و نصفه أسود، و هو من سباع الطير، ضخم المنقار عظيم البرثن، كانت العرب تتطير من صوته.

7- كذا في «ح». و في «سائر الأصول»: «العظمين».

8- في «الأصول»: «و أدنى ظلام» و ظاهر أنه تحريف؛ إذ هو ما قبله، و كرره المؤلف ليفسره.

أدراجه(1) و عدا أثر الراحلة حتى أتى ضفّة(2) فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه، ثم أخذ نعليه فجعل إحداهما على سرّته و الأخرى على صفنه(3) ثم شدّ عليهما العمامة، و مضى صاحبه حتى لقي القوم، فسألوه فحدّثهم و قال: هذه غنيّ كاملة و قد دنوت منهم، فصدّقوه و خلّوا سربه(4). فلما ولّى رأوا مركب الرجل خلفه، /فقالوا: من الذي كان خلفك/فقال: لا مكذبة! ذلك رياح في الأول من السّمرات. فقال الحصينان لمن معهما: قفوا علينا حتى نعلم علمه فقد أمكننا اللّه من ثأرنا، و لم يريدا أن يشركهما فيه أحد، فمضيا و وقف القوم عنهما. قالوا قال رياح: فإذا هما ينقلان فرسيهما، فما زالا يريغاني، فابتدراني فرميت الأوّل فبترت صلبه، و طعنني الآخر قبل أن أرميه و أراد السّرّة فأصاب الرّبلة(5)، و مرّ الفرس يهوي به، فاستدبرته بسهم فرشقت به صلبه فانفقر منحنى الأوصال، و قد بترت صلبيهما. قال أبو عبيدة قال أبو حيّة: بل قال رياح: استدبرته بسهم و قد خرجت قدمه فقطعتها، فكأنما نشرت بمنشار. قال عبد الحميد: و ندّ فرساهما فلحقا(6) بالقوم. قال رياح: فأخذت رمحيهما فخرجت بهما حتى أتيت رملة فسندت فغرزت الرمحين فيها ثم انحدرت. قال: و طلبه القوم، حتى إذا رفع لهم الرمحان لم يقربوهما علم اللّه حتى وجدوا أثر رياح خارجا قد فات. و انطلق رياح خارجا حتى ورد ردهة عليها بيت أنمار بن بغيض و فيه امرأة و لها ابنان قريبان منها و جمل لها راتع في الجبل، و قد مات رياح عطشا. فلمّا رأته يستدمي طمعت فيه و رجت أن يأتيها ابناها، فقالت له: استأسر. فقال لها: دعيني ويحك أشرب، فأبت. فأخذ حديدة إمّا سكّينا و إمّا مشقصا فجذم به رواهشها(7) فماتت، و عبّ في الماء حتى نهل(8) ثم توجّه إلى قومه. فقال رياح فيها و في الحصينين:

قالت لي استأسر لتكتفني *** حينا و يعلو قولها قولي

و لأنت أجرأ من أسامة(9) أو *** منّي غداة وقفت للخيل

/إذ الحصين لدى الحصين كما *** عدل الرّجازة جانب الميل

قال الأثرم: الرّجازة شيء يكون مع المرأة في هودجها، فإذا مال أحد الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل. قال أبو عبيدة: يعني حصين بن زهير بن جذيمة، و حصين بن أسيد بن جذيمة و هو ابن عمه.

قال أبو عبيدة قال عبد الحميد: و اللّه لقد سمعت هذا الحديث على ما حدثتك به منذ ستين سنة قال عبد الحميد: و ما سمعت أنّ بني عبس أدركوا بواحد منهم و لا اقتادوا و لا أنذروا، و لا سمعت فيه من الشعر لنا و لا لغيرنا في الجاهليّة بأكثر مما أنشدتك. و إلى هذا انتهى حديثنا و حديثه، و لا و اللّه ما قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة في حربنا، غير أنّ الكميت بن زيد الأسديّ، و كانت له أمّان من غنيّ، ذكر من مقتل

1- الأدراج: الطرق.

2- الضفة: جانب النهر و الوادي.

3- الصفن (بالتحريك و بالفتح): وعاء الخصبة.

4- السرب (بالفتح و هو الأرجح، و قال أبو عمرو بالكسر): الطريق.

5- الربلة (بالفتح و بالتحريك و هو الأفصح): باطن الفخذ.

6- في «الأصول»: «فلحقنا».

7- الرواهش: العصب الذي في ظاهر الذراع، و قيل: هي عصب و عروق في باطن الذراع، واحدها راهشة و راهش.

8- نهل هنا: روى.

9- أسامة: اسم علم للأسد.

أخواله(1) من غنيّ في بني عبس و من قتلوا من بني نمير بن عامر في كلمة له واحدة؛ فلعلّه لهذا الحديث قالها و ذكر إدراكاتهم و ذكر قتل شبيب بن سالم النّميريّ، فقال في ذلك:

أنا ابن غنيّ والداي كلاهما *** لأمّين فيهم في الفروع و في الأصل

هم استودعوا هوى شبيب بن سالم(2) *** و هم عدلوا بين الحصينين بالنّبل

و هم قتلوا شأس الملوك و رغّموا *** أباه زهيرا بالمذلّة و الثّكل

فما أدركت فيهم جذيمة وترها *** بما قود يوما لديها و لا عقل

/قال أبو عبيدة: فذكر عبد الحميد أنه أتى عليهم هنيئة من الدهر لا أدرى كم وقت ذلك بعد انصرام أمر شأس. قال: فما زادوا على هذا فهو باطل. قال الأثرم: هنيئة من الدهر و هنيهة و برهة و حقبة بمعنى الدهر.

1- في «ب، س»: «ذكر من قتل من أخواله....».

2- كذا ورد هذا الشطر في «الأصول». و لم نهتد فيه إلى وجه نطمئن إليه.

7 - مقتل زهير بن جذيمة العبسيّ

قتله خالد بن جعفر و تعظيم هوازن له:

قتله خالد بن جعفر بن كلاب. قال أبو عبيدة قال أبو حيّة النّميريّ: كان بين انصراف حديث شأس و حديث قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة ما بين العشرين سنة إلى الثلاثين سنة. قال أبو عبيدة: و هوازن بن منصور لا ترى زهير بن جذيمة إلاّ ربّا(1). قال: و هوازن يومئذ لا خير فيها؛ و لم تكثر(2) عامر بن صعصعة بعد، فهم أذلّ من يد في رحم(3)، و أنّما هم رعاء الشّاء في الجبال. قال: و كان زهير يعشرهم(4)، و كان إذا كان أيّام عكاظ أتاها زهير و يأتيها النّاس من كل وجه، فتأتيه هوازن بالإتاوة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بالسّمن و الأقط و الغنم؛ و ذلك بعد ما خلع ذلك من أبي الجنّاد أخي بني أسيّد بن عمرو بن تميم. ثم إذا تفرّق النّاس عن عكاظ نزل زهير بالنفرات(5).

حلف خالد بن جعفر أن يقتله و شعره في ذلك:

قال أبو عبيدة عن عبد الحميد و أبي حيّة النّميريّ قالا: فأتته عجوز رهيش(6) من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن - و قال أبو حيّة: بل أتته عجوز من هوازن - بسمن في نحي، و اعتذرت إليه و شكت السنين التي تتابعن على الناس. فذاقه فلم يرض طعمه، فدعّها(7) بقوس في يده عطل(8) في صدرها، فاستلقت لحلاوة(9) القفا فبدت/عورتها؛ فغضب من ذلك هوازن و حقدت(10) عليه إلى ما كان في صدرها من الغيظ و الدّمن(11) و أوحرها(12) من الحسك(13). قال: و قد أمرت(14) عامر بن صعصعة يومئذ؛ فآلى خالد بن جعفر فقال: و اللّه لأجعلنّ ذراعي وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل. قال: و في ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب:

1- الرب هنا: الملك و السيد.

2- في «الأصول»: «و لم يلبث عامر بن صعصعة يعد فيهم أذل... إلخ». و التصويب من «خزانة الأدب» (ج 4 ص 377) و «أمالي السيد المرتضى» (ج 1 ص 152).

3- هذا مثل يضرب في الضعف و الهوان.

4- يعشرهم: يأخذ عشر أموالهم. و في «الأصول»: «يعزهم» و التصويب من «خزانة الأدب».

5- في «ح» «النقرات». و ظاهر أنه هنا اسم مكان، و لم نجده في مظانة.

6- عجوز رهيش: ضعيفة أو مهزولة.

7- دعها: دفعها بعنف.

8- قوس عطل: لا وتر عليها.

9- حلاوة القفا (بفتح الحاء و ضمها): وسطه.

10- في «الأصول»: «و أصمدت عليه».

11- الدمن هنا: الأحقاد.

12- أوحرها: جعلها توحر أي تغضب و تحقد.

13- كذا في «ج». و الحسك هنا: العداوة و الحقد. و في «سائر الأصول»: «من الحسد».

14- أمرت: كثرت. و في «الأصول»: «و تذامرت...». و التصويب من «أمالي السيد المرتضى».

أديروني إدارتكم(1) فإنّي *** و حذفة كالشّجى تحت الوريد

مقرّبة أسوّيها بجزء(2) *** و ألحفها ردائي في الجليد

و أوصي الرّاعيين ليؤثرها *** لها لبن الخليّة(3) و الصّعود

تراها في الغزاة و هنّ شعث *** كقلب(4) العاج في الرّسغ الجديد

يبيت رباطها بالليل كفّي *** على عود الحشيش و غير عود

لعل اللّه(5) يمكنني(6) عليها *** جهارا من زهير أو أسيد

فإمّا تثقفوني فاقتلوني *** فمن أثقف فليس إلى خلود

/و قيس في المعارك غادرته *** قناتي في فوارس كالأسود

و يربوع بن غيظ يوم ساق *** تركناهم كجارية و بيد(7)

تركت بها نساء بني عصيم *** أرامل ما تحنّ إلى(8) وليد

يلذن بحارث جزعا عليه *** يقلن لحارث لو لا تسود(9)

و منّي بالظّويلم قارعات *** تبيد المخزيات و لا تبيد

/و حكّت بركها(10) ببني جحاش *** و قد أجروا إليها من بعيد

تركت ابني جذيمة في مكرّ *** و نصرا قد تركت لها شهودي

وصف مقتله و ما كان قبله من حوادث:

قال أبو عبيدة و حدّثني أبو سرّار الغنويّ قال: كان زهير رجلا عدوسا(11)، فانتقل من قومه ببنيه و بني أخويه

1- في كتاب «نسب الخيل» و «أمالي السيد المرتضى» و «خزانة الأدب»: «أريغوني أراغنكم». و الإراغة: الطلب. يقول: افعلوا ما شئتم فإني و فرسي غصة في حلوق الأعداء.

2- في «الأصول»: «بخز» و التصويب من كتاب «نسب الخيل». و جزء: اسم ابن له، و به كان يكنى.

3- الخلية: الناقة تنتج و هي غزيرة، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى و تخلى هي للحلب. و لأهل اللغة في معنى الخلية أقوال أخرى غير هذا. و الصعود: الناقة التي تخدج (تسقط) ولدها لغير تمام، فتعطف على ولد عام أوّل أو ولد غيرها فتدرّ عليه.

4- القلب: السوار. و الجديد: صفة للقلب.

5- روى بجر اللّه؛ و استشهد بهذا البيت النحويون على أن «لعل» قد يجربها.

6- كذا في كتاب «نسب الخيال» و «أمالي السيد المرتضى» و «خزانة الأدب». و في «الأصول»: «يفردني». و لعله محرف عن «يقدرني» كما ورد في «خزانة الأدب» في رواية أخرى.

7- كذا في «الأصول». و لعل صوابها: «كجارية وئيد». و الجارية الوئيد: الفتاة التي تدفن حية، و يكون المعنى أنهم صيروا يربوع بن غيظ قتلى كالفتاة الوئيد. و قد ورد بعض أبيات من هذه القصيدة فيما يأتي (ص 94 من هذا الجزء) و في روايتها هناك اختلاف عن روايتها هنا.

8- الرواية فيما سيأتي «يشتكين» و هي الأنسب بالمقام، كما يفهم من سياق الكلام هناك.

9- في هذا البيت و الذي بعده إقواء.

10- البرك: الصدر. يريد: نزلت بهم.

11- عدوس: قوى على سير الليل.

زنباع و أسيد بركبة يريغ الغيث في عشراوات(1) له وشول. قال: و بنو عامر قريب منهم و لا يشعر بهم. قال عبد الحميد و أبو حيّة: بل بنو عامر بدمخ(2) و زهير بالنفرات و بينهم ليلتان أو ثلاث. قال فقال أبو سرّار: فأتى الحارث بني عامر، و اللّه ما تغيّر طعم اللّبن الذي زوّده(3) الحارث بن عمرو بن الشّريد السّلميّ/حتى أتى بني عامر فأخبرهم. قال أبو عبيدة أخبرني سليمان بن المزاحم المازنيّ عن أبيه قال: بل كانت بنو عامر بالجريثة(4) و زهير بالنفرات، و كانت تماضر بنت عمرو بن الشّريد بن رياح بن يقظة بن عصيّة بن خفاف السّلميّ امرأة زهير بن جذيمة و هي أمّ ولده. فمرّ بها أخوها الحارث بن عمرو. فقال زهير لبنيه: إنّ هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه. فقالت أخته لبنيها: أ يزوركم خالكم فتوثقوه و تحرموه! فخلّوه. فقالت تماضر لأخيها الحارث: إنه ليريبني [اكبئنانك و قروبك، فلا يأخذنّ فيك] ما قال زهير؛ فإنه رجل بيذارة غيذارة شنوءة(5). قال: ثم حلبوا له وطبا و أخذوا منه يمينا ألاّ يخبر عنهم و لا ينذر بهم أحدا. قال أبو عبيدة: و زعم أبو حيّة النّميريّ أنه لمّا أتوه بقراهم أراهم أنه يشربه في الظّلمة و جعل يهوي به إلى جيبه فيصبّه بين سرباله و صدره أسفا و غيظا. قال: و كان الذي حلب له الوطب و قراه الحارث بن زهير، و به سمّي. قال: فخرج يطير حتّى أتى عامرا عند ناديهم، فأتى حاذة(6) أو شجرة غيرها فألقى الوطب تحتها و القوم ينظرون، ثم قال: أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه. فقال أهل المجلس: هذا رجل مأخوذ عليه [عهد] و هو يخبركم خبرا. فأتوه فإذا هو الحارث بن عمرو، و ذاقوا اللّبن فإذا هو حلو لم يقرص بعد، فقالوا: إنه ليخبرنا أنّ طلبنا قريب. فركب معه ستّة فوارس لينظروا ما الخبر، و هم خالد بن جعفر بن كلاب على حذفة، و حندج بن البكّاء، و معاوية بن عبادة بن عقيل فارس الهرّار و هو الأخيل جدّ ليلى الأخيلية - قال: و الأخيل هو معاوية، قال: و هو يومئذ غلام له ذؤابتان، و كان/أصغر من ركب - و ثلاثة فوارس من سائر بني عامر؛ فاقتصّوا أثر السير، حتى إذا رأوا إبل بني جذيمة نزلوا عن الخيل. فقالت النساء: إنا لنرى حرجة(7) من عضاه أو غابة رماح بمكان لم نكن نرى به شيئا، ثم راحت الرّعاء فأخبروا بمثل ما للنساء. قال:

و أخبرت راعية أسيد بن جذيمة أسيدا بمثل ذلك؛ فأتى أسيد أخاه زهيرا فأخبره بما أخبرته به الرّاعية و قال: إنما رأت خيل بني عامر و رماحها. فقال زهير: «كلّ أزبّ(8) نفور» - فذهبت مثلا؛ و كان أسيد كثير الشّعر خناسيا(9) - و أين بنو عامر! أمّا بنو كلاب فكالحيّة إن تركتها تركتك، و إن وطئتها عضّتك. و أمّا بنو كعب فإنهم يصيدون اللأي

1- العشراء من النوق: التي مضى لحملها عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليها هذا الاسم إلى ما بعد الوضع، فهي بعد الوضع عشراء أيضا. قال ابن الأثير: قد اتسع في هذا حتى قيل لكل حامل عشراء. و الشول: جمع شائلة، على غير قياس، و هي الناقة التي أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فخف لبنها و ارتفع ضرعها.

2- دمخ: جبل.

3- في «الأصول»: «زودت الحارث» بالتاء، و هو تحريف؛ إذ ليس في الكلام هنا ما يرجع إليه الضمير.

4- في «أ، م»: «بالحريثة». و لم نجد هذا الاسم في مظانه.

5- ورد بعض هذه الكلمات في «الأصول» محرفا تحريفا شنيعا. و التكملة و التصويب من «أمالي السيد المرتضى»، و الاكبئنان هنا: الغم. و القروب: السكوت. و قال الأثرم: «و البيذارة: الكثير الكلام. و العيذان: السيئ الخلق». و الشنوءة المبغض. (راجع «أمالي السيد المرتضى».).

6- الحاذة: واحدة الحاذ، و هو ضرب من الشجر.

7- الحرجة: الغيضة أي الشجر الكثير الملتف. و العضاه من الشجر: كل ما له شوك، و قيل هو أعظم الشجر.

8- الزبب: كثرة الشعر و طوله. و البعير الأزب، و هو الذي يكثر شعر حاجبيه، ينفر إذا ضربت الريح شعرات حاجبيه.

9- كذا في «الأصول»، و لم تجد لها معنى. فلعل «خناسيا» محرفة عن «جبان» أو ما يشبهها.

(يريد الثور الوحشيّ). و أمّا بنو نمير فإنهم يرعون إبلهم(1) في رءوس الجبال. و أمّا بنو هلال فيبيعون العطر. قال:

فتحمّل عامّة بني رواحة، و آلي زهير لا يبرح مكانه حتى يصبح. و تحمّل من كان معه غير ابنيه ورقاء و الحارث.

قال: و كان لزهير ربيئة(2) من الجنّ فحدّثه(3)/ببعض أمرهم حتى أصبح، و كانت له مظلّة دوج يربط فيها أفراسه لا تريمه(4) حذرا من الحوادث. قال: فلمّا أصبح صهلت فرس منها حين أحسّت بالخيل و هي القعساء. فقال زهير: ما لها؟! فقال ربيئته: أحسّت الخيل فصهلت إليهن. فلم تؤذنهم(5) بهم إلا و الخيل دوائس(6)/محاضير بالقوم غديّة. فقال زهير و ظنّ أنهم أهل اليمن: يا أسيد ما هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين تعمّي حديثهم منذ اللّيلة.

قال: و ركب أسيد فمضى ناجيا. قال: و وثب زهير و كان شيخا نبيلا(7) فتدثّر القعساء فرسه، و هو يومئذ شيخ قد بدن و هو يومئذ عقوق متّهم، و اعرورى(8) ورقاء و الحارث ابناه فرسيهما، ثم خالفوا جهة ما لهم ليعمّوا على بني عامر مكان ما لهم فلا يأخذوه. فهتف هاتف من بني عامر: يا ليحامر - يريد يحامر و هو شعار لأهل اليمن - لأن يعمّي على الجذميّين(9) من القوم. فقال زهير: هذه اليمن، قد علمت أنها أهل اليمن! و قال لابنه ورقاء: انظر يا ورقاء ما ترى؟ قال ورقاء: أرى فارسا على شقراء يجهدها و يكدّها بالسّوط قد ألحّ عليها (يعني خالدا). فقال زهير:

«شيئا(10) ما يريد السّوط إلى الشّقراء» فذهبت مثلا، و قال في المرة الثانية: «شيئا ما يطلب السّوط إلى الشقراء» و هي حذفة فرس خالد بن جعفر، و الفارس خالد بن جعفر. قال: و كانت الشقراء من خيل غنيّ. قال: و تمرّدت(11) القعساء بزهير؛ و جعل خالد يقول: لا نجوت إن نجا مجدّع (يعني زهيرا). فلمّا تمعّطت(12) القعساء بزهير و لم تتعلّق بها حذفة، قال خالد لمعاوية الأخيل بن عبادة و كان على الهرّار (حصان أعوج)(13): أدرك معاوي، فأدرك معاوية زهيرا، و جعل ابناه ورقاء و الحارث يوطّشان(14) عنه (أي عن أبيهما). قال فقال خالد: اطعن يا معاوية/في نساها، فطعن في إحدى رجليها فانخذلت القعساء بعض الانخذال و هي في ذلك تمعّط. فقال زهير: اطعن الأخرى، يكيده بذلك لكي تستوي رجلاها فتحامل(15). فناداه خالد: يا معاوية أفدّ طعنتك (أي اطعن مكانا واحدا)، فشعشع الرّمح في رجلها فانخذلت. قال: و لحقه خالد على حذقة فجعل يده وراء عنق زهير، فاستخفّ به

1- في «ح»: «يرعون إليهم».

2- ربيئة: طليعة يستطلع له الأشياء و يخبره بها.

3- في «الأصول»: «فحدثته».

4- لا تريمه: لا تبرحه.

5- تؤذنهم: تعلمهم.

6- يقال: أتتهم الخيل دوائس، أي يتبع بعضها بعضا. و المحاضير: جمع محضير أو محضار و هو الشديد الحضر (بالضم) أي العدو. و في «الأصول»: «دواس محاضر» و ظاهر أنه تحريف.

7- نبيلا هنا: جسيما. و تدثر فرسه: وثب عليها فركبها، و قيل: ركبها من خلفها.

8- اعرورى فلان فرسه: ركبه عريانا أي ليس عليه سرج.

9- نسبة إلى «جذيمة». و في «الأصول»: «الجذيميين».

10- «ما» زائدة. و هو يضرب لمن طلب حاجة و جعل يدنو من قضائها و الفراغ منها.

11- تمردت هنا: طغت و جاوزت الحد في عدوها.

12- التمعط هنا: ضرب من العدو. و في «لسان العرب»: «التمعط في حضر الفرس أن يمد ضبعيه حتى لا يجد مزيدا و يحبس رجليه حتى لا يجد مزيدا للحاق، و يكون ذلك منه في غير الاجتلاط (الغضب) يملخ بيديه و يضرح برجليه في اجتماعهما كالسابح».

13- في «الأصول»: «حصان عوج». و الأعوج من الخيل: ما اعوجت قوائمه، و يستحب ذلك فيها.

14- يوطشان: يدفعان.

15- أي فنتحامل، فحذفت التاء.

عن الفرس حتى قلبه، و خرّ خالد فوقع فوقه، و رفع المغفر عن رأس زهير و قال: يا لعامر اقتلونا معا! فعرفوا أنّهم بنو عامر. فقال ورقاء: وا انقطاع ظهراه! إنها لبنو عامر! سائر اليوم. و قال غيره: فقال بعض بني جذيمة: وا انقطاع ظهري!. قال: و لحق حندج بن البكّاء و قد حسر خالد المغفر عن رأس زهير فقال: نحّ رأسك يا أبا جزء، لم يحن(1) يومك. قال: فنحّى خالد رأسه و ضرب حندج رأس زهير، و ضرب ورقاء بن زهير رأس خالد بالسيف و عليه درعان، و كان أسجر(2) العينين، أزبّ أقمر، مثل الفالج، فلم يغن شيئا. قال: و أجهض(3) ابنا زهير القوم عن زهير فانتزعاه مرتثّا. فقال خالد حين استنقذ زهيرا ابناه. وا لهفتاه! قد كنت أظنّ أن هذا المخرج سيسعكم(4)! و لام حندجا. فقال حندج و كان لجلالته غصة(5) إذا تكلم. السيف حديد، و الساعد شديد، و قد ضربته و رجلاي متمكّنتان في الركابين و سمعت السيف قال قب حين وقع برأسه، و رأيت على ظبته مثل ثمر المرار، و ذقته فكان حلوا. /فقال خالد: قتلته بأبي أنت!. و نظر بنو زهير فإذا الضربة قد بلغت الدّماغ. و نهي بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء، فاستسقاهم فمنعوه حتى نهك عطشا. قال: و ذلك أنّ المأموم(6)/يخاف عليه الماء، حتى بلغ(7) منه العطش، فجعل يهتف: أ ميّت أنا عطشا(8)، و ينادي: يا ورقاء - قال أبو حيّة: فجعل ينادي يا شأس - فلمّا رأوا ذلك سقوه فمات لثالثة، فقال ورقاء بن زهير:

شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده:

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد *** فأقبلت أسعى كالعجول(9) أبادر

إلى بطلين ينهضان كلاهما *** يريغان نصل السّيف و السيف نادر(10)

فشلّت يميني إذ ضربت ابن جعفر *** و أحرزه منّي الحديد المظاهر

قال أبو عبيدة: و سمعت أبا عمرو بن العلاء ينشد هذا البيت فيها:

و شلّت يميني يوم أضرب خالدا *** و شلّ بناناها و شلّ الخناصر

قال أبو عبيدة: و أنشدني أبو سرّار أيضا فيها:

فيا ليتني من قبل أيّام خالد *** و يوم زهير لم تلدني تماضر

تماضر بنت عمرو بن الشّريد بن رياح بن يقظة بن عصيّة بن خفاف السّلميّ امرأة زهير بن جذيمة. قال أبو عبيدة:

1- وردت هذه الكلمة محرفة في «الأصول» بين لم «يجز» و «لم يجز».

2- سجرة العين أن يخالط بياضها حمرة. و أزب: كثير الشعر. و القمرة: لون إلى الخضرة، أو هي بياض فيه كدرة. و الفالج هنا: الجمل الضخم ذو السنامين.

3- أي نحياهم عنه و غلباهم عليه. و المرتث: الذي يحمل من المعركة و به رمق.

4- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «سينفعكم».

5- كذا في أكثر الأصول. و في «ج»: «لجلالا به غصة...». و لعل صوابه: «و كان لجلاجا به غصة إذا تكلم». و اللجلاج: الذي يجول لسانه

في شدقه فلا يبين كلامه.

6- المأموم: الذي أصيب في أم رأسه. و أم الرأس: الدماغ.

7- في «الأصول»: «حتى بلغه العطش».

8- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «أمية أنا عطش» و هو تحريف.

9- العجول من النساء و الإبل: الواله التي فقدت ولدها الثكلى لعجلتها في جيئتها و ذهابها جزعا.

10- أراغ الشيء: طلبه و أراده. و نادر: ساقط.

أنشدني أبو سرّار(1) فيها:

لعمري لقد بشّرت بي إذ ولدتني *** فما ذا الذي ردّت عليك البشائر

شعر لخالد بن جعفر يمنّ على هوازن بقتله زهير:

و قال خالد بن جعفر يمنّ على هوازن بقتله زهيرا و يصدق الحديث - قال أبو عبيدة أنشدنيه مالك بن عامر بن عبد اللّه بن بشر بن عامر ملاعب الأسنّة -:

/

بل كيف تكفرني هوازن بعد ما *** أعتقهم فتوالدوا أحرارا

و قتلت ربّهم زهيرا بعد ما *** جدع الأنوف و أكثر الأوتارا(2)

و جعلت حزن بلادهم و جبالهم *** أرضا فضاء سهلة و عشارا

و جعلت مهر بناتهم و دمائهم *** عقل الملوك هجائنا أبكارا(3)

قال أبو عبيدة: أ لا ترى أنه ذكر في شعره أنّ زهيرا كان ربّهم و قد كان جدعهم، و أنه قتله من أجلهم لا من أجل غنيّ، و أن غنيّا ليسوا من ذلك(4) في ذكر و لا لهم فيه معنى.

شعر لورقاء بن زهير:

قال: و قال ورقاء بن زهير:

أمّا كلاب فإنّا نسالمها *** حتى يسالم ذئب الثّلّة(5) الرّاعي

بنو جذيمة حاموا حول سيّدهم *** إلاّ أسيدا نجا إذ ثوب الداعي

شعر للفرزدق ينعي فيه على بني عبس ضربة ورقاء خالدا:

قال: ثم نعى الفرزدق على بني عبس ضربة ورقاء خالدا، و اعتذر بها إلى سليمان بن عبد الملك فقال:

إن يك سيف خان أو قدر أبى(6) *** لتأخير نفس حتفها غير شاهد

فسيف بني عبس و قد ضربوا به *** نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها *** و تقطع أحيانا مناط القلائد

و لو شئت قد السيف ما بين عنقه *** إلى علق تحت الشّراسيف(7) جامد

ص: 61

1- في «جميع الأصول» هنا: «أبو يسار». و قد ورد هذا الاسم في هذه القصة أكثر من مرة كما وضعناه.

2- كذا في «ج» و كتاب «الكامل» لابن الأثير. و في «أكثر الأصول»: «و أكثر الأوزارا».

3- في كتاب «الكامل» لابن الأثير: «و بكارا».

4- في «الأصول»: «و أن غنيا ليس...».

5- الثلة (بالفتح): الجماعة من الغنم، أما الثلة (بالضم) فالجماعة من الناس.

6- كذا في «ج» و «النقائض» (ص 384) و فيه الخرم، و هو حذف الحرف المتحرك من أول البيت، و يقع في أوّل القصيدة. و في «سائر الأصول»: فإن يك سيف خان أو قدر أتى

7- العلق: الدم ما كان، و قيل هو الدم الجامد الغليظ. و الشراسيف: أطراف الأضلاع، واحدها شرسوف.

/قال: و كان ضلع بني عبس مع جرير، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات. هذه رواية أبي عبيدة.

و أمّا الأصمعيّ فإنه ذكر، فيما رواه الأثرم عنه، قال حدّثني غير واحد من الأعراب أنّ سبب مقتل زهير العبسيّ أنّ ابنه شأس بن زهير وفد إلى بعض الملوك فرجع/و معه حباء(1) قد حبي به، فمرّ بأبيات من بني عامر بن صعصعة و أبيات من بني غنيّ على ماء لبني عامر أو غيرهم - الشكّ من الأصمعيّ -. قال: فاغتسل، فناداه الغنويّ: استتر، فلم يحفل بما قال. فقال: استتر ويحك! البيوت بين يديك؛ فلم يحفل. فرماه الغنويّ رياح بن الأسكّ بسهم أو ضربه فقتله و الحيّ خلوف(2)، فاتّبعه أصحاب شأس و هم في عدّة، فركب الفلاة و اتّبعوه فرهقوه(3)، فقتل حصينا و أخاه(4) حصينا، ثم نجا على وجهه حتى أدركه العطش، فلجأ إلى منزل عجوز من بني إنسان (و بنو إنسان حيّ من بني جشم). فقالت له العجوز: لا تبرح حتى يأتي بنيّ فيأسروك. قال الأصمعيّ: فأخبرني مخبران اختلفا؛ فقال أحدهما: إنه أخذ سكّينا فقطع عصبتي يديها، و قال الآخر: أخذ حجرا فشدخ به رأسها، ثم أنشأ يقول:

و لأنت أشجع من أسامة أو *** منّي غداة وقفت للخيل

إذ(5) الحصين لدى الحصين كما *** عدل الرّجازة جانب الميل

و إذا أنهنهها(6) لأفتلها *** جاشت ليغلب قولها قولي

/قال: فضرب للزمان ضربانه(7)، فالتقى خالد بن جعفر بن كلاب و زهير بن جذيمة العبسيّ. فقال خالد لزهير:

أ ما آن لك أن تشتفي و تكفّ؟ - قال الأصمعيّ: يعني مما قتل بشاس - قال: فأغلظ له زهير و حقّره. قال الأصمعيّ:

و أخبرني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيّب أنّ ذلك الكلام بينهما كان بعكاظ عند قريش. فلمّا حقّره زهير و سبّه قال خالد: عسى إن كان! يتهدّده ثم قال: اللّهمّ أمكن يدي هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعنّي عليه. فقال زهير: اللهم أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خلّ بيننا. فقالت قريش: هلكت و اللّه يا زهير!. فقال: إنكم و اللّه الذين لا علم لكم.

قال الأصمعيّ: ثم نرجع إلى حديث العبسيّين و العامريّين، و بعضه من حديث أبي عمرو بن العلاء. قال:

فجاء(8) أخو امرأة زهير - و كانت امرأته فاطمة بنت الشّريد السّلميّة، و هي أمّ قيس بن زهير، و كان زهير قد أساء إليهم في شيء - فجاء أخوها إلى بني عامر فقال: هل لكم في زهير بن جذيمة ينتج إبله ليس معه أحد غير أخيه أسيد بن جذيمة و عبد راع لإبله! و جئتكم من عنده، و هذا لبن حلبوه لي. فذاقوه فإذا هو ليس بحازر(9)، فعلموا أنّه قريب. فخرج حندج بن البكّاء و خالد بن جعفر و معاوية(10) بن عبادة بن عقيل، ليس على أحدهم درع غير خالد

1- الحباء: العطاء.

2- خلوف: غيب.

3- رهقوه: غشوه و لحقوه.

4- هو ابن عمه، كما تقدّم.

5- في «الأصول» هنا: «عدل الحصين لدى الحصين...». و قد تقدّمت هذه الأبيات في ص 80 من هذا الجزء مع اختلاف في الرواية.

6- نهنهه: زجره و كفه. و فلته عن كذا: صرفه و لواه، مثل لفته عنه. و جاشت: هاجت و غلت كما تجيش القدر.

7- يقولون: ضرب الدهر ضربانه، و من ضربانه، و من ضربه إذا ذهب بعضه.

8- في «الأصول»: «فجاءه» و لا يستقيم بها الكلام.

9- في «ب، س»: «بخاثر».

10- في «الأصول»: هنا: «و عمرو بن عبادة بن عقيل». و التصويب مما تقدّم في ص 85 و 87.

كانت عليه درع أعاره إيّاها عمرو بن يربوع الغنويّ، و كانت درع ابن الأجلح المراديّ(1) كان قتله فأخذها منه. و كان يقال لها ذات الأزمّة. و إنما سميت بذلك لأنها كانت لها عرى تعلّق فضولها/بها إذا أراد أن يشمّرها. قال:

فطلعوا. فقال أسيد بن جذيمة - قال الأصمعيّ: و كان أسيد شيخا كبيرا، و كان كثير شعر الوجه و الجسد - أتيت و ربّ الكعبة. فقال زهير: «كلّ أزبّ نفور» فذهبت مثلا. فلم يشعر بهم زهير إلاّ في سواد اللّيل، فركب فرسه ثم وجّهها، فلحقه قوم أحدهم حندج أو العقيليّ - و اختلفوا فيهما - فطعن فخذ الفرس طعنة خفيفة، ثم أراد أن يطعن الرّجل الصحيحة، فناداه خالد: يا فلان لا تفعل/فيستويا، أقبل على السقيمة. قال: فطعنها فانخذلت الفرس فأدركوه. فلما أدركوه رمى بنفسه، و عانقه خالد فقال: اقتلوني و مجدّعا!. فجاء حندج - و كان أعجم اللّسان - فقال لخالد و هو فوق زهير: نحّ رأسك يا أبا جزء، فنحّى رأسه، فضرب حندج زهيرا ضربة على دهش، ثم ركبوا و تركوه. قال فقال خالد: ويحك يا حندج ما صنعت؟ فقال: ساعدي شديد، و سيفي حديد، و ضربته ضربة فقال السيف قب، و خرج عليه مثل ثمرة المرار، فطعمته فوجدته حلوا (يعني دماغه). قال: إن كنت صدقت فقد قتلته. قال:

فجاء قوم زهير فاحتملوه و منعوه الماء كراهة أن يبتلّ دماغه فيموت. فقال: يا آل غطفان أ أموت عطشا! فسقي فمات، و ذلك بعد أيّام. ففي ذلك يقول ورقاء بن زهير و كان قد ضرب خالدا ضربة فلم يصنع شيئا، فقال:

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد *** فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

إلى بطلين ينهضان كلاهما *** يريدان نصل السّيف و السيف نادر

قال الأصمعيّ: فضرب الدهر من ضربانه إلى أن التقى خالد بن جعفر و الحارث بن ظالم.

1- في «ب، س»: «المراري».

8 - ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب

مقتل خالد بن جعفر و سببه:

قتله الحارث بن ظالم المرّيّ. قال أبو عبيـدة: كان الـذي هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم و خالـد بن جعفر أنّ خالد بن جعفر أغار على رهـط الحـارث بن ظالم من بني يربوع بن غيظ بن مرّة و هم في واد يقال له حراض، فقتل الرجال حتى أسـرع(1)، و الحارث يومئذ غلام، و بقيت النساء. و زعموا أنّ ظالما هلك في تلك الوقعـة من جراحة أصابته يومئذ. و كانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النّعم، فلمّا بقين بغير رجال طفقن يدعون الحارث، فيشدّ عصاب(2) الناقـة ثم يحلبنها، و يبكين رجالهن و يبكي الحارث معهن، فنشأ على بغض خالد. و أردف ذلك قتل خالد زهير بن جذيمة؛ فاستحقّ العداوة في غطفان. فقال خالد بن جعفر في تلك الوقعة:

تركت نساء يربوع بن غيظ *** أرامل يشتكين إلى وليد(3)

يقلن لحارث جزعا عليه *** لك الخيرات مالك لا تسود

تركت بني جذيمة في مكرّ *** و نصرا قد تركت لدى الشهود

و منّي سوف تأتي قارعات *** تبيد المخزيات و لا تبيد

و قيس ابن المعارك غادرته *** قناتي في فوارس كالأسود

و حلّت بركها ببني جحاش *** و قد مدّوا إليها من بعيد

و حيّ بني سبيع يوم ساق *** تركناهم كجارية و بيد(4)

/قال أبو عبيـدة. فمكث خالد بن جعفر برهة(5) من دهره، حتى كان(6) من أمره و أمر زهير بن جذيمـة ما كان، و خالد يومئذ رأس هوازن. فلمّا اسـتحقّ عداوة عبس و ذبيان أتى النّعمان بن المنذر(7) ملك الحيرة لينظر ما قـدره عنده، و أتاه بفرس؛ فألفى عنده الحارث بن ظالم قد أهدى له فرسا فقال: أبيت اللّعن، نعم صباحك، و أهلي

1- كذا في «الأصول»: و لعل صوابها. «حتى أسرف».

2- عصاب الناقـة: ما تشـدّ به لتدر؛ يقال: عصب الناقة يعصـيها عصـبا و عصابا إذا شد فخذيها أو أدنى منخريها بحبل لتدر. و يقال للحبل الذي تشد به عصاب.

3- تقدّمت هذه الأبيات ضمن أبيات من هذه القصيدة في صفحة 83 مع اختلاف في بعض الكلمات.

4- راجع الحاشية رقم 1 من صفحة 84 من هذا الجزء.

5- البرهة (بالضم و بالفتح): المدّة الطويلة.

6- في «الأصول»: «حتى إذا كان» بزيادة «إذا». و ظاهر أن الكلام لا يستقيم بها.

7- الذي في «الكامل» لابن الأثير أن الملك الذي اجتمع عنده خالد بن جعفر و الحارث بن ظالم ثم قتل الحارث خالدا في جواره ثم قتل

ابنه بعـد ذلك فأخـذ يطارد الحارث لقتله ابنه و من اسـتجار به، هو النعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة. ثم قال ابن الأثير بعد كلام كثير: و قيل إن الملك الذي قتل ابنه كان الأسود بن المنذر. و من هذا نفهم معنى إلحاح الأسود في مطاردة الحارث في صـفحة 106 و ما بعدها؛ فإن ذلك بناء على هذا القول الآخر.

فداؤك! هذا فرس من خيل بني مرّة(1)، فلن تؤتى(2) بفرس يشقّ غباره، إن لم تنسبه(3) انتسب، كنت ارتبطته لغزو بني عامر بن صعصعة؛ /فلمّا أكرمت خالدا أهديته إليك. و قام الربيع بن زياد العبسيّ فقال: أبيت اللّعن! نعم صباحك، و أهلي فداؤك! هذا فرس من خيل بني عامر ارتبطت أباه عشرين سنة لم يخفق في غزوة و لم يعتلك(4) في سفر، و فضله على هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم. قال: فغضب النّعمان عند ذلك و قال: يا معشر قيس، أرى خيلكم أشباها(5)! أين اللواتي كأنّ أذنابها شقاق(6) أعلام و كأنّ مناخرها و جار(7) الضّباع، و كأنّ عيونها بغايا النساء، /رقاق المستطعم(8) تعالك(9) اللّجم في أشداقها، تدور على مذاودها(10) كأنما يقضمن(11) حصى. قال خالد: زعم الحارث - أبيت اللّعن - أنّ تلك الخيل خيله و خيل آبائه. فغضب النعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم. فلمّا أمسوا اجتمعوا عند قينة من أهل الحيرة يقال لها بنت عفزر يشربون. فقال خالد: تغنّي:

دار لهند و الرّباب و فرتنى *** و لميس قبل(12) حوادث الأيّام

و هنّ خالات الحارث بن ظالم، فغضب الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظا و غضبا، و قال: ما تزال تتبع أولى بآخره!. قال أبو عبيدة: ثم إنّ النّعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك و قدّم لهم تمرا؛ فطفق خالد بن جعفر يأكل و يلقي نوى ما يأكل من التمر بين يدي الحارث. فلمّا فرغ القوم قال خالد بن جعفر: أبيت اللعن! انظر إلى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النّوى! ما ترك لنا تمرا إلاّ أكله. فقال الحارث: أمّا أنا فأكلت التمر و ألقيت النّوى، و أمّا أنت فأكلته بنواه. فغضب خالد و كان لا ينازع، فقال: أ تنازعني يا حارث و قد قتلت حاضرتك و تركتك يتيما في حجور النساء!. فقال الحارث: ذلك يوم لم أشهده، و أنا مغن اليوم بمكاني. قال خالد: فهلاّ تشكر لي إذا قتلت زهير بن جذيمة و جعلتك سيّد غطفان!. قال: بلى أشكرك على ذلك. فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عفزر، فشرب عندها و قال لها تغنّي(13):

تعلّم أبيت اللّعن أنّي فاتك *** من اليوم أو من بعده بابن جعفر

/أ خالد قد نبّهتني غير نائم *** فلا تأمنن فتكي يد الدهر و احذر

1- في «الأصول»: «من خيل بني قرة» و هو تحريف؛ إذ هو يفتخر بخيله و خيل آبائه من بني مرة.

2- في «الأصول»: «نؤتي» بالنون.

3- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «إن لم ننسبه» بالنون.

4- لعل صوابه: «... و لم يعتلل».

5- في «أكثر الأصول»: «أي خيلكم أشباهنا». و التصويب في «ج».

6- في «الأصول الخطية» جميعا: «شقاق الحلام». و الشقاق: جمع شقة و هي نصب الشيء أو القطعة منه إذا شق. و الشقاق أيضا: جمع الشقة (بالضم) ضرب من الثياب معروف، و هي السبية المستطيلة.

7- الوجار (بالفتح و بالكسر): حجر الضبع و غيرها. و كان ينبغي أن يكون «وجر الضباع» أو «أوجرة الضباع» ليكون تشبيه جمع بجمع.

8- مستطعم الفرس: حجفلته و ما حولها.

9- كذا في «ب، س». و لم نجد في «معجمات اللغة» التي بين أيدينا هذا الفعل من علك. و في «الأصول الخطية»: «تهالك اللجم...».

10- المذاود: جمع مذود (وزان منبر) و هو معتلف الدابة. و في «الأصول»: «على مداودها» بالدال المهملة و هو تصحيف.

11- القضم: الأكل بأطراف الأسنان أو هو أكل الشيء اليابس.

12- في «الأصول»: «قول حوادث الأيام». و التصويب للأستاذ المرحوم الشنقيطي في نسخته الخاصة من طبع بلاق.

13- الذي في «ج»: «فشرب عندها ثم تغنى و قال».

أعيّرتني أن نلت منّا فوارسا *** غداة حراض مثل جنّان عبقر(1)

أصابهم الدّهر الختور بختره(2) *** و من لا يق اللّه الحوادث يعثر

فعلّك يوما أن تنوء بضربة *** بكفّ فتى من قومه غير جيدر(3)

يغصّ بها عليا هوازن، و المنى *** لقاء أبي جزء(4) بأبيض مبتر

قال: فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يحفل به. فقال عبد اللّه بن جعدة – و هو ابن أخت خالد، و كان رجل قيس رأيا – لابنه: يا بنيّ ائت أبا جزء فأخبره أنّ الحارث بن ظالم سفيه موتور، فأخف مبيتك الليلة؛ فإنه قد غلبه الشراب. فإن أبيت فاجعل بينك و بينه رجلا ليحرسك. فوضعوا رجلا بإزائه، و نام ابن جعدة دون الرجل، و خالد من خلف الرجل.

و عرف أنّ ابن عتبة و ابن جعدة يحرسان خالدا. فأقبل الحارث فانتهى إلى ابن جعدة فتعدّاه، و مضى إلى الرجل و هو يحسبه خالدا فعجنه بكلكله حتى كسره و جعل/يكدمه(5) لا يعقل، فخلّى عنه و الرجل تحته، و مضى إلى خالد و هو نائم، فضربه بالسّيف حتى قتله. فقال لعروة(6): أخبر الناس أنّي قتلت خالدا. و قال في ذلك:

ألا سائل النّعمان إن كنت سائلا *** و حيّ كلاب هل فتكت بخالد

عشوت عليه(7) و ابن جعدة دونه *** و عروة يكلا(8) عمّه غير راقد

/و قد نصبا رجلا(9) فباشرت جوزه *** بكلكل مخشيّ العداوة حارد

فأضربه بالسّيف يأفوخ(10) رأسه *** فصمّم حتى نال نوط القلائد

و أفلت عبد اللّه منّي بذعره *** و عروة من بعد ابن جعدة شاهدي

فلمّا أبت غطفان أن تجيره غضبت لذلك بنو عبس. و بعث إليه قيس بن زهير بن جذيمة بهذه الأبيات:

شعر قيس بن زهير للحارث حين قتل خالدا و إجابته له:

جزاك اللّه خيرا من خليل *** شفى من ذي تبولته(11) الخليلا

أزحت بها جوى و دخيل حزن *** تمخّخ(12) أعظمي زمنا طويلا

1- عبقر: موضع بالبادية كانت العرب تزعم أنه كثير الجن.

2- الختر: الخديعة أو هو أسوأ الغدر و أقبحه.

3- غير جيدر: غير قصير.

4- أبو جزء: كنية خالد بن جعفر. و أبيض مبتر أي سيف قاطع.

5- الكدم: العض و التأثير بحديدة و نحوها. و في «الأصول الخطية»: «يكرمه». و في «ب، س»: «و جعل يكلمه».

6- هو عروة بن عتبة و هو ابن أخي خالد بن جعفر، كما يفهم من الشعر الذي بعده.

7- في «أ، م»: «عشوت إليه».

8- يكلأ: يحفظ و يحرس. و هو مهموز. و لو ترك همزة جاز أن يقال فيه يكلا مثل يخشى (كما ورد هنا) و يكلو مثل يدعو. كذلك قال الفراء. («لسان العرب» في مادة كلأ).

9- الرجل (بسكون الجيم): لغة في الرجل (بضمها). و جوز كل شيء: وسطه. و حارد: غاضب.

10- اليأفوخ: ملتقى عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره، و هو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل. و صمم: خمضي. و نوط: جمع نياط. و نياط كل شيء معلقة. و في «الأصول»: نيط القلائد» و هو تحريف.

11- التبولة: جمع تبل (بالفتح) و هو هنا الثأر.

12- تمخخ العظم: أخرج مخه.

كسوت الجعفريّ أبا جزيء *** و لم تحفل به سيفا صقيلا

أبأت(1) به زهير بني بغيص *** و كنت لمثلها و لها حمولا

كشفت له القناع و كنت ممن *** يجلّي العار و الأمر الجليلا

فأجابه الحارث بن ظالم:

أتاني عن قيس بني زهير *** مقالة كاذب ذكر التّبولا

فلو كنتم كما قلتم لكنتم *** لقاتل ثأركم حرزا أصيلا

و لكن قلتم جاور سوانا *** فقد جلّلتنا حدثا جليلا

و لو كانوا هم قتلوا أخاكم *** لما طردوا الذي قتل القتيلا

إباء غطفان جوار الحارث و لحوقه ببني تميم و طلب بني عامر له:

قال أبو عبيدة: فلمّا منعته غطفان لحق بحاجب بن زرارة، فأجاره و وعده أن يمنعه من بني عامر. و بلغ بني عامر مكانه في بني تميم، فساروا في عليا هوازن. /فلمّا كانوا قريبا من القوم في أوّل واد من أوديتهم، خرج رجل من بني غنيّ ببعض البوادي، فإذا هو بامرأة من بني تميم ثم من بني حنظلة تجتني الكمأة، فأخذها فسألها عن الخبر، فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زرارة و ما وعده من نصرته و منعه. فانطلق بها الغنويّ إلى رحله؛ فانسلّت في وسط من الليل، فأتى الغنويّ الأحوص بن جعفر، فأخبره أنّ المرأة قد ذهبت و قال: هي منذرة عليك.

فقال له الأحوص: و متى عهدك بها؟ قال: عهدي بها و المنيّ يقطر من فرجها. قال: و أبيك إنّ عهدك بها لقريب.

و تبع المرأة عامر بن مالك يقصّ أثرها حتى انتهى إلى بني زرارة و المرأة عند حاجب و هو يقول لها: أخبريني أيّ قوم أخذوك؟ قالت: أخذني قوم يقبلون بوجوه الظّباء، و يدبرون بأعجاز النّساء. قال: أولئك بنو عامر. قال: فحدّثيني من في القوم؟ قالت: رأيتهم يغدون على شيخ كبير لا ينظر بمأقيه(2) حتى يرفعوا له من حاجبيه. قال: ذلك الأحوص بن جعفر. قالت: و رأيت شابا شديد الخلق، كأنّ شعر ساعديه/حلق الدّرع يعذم(3) القوم بلسانه عذم الفرس العضوض. قال: ذلك عتبة بن بشير بن خالد. قالت: و رأيت كهلا إذا أقبل معه فتيان(4)، يشرف القوم إليه، فإذا نطق أنصتوا. قال: ذلك عمرو بن خويلد، و الفتيان ابناه زرعة و يزيد. قالت: و رأيت شابّا طويلا حسنا، إذا تكلّم بكلمة أنصتوا لها ثم يؤلّون(5) إليه كما تؤلّ الشّول(6) إلى فحلها. قال: ذلك عامر بن مالك. قال أبو عبيدة:

فدعا حاجب الحارث بن ظالم فأخبره برأيه و خبر القوم و قال: يا بن ظالم، هؤلاء بنو عامر قد أتوك، فما أنت صانع؟ قال الحارث: ذلك إليك، إن شئت أقمت/فقاتلت(7) القوم، و إن شئت تنحّيت. قال حاجب: تنحّ عنّي

1- أبأت القاتل بالقتيل. قتلته به. و الظاهر أن في الكلام قلبا، أي أبأته بزهير بني بغيض.

2- الماق: لغة في موق العين و هو مؤخرها أو مقدّمها.

3- العذم: العض. و المراد بعذم اللسان اللوم و التعنيف.

4- ظاهر أن في الكلام نقصا، و تقدير الكلام: «... إذا أقبل أقبل معه فتيان» أو «... كان معه فتيان».

5- الأل: السرعة.

6- الشول: جمع شائلة و هي الناقة التي خف لبنها و ارتفع ضرعها.

7- في «الأصول الخطية»: «فقابلت» بالياء الموحدة.

غير ملوم. فغضب الحارث من ذلك و قال:

شعر الحارث حين أمره حاجب بالتنحي و رد حاجب عليه:

لعمري لقد جاورت في حيّ وائل *** و من وائل جاورت في حيّ تغلب

فأصبحت في حيّ الأراقم لم يقل *** لي القوم يا حار بن ظالم اذهب

و قد كان ظنّي إذ عقلت إليكم *** بني عدس ظنّي بأصحاب يثرب

غداة أتاهم تبّع في جنوده *** فلم يسلموا المرين(1) من حيّ يحصب

فإن تك في عليا هوازن شوكة *** تخاف ففيكم حدّ ناب و محلب

و إن يمنع المرء الزّراريّ جاره *** فأعجب بها من حاجب ثم أعجب

فغضب حاجب فقال:

لعمر أبيك الخير يا حار إنني *** لأمنع جارا من كليب بن وائل

و قد علم الحيّ المعدّيّ أنّنا *** على ذاك كنّا في الخطوب الأوائل

و أنّا إذا ما خاف(2) جار ظلامة *** لبسنا له ثوبي وفاء و نائل

و أنّ تميما لم تحارب قبيلة *** من النّاس إلا أولعت بالكواهل

و لو حاربتنا عامر يا بن ظالم *** لعضت علينا عامر بالأنامل

و لاستيقنت عليا هوازن أنّنا *** سنوطئها في دارها بالقنابل(3)

و لكنّني لا أبعث الحرب ظالما *** و لو هجتها لم ألف شحمة آكل

/قال: فتنحّى الحارث بن ظالم عن بني زرارة فلحق بعروض اليمامة. و دعا معبدا و لقيطا ابني زرارة فقال: سيرا في الظّعن، فموعدكما رحرحان؛ فإنّا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر. و خرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر. فقالوا: ما ترى؟ قال: أن ندعهم بمكانهم و نسبقهم إلى الظّعن. قال: فلقوها برحرحان، فاقتتلوا قتالا شديدا فأصابوها، و أسر معبد و جرح لقيط. فبعثوا بمعبد إلى رجل بالطائف كان يعذّب الأسرى. فقطّعه إربا إربا حتى قتله. و قال عامر(4) بن مالك يردّ على حاجب قوله:

1- كذا في «الأصول». و إن صحت هذه الحروف فلعل صوابه «المرأين» مثنى المرء، أو لعل «المرين» جمع مري (نسبة إلى مرة) بحذف

ياء النسب، كما يقال أشعرون جمع أشعريّ. و لم نهتد إلى هذه الحادثة التي يشير إليها الحارث بن ظالم فيما رجعنا إليه من المظان.

2- في «الأصول الخطية»: «إذا ما خاف جاء ظلامه». و في «س، ب»: «إذا ما جاء جاء...». و قد أثبتناه كما ترى لاستقامة المعنى به مع مناسبته لسياق الكلام.

3- في «الأصول»: «القبائل». و التصويب للأستاذ المرحوم الشنقيطي في نسخته. و القنابل: الجماعات من الخيل و الناس، و الواحدة قنبلة و قنبل (بالفتح فيهما).

4- في «الأصول»: «عمر بن مالك» و التصويب للمرحوم الشنقيطي في نسخته.

شعر لعامر بن مالك يرد به على حاجب:

ألكني(1) إلى المرء الزّراريّ حاجب *** رئيس تميم في الخطوب الأوائل

و فارسها في كلّ يوم كريهة *** و خير تميم بين حاف و ناعل

لعمري لقد دافعت عن حيّ مالك *** شآبيب(2) من حرب تلقّح حائل(3)

على كل جرداء السّراة طمرّة *** و أجرد خوّار العنان مناقل(4)

/نصحت له إذ قلت إن كنت لاحقا *** بقوم فلا تعدل بأبناء وائل

/و لو ألجأته(5) عصبة تغلبيّة *** لسرنا إليهم بالقنا و القنابل(6)

و لو رمتم أن تمنعوه رأيتم *** هناك أمورا غيّها غير طائل

لشاب وليد الحيّ قبل مشيبه *** و عضّت تميم كلّها بالأنامل

و قامت رجال منكم خندقيّة *** ينادون جهرا ليتنا لم نقاتل

قتل الحارث لابن النعمان:

قال: فخرج الحارث بن ظالم من فوره ذلك حتى أتى سلمى بنت ظالم و في حجرها ابن النّعمان، فقال لها: إنه لن يجيرني من النّعمان إلا تحرّمي بابنه، فادفعيه إليّ. و قد كان النّعمان بعث إلى جارات للحارث بن ظالم فسباهنّ؛ فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله.

أخذ النعمان عم الحارث فاعتذر إليه فخلى عنه، و قال شعرا:

فوثب النّعمان على عم الحارث بن ظالم فقال له: لأقتلنّك أو لتأتينّي بابن أخيك. فاعتذر إليه فخلّى عنه.

فأقبل ينطلق فقال:

يا حار إنّي(7) أحيا من مخبّأة *** و أنت أجرأ من ذي لبدة ضاري(8)

1- ألكني إلى فلان أي كن رسولي إليه. يقال: ألك بين القوم ألكا و ألوكا إذا ترسل. و الاسم منه الألوك و الألوكة و المألكة و المألك (بضم اللام فيهما) بمعنى الرسالة. فإذا عدّيته بالهمزة قلت ألكته إليه برسالة. و الأصل فيه «أألكته» بهمزتين، فأخرت الهمزة بعد اللام و خففت بنقل حركتها إلى ما قبلها و حذفت. فإن أمرت من هذا الفعل المتعدي بالهمزة قلت ألكني إليها برسالة. و كان مقتضى هذا اللفظ أن يكون معناه أرسلني إليها برسالة، إلا أنه جاء على القلب؛ إذ المعنى: كن رسولي إليها بهذه الرسالة. (عن «لسان العرب» في مادة ألك).

2- كذا في «ح». و في «أكثر الأصول»: «سبائب» و هو تحريف. و الشآبيب: جمع شؤبوب. و شؤبوب كل شيء: حده، أو الدفعة منه.

3- يقال: تلقحت الناقة إذا شالت بذنبها لترى أنها لاقح و هي ليست كذلك. و حائل: غير حامل.

4- الأجرد من الخيل: القصير الشعر، و الخيل تمدح بذلك. و السراة: الظهر. و الطمرة: أنثى الطمر (و يقال فيه الطمرير و الطمرور) و هو الفرس الجواد، أو المشمر الخلق، أو المستفز للوثب و العدو، أو الطويل القوائم الخفيف. و فرس خوار العنان: سهل المعطف (أي إذا عطف كان لينا سهل الانقياد). و المناقل من الخيل: الذي يتقي في عدوه الحجارة و هو أن يضع يديه و رجله على غير حجر لحسن نقله في الحجارة.

5- ألجأته هنا: عصمته.

6- القنابل: الجماعات من الناس و من الخيل الواحدة قنبلة و قنبل (بالفتح فيهما).

7- في «الأصول»: «إنك». و التصويب للمرحوم الشنقيطي في نسخته.

8- الضاري من السباع: الذي يضري بالصيد و يلهج بالفرائس.

قد كان بيتي فيكم بالعلاء فقد *** أحللت بيتي بين السّيل و النار

مهما أخفك على شيء تجيء به *** فلم أخفك على أمثالها حار

و لم أخفك على ليث لن تخاتله(1) *** عبل الذّراعين للأقران هصّار

و قد علمت بأنّي لن ينجّيني *** مما فعلت سوى الإقرار بالعار

فقد عدوت على النّعمان ظالمة *** في قتل طفل كمثل البدر و معطار(2)

فاعلم بأنّك منه غير منفلت *** و قد عدوت على ضرغامة شاري(3)

شعر للحارث في قتله ابن النعمان:

و قال الحارث بن ظالم في ذلك:

قفا فاسمعا أخبركما إذ سألتما *** محارب(4) مولاه، و ثكلان نادم

حسبت أبا قابوس أنّك سابقي(5) *** و لمّا تذق فتكي و أنفك راغم

أ خصيي حمار بات يكدم نحمة(6) *** أ تؤكل جاراتي و جارك سالم

تمنّيته جهرا على غير ريبة *** أحاديث(7) طسم، إنما أنت حالم

فإن تك أذوادا(8) أصبت(9) و نسوة *** فهذا ابن سلمى أمره(10) متفاقم

1- في «الأصول»: «تختله» و هو تحريف. و تخاتله: تخادعه.

2- معطار: يتعهد بالطيب و يكثر له منه. و هذا كناية عن أنه نعمة و ترف.

3- الضرغامة: الأسد، و الرجل الشجاع، فإما أن يكون على تشبيهه بالأسد أو أن ذلك أصل فيه. شاري: وصف من شري يشري (وزان فرح) إذا غضب ولج في الأمر.

4- شرح المؤلف هذا البيت فيما سيأتي (صفحة 108).

5- سيأتي في «الأصول» ص 108: «... فائت. و لما تذق ثكلا». و في «ديوان المفضليات»: «... سالم. و لما تصب ذلا». و في «الكامل» لابن الأثير: «... مخفري. و لما تذق ثكلا». و هذا البيت يرجح أن يكون الملك الذي قتل الحارث ابنه و قتل خالد بن جعفر في جواره هو النعمان بن المنذر؛ فإن «أبا قابوس» كنية له. لكن الأصمعي قال عن هذا البيت إنه ليس من القصيدة؛ لأن المقتول ابن عمرو بن الحارث جدّ النعمان الذي كان يكنى أبا قابوس، و المقتول الغلام عم أبي قابوس. (عن شرح ابن الأنباري ل «ديوان المفضليات» صفحة 616 طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة 1920 م). و يلاحظ أن كلام الأصمعي هذا لا يتفق مع ما ورد في شعر الحارث الذي رواه

صاحب «الأغاني» في هذا المقام من توجيه الخطاب إلى «النعمان». (و راجع الحاشية 3 صفحة 95 من هذا الجزء).

6- يكدم: يعض بأدنى الفم. و النجم من النبات ما لا ساق له، و الشجر ما له ساق طال أو قصر. و نجمة هنا: واحدة النجم و هو ضرب من النبت يقال له الثيل. شبهه بخصي الحمار لتحقيره و تصغيره، أو أنه مشنج الوجه متغضنه كخصي الحمار إذا كدم نجمة، و ذلك لصلابتها. (راجع شرح «ديوان المفضليات»).

7- في «ج»: «أحادث طسم». و في «سائر الأصول»: «أ حارث ظلما» و هو تحريف. و أحاديث طسم: يقال لما لا أصل له. تقول لمن يخبرك بما لا أصل له: «أحاديث طسم و أحلامها». و طسم: إحدى قبائل العرب البائدة.

8- الذود: القطيع من الإبل الثلاث إلى التسع أو ما بين الثلاث إلى العشر، و فيه أقوال أخرى. و لا يكون إلا من الإناث.

9- كذا في «أ، م» و «الكامل» لابن الأثير. و في «سائر الأصول»: فإن تك أذواد أصبن و نسوه

10- كذا في «كل الأصول» هنا. و في «أ، م» فيما يأتي (صفحة 108): «رأسه» و هي رواية «المفضليات» و «الكامل» لابن الأثير.

علوت بذي الحيّات(1) مفرق رأسه *** و كان سلاحي تجتويه(2) الجماجم

/فتكت به فتكا(3) كفتكي بخالد *** و هل يركب المكروه إلا الأكارم

بدأت بهذي ثم أثني بمثلها *** و ثالثة(4) تبيضّ منها المقادم

شفيت غليل(5) الصدر منه بضربة *** كذلك يأبى المغضبون القماقم(6)

فقال النعمان بن المنذر: ما يعني بالثالثة غيري. قال سنان بن أبي حارثة المرّيّ - و هو يومئذ رأس غطفان -: أبيت اللّعن! و اللّه ما ذمّة الحارث لنا بذمّة، و لا جاره لنا بجار، و لو أمّنته ما أمّناه. فبلغ ابن ظالم قول سنان بن أبي حارثة، فقال في ذلك:

شعر للحارث يخاطب به النعمان:

ألا أبلغ النّعمان عنّي رسالة *** فكيف بخطّاب الحطوب الأعاظم

/و أنت طويل البغي أبلخ(7) معور(8) *** فزوع إذا ما خيف إحدى العظائم

فما غرّه و المرء يدرك وتره *** بأروع ماضي الهمّ من آل ظالم

أخي ثقة ماضي الجنان مشيّع(9) *** كميش(10) التّوالي عند صدق العزائم

فأقسم لو لا من تعرّض دونه *** لعولي بهنديّ الحديدة صارم

فأقتل أقواما لئاما أذلّة *** يعضّون من غيظ أصول الأباهم

تمنّى سنان ضلّة أن يخيفني *** و يأمن، ما هذا بفعل المسالم

تمنّيت جهدا أن تضيع ظلامتي *** كذبت و ربّ الراقصات الرّواسم(11)

يمين امرئ لم يرضع اللّؤم ثديه *** و لم تتكنّفه عروق الألائم

1- ذو الحيات: اسم سيف الحارث، كانت على سيفه تماثيل حيات.

2- كذا في «ديوان المفضليات». و في شرحه: «و قال يعقوب تجتويه لا يوافقها. يقال اجتويت بلدة كذا إذا لم توافقني». و في «الأصول» و «الكامل» لابن الأثير. «تحتويه» بالحاء.

3- رواية «المفضليات» و «الكامل» لابن الأثير و «الأصول» فيما سيأتي: فتكت به كما فتكت بخالد

4- و يروى: «و ثالثة» بالرفع.

5- في «الأصول»: «عليك» و هو تحريف.

6- القماقم: جمع قمقام، و هو من الرجال: السيد الكثير الخير الواسع الفضل.

7- الأبلخ: المتكبر في نفسه الجريء على ما يأتي من الفجور. و في «ج»: «أبلح» بالحاء المهملة. و في «سائر الأصول»: «أبلج» بالجيم. و الأبلج (بالجيم) وصف مدح فلا يناسب الهجو هنا.

8- معور: قبيح السريرة، أو مريب.

9- المشيع: الشجاع، لأن قلبه لا يخذله فكأنه يشيعه، أو لأن نفسه تشيعه على ما يقدم عليه - و مثله تشايعه - أي تتبعه و تشجعه.

10- كميش التوالي: يريد أنه مشمر جادّ. و توالي كل شيء: أواخره.

11- رقص الإبل: ضرب من سيرها و هو الخبب. و الرسيم: ضرب من سيرها أيضا و هو فوق الذميل. و الذميل: سير لين.

أخذ مصدق للنعمان إبلا لديهث فاستجارت بالحارث فردها إليها:

قال: فأمّنه النعمان، و أقام حينا. ثم إنّ مصدّقا للنّعمان أخذ إبلا لامرأة من بني مرّة يقال لها ديهث؛ فأتت الحارث فعلّقت دلوها بدلوه و معها بنيّ لها، فقالت: أبا ليلى! إني أتيتك مضافة(1). فقال الحارث: إذا أورد القوم النّعم فنادي بأعلى صوتك:

دعوت باللّه و لم تراعي *** ذلك راعيك فنعم الرّاعي(2)

و تلك ذود الحارث الكساع(3) *** يمشي لها بصارم قطّاع

يشفي به(4) مجامع الصّداع

و خرج الحارث في أثرها يقول:

أنا أبو ليلى و سيفي المعلوب(5) *** كم قد أجرنا من حريب محروب

و كم رددنا من سليب مسلوب *** و طعنة طعنتها بالمنصوب

ذاك جهيز الموت عند المكروب

ثم قال لها: لا تردنّ عليك ناقة و لا بعير تعرفينه إلا أخذتيه ففعلت؛ فأتت على لقوح لها يحلبها حبشيّ، فقالت: يا أبا ليلى! هذه لي. فقال الحبشيّ: كذبت. فقال الحارث: أرسلها لا أمّ لك! فضرط الحبشيّ. فقال الحارث: «است الحالب أعلم»، فسارت مثلا. قال أبو عبيدة: ففي ذلك يقول في الإسلام الفرزدق:

كما كان أوفى إذ ينادي ابن ديهث *** و صرمته(6) كالمغنم المتنهّب

فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم *** و كان متى ما يسلل السّيف يضرب

و ما كان جارا غير دلو تعلّقت *** بحبلين في مستحصد(7) القدّ مكرب

خروج الحارث إلى صديق من كندة:

قال أبو عبيدة حدّثني أبو محمد عصام العجليّ قال: فلمّا قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر في جوار الملك خرج هاربا حتى أتى صديقا له من كندة يحلّ شعبي – قال: شعبي غير ممدود – فلمّا ألحّ الأسود(8) في طلب

1- مضافة: ملجأة.

2- في «الأصول»: ذلك داعيك فنعم الداعي بالدال. و التصويب للمرحوم الشنقيطي في نسخته. و سيأتي هذا الشطر بعد قليل في رجز آخر صحيحا.

3- الكسع: الضرب على الدبر؛ يقال: ولي القوم فكسعهم بالسيف، إذا اتبع أدبارهم فضربهم به.

4- في «الأصول»: «بها» و مرجع الضمير السيف الصارم في الشطر الذي قبل هذا الشطر.

5- المعلوب: اسم سيف له.

6- الصرمة هنا: القطعة من الإبل.

7- في «ديوان» الفرزدق (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 2605 أدب): «في مستحصد الحبل». و المستحصد: الذي أحكم فتله. و المكرب: المشدود بالكرب (بالتحريك) و هو حبل يشد على عراقي الدلو ثم يثنى و يثلث. و في «ديوان» الفرزدق: «و المكرب العقد الذي على عرقوة الدلو».

8- راجع الهامشة 3 صفحة 95 من هذا الجزء.

الحارث قال له الكنـديّ: ما أرى لك نجاة إلاّ أن ألحقك بحضـرموت ببلاد اليمن فلا يوصل إليك. فسار معه يوما و ليلـة، فلمّا غرّبه(1) قال: إنّني أنقطع ببلاد اليمن فأغترب بها، و قد برئت منك خفارتي.

لجوؤه إلى بني عجل بن لجيم:

فرجع حتّى أتى أرض بكر بن وائل، فلجأ إلى بني عجل بن لجيم، فنزل على زبّان فأجاره و ضرب عليه قبّة.

و في ذلك يقول العجليّ:

و نحن منعنا بالرّماح ابن ظالم *** فظلّ يغنّي آمنا في خبائنا

/قـال أبو عبيـدة: فجـاءته بنو ذهـل بن ثعلبـة و بنو عمرو بن شـيبان فقـالوا: أخرج هـذا المشـئوم من بين أظهرنـا، لاـ يعرّنا بشـرّ؛ فإنّا لا طاقة بالملحاء(2) (و الملحاء كتيبة الأسود) فأبت عجل أن تخفره(3)، فقاتلوه فامتنعت بنو عجل. فقال الحارث بن ظالم في الكنديّ و فيهم:

يكلّفني الكنديّ سير تنوفة *** أكابد فيها كلّ ذي صبّة مثري

- الصّبّة: قطعة من الغنم أو بقيّة منها -

و أقبل دوني جمع ذهل كأنّني *** خلاة(4) لذهل و الزّعانف من عمرو

و دوني ركب من لجيم مصمّم *** و زبّان جاري و الخفير على بكر

لعمري لا أخشى ظلامة ظالم *** و سعد بن عجل مجمعون على نصري

لحوقه بطيء:

قال أبو عبيدة: ثم قال لهم الحارث: إنّي قد اشتهر أمري فيكم و مكاني، و أنا راحل عنكم. فارتحل فلحق بطيّئ. فقال الحارث في ذلك:

لعمري لقد حلّت بي اليوم ناقتي *** إلى ناصر من طيّئ غير خاذل

فأصبحت جارا للمجرّة منهم *** على باذخ يعلو على المتطاول

أخذ الأسود أموال جارات له فردها هو إليهن:

قال أبو عبيـدة و حـدّثني أبو حيّـة أنّ الأسود حين قتل الحارث خالـدا سأل عن أمر يبلغ منه. فقال له عروة بن عتبة: إنّ له جارات من بليّ بن عمرو، و لا أراك تنال منه شـيئا أغيظ له من أخذهنّ و أخذ أموالهنّ، فبعث الأسود فأخذهنّ و استاق أموالهنّ. فبلغ ذلك الحارث، فخرج من الحين فانساب في غمار الناس حتى عرف موضع جاراته و مرعى إبلهنّ، فأتى الإبل فوجـد حالبين يحلبان ناقـة لهنّ يقال لها اللّفاع، و كانت لبونا كأغزر الإبل، إذا حلبت

1- غربه: نجاه عن بلاده و أبعده.

2- في «بعض الأصول»: «بالملجإ» و هو تحريف.

3- الإخفار: الغدر و نقض العهد.

4- الخلاة: واحدة الخلى و هو الرطب من الحشيش. يقول: أقبل دوني هؤلاء القوم كأني خلاة يأخذها الآخذ كيف شاء، و الواقع أني في عز و منعة.

اجترّت، و دمعت عيناها، و أصغت برأسها(1)، و تفاجّت(2) تفاجّ البائل، و هجمت في المحلب هجما حتى تسنّمه(3)، و تجاوبت أحاليلها(4) بالشّخب هثّا(5) و هثيما حتى تصفّ بين ثلاثة محالب(6). فصاح الحارث بهما و رجز فقال:

إذا سمعت حنّة اللّفاع *** فادعي أبا ليلى و لا تراعي

ذلك راعيك فنعم الرّاعي *** يجبك رحب الباع و الذّراع

منطّقا(7) بصارم قطّاع

/خليّا عنها! فعرفاه فضرط البائن. فقال الحارث: «است الضارط(8) أعلم» فذهبت مثلا - قال الأثرم:

البائن الحالب الأيمن، و المستعلي الحالب الأيسر - ثم عمد إلى أموال جاراته و إلى جاراته فجمعهنّ و ردّ أموالهن و سار معهنّ حتى اشتلاهنّ (أي أنقذهنّ).

رواية أخرى في قتله بن الملك:

قال أبو عبيدة: و لحق الحارث ببلاد قومه مختفيا. و كانت أخته سلمى بنت ظالم عند سنان بن أبي حارثة المرّيّ. قال أبو عبيدة: و كان الأسود بن المنذر قد تبنّى سنان بن أبي حارثة المرّيّ ابنه شرحبيل، فكانت سلمى بنت كثير بن ربيعة من بني غنم بن دودان(9) امرأة سنان بن أبي حارثة المرّيّ ترضعه و هي أمّ هرم، و كان هرم غنيّا يقدر على ما يعطي سائليه. فجاء الحارث، و قد كان اندسّ في بلاد غطفان، فاستعار سرج سنان، و لا يعلم سنان، و هم نزول بالشّربّة، فأتى به سلمى ابنة/ظالم فقال: يقول لك بعلك: ابعثي بابن الملك مع الحارث حتى أستأمن له و يتخفّر به، و هذا سرجه آية إليك. فزيّنته ثم دفعته إلى الحارث، فأتى بالغلام، ناحية من الشّربّة فقتله، ثم أنشأ يقول:

قفا فاسمعا أخبركما إذ سألتما *** محارب مولاه، و ثكلان نادم(10)

- ثكلان نادم: يعني الأسود لأنه قتل ابنه شرحبيل. محارب مولاه: يعني الحارث نفسه. و مولاه: سنان -

أ خصيي حمار بات يكدم نجمة *** أ تؤكل جاراتي و جارك سالم

حسبت أبيت اللّعن أنك فائت *** و لمّا تذق ثكلا و أنفك راغم

1- كذا في «الأصول». و يلاحظ أن «أصغى» يتعدّى بنفسه. فلعل صوابه: «صغت يرأسها» أو «أصغت رأسها».

2- تفاجت: باعدت ما بين رجليها.

3- تسنمه: تملؤه حتى يصير فوقه مثل السنام.

4- الأحاليل: جمع إحليل، و هو هنا مخرج اللبن من الضرع. و الشخب (بالفتح): صوت اللبن عند الحلب. و الشخب (بالفتح و بالضم): ما يخرج من الضرع من اللبن. و قيل: الشخب (بالضم): ما امتد من اللبن حين يحلب متصلا بين الإناء و الطبى.

5- كذا في «الأصول الخطية». و في «ب، س»: «هشا و هشيما». و الهث: اختلاط الصوت في حرب أو صخب. و المراد هنا اختلاط

أصوات الأحاليل عند الحلب. أما «الهيشم» أو «الهشيم» فلم نهتد لوجهه الصواب فيه.

6- أي حتى تملأ ثلاثة محالب فيصف أحدها بعد الآخر.

7- منطقا: مشدودا في وسطه.

8- و يروى: «است البائن أعلم».

9- في «الأصول»: «... غنم بن وردان». و التصويب للمرحوم الأستاذ الشنقيطي في نسخته.

10- تقدّمت هذه الأبيات في صفحة 103 من هذا الجزء، فلتراجع الحواشي التي كتبت عليها.

فإن تك أذوادا أصبت و نسوة *** فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم

/علوت بذي الحيّات مفرق رأسه *** و كان سلاحي تجتويه الجماجم

فتكت به كما فتكت بخالد *** و لا يركب المكروه إلاّ الأكارم

بدأت بتلك و انثنيت بهذه *** و ثالثة تبيضّ منها المقادم

قال: ففي ذلك يقول عقيل بن علّفة في الإسلام و هو من بني يربوع بن غيظ بن مرّة لمّا هاجى شبيب بن البرصاء، و أبوه يزيد، و هو من بني نشبة بن غيظ بن مرّة ابن عمّ سنان بن أبي حارثة، فعيّره بقتل الحارث بن ظالم شرحبيل لأنه ربيب بني حارثة بن مرّة(1) بن نشبة بن غيظ رهط شبيب، ففي ذلك يقول عقيل:

قتلنا شرحبيلا ربيب أبيكم *** بناصية المعلوب ضاحية غصبا(2)

فلم تنكروا أن يغمز القوم جاركم *** بإحدى الدّواهي ثم لم تطلعوا نقبا(3)

قال أبو عبيدة: و هرب الحارث، فغزا الأسود بني ذبيان إذ نقضوا العهد و بني أسد بشطّ أريك. قال أبو عبيدة:

و سألته عنه فقال: هما أريكان الأسود و الأبيض، و لا أدري بأيّهما كانت الوقعة. قال أبو عبيدة و قال آخرون: إنّ سلمى امرأة سنان التي أخذ الحارث شرحبيل من عندها من بني أسد. قال: فإنّما غزا الأسود بني أسد لدفع الأسديّة سلمى ابنه إلى الحارث، فقتل فيهم قتلا ذريعا و سبى و استاق أموالهم. و في ذلك يقول [الأعشى ميمون]:

و شيوخ(4) صرعى بشطّي أريك *** و نساء كأنّهن السّعالي(5)

/من نواصي دودان إذ نقضوا العه *** د و ذبيان و الهجان الغوالي

ربّ رفد هرقته ذلك اليو *** م و أسرى من معشر أقتال(6)

هؤلاء ثم هؤلاء كلاّ احذي *** ت نعالا محذوّة بمثال

و رأى من عصاك أصبح مخذو *** لا و كعب الذي يطيعك عالي

1- في «الأصول»: «.. بني حارثة فعيره بن نشبة غيظ...» و هو تحريف.

2- في «الأصول»: «بناحية المغلوب ضاحية عضبا». و قد رجحنا ما وضعناه لدلالة سياق الكلام عليه. و المعلوب: سيف الحارث بن ظالم. و ضاحية: علانية و جهرا.

3- النقب: الطريق، أو الطريق الضيق في الجبل. و يظهر أنه كني بعدم طلوع النقب عن عدم السعي في طلب الثأر.

4- موضع هذا البيت من القصيدة بعد قوله «رب رفد» البيت الآتي؛ فشيوخ مجرور بالعطف على المجرور برب في البيت الذي قبل هذا

البيت في القصيدة. و يروى «و شيوخ حربى» جمع حريب؛ يقال حرب فلان ماله أي سلبه فهو محروب و حريب.

5- السعالي: جمع سعلاة (بكسر السين) و يقال فيها سعلا (بالمد و بالقصر)، و هي الغول أو ساحرة الجن. و إذا كانت المرأة قبيحة الوجه سيئة الخلق شبهت بالسعلاة.

6- المرفد (بالفتح و بالكسر) هنا: القدح الضخم. و المعنى المراد «رب قتلى» فإن إراقة الرفد يكنى به عن الموت؛ قال الزمخشري في أساس البلاغة: «و هريق رفد فلان إذا قتل، كما يقال: صفرت و طابه و كفئت جفنته». و قال شارح «ديوان الأعشى»: «أبو عبيدة: رب رفد أهرقته، بألف. أي رب رجل كانت له إبل يحلبها فاستقتها فذهب ما كان يحلبه في الرفد، و الرفد القدح بما فيه». و الأقتال: جمع قتل (بالكسر) و هو العدوّ، و الشبيه في القتال؛ و بكلا المعنيين فسر البيت. و يروى: «من معشر أقيال». و القيل: الملك، أو الملك من ملوك حمير، أو هو من دون الملك الأعلى.

وجود نعل شرحبيل بن الأسود في بني محارب و تعذيب الأسود لهم:

قال: و وجد نعل شرحبيل عند أضاخ. و هو من الشّربّة في بني محارب بن خصفة(1) بن قيس عيلان. قال:

فاحمي لهم الأسود الصّفا التي بصحراء أضاخ و قال لهم: إنّي أحذيكم نعالا، فأمشاهم على الصّفا المحمى فتساقط لحم أقدامهم. فلمّا كان الإسلام قتل جوشن/الكنديّ رجلا من بني محارب فأقيد به جوشن بالمدينة. و كان الكنديّ من رهط عبّاس بن يزيد الكنديّ، فهجا بني محارب فعيّرهم بتحريق الأسود أقدامهم فقال:

على عهد كسرى نعّلتكم ملوكنا *** صفا من أضاخ حاميا يتلهّب

قال أبو عبيدة: و صار ذلك مثلا- يتوعّد به الشعراء من هجوه و يحذّرونهم مثل ذلك. و من ذلك أن ابن عتّاب(2)الكلبي ورد على بني النوس(3) من جديلة طيئ، فسرقوا سهاما له؛ فقال يحذّرهم:

/

بني النوس ردّوا أسهمي إن أسهمي *** كنعل شرحبيل التي(4) في محارب

و قال في الجاهليّة ابن أمّ كهف الطائيّ في مدحه لمالك بن حمار(5) الشّمخيّ، فذكر نعل شرحبيل فقال:

و مولاك الذي قتل ابن سلمى *** علانية شرحبيل ابن نعل

لأنه لو لا النعل لم يعرف، و إنما عرف بما صنع أبوه ببني محارب من أجل نعله التي وجدت في بني محارب.

أخذ الأسود لسنان بن أبي حارثة الذي قتل ابنه عنده و اعتذار الحارث بن سفيان عنه:

قال أبو عبيدة: و أخذ الأسود سنان بن أبي حارثة؛ فأتاه الحارث بن سفيان أحد بني الصارد(6)، و هو الحارث بن سفيان بن مرّة بن عوف بن الحارث بن سفيان أخو سيّار بن عمرو بن جابر الفزاريّ لأمّه، فاعتذر إلى الأسود أن يكون سنان بن أبي حارثة علم أو اطّلع، و لقد كان أطرد الحارث من بلاد غطفان، و قال: عليّ دية ابنك ألف بعير دية الملوك، فحمّلها إيّاه و خلّى عن سنان، فأدى إلى الأسود منها ثمانمائة بعير ثم مات. فقال سيّار بن عمرو أخوه لأمّه: أنا أقوم فيما بقي مقام الحارث بن سفيان. فلم يرض به الأسود. فرهنه سيّار قوسه، فأدّى البقيّة.

فلمّا مدح قراد بن حنش الصارديّ(7) بني فزارة جعل الحمالة كلّها لسيّار بن عمرو فقال:

و نحن رهنّا القوس تمّت فوديت *** بألف على ظهر الفزاري أقرعا(8)

بعشر مئين للملوك سعى بها(9) *** ليوفي سيّار بن عمرو فأسرعا

1- في «ب، س، ج»: «حفصة» و هو تحريف.

2- الذي في «خزانة الأدب» (ج 4 ص 183): «ابن عباد الكلابي».

3- كـذا في «الأـصول». و في «خزانـة الأـدب»: «بني البوس». و لـم نجـد هـذا الاـسم في جديلـة طيئ و لاـ في غيرها. فلعل صوابه «بني الأوس»؛ فإن من فروع جديلة طيئ بني الأوس.

4- في «الأصول»: «الذي». و التصويب من «خزانة الأدب».

5- في «ب، س»: «حماد» بالدال المهملة و هو تحريف.

6- في «الأصول»: «بني الصادر» و هو تحريف. (راجع كتاب «الاشتقاق» لابن دريد صفحة 176 و «لسان العرب» في مادة صرد).

7- في «الأصول»: «قراد بن حبش الصادري» و هو تحريف.

8- بألف أقرع أي تام.

9- في «الأـصول»: «بعشـر ملوك الملوك سـفالها» و التصويب من «خزانـة الأدب» (ج 3 ص 304). و قد صـححها المرحوم الشنقيطي: «؟؟».

/

رمينا صفاه بالمئين فأصبحت *** ثناياه(1) للساعين في المجد مهيعا

قال و يقال: بل قالها ربيع بن قعنب، فردّ عليه قراد فقال:

ما كان ثعلب ذي(2) عاج ليحملها *** و لا الفزاريّ جوفان بن جوفان(3)

لكن تضمّنها ألفا فأخرجها *** على تكاليفها حار بن سفيان(4)

و قال عويف القوافي بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في الإسلام يفخر على أبي منظور الوبريّ حين هاجاه أحد بني وبر بن كلاب:

فهل وجدتم حاملا كحاملي *** إذ رهن القوس بألف كامل

بدية ابن الملك الحلاحل *** فافتكّها من قبل عام قابل

/سيّار الموفي بها ذو السائل(5)

لحوق الحارث ببني دارم:

قال أبو عبيدة: فلمّا قتل الحارث شرحبيل لحق ببني دارم فلجأ إلى بني ضمرة. قال: و بنو عبد اللّه بن دارم يقولون: بل جاور معبد بن زرارة فأجاره، فجرّ جواره يوم رحرحان، و جرّ يوم رحرحان يوم جبلة. و طلبه الأسود ابن المنذر بخفرته(6).

/فلمّا بلغه نزوله ببني دارم أرسل فيه إليهم أن يسلموه فأبوا. فقال يمنّ على بني قطن بن نهشل بن دارم بما كان من النّعمان بن المنذر في أمر بني رشيّة و هي رميلة حين طلبهم من لقيط بن زرارة حتى استنقذهم. و رشيّة أمة كانت لزرارة(7) بن عدس بن زيد المجاشعيّ، فوطئها رجل من بني نهشل فأولدها؛ و كان زرارة يأتي بني نهشل يطلب الغلمة التي ولدت، و ولدت الأشهب بن رميلة و الرّباب بن رميلة و غيرهما، و كانوا يسمعونه ما يكره، فيرجع إلى ولده فيقول: أسمعني بنو عمّي خيرا و قالوا: سنبعث بهم إليك عاجلا، حتى مات زرارة. فقام لقيط ابنه بأمرهم؛ فلمّا أتاهم أسمعوه ما كره، و وقع بينهم شرّ. فذهب النهشليّ إلى الملك فقال: أبيت اللّعن! لا تصلني

1- الثنايا: جمع ثنية و هي طريق العقبة؛ من ذلك قولهم: فلان طلاع الثنايا، و إذا كان ساميا لمعالي الأمور. و المهيع: الطريق الواسع الواضح. و الظاهر أنه يريد أن يقول: إننا حملناه من التكاليف ما حملناه فاحتملها، حتى أصبحت سبيله في ذلك سبيلا لمبتغى المجد.

2- ذو عاج: واد في بلاد قيس.

3- الجوفان (بالضم): أير الحمار. و لعله نبز الفزاريّ بذلك لما كانت تعير به فزارة من أكل الجوفان؛ قال سالم بن دارة: لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك و اكتبها بأسيار لا- تأمننه و لا تأمن بوائقه بعد الذي امتل أير العير في النار امتله: وضعه في الملة. و يقول فيها:

أطعمتم الضيف جوفانا مخاتلة فلا سقاكم إلهي الخالق الباري

4- يريد: حارث بن سفيان. و الترخيم في غير النداء يأتي في الشعر قليلا.

5- كذا في «الأصول». و لعل صوابها: «ذو النائل». و النائل: العطاء.

6- الخفرة: (بالضم): الذمة.

7- تقدّم في «ترجمة الأشهب بن رميلة» (ج 9 ص 269 من طبعة دار الكتب) أنها كانت أمة لخالد بن مالك بن ربعي... (فليراجع ما هناك).

و تصل قومي بأفضل من طلبتك إلى لقيط الغلمة ليكفّ عنّي. فدعاه فشرب معه، ثم استوهبهم منه فوهبهم له. فقال الأسود بن المنذر في ذلك:

كأيّن لنا من نعمة في رقابكم *** بني قطن فضلا عليكم و أنعما

و كم منّة كانت لنا في بيوتكم *** و قتل كريم لم تعدّوه مغرما

فإنكم لا تمنعون ابن ظالم *** و لم يمس بالأيدي الوشيج المقوّما(1)

فأجابه ضمرة بن ضمرة فقال:

سنمنع جارا عائذا في بيوتكم(2) *** بأسيافنا حتى يئوب مسلّما

إذا ما دعونا دارما حال دونه *** عوابس يعلكن الشّكيم المعجّما(3)

/و لو كنت حربا(4) ما وردت طويلعا *** و لا حوفه إلاّ خميسا عرمرما

تركت بني ماء السماء و فعلهم *** و أشبهت تيسا بالحجاز مزنّما(5)

و لن أذكر النّعمان إلاّ بصالح *** فإنّ له فضلا علينا و أنعما(6)

قال: و بلغ ذلك بني عامر، فخرج الأحوص غازيا لبني دارم طالبا بدم أخيه خالد بن جعفر حين انطووا على الحارث و قاموا دونه، فغزاهم فالتقوا برحرحان، فهزمت بنو دارم، و أسر معبد بن زرارة، فانطلقوا به حتى مات في أيديهم، و حديثه في يوم رحرحان يأتي بعد.

أسر بني قيس و بني هزان للحارث و حديثه معهم:

ثم أسر بنو هزّان الحارث بن الظالم. و قال أبو عبيدة: خرج الحارث من عندهم، فجعل يطوف في البلاد حتى سقط في ناحية من بلاد ربيعة، و وضع سلاحه و هو في فلاة ليس فيها أثر و نام، فمرّ به نفر من بني قيس ابن ثعلبة و معهم قوم من بني هزّان من عنزة و هو نائم، فأخذوا فرسه و سلاحه ثم أوثقوه، فانتبه و قد شدّوه فلا يملك من نفسه شيئا. فسألوه من أنت؟ فلم يخبرهم و طوى عنهم الخبر، فضربوه ليقتلوه على تأن يخبرهم من هو فلم يفعل. /فاشتراه القيسيّون من الهزّانيّين بزقّ خمر و شاة - و يقال: اشتراه رجل من بني سعد

1- ورد هذا البيت هكذا ب «الأصول». و الوشيج: شجر الرماح، أو هو من القنا أصلبه. و المقوّم هنا: الذي أزيل عوجه.

2- لعله: «في بيوتنا».

3- علكه: لاكه و حركه في فيه. و الشكيمة من اللجام: الحديدة المعترضة في الفم و المعجم: المعضوض.

4- ورد هذا البيت في «الأصول» هكذا: و لو كنت حواما وردت طويلعا و لا حومة إلا خميسا عرمرما و صوبنا ما فيه من تحريف عن «معجم البلدان» ليستقيم في كلامه على طويلع و «لسان العرب» (في مادة حوف) و رواية البيت في «معجم البلدان» فلو كنت حربا ما

بلغت طويلعـا و لاـ جوفه..... إلـخ و في «لسان العرب»: «... ما طلعت طويلعا. و لا حوفه...». و حوف الوادي: حرفه و ناحيته. ثم قال: «و يروى جوفه، و جوّه». و الحرب: العدوّ المحارب. و طويلع: ماء أو واد. و الخميس: الجيش. و العرمرم: الكثير.

5- المزنم من الشاء: ما له هنة معلقة في حلقه تحت لحيته، و خص بعضهم به العنز. و المزنم أيضا: الذي تقطع أذنه و تترك زنمة.

6- روايـة «اللسان» (و قـد ذكر هـذا البيت و الذي قبله في مادة زنم): فإن له عندي يديا و أنعما و يديّ (على وزن فعول و فعيل مثل كلب و كليب): جمع يد بمعنى النعمة.

بإغلاق(1)/بكرة و عشرين من الشاء - ثم انطلقوا به إلى بلادهم. فقالوا له: من أنت؟ و ما حالك؟ فلم يخبرهم.

فضربوه ليموت فأبى. قال: و هو قريب من اليمامة. قال: فبينما(2) هم على تلك الحال و هم يريغونه ضربا مرّة و تهدّدا أخرى و لينا مرّة ليخبرهم بحاله و هو يأبى، حتى ملّوه، فتركوه في قيده حتى انفلت ليلا، فتوجّه نحو اليمامة و هي قريب منه، فلقي غلمة يلعبون، فنظر إلى غلام منهم أخلقهم للخير عنده فقال: من أنت؟ قال: أنا بجير بن أبجر العجليّ، و له ذؤابة يومئذ و أمّه امرأة قتادة بن مسلمة الحنفيّ. فأتاه و أخذ بحقويه و التزمه و قال: أنا لك جار.

فيقال: إنّ عجلا أجارته في هذا اليوم لا في اليوم الأوّل الذي ذكرناه في أوّل الحديث. فأتى الغلام أباه فأخبره و أجاره و قال: ائت عمّك قتادة بن مسلمة الحنفيّ فأخبره؛ فأتى قتادة فأخبره فأجاره.

قال أبو عبيدة: و أمّا فراس(3) فزعم أنه أفلت من بني قيس فأقبل شدّا حتى أتى اليمامة، و اتّبعوه حتى انتهى إلى نادي بني حنيفة و فيه قتادة بن مسلمة. فلمّا رأوه يهوي نحوهم قال: إنّ هذا لخائف، و بصر بالقوم خلفه فصاح به: الحصن الحصن! فأقبل حتى ولج الحصن. و جاءت بنو قيس، فحال دونه و قال: لو أخذتموه قبل دخوله الحصن لأسلمته إليكم، فأمّا إذ تحرّم بي فلا سبيل إليه. قال فقالوا: أسيرنا اشتريناه بأموالنا، و ما هو لك بجار و لا تعرفه، و إنما أتاك هاربا من أيدينا، و نحن قومك و جيرانك. قال: أمّا أن أسلمه أبدا فلا يكون ذلك، و لكن اختاروا منّي: إن شئتم فانظروا ما اشتريتموه به فخذوه منّي، و إن شئتم أعطيته سلاحا كاملا و حملته على فرس و دعوه حتى يقطع الوادي بيني و بينه ثم دونكموه. فقالوا: رضينا. فقال ذلك للحارث فقال نعم. فألبسه سلاحا كاملا و حمله على فرسه و قال له: إن أفلّتهم فردّ إليّ الفرس و السلاح لك. قال: فخرج، و تركوه حتى جاز الوادي، /ثم اتّبعوه ليأخذوه، فلم يزل يقاتلهم و يطاردهم حتى ورد بلاد بني قشير، و هو قريب من اليمامة أيضا بينهما أقلّ من يوم. فلمّا صار إلى بلاد بني قشير يئسوا منه فرجعوا عنه. و عرفه بنو قشير فانطووا عليه و أكرموه. و ردّ إلى قتادة بن مسلمة فرسه و أرسل إليه بمائة من الإبل، لا أدري أ أعطاه إيّاها بنو قشير من أموالهم ليكافئ بها قتادة أم كانت له، لم يفسّر أبو عبيدة أمرها و لا سألته عنها. فقال الحارث بن ظالم في ابني حلاكة و هما من الذين باعوه من القيسيّين و فيما كان من أمره - قال أبو عبيدة: و يقال أسره راعيان من بني هزّان يقال لهما ابنا حلاكة -:

أبلغ لديك بني قيس مغلغلة *** أنّي أقسّم في هزّان أرباعا

ابنا حلاكة باعاني بلا ثمن *** و باع ذو آل هزان بما باعا

يا بني حلاكة لمّا تأخذا ثمني *** حتّى أقسّم أفراسا و أدراعا

قتادة الخير نالتني حذيّته(4) *** و كان قدما إلى الخيرات طلاّعا

و قال في ذلك أيضا:

/

همّت عكابة أن تضيم لجيما(5)*** فأبت لجيم ما تقول عكابه

1- أغلاق الرهن: إيجابه للمرتهن إذا لم يفك. و المراد هنا إعطاء من باعه بكرة و عشرين من الشاء.

2- جواب «بينما» في هذه الجملة لم يصرح به.

3- في «الأصول» هنا: «فراش» بالشين المعجمة و هو تصحيف. و فراس الذي يروى عنه أبو عبيدة هو أبو المختار فراس بن خندق القيسي.

4- الحذية: العطية.

5- لجيم: اسم القبيلة بضم اللام و فتح الجيم و سكون الياء؛ و بهذا لا يتزن الشعر. فلعل الشاعر تصرف فيه فشدد الياء.

فاسقي بجيرا من رحيق مدامة *** و السقي الخفير و طهّري أثوابه

جاءت حنيفة قبل جيئة يشكر *** كلاّ وجدنا أوفياء(1) ذؤابة

مروره برجل من بني أسد:

و زعم أبو عبيدة أنّ الحارث لمّا هزمت بنو تميم يوم رحرحان مرّ برجل من بني أسد بن خزيمة؛ فقال: يا حار إنك مشئوم و قد فعلت ما فعلت، فانظر إذا كنت بمكان كذا و كذا من برقة رحرحان فإنّ لي به جملا أحمر فلا تعرض له. و إنما يعرّض/له و يكره أن يصرّح فيبلغ الأسود فيأخذه. فلمّا كان الحارث بذلك المكان أخذ الجمل فنجا عليه، و إذا هو لا يساير من أمامه و لا يسبق من ورائه. فبلغ ذلك الأسود، فأخذ الأسود الأسديّ و ناسا من قومه.

و بلغ ذلك الحارث بن ظالم فقال كأنه يهجوهم لئلا يتّهمهم الأسود:

أراني اللّه بالنّعم المندّى(2) *** ببرقة رحرحان و قد أراني

لحيّ الأنكدين و حيّ عبس *** و حيّ نعامة و بني غدان

لحوقه بمكة و انتماؤه إلى قريش:

قال: فلمّا بلغ قوله الأسود خلّى عنهم. و لحق الحارث بمكة و انتمى إلى قريش؛ و ذلك قوله:

و ما(3) قومي بثعلبة بن سعد *** و لا بفزارة الشّعر الرّقابا

و قومي إن سألت بنو لؤيّ *** بمكّة علّموا مضر الضّرابا

قال: فزوّده و حمله رواحة الجمحيّ على ناقة؛ فذلك قوله:

و هشّ رواحة الجمحيّ رحلي *** بناجية(4) و لم يطلب ثوابا

كأنّ الرّحل و الأنساع منها *** و ميثرتي(5) كسين أقبّ جابا

لحوقه بالشام عند ملك من غسان و مقتله:

- يروى «حشّ» و «هشّ» و هما لغتان. و حشّ سوّى - قال: فلحق الحارث بالشأم بملك من ملوك غسّان - يقال

1- في «ب، س»: «أربياء ذؤابة». و في «الأصول المخطوطة»: «أرفياء». و لعله يريد أنه وجد كلا الفريقين أوفياء له لأنهم أجاروه، و هم سادة في قومهم. يقال فلان ذؤابة قومه و هم ذؤابة قومهم و ذوائبهم إذا كانوا سادتهم و أشرافهم.

2- كـذا في «س» و «خزانة الأدب» (ج 1 ص 236)، و قد ورد هذا البيت فيها أول أبيات سـنة منسوبة لمالك بن نويرة، و كذلك صـححها المرحوم الأسـتاذ الشـنقيطي في نسـخته. و تندية الإبل: أن يوردها الرجل الماء حتى تشـرب قليلا ثم يجيء حتى ترعى ساعة ثم يردها إلى الماء. و في «سائر الأصول»: «المبدي» بالياء. يقال: أبديت الإبل و بديتها (بتشديد الدال) إذا أبرزتها إلى موضع الكلأ.

3- في «الأصول»: فيما سـيأتي (صـفحة 125) و «ديـوان المفضـليات» (ص 619) و «الشواهـد الكبرى» للعيني: «فمـا قومي» بالفـاء. و الشـعر: جمع أشـعر؛ يقال رجل أشـعر إذا كان كثير شـعر الجسـد. و قـد استشـهد النحويون بهذا البيت على نصب «الرقاب» بعد الصـفة المشبهة على التشبيه بالمفعول به، أو أنه تمييز على مذهب من يجيز في التمييز أن يكون معرفة.

4- الناجية: الناقة السريعة تنجو بمن ركبها.

5- الأنساع: جمع نسع (بالكسـر) و هو سـير مضـفور تشـدّ به الرحال. و الميثرة هنا: وطاء محشوّ يوضع على رحل البعير تحت الراكب. و الأقب: الضامر. و الجاب (يهمز و لا يهمز): القوي الغليظ. يريـد (كأن رحله و أدواته وضـعت على عير وحشـي أو ثور وحشـي لقوّة الناقة التي رحل عليها و سرعتها.

[هو(1)] النّعمان، و يقال بل هو يزيد بن عمرو الغسّانيّ - فأجاره. و كانت للملك ناقة محمّاة في عنقها مدية و زناد و صرّة ملح، و إنما يختبر بذلك رعيّته هل يجترئ عليه أحد منهم. و مع الحارث امرأتان، فوحمت إحدى امرأتيه - قال أبو عبيدة: و أصابت الناس سنة شديدة - فطلبت الشّحم إليه. قال: ويحك! و أنّي لي بالشحم و الودك! فألحت عليه، فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن واد فلبّ في سبلتها(2) (أي طعن(3). فأكلت امرأته و رفعت ما بقي من الشحم في عكّتها. قال: و فقدت الناقة فوجدت نحيرا لم يؤخذ منها إلاّ السّنام، فأعلموا ذلك الملك، و خفي عليهم من فعله. فأرسل إلى الخمس التّغلبيّ - و كان كاهنا - فقال: من نحر الناقة؟ فذكر أنّ الحارث نحرها. فتذمّم(4) الملك و كذّب عنه. فقال: إن أردت أن تعلم علم ذلك فدسّ امرأة تطلب إلى امرأته شحما، ففعل. فدخل الحارث و قد أخرجت امرأته إليها شحما، فعرف(5) الداء فقتلها و دفنها في بيته. فلمّا فقدت المرأة قال الخمس: غالها ما غال الناقة، فإن كره الملك أن يفتّشه عن ذلك فليأمر بالرحيل، فإذا ارتحل بحث بيته، ففعل. و استثار الخمس مكان بيته؛ فوثب عليه الحارث فقتله؛ فأخذ الحارث فحبس. فاستسقى ماء فأتاه رجل بماء فقال: أ تشرب؟ فأنشأ الحارث يقول:

/

لقد قال لي عند المجاهد(6) صاحبي *** و قد حيل دون العيش(7) هل أنت شارب

وددت بأطراف البنان لو انّني *** بدى أرونى ترمي ورائي الثّعالب

/ - الثعالب: من مرّة و هم رماة. أرونى: مكان. و قال مرّة أخرى: الثعالب بنو ثعلبة. يقول: كانوا يرمون عنّي و يقومون بأمري - قال: فأمر الملك بقتله. فقال: إنك قد أجرتني فلا تغدرني(8). فقال: لا ضير! إن غدرت بك مرّة فقد غدرت بي مرارا. فأمر مالك بن الخمس التغلبيّ أن يقتله بأبيه. فقال: يا بن شرّ الأظماء أنت تقتلني! فقتله. و قال ابن الكلبيّ: لمّا قام ابن الخمس إلى الحارث ليقتله قال: من أنت؟ قال: ابن الخمس. قال: أنت ابن شرّ الأظماء. قال: و أنت ابن شرّ الأسماء؛ فقتله فقال رجل من ضريّ(9) - و هم حيّ من جرهم - يرثي الحارث بن ظالم:

يا حار حنّيّا(10) *** حرّا قطاميّا

ما كنت ترعيّا(11) *** في البيت ضجعيّا

1- زيادة وضعها الشنقيطي، و هي ضرورية.

2- سبلة البعير هنا: ثغرة نحره.

3- يقال: لب البعير إذا ضربه في لبته أي طعنه في منحره.

4- تذمم: استنكف.

5- في «ب، س»: «فعرف الرأي».

6- المجاهد: الشدائد.

7- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «دون الميش». و الميش: الخلط، كخلط الشعر بالصوف، و الصدق بالكذب، و الهزل بالجد، و اللبن الحلو باللبن الحامض، و هو لا يتفق مع السياق هنا.

8- يقال غدره، و غدر به.

9- في «أ، م»: «من فرس». و لم نجد هاتين الكلمتين في أسماء القبائل.

10- كذا في «الأصول». و لعل حنيا: منسوب إلى الحن (بكسر الحاء) و هو حيّ أو ضرب من الجن. و القطامي (قيس يفتحون القاف و سائر العرب يضمون): الصقر، و يستعمل في غير الصقر على التشبيه به.

11- الترعي و مثله الترعية (بكسر التاء و ضمها و تشديد الياء): الذي يجيد رعية الإبل؛ لأنه يحسن الالتماس و الارتياد للكلإ، و هذا من عمل أصاغر الناس لا السادة و الأشراف. و الضجعي بكسر (الضاد و ضمها): الذي يلزم البيت لا يكاد يبرح منزله و لا ينهض لمكرمة.

أدعى(1) لباخيّا(2) *** مملّأ عيّا

و أخذ ابن الخمس سيف الحارث بن ظالم المعلوب، فأتى به سوق عكاظ في الحرم، فجعل يعرضه على البيع و يقول: هذا سيف الحارث بن ظالم. فاسترآه إيّاه(3) قيس بن زهير بن جذيمة فأراه إيّاه، فعلاه به حتى قتله في الحرم. فقال قيس بن زهير(4) يرثي الحارث بن ظالم:

/

ما قصرت(5) من حاضن ستر بيتها *** أبرّ و أوفى منك حار بن ظالم

أعزّ و أحمى(6) عند جار و ذمّة *** و أضرب في كاب من النّقع قاتم

هذه رواية أبي عبيدة و البصريّين. و أمّا الكوفيون فإنهم يذكرون أنّ النّعمان بن المنذر هو الذي قتله. أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل قال:

لمّا هرب الحارث إلى مكة أسف النّعمان بن المنذر على فوته إيّاه، فلطف(7) له و راسله و أعطاه الأمان، و أشهد على نفسه وجوه العرب من ربيعة و مضر و اليمن أنه لا يطلبه بذحل و لا يسوؤه في حال، و أرسل به مع جماعة ليسكن الحارث إليهم، و أمرهم أن يتكفلوا له بالوفاء و يضمنوا له عنه أنه لا يهجيه، ففعلوا ذلك. و سكن إليه الحارث، فأتى النعمان و هو في قصر بني مقاتل، فقال للحاجب: استأذن لي، و الناس يومئذ عند النعمان متوافرون، فاستأذن له، فقال النعمان: ائذن له و خذ سيفه. فقال له: ضع سيفك و ادخل. فقال الحارث: و لم أضعه؟ قال:

ضعه، فلا بأس عليك. فلمّا ألحّ عليه وضعه و دخل و معه الأمان. فلمّا دخل قال: انعم صباحا أبيت اللّعن. قال: لا أنعم اللّه صباحك!. فقال الحارث: هذا كتابك!. قال النّعمان: كتابي و اللّه ما أنكره، أنا كتبته لك، و قد غدرت و فتكت مرارا، فلا ضير أن غدرت بك مرّة. ثم نادى: من يقتل هذا؟ فقام ابن الخمس التغلبيّ – و كان الحارث فتك بأبيه – فقال: أنا أقتله. و ذكر باقي الخبر في قصّته مع ابن الخمس [مثل] ما ذكره أبو عبيدة.

1- لعلها «تدعى» لأن الظاهر أنه خطاب للحارث.

2- لباخي: ضخم كثير اللحم.

3- استرآه إياه: طلب إليه أن يريه إياه. و في «الأصول»: «فاشتراه» و هو تصحيف.

4- كذا في «س». و في «سائر الأصول»: «قيس بن زحك».

5- قصر الستر: أرخاه. و لعل نصب «أبر» على حذف الجار؛ أي ما أرخت حاضن ستر بيتها على أبر و أوفى منك... إلخ.

6- في «أ، م»: «و أوفى».

7- في «أساس البلاغة» أنه يقال في المدينة «ألطف له في القول».

9 - خبر الحارث و عمرو بن الإطنابة

اشارة

و إنما ذكرها هنا لاتّصاله بمقتل خالد بن جعفر، و لأنّ فيما تناقضاه من الأشعار أغاني/صالح ذكرها في هذا الموضع.

عضب عمرو بن الإطنابة على الحارث لقتله خالدا و شعره في ذلك:

قال أبو عبيدة: كان عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ ملك الحجاز، و لمّا بلغه قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر، و كان خالد مصافيا له، غضب لذلك غضبا شديدا، و قال: و اللّه لو لقي الحارث خالدا و هو يقظان لما نظر إليه، و لكنه قتله نائما، و لو أتاني لعرف قدره؛ ثم دعا بشرابه و وضع التاج على رأسه و على بقيانه، فتغنّين له:

علّلاني و علّلا صاحبيّا *** و اسقياني من المروّق(1) ريّا

إنّ فينا القيان يعزفن بالدّفّ *** لفتياننا و عيشا رخيّا(2)

يتبارين في النّعيم و يصبب *** ن خلال القرون مسكا ذكيّا

إنّما همّهنّ أن يتحلّي *** ن سموطا و سنبلا فارسيّا

من سموط المرجان فضّل بالشّذ *** ر فأحسن بجليهنّ حليّا

و فتى يضرب الكتيبة بالسّي *** ف إذا كانت السيوف عصيّا

إنّنا لا نسرّ في غير نجد *** إنّ فينا بها فتى خزرجيّا

يدفع الضّيم و الظّلامة عنها *** فتجافي عنه لنا يا منيّا

أبلغ الحارث بن ظالم الرّع *** دید و الناذر النّذور عليّا

أنما يقتل(3) النّيام و لا يق *** تل يقظان ذا سلاح كميّا(4)

/و معي شكّتي(5) معابل كالجم *** ر و أعددت صارما مشرفيّا

لو هبطت البلاد أنسيتك القت *** ل كما ينسئ النّسيء النّسيا(6)

1- المروق من الشراب: المصفى.

2- العيش الرخي: الناعم.

3- في «كتاب سيبويه»: «أنما تقتل.....» بتاء الخطاب.

4- الكميّ: الشجاع المتكمي في سلاحه، لأنه كمى نفسه أي سترها بالدرع و البيضة، و الجمع كماة، كأنهم جمعوا كاميا مثل قاض و قضاة.

5- في «ج»: «و معي شكمتي». و في «سائر الأصول»: «و معي مشتكي معابل...». و الشكة: السلاح. و المعابل: جمع معبلة (بكسر الميم) و هي نصل طويل عريض. و المشرفي من السيوف: المنسوب إلى المشارف، و هي قرى من أرض اليمن، و قيل من بلاد العرب تدنو من الريف.

6- كذا ورد هذا البيت.

مسير الحارث إلى عمرو و انخذال عمرو عنه و شعر الحارث في ذلك:

قال: فلمّا بلغ الحارث شعره هذا ازداد حنقا و غيظا، فسار حتى أتى ديار بني الخزرج، ثم دنا من قبّة عمرو بن الإطنابة، ثم نادى: أيّها الملك أغثني فإني جار مكثور(1) و خذ سلاحك، فأجابه و خرج معه. حتى برز له عطف عليه الحارث و قال: أنا أبو ليلى! فاعتركا مليّا من اللّيل. و خشي عمرو أن يقتله الحارث فقال له: يا حار، إني شيخ كبير و إنّي تعتريني سنة، فهل لك في تأخير هذا الأمر إلى غد؟ فقال: هيهات! و من لي به في غد! فتجاولا ساعة، ثم ألقى عمرو الرّمح من يده و قال: يا حار أ لم أخبرك أنّ النّعاس قد يغلبني! قد سقط رمحي فاكفف، فكفّ. قال: أنظرني إلى غد. قال: لا أفعل. قال: فدعني آخذ رمحي. قال: خذه. قال: أخشى أن تعجلني عنه أو تفتك بي إذا أردت أخذه. قال: و ذمّة ظالم لا أعجلتك و لا قاتلتك و لا فتكت بك حتى تأخذه. قال: و ذمّة الإطنابة لا آخذه و لا أقاتلك. فانصرف الحارث إلى قومه و قال مجيبا له:

اعزفا لي بلذّة قينتيّا *** قبل أن يبكر المنون عليّا

قبل أن يبكر العواذل إنّي *** كنت قدما لأمرهنّ عصيّا

ما أبالي أ راشد فاصبحاني *** حسبتني عواذلي أم غويّا

بعد ألاّ أصرّ للّه إثما *** في حياتي و لا أخون صفيّا

/من سلاف كأنها دم ظبي(2) *** في زجاج تخاله رازقيّا(3)

/بلغتنا مقالة المرء عمرو *** فأنفنا و كان ذاك بديّا

قد هممنا بقتله إذا برزنا *** و لقيناه ذا سلاح كميّا

غير ما نائم تعلّل بالحل *** م معدّا بكفّه مشرفيّا

فمننّا عليه بعد علوّ *** بوفاء و كنت قدما وفيّا

و رجعنا بالصّفح عنه و كان ال *** منّ منا عليه بعد تليّا

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

اشارة

<منها في شعر عمرو بن الإطنابة:>

صوت

الغناء في شعر عمرو و الحارث:

علّلاني صاحبيّا *** و اسقياني من المروّق ربّا

إنّ فينا القيان يعزفن بالدفّ *** لفتياننا و عيشا رخيّا

ص: 84

1- مكثور: كثر أعداؤه أي غلبوه بكثرتهم.

2- يصف الخمر بطيب الريح، فشبهها بدم الظبي و هو المسك؛ فإن المسك من دماء الظباء.

3- الرازقي: الكتان أو ثياب بيض تتخذ منه، و الرازقي أيضا: ضرب من عنب الطائف أبيض طويل الحب.

غنّته عزّة الميلاء من رواية حمّاد عن أبيه خفيف رمل بالوسطى. قال حمّاد أخبرني أبي قال بلغني أنّ معبدا قال:

دخلت على جميلة و عندها عزّة الميلاء تغنّيها لحنها في شعر عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ:

علّلاني و عللا صاحبيّا

على معزفة(1) لها و قد أسنّت، فما سمعت قطّ مثلها و ذهبت بعقلي و فتنتني، فقلت: هذا و هي كبيرة مسنّة! فكيف بها لو أدركتها و هي شابّة! و جعلت أعجب منها.

/و منها في شعر الحارث بن ظالم:

صوت

ما أبالي إذا اصطبحت ثلاثا *** أ رشيدا حسبتني أم غويّا

من سلاف كأنها دم ظبي *** في زجاج تخاله رازقيّا

غنّاه فليح بن أبي العوراء رملا بالبنصر عن عمرو بن بانة. و غنّاه ابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالخنصر من رواية حبش.

و منها:

صوت

بلغتنا مقالة المرء عمرو *** فأنفنا و كان ذاك بديّا

قد هممنا بقتله إذا برزنا *** و لقيناه ذا سلاح كميّا

غنّاه مالك خفيف رمل بالبنصر من رواية حبش، و ذكر إسحاق في مجرّده أنّ الغناء في هذين البيتين ليونس الكاتب، و لم ينسب الطريقة و لا جنّسها.

و نذكر هاهنا خبر رحرحان و يوم قتله إذ كان مقتل الحارث و خبره خبرهما

يوم رحرحان الثاني و السبب فيه:

أخبرني عليّ بن سليمان و محمد بن العبّاس اليزيديّ في كتاب النقائض قالا قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السّكّريّ عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة قال:

كان من خبر رحرحان(2) الثاني أنّ الحارث بن ظالم المرّيّ لمّا قتل خالد بن جعفر بن كلاب غدرا عند النّعمان بن المنذر بالحيرة هرب فأتى زرارة بن عدس فكان/عنده، و كان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه، و كره أن يكون لقومه زعم عليه و – الزعم المنّة – فلم يزل في بني

تميم عند زرارة/حتى لحق بقريش. و كان يقال(3): إنّ

1- المعزفة: آلة العزف. و في «الأصول»: «معرفة» بالراء المهملة و هو تصحيف.

2- يوم رحرحان الأوّل كان بين دارم و عامر بن صعصعة. (راجع الحاشية رقم 1 ص 21 ج 5 من هذه الطبعة من «الأغاني»).

3- عبارة «النقائض»: «و كان يقال إن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان هو مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، و هو قول الحارث بن ظالم حين انتهى إلى قريش. رفعت السيف... إلخ».

مرّة بن عوف من لؤيّ بن غالب، و هو قول الحارث بن ظالم ينتمي إلى قريش:

رفعت السّيف إذ قالوا قريش *** و بيّنت الشّمائل و القبابا(1)

فما قومي بثعلبة بن سعد *** و لا بفزارة الشّعر الرّقابا

و أتاهم لذلك النّسب، فكان عند عبد اللّه بن جدعان. فخرجت بنو عامر إلى الحارث بن ظالم حيث لجأ إلى زرارة و عليهم الأحوص بن جعفر، فأصابوا امرأة من بني تميم وجدوها تحتطب، و كان [في(2)] رأس الخيل التي خرجت في طلب الحارث بن ظالم شريح بن الأحوص، و أصابوا غلمانا يجتنون الكمأة. و كان الذي أصاب تلك المرأة رجلا من غنيّ، فأرادت بنو عامر أخذها منه، فقال الأحوص: لا تأخذوا أخيذة خالي. و كانت(3) أمّ جعفر (يعني أبا الأحوص) * خبيّة بنت رياح [الغنويّ(2)] و هي إحدى المنجبات. و يقال: أتى شريح بن/الأحوص بتلك المرأة [إليه(3)]، فسألها عن بني تميم، فأخبرتهم أنهم لحقوا [بقومهم(4)] حين بلغهم مجيئكم. فدفعها الأحوص إلى الغنويّ فقال: اعفجها(5) الليلة و احذر أن تنفلت. فوطئها الغنويّ ثم نام، فذهبت على وجهها. فلمّا أصبح دعوا بها فوجدوها قد ذهبت. فسألوه عنها فقال: هذا حري رطبا من زبّها. و كانت المرأة يقال لها حنظلة(6)، و هي بنت أخي زرارة بن عدس. فأتت قومها، فسألها عمّها زرارة عمّا رأت، فلم تستطع أن تنطق. فقال بعضهم: اسقوها ماء حارّا فإن قلبها قد برد من الفرق، ففعلوا و تركوها حتى اطمأنّت. فقالت: يا عمّ! أخذني القوم أمس و هم فيما أرى يريدونكم، فاحذر أنت و قومك. فقال: لا بأس عليك يا بنت أخي، فلا تذعري قومك و لا تروعيهم، و أخبريني ما هيئة [القوم و ما(4)] نعتهم. قالت: أخذني قوم يقبلون بوجوه الظّباء، و يدبرون بأعجاز النّساء. قال زرارة: أولئك بنو عامر، فمن رأيت فيهم؟ قالت: رأيت رجلا قد سقط حاجباه على عينيه فهو يرفع حاجبيه، صغير العينين، عن أمره يصدرون. قال: ذاك الأحوص بن جعفر. قالت: و رأيت رجلا قليل المنطق، إذا تكلّم اجتمع القوم لمنطقه كما تجتمع الإبل لفحلها، و هو من أحسن الناس وجها، و معه ابنان له لا يدبر أبدا إلاّ و هما يتبعانه، و لا يقبل إلاّ و هما بين يديه. قال: ذلك مالك بن جعفر، و ابناه عامر و طفيل. قالت: و رأيت رجلا أبيض هلقامة جسيما - و الهلقامة الأفوه(7) - و قال: ذلك ربيعة بن عبد اللّه بن أبي بكر بن كلاب. [قالت: و رأيت رجلا أسود أخنس قصيرا، إذا تكلّم عذم(8) القوم عذم المنخوس. قال: ذلك ربيعة بن قرط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب(4)]. /قالت: و رأيت رجلا صغير العينين، أقرن الحاجبين، كثير شعر السّبلة، يسيل لعابه على لحيته إذا تكلّم. قال: ذلك حندج بن البكّاء. قالت:

1- كذا في «ديوان المفضليات» و «النقائض». و في «الأصول»: «و العتابا» ما عدا «ج» فإن الإعجام فيها غير واضح. يقول: أظهرت لهم ما تجن صدورنا و تشتمل عليه أحشاؤنا من الود المكنون. و معنى رفعت السيف: أريت الناس و قال الخلاف بيننا و أن آلة الحرب موضوعة فينا مستغنى عنها. (عن هامش «المفضليات» طبع مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة 1920 م نقلا عن شرح المرزوقي لل «مفضليات» نسخة برلين). و رواية «المفضليات»: «رفعت الرمح... و شبهت...».

2- الزيادة من «النقائض» (طبعة أوربا صفحة 1061).

3- وردت هذه العبارة في «الأصول» هكذا: «و كانت أم جعفر خبية يعني أبا الأحوص بنت رياح». و ظاهر أن النساخ قد وضعوا «خبية» في غير موضعها. و عبارة «النقائض»: «و كانت أم بني جعفر خبية بنت رياح الغنوي...».

4- التكملة من «النقائض».

5- كذا في «ج». و العفج: الجماع. و في «سائر الأصول»: «اعجفها» و هو تحريف. و في «النقائض»: «اكفتها» أي ضمها إليك.

6- في «النقائض» «حنطة».

7- الأفوه: العظيم الفم.

8- أصل العذم: العض، و المراد هنا اللوم.

و رأيت رجلا صغير العينين، ضيّق الجبهة طويلا يقود فرسا له، معه جفير لا يجاوز يده. قال: ذلك ربيعة بن عقيل.

قالت: و رأيت رجلا آدم، معه ابنان له حسنا الوجه أصهبان، إذا أقبلا نظر القوم إليهما [حتى ينتهيا، و إذا أدبرا نظروا إليهما(1)]. قال: ذلك عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب، و ابناه يزيد و زرعة. و يقال قالت: و رأيت فيهم رجلين أحمرين جسيمين ذوي غدائر لا يفترقان في ممشى و لا مجلس، فإذا أدبرا اتّبعهما القوم بأبصارهم، و إذا أقبلا لم يزالوا ينظرون إليهما حتى يجلسا. قال: ذانك خويلد و خالد/ابنا نفيل. قالت: و رأيت رجلا آدم جسيما كأنّ رأسه مجزّ(2) غضورة - و الغضورة: حشيش دقاق خشن قائم يكون بمكة. تريد أنّ شعره قائم خشن كأنه حشيش قد جزّ -. قال: ذلك عوف بن الأحوص. قالت: و رأيت رجلا كأنّ شعر فخذيه حلق الدّروع. قال: ذلك شريح بن الأحوص. قالت: و رأيت رجلا أسمر(3) طويلا يجول في القوم كأنه غريب. [قال: ذلك عبد اللّه بن جعدة. و يقال قالت: و رأيت رجلا كثير شعر الرأس، صخّابا لا يدع طائفة من القوم إلاّ أصخبها(1)]. قال: ذلك عبد اللّه بن جعدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

أسر معبد بن زرارة و مقتله:

فسارت بنو عامر نحوهم، و التقوا برحرحان، و أسر يومئذ معبد بن زرارة، أسره عامر بن مالك، و اشترك في أسره طفيل بن مالك و رحل من غنيّ يقال له أبو عميلة و هو عصمة بن وهب و كان أخا طفيل بن مالك من الرّضاعة.

و كان معبد/بن زرارة [رجلا كثير المال. فوفد لقيط بن زرارة(4)] على عامر بن مالك في الشهر الحرام. و هو رجب، و كانت مضر تدعوه الأصمّ؛ لأنهم كانوا لا يتنادون فيه يا لفلان و يا لفلان، و لا يتغازون و لا يتنادون فيه بالشّعارات(5)، و هو أيضا منصل الألّ. و الألّ: الأسنّة؛ كانوا إذا دخل رجب أنصلوا(6)، الأسنّة من الرّماح حتى يخرج الشهر. و سأل لقيط عامرا أن يطلق أخاه. فقال: أمّا حصّتي فقد وهبتها لك، و لكن أرض أخي و حليفي اللّذين اشتركا فيه. فجعل لقيط لكلّ واحد مائة من الإبل، فرضيا و أتيا عامرا فأخبراه. فقال عامر للقيط: دونك أخاك، فأطلق عنه. فلمّا أطلق فكّر لقيط في نفسه فقال: أعطيهم مائتي بعير ثم تكون لهم النعمة عليّ بعد ذلك! لا و اللّه لا أفعل ذلك! و رجع إلى عامر فقال: إنّ أبي زرارة نهاني أن أزيد على مائة دية مضر، فإن أنتم رضيتم أعطيتكم مائة من الإبل. فقالوا: لا حاجة لنا في ذلك؛ فانصرف لقيط. فقال له معبد: ما لي يخرجني من أيديهم. فأبى ذلك عليه فقال: إذا يقتسم العرب بني زرارة. فقال معبد لعامر بن مالك: يا عامر! أنشدك اللّه لمّا خلّيت سبيلي، فإنما يريد ابن الحمراء أن يأكل كلّ مالي - و لم تكن أمّه أمّ لقيط -. فقال له عامر: أبعدك اللّه! إن لم يشفق عليك أخوك فأنا أحقّ ألاّ أشفق عليك. فعمدوا إلى معبد فشدّوا عليه القدّ و بعثوا به إلى الطائف، فلم يزل به حتى مات. فذلك قول شريح بن الأحوص:

1- التكملة من «النقائض».

2- في «الأصول»: «مجن غضورة». و التصويب من «النقائض».

3- في «النقائض»: «أشم طويلا».

4- في «الأصول»: «و كان معبد بن زرارة أغار على عامر بن مالك...». و التكملة و التصويب من «النقائض».

5- كذا في «ح» و «النقائض». و شعار القوم: علامتهم و اصطلاحهم الذي يتنادون به في الحرب. و كان شعار أصحاب النبي صلى اللّه عليه و سلم في غزوهم: «يا منصور أمت أمت». و في «سائر الأصول»: «بالثارات».

6- أنصل السنان من الرمح: أزاله عنه.

لقيط و أنت امرؤ ماجد *** و لكنّ حلمك لا يهتدي

/و لمّا أمنت و ساغ الشّرا *** ب و احتلّ بيتك في ثهمد(1)

رفعت برجليك فوق الفرا *** ش تهدي القصائد في معبد

و أسلمته عند جدّ القتال *** و تبخل بالمال أن تفتدي(2)

شعر لعوف بن عطية يعير لقيطا:

و قال في ذلك عوف بن عطيّة بن الخرع(3) التّيميّ يعيّر بن زرارة:

هلاّ فوارس رحرحان هجوتهم *** عشرا تناوح في سرارة واد(4)

لا تأكل الإبل الغراث نباته *** ما إن يقوم عماده بعماد(5)

هلاّ كررت على أخيّك(6) معبد *** و العامريّ يقوده بصفاد

و ذكرت من لبن المحلّق شربة *** و الخيل تعدو بالصّفاح بداد

- بداد(7): متفرقة. و الصّفاح: موضع. و المحلّق: موسومة بحلق على وجوهها. يقول ذكرت/لبنها، يعني إبله -

لو كنت إذ لا تستطيع(8) فديته *** بهجان أدم طارف و تلاد

/لكن تركته في عميق قعرها *** جزرا لخامعة(9) و طير عواد

لو كنت مستحيا(10) لعرضك مرّة *** قاتلت أو لفديت بالأذواد(11)

و فيها يقول نابغة بني جعدة:

1- ثهمد: جبل أحمر فارد بديار غنيّ.

2- في «الأصول»: «يفتدي» بالمثناة من تحت. و التصويب من «النقائض».

3- في «الأصول»: «الجزع» بجيم و زاي معجمة و هو تصحيف.

4- العشر: من العضاة، و هو من كبار الشجر و له صمغ حلو، و هو عريض الورق، ينبت صعدا في السماء. و تناوح: تتقابل. و سرارة الوادي: وسطه و هي أفضل موضع فيه. يهجو فوارس رحرحان و هم قوم لقيط بن زرارة بأنهم لهم مظهر و ليس لهم مخبر مثل عشر سرارة الوادي.

5- أي هو أضعف العماد. و الغراث: الجياع. يصف في هذا البيت الشجر الذي ذكره بأنه كريه و ضعيف. و يروى: «إذ لا يقوم» و «أو لا يقوم». («النقائض» صفحة 228).

6- كررت: رجعت. و يروى: «على ابن أمك». قال أبو عبيدة: «و ليست أمهما واحدة و لكن لهما أمهات تجمعهما فوق ذلك».

7- كلمة «بداد» مبنية على الكسر.

8- كذا في «ج» و «النقائض». و في «سائر الأصول»: «يستطيع» بياء مثناة من تحت.

9- الخامعة: الضبع، لأنها تخمع (تعرج) إذا مشت. و رواية «النقائض» و «خزانة الأدب»: «لجيألة». و جيألة (و مثلها جيأل): اسم علم للضبع.

10- مستحيا: مستبقيا، و هو وصف من «استحى» لغة في «استحيا».

11- الذود: القطيع من الإبل، و لا يكون إلا من الإناث. و اختلف في مقدار الذود، فقيل من ثلاث إلى تسع، و قيل من ثلاث إلى خمس عشرة، و قيل فيه غير ذلك.

هلاّ سألت بيومي رحرحان و قد *** ظنّت هوازن أنّ العزّ قد(1) زالا

مما قاله الشعراء في وقعة رحرحان:

و فيها يقول مقدام أخو [بني(2)] عدس بن زيد(3) في الإسلام، و قتلت بنو طهيّة ابنا للقعقاع بن معبد، فتوادوا(4)فأخذت بنو طهيّة منهم الفضل:

و أنتم بنو ماء السماء زعمتم *** و مات أبوكم يا بني معبد هزلا

و قال المخبّل السّعديّ يذكر معبدا:

فإن تك نالتنا كليب بقرّة *** فيومك فيهم بالمصيفة أبرد

هم قتلوا يوم المصيفة مالكا *** و شاط(5) بأيديهم لقيط و معبد

و فيها يقول عياض بن مرثد بن أسيد بن قريط بن لبيد في الإسلام:

نحن أسرنا معبدا يوم معبد *** فما افتكّ حتّى مات من شدّة الأسر

و نحن قتلنا بالصّفا بعد معبد *** أخاه بأطراف الرّدينيّة السّمر

* /

و هذا يوم شعب جبلة:

السبب في يوم جبلة:

قال أبو عبيدة: و أمّا يوم جبلة، و كان من عظام أيّام العرب؛ و كان عظام أيّام العرب ثلاثة(6): يوم كلاب(7)

1- في «ج»: «العر» بمهملتين. و في «سائر الأصول»: «القر» و التصويب من «الأغاني» (ج 5 ص 15 من هذه الطبعة). و في «النقائض»: «أن ألغى».

2- الزيادة عن «النقائض».

3- في «أكثر الأصول»: «ابن يزيد» و التصويب عن «ج» و «النقائض».

4- في «الأصول»: «فتنادوا فأجابت». و التصويب عن «النقائض». و توادوا أي دفع كل من الفريقين ديات قتلى الآخر.

5- شاط هنا: هلك.

6- كانت هذه الأيام كذلك لكثرة من كان فيها من المقاتلين.

7- كذا في «الأصول». و عبارة «النقائض»: «و كانت عظام أيام العرب ثلاثة أيام يوم الكلاب، و يوم ذي قار لربيعة، و يوم جبلة». و الكلاب: ماء لبني تميم بين الكوفة و البصرة، بين أدناه و أقصاره مسيرة يوم، أعلاه مما يلي اليمن و أسفله مما يلي العراق. و للعرب في الكلاب يومان عظيمان: الأوّل كان بين شرحبيل و سلمة ابني الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار، و هو جد امرئ القيس الشاعر. و ذلك أن الحارث كان قد فرق أولاده ملوكا على القبائل. فلما مات تفاسد ما بين القبائل، فوقعت حرب بين ابنه شرحبيل و معه بكر و الرباب و بنو يربوع، و ابنه سلمة و معه تغلب و النمر و بهراء، فقتل شرحبيل يومئذ و انهزمت شيعته. و أما يوم الكلاب الثاني فإن بني تميم كانوا أغاروا على لطيمة (عير تحمل طيبا) لكسرى؛ فأوقع بهم كسرى بهجر حتى وهنوا؛ و يقال لهذا اليوم يوم الصفقة. فخشيت تميم أن تغير عليهم القبائل لما صاروا إليه من ضعف، فتشاوروا فيما بينهم فرأوا أن يلتجئوا إلى الكلاب ليستجموا فيه، و هم آمنون أن تقطع إليهم الصحاري التي دونه إذ كان الوقت قيظا. فرآهم في هذا المكان من دل بني الحارث بن عبد المدان عليهم، فجمعوا لهم، فكان بينهم ذلك اليوم المشهور الذي انتصرت فيه تميم على المغيرين عليها. و في هذا اليوم أسر عبد يغوث ثم قتل، و قال في أسره قصيدته التي مطلعها: أيا راكبا إما عرضت فبلغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا

ربيعة، و يوم جبلة، و يوم ذي(1) قار. و كان الذي هاج و يوم جبلة أنّ بني عبس بن بغيض حين(2) خرجوا هاربين من بني ذبيان بن بغيض و حاربوا/قومهم خرجوا متلدّدين(3). فقال الربيع بن زياد العبسيّ: أما و اللّه لأرمينّ العرب بحجرها، اقصدوا لبني(4) عامر؛ فخرج حتى نزل مضيقا من وادي بني عامر ثم قال: امكثوا. فخرج ربيع و عامر(5)ابنا زيد و الحارث بن خليف(6) حتى نزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب بن الحريش(7)، و كان العقد من بني عامر إلى [بني(8)] كعب بن ربيعة [و كانت الرئاسة في بني كلاب بن ربيعة(9)]. فقال ربيعة بن شكل: يا بني عبس، شأنكم(10) جليل، و ذحلكم الذي يطلب منكم عظيم، و أنا أعلم و اللّه أنّ هذه الحرب أعزّ حرب(11) حاربتها العرب قطّ. و لا و اللّه ما بدّ من بني كلاب، فأمهلوني حتى أستطلع طلع قومي. فخرج في قوم من بني كعب حتى جاءوا بني كلاب، فلقيهم عوف بن الأحوص فقال: يا قوم، أطيعوني في هذا الطّرف من غطفان، فاقتلوهم(12) و اغنموهم لا تفلح غطفان بعده أبدا. و و اللّه إن تزيدون على أن تسمّنوهم و تمنعوهم ثم يصيروا لقومكم أعداء. فأبوا عليه، و انقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم(13). فقال لربيعة بن شكل: أ ظلّلتهم ظلّك و أطعمتهم طعامك؟ قال نعم. قال: قد و اللّه أجرت القوم!. فأنزلوا القوم وسطهم/بحبوحة دارهم.

و ذكر بشر بن عبد اللّه بن حيّان الكلابيّ أنّ عبسا لمّا حاربت قومها أتوا بني عامر و أرادوا عبد اللّه بن جعدة و ابن الحريش ليصيروا حلفاءهم دون كلاب؛ فأتى قيس بن زهير و أقبل نحو بني جعفر هو و الربيع بن زياد حتى انتهيا إلى الأحوص/ [جالسا قدام بيته(14)]. فقال قيس للربيع: إنه لا حلف و لا ثقة دون أن أنتهي إلى هذا الشيخ. فتقدّم إليه قيس فأخذ بمجامع ثوبه من وراء فقال: هذا مقام العائذ بك! قتلتم أبي فما أخذت له عقلا و لا قتلت به أحدا، و قد أتيتك لتجيرنا. فقال الأحوص: نعم! أنا لك جار مما أجير منه نفسي، و عوف بن الأحوص عن ذلك غائب. فلما سمع عوف بذلك أتى الأحوص و عنده بنو جعفر فقال: يا معشر بين جعفر، أطيعوني اليوم و اعصوني أبدا، و إن كنت

1- ذو قار: واد متاخم لسواد العراق. و يوم ذي قار المعدود من عظام أيام العرب كان بين قبائل بكر بن وائل من العرب و كسرى ملك الفرس. و سببه أن النعمان بن المنذر لما قتل عدي بن زيد دس له ابنه زيد عند كسرى (راجع تفصيل كل هذا في ترجمة عدي بن زيد في «الأغاني» ج 2 ص 97 من هذه الطبعة) فطلب كسرى النعمان، فخشيه و استودع حريمه و أمواله و سلاحه عند هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود، ثم ذهب إلى كسرى فقتله، ثم طالب كسرى هانئ بن قبيصة بودائعه فامتنع، فكان ذلك سبب يوم ذي قار المشهور بين قبائل بكر من العرب و الفرس و كان الظفر فيه للعرب.

2- في «الأصول»: «حيث» و التصويب من «النقائض».

3- التلدد: التلفت يمينا و شمالا تحيرا.

4- في «ب، س»: «بني عامر».

5- في «النقائض»: «عمارة» بدل «عامر».

6- كذا في «ح» و «النقائض». و في «سائر الأصول»: «خلف».

7- في «الأصول»: «الحارث» و التصويب من «النقائض» و «القاموس» و شرحه (في مادة حرش). و سيأتي كذلك في «الأصول» بعد أسطر.

8- الزيادة من «النقائض».

9- كذا في «ح» و «النقائض». و في «سائر الأصول»: «شانئكم» و هو تحريف.

10- كذا في «ح» و «النقائض». و في «سائر الأصول»: «أعز حرب ما حاربتها العرب قط».

11- في «الأصول»: «حتى جازوا». و التصويب من «النقائض».

12- كذا في «النقائض» و في «الأصول»: «فاقطعوهم».

13- في «ح»: «فذكروا له ما أمرهم».

14- ما بين المربعين ورد في «الأصول» مكانه: «قد لم ينته» فألصق النساخ الألف بالميم و صحفوا «بيته». و التصويب من «النقائض».

و اللّه فيكم معصـيّا. إنّهم و اللّه لو لقوا بني ذبيان لولّوكم أطراف الأسـنّة إذا نكهوا في أفواههم بكلام!. فابـدءوا بهم فاقتلوهم و اجعلوهم مثل البرغوث دماغه [في(1)] دمه. فـأبوا عليه و حالفوهم. فقال: و اللّه(2) لا ـ أدخل في هـذا الحلف!. قال: و سـمعت بهم حيث قرّ قرارهم بنو ذبيـان، فحشـدوا و اسـتعدّوا و خرجوا و عليهم حصن بن حذيفـة بن بـدر و معه الحليفـان أسـد و ذبيان يطلبون بـدم حذيفـة، و أقبل معهم شرحبيل(3) بن أخضر بن الجون - و الجون هو معاوية؛ سمي بذلك لشدّة سواده - ابن آكل المرار الكنديّ في جمع من كندة، و أقبلت بنو حنظلـة بن مالك و الرّباب عليهم [لقيط بن زرارة(2)] يطلبون بـدم معبـد بن زرارة و يثربيّ بن عدس، و أقبل معهم حسّان(4) بن عمرو بن الجون في جمع عظيم من كندة و غيرهم، فأقبلوا إليهم(5) بوضائع(6) كانت تكون بالحيرة مع الملوك و هم الرابطة. و كان في الرّباب رجل من أشرافهم يقال له النّعمان بن قهوس التّيميّ، و كان معه لواء من سار إلى جبلة، و كان من فرسان العرب. و له تقول دختنوس بنت لقيط بن زرارة يومئذ:

شعر لدختنوس بنت لقيط تعير ابن قهوس:

قرّ ابن قهوس الشّجا *** ع بكفّه رمح متلّ

يعدو به خاظي البضي *** ع(7) كأنّه سمع أزلّ(8)

إنّك من تيم فدع *** غطفان إن ساروا و حلّوا

- متلّ: مستقيم، يتلّ(9) به كلّ شيء. الخاظي: الشيء المكتنز. و السّمع: ولد الضّبع [من الذّئب(10)].

و العسبار: ولد الذّئب من الكلبة -.

لا منك عدّهم و لا *** آباك إن هلكوا و ذلّوا

فخر البغيّ(11) بحدج ربّ *** تها إذا النّاس استقلّوا

لا حدجها ركبت و لا *** لرغال(12) فيه مستظلّ

و لقد رأيت أباك وس *** ط القوم يربق(13) أو يجلّ

1- التكملة من «النقائض».

2- في «الأصول»: «فقال رجل لا أدخل...». و التصويب من «النقائض».

3- و «النقائض»: «و أقبل معهم معاوية بن شرحبيل...».

4- كذا في «النقائض». و يؤيده ما ورد في شعر نابغة بني جعدة الآتي. و في «الأصول» هنا: «كيسان».

5- كذا في «النقائض». و في «أ، م»: «إليه». و في «سائر الأصول»: «عليه».

6- الوضائع هنا: قوم من الجند يوضعون في كورة لا يغزون منها.

7- البضيع: اللحم.

8- أزل: أرسح أي قليل لحم الفخذين.

9- يتل: يصرع.

10- التكملة من «النقائض».

11- البغي هنا: الأمة، و في غير هذا الموضع الفاجرة. و الحدج (بالكسر): مركب من مراكب النساء يشبه المحفة. و ربتها: سيدتها.

12- وردت هـذه الكلمـة في «الأـصول» محرفـة، بين «لرغـاء فيهـا» و «لرعاء فيها». و «لوعاء فيها». و التصويب من «النقائض» و «لسان العرب» (في مادة رغل) و رغال: الأمة.

13- في «الأصول المخطوطـة»: «يبرق». و في «ب، س»: «يبزو». و التصويب من «النقائض». و يربق: يشد البهيمة بالربقة و هي عروة في حبل تشد بها البهيمة.

متقلّدا ربق الفرا *** ر كأنه في الجيد غلّ

تشاور بني عامر في أمرهم:

- يجلّ: يلقط البعر. و الفرار: أولاد الغنم، واحدها فرارة -.

قال: و كان معهم رؤساء بني تميم: حاجب بن زرارة و لقيط بن زرارة و عمرو بن عمرو و عتيبة(1) بن الحارث بن شهاب، /و تبعهم غثاء من غثاء الناس يريدون الغنيمة، فجمعوا جمعا لم يكن الجاهليّة قطّ مثله أكثر كثرة، فلم تشكّ العرب في هلاك بني عامر. [فجاءوا(2)] حتى مرّوا ببني سعد/بن زيد مناة، فقالوا لهم: سيروا معنا إلى بني عامر. فقالت لهم بنو سعد: ما كنّا لنسير معكم و نحن نزعم أنّ عامر بن صعصعة ابن سعد [بن زيد مناة(3)]. فقالوا: أمّا إذا أبيتم أن تسيروا(4) معنا فاكتموا علينا. فقالوا: أمّا هذا فنعم. فلمّا سمعت بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفر، و هو يومئذ شيخ كبير قد وقع حاجباه على عينية و قد ترك الغزو غير أنه يدبّر أمر الناس، و كان مجرّبا حازما ميمون النّقيبة، فأخبروه الخبر. فقال لهم الأحوص: قد كبرت، فما أستطيع أن أجيء بالحزم و قد ذهب الرأي منّي. و لكنّي إذا سمعت عرفت، فأجمعوا آراءكم ثم بيتوا ليلتكم هذه ثم اغدوا عليّ فاعرضوا عليّ آراءكم، ففعلوا. فلمّا أصبحوا غدوا عليه، فوضعت له عباءة بفنائه فجلس عليها. و رفع حاجبيه عن عينيه بعصابة ثم قال: هاتوا ما عندكم. فقال قبس بن زهير العبسيّ: بات في كنانتي الليلة مائة رأي. فقال له الأحوص يكفينا منها رأي واحد حازم صليب مصيب، هات فانثر كنانتك. فجعل يعرض كلّ رأي رآه حتى أنفد. فقال له الأحوص: ما رأي بات في كنانتك الليلة رأي واحد! و عرض الناس آراءهم حتى أنفدوا. فقال: ما أسمع شيئا و قد صرتم إليّ، احملوا(5) أثقالكم و ضعفاءكم ففعلوا، ثم قال: احملوا ظعنكم فحملوها، ثم قال: اركبوا فركبوا، و جعلوه في محفّة، و قال: انطلقوا حتى تعلوا في اليمن(6)، فإن أدرككم أحد كررتم عليه، و إن أعجزتموهم مضيتم. فسار الناس حتى أتوا وادي بحار(7) ضحوة، فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض. فقال الأحوص: ما هذا؟ قيل هذا عمرو بن عبد اللّه بن/جعدة في فتيان(8) من بني عامر يعقرون(9) بمن أجاز بهم و يقطعون بالنّساء حواياهنّ(10).

فقال الأحوص: قدّموني، فقدّموه حتى وقف عليهم فقال: ما هذا الذي تصنعون؟! قال عمرو: أردت أن تفضحنا و تخرجنا هاربين من بلادنا و نحن أعزّ العرب، و أكثرهم(11) عددا و جلدا و أحدّهم شوكة! تريد أن تجعلنا موالي في

1- في «الأصول»: «... و عمرو بن عمرو بن عيينة و الحارث بن شهاب». و التصويب من «النقائض».

2- الزيادة عن «النقائض».

3- الزيادة عن «النقائض».

4- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: «أن تصيروا...».

5- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: «اجمعوا».

6- لعله «في اليمن»؛ فإن الوادي الذي أتوه ضحوة و هو وادي بحار يقال أنه من بلاد اليمن. (راجع «معجم البلدان» في بحار).

7- في «الأصول»: «وادي نجار». و التصويب من «النقائض» و «معجم البلدان» لياقوت.

8- كاذ في «ج» و «النقائض». و في «سائر الأصول»: «قدم في فتيان» بزيادة كلمة «قدم» و هي لا موضع لها هنا.

9- في «الأصول»: «يعدون». و التصويب من «النقائض».

10- الحوايا: جمع حوية و هي مركب من مراكب النساء.

11- كـذا في «النقائض». و في «الأصول الخطيـة»: «و أكثره عـددا و جلـدا و أحـده شوكـة». و في «ب، س»: و أكثر... و أحـدّ...» بدون ضمير.

العرب إذ خرجت بنا هاربا(1)!. قال: فكيف أفعل و قد جاءنا ما لا طاقة لنا به! فما الرأي؟ قال: نرجع إلى شعب جبلة فتحرز النساء و الضّعفة و الذّراريّ و الأموال في رأسه و نكون في وسطه ففيه ثمل(2) (أي خصب و ماء). فإن أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء و لا مقام لهم، و إن صعودا عليك قاتلتهم من فوق رءوسهم بالحجارة، فكنت في حرز و كانوا في غير حرز، و كنت على قتالهم أقوى منهم على قتالك. قال: هذا و اللّه الرأي، فأين كان هذا عنك حين استشرت الناس؟ قال: إنما جاءني الآن. قال الأحوص للناس: ارجعوا فرجعوا. ففي ذلك يقول نابغة لبني جعدة:

و نحن حبسنا الحيّ عبسا و عامرا *** لحسّان و ابن الجون إذ قيل أقبلا

و قد صعدت وادي بحار(3) نساؤهم *** كإصعاد(4) نسر لا يرومون منزلا

عطفنا لهم عطف الضّروس فصادفوا *** من الهضبة الحمراء عزّا و معقلا(5)

- الضّروس: الناقة العضوض(6) - فدخلوا شعب جبلة. و جبلة: هضبة حمراء بين/الشّريف/و الشّرف.

و الشّريف: ماء لبني نمير. و الشّرف: ماء لبني كلاب. و جبلة: جبل عظيم(7) له شعب عظيم واسع، لا يؤتى(8)الجبل إلا من قبل الشّعب، و الشّعب متقارب [المدخل(9)] و داخله متّسع، و به اليوم عرينة من بجيلة.

دخولهم شعب جبلة:

فدخلت بنو عامر شعبا منه يقال له مسلّح، فحصّنوا النساء و الذراريّ و الأموال في رأس الجبل، و حلّوا الإبل عن الماء، و اقتسموا الشّعب بالقداح فأقرع بين القبائل في شظاياه(10)، فخرجت بنو تميم و معهم بارق (حيّ من الأزد حلفاء يومئذ لبني نمير. و بارق هو سعد بن عديّ بن حارثة بن عمرو(11) مزيقياء بن عامر ماء السماء. و سمّي مزيقياء لأنه كان يمزّق عليه كلّ يوم حلّة) فولجوا الخليف (و الخليف: الطريق بين الشّعبين شبه الزّقاق(12) لأنّ سهمهم تخلّف. و فيه يقول معقّر بن أوس بن حمار البارقيّ:

و نحن الأيمنون بنو نمير *** يسيل(13) بنا أمامهم الخليف

1- في «أ، م، ح»: «هرابا» جمع هارب.

2- في «الأصول»: «ففيه تمثل». و التصويب من «النقائض».

3- في «النقائض» و «معجم البلدان»: «عن ذي بحار». و راجع الحاشية الخامسة في الصفحة السابقة.

4- في «الأصول»: «لإصعاد سير». و التصويب من «النقائض» و «معجم البلدان».

5- كذا في «ج» و «النقائض» و «معجم البلدان». و في «سائر الأصول»: «و مفضلا» و هو تحريف.

6- الضروس: الناقة الحديثة النتاج. و إنما سميت ضروسا لأنه يعتريها عند نتاجها عضاض أياما حذارا على ولدها ثم يذهب عنها.

7- في «النقائض»: «طويل».

8- في «الأصول»: «لا ترى الجبل...». و التصويب من «النقائض».

9- التكملة من «النقائض».

10- في «الأصول»: «بالقـداح و القرع بين القبائل في شـكاياه» و التصويب من «النقائض». و الشـظايا: القطع من رءوس الجبال، الواحدة شظية.

11- في «الأصول»: «... عمرو بن مزيقياء بن عامر بن ماء السماء». و مزيقياء لقب عمرو، و ماء السماء لقب عامر.

12- الزقاق: الطريق الضيق.

13- في «الأصول»: «يسير». و التصويب من «النقائض».

قال: و كان معقّر يومئذ شيخا كبيرا و معه هؤلاء ابنة له تقود به جمله. [فجعل يقول لها:] من أسهل(1) من الناس؟ فتخبره و تقول(2) هؤلاء بنو فلان، و هؤلاء بنو فلان، حتى إذ تناهى الناس قال: اهبطي، لا يزال الشّعب منيعا سائر هذا اليوم، و هبط(3). و كانت كبشة بنت عروة الرّحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب يومئذ حاملا بعامر بن الطّفيل، فقالت: ويلكم يا بني عامر ارفعوني! فو اللّه إنّ في بطني لعزّ بني عامر. /فصفّوا(4) القسيّ على عواتقهم ثم حملوها حتى أثووها بالقنّة (يقال قنّة و قنان). فزعموا أنها ولدت عامرا يوم فرغ الناس من القتال.

من شهد الوقعة من القبائل:

فشهدت بنو عامر كلّها جبلة إلاّ هلال بن عامر و عامر بن ربيعة بن عامر، و شهدها مع بني عامر من العرب بنو عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم و كان لهم بأس و حزم و عليهم مرداس بن أبي عامر، و هو أبو العبّاس بن مرداس. و كانت بنو عبس بن رفاعة حلفاء(5) بني عمرو بن كلاب.

تفرق بجيلة في بطون بنى عامر:

و زعم بعض بني عامر(6) أنّ مرداسا كان مع أخواله [غنيّ](7)، و [كانت(7)] أمّه فاطمة بنت جلهمة الغنويّة.

و شهدتها غنيّ و باهلة و ناس من بني سعد بن بكر و قبائل بجيلة كلّها إلا قسرا(8) لحرب كانت بين قسر و قومها، فارتحلت بجيلة فتفرقت في بطون بني عامر، فكانت عادية بن عامر بن قداد من بجيلة في بني عامر بن ربيعة، و كانت سحمة(9) من بجيلة في بني جعفر بن كلاب - و يقال: عمرو بن كلاب - و كانت عرينة من بجيلة في عمرو بن كلاب و كانت بنو قيس كبّة (لفرس يقال لها كبّة) من بجيلة في بني عامر بن ربيعة و كانت فتيان(10) في بني عامر بن ربيعة، و بنو قطيعة(11) من بجيلة في بني أبي بكر بن كلاب، و نصيب(12) بن عبد اللّه من بجيلة [في بني نمير، و كانت ثعلبة و الخطام من بجيلة(7)]، في بني عامر بن ربيعة، و بنو عمرو بن معاوية بن زيد من بجيلة في بني أبي بكر بن كلاب معهم يومئذ نفير من عكل، فبلغ جمعهم ثلاثين ألفا. و عمي/على بني عامر الخبر. فجعلوا لا يدرون ما قرب القوم من بعدهم.

1- في «الأصول»: «... جملة من أسفل من الناس» و التكملة و التصويب من «النقائض».

2- عبارة «النقائض»: «فتخبره و هو يقول هؤلاء بنو فلان حتى إذا تتاموا قال اهبطي... إلخ».

3- في «النقائض»: «و هبط الناس».

4- في «النقائض»: «فوضعوا».

5- في «النقائض»: «... حلفاء في بني عامر بن كلاب».

6- في «النقائض»: «و زعم بعضهم».

7- الزيادة من «النقائض».

8- في «الأصول»: «... إلا قشير لحرب كانت بين قيس و قومها...» و التصويب من «النقائض» و «القاموس».

9- في «الأصول»: «شحمة» بالشين المعجمة. و التصويب من «النقائض» و «القاموس» و «معجم ما استعجم» للبكري.

10- في «أكثر الأصول»: «قينان» و التصويب من «ج» و «القاموس» و «معجم ما استعجم». و في «النقائض» بدل هذه العبارة: «و كانت بنو عامر بن معاوية بن زيد من بجيلة في بني عامر بن ربيعة».

11- في «الأصول»: «و بنو قطيفة» بالفاء، و هو تحريف.

12- كذا ورد هذا الاسم مضبوطا في «النقائض». و ورد في «معجم ما استعجم» (ج 1 ص 40) مضبوطا بضم أوّله و فتح ثانيه. و قد سموا نصيبا مكبرا و مصغرا.

ما فعله كرب بن صفوان لتميم و أسد:

و أقبلت تميم و أسد و ذبيان و لفهم نحو جبلة، فلقوا كرب بن صفوان بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة، فقالوا له: أين تذهب؟ أ تريد أن تنذر بنا بني عامر؟ قال لا. قالوا: فأعطنا عهدا و موثقا ألاّ تفعل؛ فأعطاهم فخلّوا سبيله. فمضى مسرعا على فرس له عري(1)، حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر/و فيهم الأحوص نزل تحت شجرة حيث يرونه؛ فأرسلوا إليه يدعونه، قال: لست فاعلا، و لكن إذا رحلت فأتوا منزلي فإنّ الخبر فيه.

فلما(2) جاءوا منزله إذا فيه تراب في صرّة و شوك قد كسر رءوسه و فرّق جهته، و إذا حنظلة موضوعة، و إذا وطب معلّق فيه لبن. فقال الأحوص: هذا رجل قد أخذ عليه المواثيق ألاّ يتكلّم، و هو يخبركم أنّ القوم مثل التّراب كثرة، و أنّ شوكتهم كليلة [و هم متفرّقون(3)]، و جاءتكم بنو حنظلة. انظروا ما في الوطب، فاصطبّوه فإذا فيه لبن حزر (قرص(4). فقال: القوم منكم على قدر حلاب اللّبن إلى أن يحزر. فقال رجل من بني يربوع - و يقال قالته دختنوس بنت لقيط بن زرارة -

كرب بن صفوان بن شجنة لم يدع *** من دارم أحدا و لا من نهشل

أ جعلت يربوعا كقورة دائر *** و لتحلفن باللّه أن لم تفعل

و ذلك قول عامر بن الطّفيل بعد جبلة بحين:

ألا أبلغ لديك جموع سعد(5) *** فبيتوا لن نهيجكم نياما

نصحتم بالمغيب و لم تعينوا(6) *** علينا إنكم كنتم كراما

/و لو كنتم مع ابن الجون كنتم *** كمن أودى و أصبح قد ألاما

صعود بني عامر الشعب و تشاور أعدائهم في الصعود إليهم:

فلمّا استيقنت(7) بنو عامر بإقبالهم صعدوا الشّعب، و أمر الأحوص بالإبل التي ظمّئت قبل ذلك فقال:

اعقلوها كلّ بعير بعقالين [في(8)] يديه جميعا. و أصبح لقيط و الناس نزول به، و كانت مشورتهم إلى لقيط؛ فاستقبلهم جمل عود(9) أجرب أخذ أعصل كاشر عن أنيابه؛ فقال الحزاة من بني أسد - و الحازي العائف(10) -

---

1- في «ج» و «النقائض»: «عربي» بدل «عري». و فرس عري لا سرج عليه.

2- في «النقائض»: «فلما رحل جاءوا منزله فإذا... إلخ».

3- التكملة من «النقائض».

4- في «الأصول»: «فإذا فيه لبن جبن قارص» إلا «ج» ففيها «قرص» على الصحة. و التصويب من «النقائض».

5- كذا في «النقائض». و يرجحه أن كرب بن صفوان المقول فيه هذا الشعر ينتهي نسبه إلى سعد. و في «الأصول»: «جموع تيم».

6- في «الأصول»: «و لن تغيبوا». و التصويب من «النقائض».

7- كذا في «النقائض» و في «الأصول»: «فلما استثبت...».

8- التكملة من «النقائض».

9- العود هنا: المسن من الإبل. و الأحذ هنا: خفيف شعر الذنب، أو قصير الذنب. و الأعصل: الملتوي الذنب.

10- في «الأصول»: «فقال الحزارة من بني أسد و الحازر و القائف» إلا «ج» «ففيها الحازي»، على الصحة، و هو تحريف. و العائف: الذي يزجر الطير.

اعقروه. فقال لقيط: و اللّه لا يعقر حتّى يكون فحل(1) إبلي غدا -. و كان البعير من عصافير المنذر التي أخذها قرّة بن هبيرة(2) بن عامر بن سلمة بن قشير. و العصافير: إبل كانت للملوك نجائب - ثم استقبلهم معاوية بن عبادة بن عقيل و كان أعسر فقال:

أنا الغلام الأعسر *** الخير فيّ و الشّر

و الشرّ(3) فيّ أكثر

فتشاءمت بنو أسد و قالوا: ارجعوا عنهم و أطيعونا. فرجعت بنو أسد فلم تشهد جبلة مع لقيط إلا نفيرا يسيرا، منهم شأس بن أبي بليّ(4) أبو عمرو بن شأس الشاعر، و معقل بن عامر بن موألة(5) المالكيّ. و قال الناس للقيط: ما ترى؟ فقال: أرى أن تصعدوا إليهم. فقال شأس: لا تدخلوا على بني عامر؛ فإني أعلم النّاس بهم، قد قاتلتهم و قاتلوني و هزمتهم و هزموني، فما رأيت قوما قطّ أقلق بمنزل من بني عامر! /و اللّه ما وجدت لهم مثلا إلاّ الشّجاع؛ فإنه لا يقرّ في حجره قلقا، و سيخرجون إليكم. و اللّه لئن بتّم(6) هذه الليلة لا تشعرون بهم إلاّ و هم منحدرون عليكم. فقال لقيط. و اللّه لندخلنّ عليهم. فأتوهم و قد أخذوا حذرهم. و جعل الأحوص ابنه شريحا على تعبئة الناس. فأقبل لقيط و أصحابه مدلّين فأسندوا(7) إلى الجبل حتى ذرّت الشمس. فصعد لقيط في الناس و أخذ بحافتي الشّجن(8). فقالت بنو عامر للأحوص: قد أتوك. فقال: دعوهم. حتى إذا نصفوا الجبل و انتشروا فيه، قال الأحوص: حلّوا عقل/الإبل ثم احدروها و اتّبعوا آثارهم(9)، و ليتبع كلّ رجل منكم بعيره حجرين أو ثلاثة، ففعلوا ثم صاحوا بها، فلم يفجأ الناس إلاّ الإبل تريد الماء و المرعى، و جعلوا يرمونهم بالحجارة و النّبل؛ و أقبلت الإبل تحطم كلّ شيء مرّت به، و جعل البعير يدهدي بيديه(10) كذا و كذا حجرا. و قد كان لقيط و أصحابه سخروا منهم حين صنعوا بالإبل ما صنعوا. فقال رجل من بني أسد:

زعمت أنّ العير لا تقاتل *** بلى إذا تقعقع(11) الرحائل

و اختلف الهنديّ و الذّوابل *** و قالت الأبطال من ينازل

بلى و فيها حسب و نائل

1- في «أ، م، ج»: «فحل أبي غدا». و في «ب، س»: «محل أبي غدا». و التصويب من «النقائض»، و فيها «نذرا» بدل كلمة «غدا».

2- في «الأصول»: «قرة بن زهير». و التصويب من «النقائض» و «تاريخ الطبري».

3- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: «و الضرفيّ...».

4- في «الأصول»: «... شأس بن أبي ليلى...» و التصويب من «النقائض» شرح التبريزي ل «ديوان الحماسة» ص 139 طبع مدينة بن سنة 1828 م).

5- في «الأصول»: «موالكة». و التصويب من «النقائض» و كتب اللغة.

6- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: «لئن نمتم...».

7- أسندوا إلى الجبل: اعتمدوا عليه. فقال: سند و تساند و أسند إلى الشيء و استند إذا اعتمد عليه.

8- الشجن: (بالفتح): أعلى الوادي. و في «النقائض»: «بحافتي الشعب».

9- في «النقائض»: «أدبارها».

10- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: «بصدره».

11- كـذا في «النقائض». و في «الأصول»: «إذا ما قعقع». و تقعقع الشـيء: اضـطرب و تحرك. و الرحائل: جمع رحالـة و هي السـرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد.

شعر لبعض بني عامر في الوقعة:

فانحطّ الناس منهزمين من(1) الجبل حتى السّهل. فلمّا بلغ الناس السّهل لم يكن لأحد منهم همّة إلا أن يذهب على وجهه، فجعلت بنو عامر يقتلونهم و يصرعونهم بالسيوف في آثارهم، فانهزموا شرّ الهزيمة. فجعل رجل من بني عامر يومئذ يرتجز و يقول:

/

لم أر يوما مثل يوم جبله *** يوم أتتنا أسد و حنظله

و غطفان و الملوك أزفله(2)*** نضربهم بقضب منتخله(3)

لم تعد أن أفرش عنها الصّقله(4)*** حتى حدوناهم حداء الزّوامله(5)

و جعل معقل بن عامر(6) يرتجز و يقول:

نحن حماة الشّعب(7) يوم جبله *** بكلّ عضب صارم و معبله

و هيكل نهد معا(8) و هيكله

المعبلة: السهم إذا كان نصله عريضا فهو معبلة، و الرقيق: القطبة.

قتال بني تميم ضد بني عامر:

و خرجت بنو تميم من الخليف على الخيل فكركروا الناس (يعني ردّوهم) و انقطع شريح بن الأحوص في فرسان حتى أخذ الجرف فقاتل الناس قتالا شديدا هناك، و جعل لقيط يومئذ(9) و هو على برذون له مجفّف(10)بديباج أعطاه إيّاه كسرى - و كان أوّل عربيّ جفّف - يقول:

عرفتكم و الدمع العين يكف(11) *** لفارس أتلفتموه ما خلف

إنّ النّشيل و الشّواء و الرّغف *** و القينة الحسناء و الكأس الأنف(12)

/و صفوة القدر و تعجيل اللّقف(13) *** للطاعنين الخيل و الخيل قطف(14)

1- في «الأصول»: «في الجبل». و التصويب من «النقائض».

2- الأزفلة: الجماعة. و في «الأصول»: «أرفلة» بالراء. و التصويب من «النقائض».

3- منتخلة: مختارة.

4- أفرش عنه: أقلع. و الصقلة: جمع صاقل، من صقل السيف إذا جلاه. يريد أنها حديثة الجلاء.

5- الزوملة: الإبل. و في «الأصول»: «حتى حذوناهم حذاء الرفلة». و التصويب من «النقائض».

6- في «الأصول»: «معقل بني عامر». و التصويب من «النقائض».

7- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: «نحن سماة الخيل».

8- هيكل هنا: ضخم. و النهد من الخيل: كثير اللحم حسن الجسم مع ارتفاع.

9- في «الأصول الخطية»: «و جعل لقيط يومئذ و هو الحارث على برذون له...» بزيادة «الحارث». و في «النقائض»: «و جعل لقيط و هو يومئذ على الجرف على برذون...».

10- مجفف: عليه تجفاف (بفتح التاء و كسرها) و هو شيء يتخذ من حديد أو غيره يجعل على ظهر الفرس ليقيه الأذى، و قد يلبسه الإنسان أيضا.

11- كذا في «النقائض». و يكف: يسيل. و في «الأصول»: «بالعين بكف».

12- النشيل هنا: اللحم المطبوخ، أو الذي ينشل من القدر قبل النضج، و اللبن ساعة يحلب. و الشواء (بالكسر و يضم): ما شوي من اللحم و غيره أي عرض لحرارة النار فنضج و صلح للأكل. و الكأس الأنف: التي لم يشرب بها قبل ذلك.

13- اللقف: يريد به ما يلقف و يتناول من الطعام. و في بعض الأصول: «و تعجيل اللفف» بفاءين.

14- كذا في «النقائض». و قطف: جمع قطوف و هو المتقارب الخطو أو البطيء من الدواب. و في «الأصول الخطية»: «جنف» و في «ب، س»: «جفف» و هو تحريف.

و جعل لا يمرّ به أحد من الجيش إلاّ قال [له(1)]: أنت و اللّه قتلتنا و شتمتنا(2). فجعل يقول:

يا قوم قد أحرقتموني باللّؤم *** و لم أقاتل عامرا قبل اليوم

فاليوم إذ قاتلتهم فلا لوم *** تقدّموا و قدّموني للقوم

شتّان هذا و العناق و النّوم *** و المضجع البارد في ظلّ الدّوم

و قال شأس بن أبي بليّ(3) يجيبه:

لكن أنا قاتلتها قبل اليوم *** إذ كنت لا تعصي أموري في القوم

و جعل لقيط يقول: من كرّ فله خمسون ناقة، و جعل يقول:

أ كلّكم يزجركم أرحب(4) هلا *** و لن تروه الدّهر إلاّ مقبلا

/يحمل زغفا و رئيسا(5) حجفلا *** و سائلا في أهله ما فعلا

و جعل يقول أيضا:

أشقر(6) إن لم تتقدّم تنحر *** و إن تأخّر عن هياج تعقر

ثم عاد يقول:

إنّ الشواء و النّشيل و الرّغف

/فأجابه شريح بن الأحوص:

إن كنت ذا صدق فأقحمه الجرف *** و قرّب الأشقر حتى تعترف

وجوهنا إنّا بنو البيض العطف(7)

سقوط لقيط في الموقعة:

و بينه و بينه جرف منكر، فضرب لقيط فرسه و أقحمه عليه الجرف؛ فطعنه شريح [فسقط(8)]. و قد اختلفوا في ذلك، فذكروا أنّ الذي طعنه جزء بن خالد بن جعفر، و بنو عقيل تزعم أنّ عوف بن المنتفق العقيليّ قتله يومئذ و أنشأ يقول:

1- زيادة عن «النقائض».

2- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: «و شاتمتنا».

3- راجع الحاشية الثامنة من صفحة 140 المتقدّمة.

4- في «الأصول»: «رحب هلا». و التصويب من «النقائض»، و فيها: «أكلهم يزجره». و أرحب و هلا: مما تزجر به الخيل؛ يقال للخيل: أرحب و أرحبي أي توسعي و تباعدي و تنحي. و هلا أي اسكني و قري.

5- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «ربيا» بدل «رئيسا». و رواية هذا الشطر في «النقائض»: يقود جيشا و رئيسا جحفلا و ليس فيها الشطر الأخير. و الزغف و الزغفة (و تحرك الغين فيهما): الدرع المحكمة أو اللينة، و الجمع الزغف (بالفتح) كالواحد.

6- أشقر: اسم فرسه يخاطبه.

7- العطف: جمع عطوف، و هو وصف من عطف عليه يعطف عطفا إذا رجع عليه بما يكره أوله بما يريد.

8- زيادة عن «النقائض».

ظلّت تلوم لما بها عرسي(1) *** جهلا و أنت حليمة أمس

إن تقتلوا بكري و صاحبه *** فلقد شفيت بسيفه نفسي

فقتلته في الشّعب أوّل فارس(2) *** في الشّرق قبل ترحّل الشمس

فزعموا أن عوفا هذا قتل يومئذ ستّة نفر، و قتل ابن له و ابن أخ له. و أمّ العلماء فلا يشكّون أن شريحا قتله، و ارتثّ و به طعنات - و الارتثاث أن يحمل و هو مجروح، فإن حمل ميّتا فليس بمرتثّ - فبقي يوما ثم مات. فجعل لقيط يقول عند موته:

يا ليت شعري عنك دختنوس *** إذا أتاك الخبر المرسوس(3)

أ تحلق القرون أم تميس *** لا بل تميس إنّها عروس

دختنوس بنت لقيط بن زرارة، و كانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس. و جعلت بنو عبس(4) يضربونه و هو ميّت، فقالت دختنوس:

شعر لدختنوس في أبيها:

ألا يا لها الويلات ويلات من بكى *** لضرب بني عبس لقيطا و قد قضى

لقد ضربوا وجها عليه مهابة *** و ما تحفل(5) الصّمّ الجنادل من ردى

فلو أنّكم كنتم غداة لقيتم *** لقيطا صبرتم(6) للأسنّة و القنا

غدرتم و لكن كنتم مثل خضّب(7) *** أصاب(8) لها القنّاص من جانب الشّرى

فما ثأره فيكم و لكنّ ثأره *** شريح و أردته الأسنّة إذ هوى(9)

فإن تعقب الأيّام من عامر يكن(10) *** عليهم حريقا لا يرام إذا سما

ليجزيهم(11) بالقتل قتلا مضعّفا *** و ما في دماء الحمس يا مال من بوا(12)

1- العرس: الزوجة. و في البيت التفات من الغيبة إلى الخطاب.

2- وردت هذه الكلمة في «الأصول» محرفة، ففي «ب، س»: «فقتله في الشعب وا فرسي» و في «أ، م»: «في الشعر كي و فارس» و في «ج»: «أو فارس» و التصويب من «النقائض».

3- المرسوس: اسم مفعول من قولهم: رس له الخبر إذا ذكره له.

4- في «الأصول»: «بنو عامر» و التصويب من «النقائض»، و يؤيده ما في الشعر الذي بعده.

5- في «ب، س، ج»: «و ما تحمل الضيم الجنادل». و في «أ، م»: «و ما يحمل الصم الجنادل» و التصويب من «النقائض». وردى هنا:

رمى.

6- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: «ضربتم بالأسنة». و جواب «لو» محذوف، أي لأصابكم منا القتل الذريع.

7- الخضب: النعام. و الظليم الخاضب: الذي احمرت ساقاه من أكل الربيع.

8- في «الأصول»: «أضاءت». و التصويب من «النقائض»؛ و فيها: «أصاب له». و أصاب هنا: سقط و نزل ضد أصعد. و الشرى: موضع.

9- في «الأصول»: «أ أردته الأسنة أو هوى». و التصويب من «النقائض».

10- كذا في «النقائض» في «الأصول»: «... من فارس تكن. عليكم.....».

11- في «ب، س»: «ليجزيكم».

12- البواء (بالمد، و قصر هنا للشعر): السواء و التكافؤ؛ يقال فلان بواء فلان إذا كان كفؤه إذا قتل به.

و لو قتلتنا غالب كان قتلها *** علينا من العار المجدّع للعلى

لقد صبرت كعب و حافظت *** كلاب و ما أنتم هناك لمن رأى

و قالت دختنوس أيضا:

لعمري لئن لاقت من الشرّ(1) دارم *** عناء لقد آبت حميدا ضرابها

/فما جبنوا بالشّعب إذ صبرت لهم *** ربيعة يدعى كعبها و كلابها

/عصوا(2) بسيوف الهند و اعتكرت لهم(3) *** براكاء موت لا يطير غرابها

براكاء: مباركة القتال و هو الجدّ في القتال. يقال للرجل إذا وقع في خطب لا يطير غرابه(4). و قالت دختنوس:

بكر النّعيّ بخير خن *** دف كهلها و شبابها

و بخيرها نسبا إذا *** عدّت إلى أنسابها

فرّت(5) بنو أسد حرو(6) *** د الطير عن أربابها

لم يحفلوا نسبا و لم *** يلووا لفيء عقابها(7)

من قتل في الموقعة و من نجا و أخبارهم:

و قتل يومئذ قريظ بن معبد بن زرارة، و زيد بن عمرو بن عدس قتله الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عقيل، و قتل الفلتان بن المنذر [بن سلمى(8) بن جندل بن نهشل، و قتل أبو إياس بن حرملة بن جعدة بن العجلان] بن حشورة بن عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان و هو يقول:

أقدم قطين(9) إنهم بنو عبس *** المعشر الحلّة في القوم الحمس

1- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: لعمري لقد لاقت من الشق دارم عناء و قد آبت حميدا ضرابها و في «أ، م»: «من النسق» مكان «من الشق».

2- يقال: عصا بالسيف يعصو، و عصى به يعصي (و زان فرح) إذا أخذه أخذ العصا أو ضرب به ضربه بها.

3- كذا في «النقائض». و اعتكرت: اختلط سوادها و اشتد من النقع المثار. و في بعض الأصول: «و اعتقلت». و في بعضها: «و اعتلقت».

4- ظاهر أن في العبارة حذفا من النساخ. و مقتضى السياق أن تكون العبارة هكذا: «يقال للرجل إذا وقع في ضيق شديد: وقع فلان من خطب لا يطير غرابه».

5- في «الأصول»: «قرت» و التصويب من «النقائض».

6- كـذا في «النقـائض». و الحرود: التنحي. و قـد وردت هـذه الكلمـة في «الأـصول» محرفـة؛ ففي بعض الأـصول: «و خر الطير». و في بعضها: «و جزء الطير» و في بعضها: «و خرء الطير».

7- كـذا ورد هـذا البيت في «النقائض». و ورد في «الأصول» محرفا هكـذا: لم يجعلوا كسـبا و لم يأذوا لفيء عقابها و لعل المراد بالعقاب هنا: الراية.

8- التكملة من «النقائض».

9- في «النقائض»: «أقدم قطيب». و من أسـماء خيلهم «قطيب» مكبرا و مصـغرا، كما في «القاموس». و في كتاب «أسـماء خيل العرب و فرسانها» «صدام» و ذكر هذا البيت.

/الحلّة(1): لم يكونوا يتشدّدون في دينهم. قال: و استلحم(2) [عمرو بن] حسحاس(3) بن وهب بن أعياء بن طريف الأسديّ، فاستنقذه [معقل بن] عامر بن موألة فداواه و كساه. فقال معقل في ذلك:

يديت(4) على ابن حسحاس بن وهب *** بأسفل ذي الجذاة يد الكريم

قصرت له من الدّهماء لمّا *** شهدت و غاب من له من حميم(5)

و لو أنّي أشاء لكنت منه *** مكان الفرقدين من النّجوم

أخبّره بأن الجرح يشوي *** و أنّك فوق عجلزة جموم(6)

يقول: إن الجرح الذي بك شوى لم يصب منك مقتلا -

ذكرت تعلّة الفتيان يوما *** و إلحاق الملامة بالمليم

قال: و حمل معاوية بن يزيد(7) الفزاريّ فأخذ كبشة بنت الحجّاج بن معاوية بن قشير، و كانت عند مالك بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، فحمل معاوية بن خفاجة أخو(8) مالك على معاوية بن يزيد فقتله و استنقذ كبشة، و قال: يا بني عامر، إنهم/يموتون، و قد كان(9) قيل لهم إنهم لا يموتون. و نزل حسّان بن عامر(10) بن الجون و صاح: يا آل كندة! فحمل عليه شريح بن الأحوص؛ فاعترض دون ابن الجون رجل من كندة يقال له حوشب، فضربه شريح بن الأحوص في رأسه فانكسر السيف فيه، فخرج يعدو بنصف(11) السيف و كان مما رعب(12) الناس مكانه. و شدّ طفيل بن مالك بن جعفر فأسر حسّان بن الجون، و شدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسره و جزّ ناصيته و أعتقه على الثواب، فلقيته بنو عبس، فأخذه قيس بن زهير فقتله. فأتاهم عوف فقال: قتلتم طليقي فأحيوه أو ائتوني بملك مثله. فتخوّفت بنو عبس شرّه و كان مهيبا، فقالوا: أمهلنا.

فانطلقوا حتى أتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف، فقال: دونكم سلمى بن مالك فإنه نديمه/و صديقه - و كانا مشتبهين أحمرين(13) أشقرين ضخمة أنوفهما، و كان في سلمى حياء -

---

1- عبارة «النقائض»: «الحمس قريش و ما ولدت من قبائل العرب يتشدّدون في دينهم، و الحلة لم يكونوا كذلك».

2- استحلم الرجل (بالبناء للمجهول): روهق في القتال و احتوشه العدوّ.

3- في «الأصول»: «و استحلم حسحاس بن مرة بن أعياء...» و التكملة و التصويب من «النقائض»، و يؤيده الشعر الذي بعده.

4- يديت: اتخذت عنده يدا، و الأكثر في اتخاذ اليد أن يقال أيديت بالألف؛ أما يديت فقليل. و يقال يديت فلانا إذا أصبت يده؛ و هذا مطرد في سائر الأعضاء. و ذو الجذاة (بفتح الجيم و كسرها كما في كتاب «معجم ما استعجم» للبكري): موضع.

5- كذا في النقائض. و في ج: «من لك من حميم». و في أ، م: «من كد حميم». و في «س»: «على كر الحميم». و في «ب»: «من كرمن حميم» و في «معجم البلدان» (في كلامه على الجداة بالجيم و الدال المهملة): «عن دار الحميم».

6- العجلزة (بكسر العين و اللام لهجة قيس، و بفتحهما لهجة تميم): الشديدة الخلق القوية، توصف بها النوق و الخيل، و في الخيل أعرف. و الجموم من الخيل: الذي إذ ذهب منه إحضار جاءه إحضار، يوصف به المذكر و المؤنث.

7- في «النقائض»: «بدر» بدل «يزيد».

8- في «الأصول»: «أبو مالك». و التصويب من «النقائض».

9- عبارة «النقائض»: «يا بني عامر إنهم يموتون. أحمد: و قد يروى أنه قال إنهم لا يموتون».

10- في «النقائض»: «عمرو».

11- في «النقائض»: «بقصدة السيف».

12- في «الأصول»: «رغب الناس» بالغين المعجمة. و التصويب من «النقائض».

13- كذا في «النقائض». و في «بعض الأصول»: «أخوين أشعرين». و في بعضها: «أحويين أشعرين».

[فأتوه(1)] فقال: سأكلّم لكم طفيلا حتى يأخذ أخاه فإنه لا ينجيكم من عوف إلاّ ذلك، و ايم اللّه ليأتينّ شحيحا.

فانطلقوا إليه، فقال طفيل: قد أتوني بك، ما أعرفني بما جئتم له! أتيتموني تريدون منّي ابن الجون تقيدون به من عوف، خذوه، فأعطاهم إيّاه؛ فأتوا به(2) عوفا فجزّ ناصيته و أعتقه؛ فسمّي الجزّاز. فذلك قول نافع بن الخنجر(3)ابن الحكم بن عقيل بن طفيل بن مالك في الإسلام:

/

قضينا الجون عن عبس و كانت *** منيّة(4) معبد فينا هزالا

قال: و شهدها لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر و هو ابن تسع سنين، و يقال: كان ابن بضع عشرة سنة، و عامر بن مالك يقول له: اليوم يتمت من أبيك إن قتل أعمامك. و قتل يومئذ زهير بن عمرو بن معاوية، وجد مقتولا بين ظهراني صفوف بني عامر حيث لم يبلغ القتال؛ و هو(5) معاوية الضّباب بن كلاب. فقال أخوه حصين للذي قتله:

يا ضبعا عثواء لا تستأنسي(6) *** تلتقم الهبر من السّقب الرّذي(7)

أقسم باللّه و ما حجّت بلي(8) *** [و ما على العزّى تعزّه غني

و قد حلفت عند منحر(9) الهدي] *** أعطيكم(10) غير صدور المشرفي

/فليس مثلي عن زهير بغنى *** هو الشّجاع و الخطيب اللّوذعي

و الفارس الحازم و الشهم الأبي *** و الحامل الثّقل إذا ينزل بي

و ذكروا أنّ طفيل بن مالك لما رأى القتال يوم جبلة قال: ويلكم! و أين نعم هؤلاء! فأغار على نعم عمرو و إخوته و هم من بني عبد اللّه بن غطفان ثم من بني الثّرماء، فاستاق ألف بعير. فلقيه عبيدة بن مالك فاستجداه، فأعطاه مائة بعير، و قال: كأنّي بك قد لقيت ظبيان بن مرّة بن خالد فقال لك: أعطاك من ألفه مائة! فجئت مغضبا. فلقى عبيدة ظبيان، فقال له: كم أعطاك؟ قال: مائة. فقال: أ مائة من ألف! فغضب عبيدة. قال: و ذكر أن عبيدة تسرّع يومئذ إلى

1- التكملة من «النقائض».

2- هذه عبارة «النقائض». و عبارة «الأصول»: «فأتوه فجز...».

3- كذا في «النقائض»، و قد سمت العرب خنجرا. و في «أ، م»: «نافع بن الجنجرة» بجيمين. و في «سائر الأصول»: «نافع بن الحنجرة بن الحكيم...».

4- كذا في «النقائض». و في «أكثر الأصول»: «صنيعة معبد». و في «ج»: «منيعة معبد».

5- كذا في «ج» و «النقائض». و في «سائر الأصول»: «... لم يبلغ القتال هو و معاوية الضباب...» و هو تحريف.

6- في «ج»: «عشواء لا- ستهافسي». و في «سائر الأصول»: «عشواء لسترمانسي». و التصويب من «النقائض». و الضبع العثواء: الكثيرة

الشعر. و العثا: لون إلى السواد مع كثرة شعر.

7- كـذا في «النقائض». و ورد هـذا الشـطر مضـطربا في «الأصول»؛ ففي «ج، ب، س»: «تلتهم الهبر من الشـعب الذوي». و في «أ، م»: تلتهم الخبز من السغب الردي». و الهبر: قطع اللحم. و السقب: ولد الناقة أو هو ساعة يولد. و الرذي (بالذال المعجمة»: المهزول الهالك. و الردي: الهالك.

8- بلى: قبيلة من العرب.

9- في «الأصول بـدل هذين الشـطرين: «و ما على العدي من الهدي» و التكملة و التصويب من «النقائض». و العزى: شـجرة من السـمر كانت لغطفان يعبدونها و كانوا بنوا عليها بيتا و أقاموا عليها سدنة، فبعث إليها رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سلّم خالد بن الوليد فهدم البيت و أحرق السـمرة و هو يقول: يا عز كفرانك لا سـبحانك إني رأيت اللّه قـد أهانك و غني: قبيلـة من غطفان. و الهـدي (بفتح أوّله و كسـر ثانيه و تشديد الياء مثل الهدي بالفتح): ما يهدي لمكة من النعم.

10- يريد: لا أعطيكم. و حذف «لا» النافية في مثل هذا الموضع كثير، و هي أن تكون داخلة على فعل مضارع و قبلها قسم.

القتـال، فنهـاه أخواه عامر و طفيل أن يفعل حتى يرى مقاتلا، فعصاهما و تقـدّم، فطعنه رجل(1) في كتفه حتى خرج السّنان من فوق ثديه فاسـتمسك فيه السنان، فأتى طفيلا فقال له: دونك السّنان فانزعه، فأبى أن يفعل ذلك غضبا، فأتى عامرا فلم ينزعه منه غضبا، فأتى سلمى(2) بن مالـك فـانتزعنه منه، و ألقي جريحا مع النساء حتى فرغ القوم من القتال. و قتلت بنو عامر يومئـذ من تميم ثلاثين(3) غلاما أغرل(4). و خرج حاجب بن زرارة منهزما، و تبعه الزّهـدمان زهـدم و قيس ابنا حزن بن وهب بن عويمر بن رواحـة العبسـيان، فجعلا يطردان حاجبا و يقولان له: استأسـر و قـد قدرا عليه، فيقول: من أنتما؟ فيقولان: الزّهدمان، فيقول: لا استأسـر اليوم(5) لمولـيين. فبينما هم كـذلك إذ أدركهم مالك ذو الرّقيبة بن سلمة بن قشير، فقال لحاجب: استأسر. قال:

/و من أنت؟ قال: أنا مالك ذو الرّقيبـة. فقال: أفعل، فلعمري ما أدركتني حتى كـدت أن أكون عبدا. فألقى إليه رمحه؛ و اعتنقه زهدم فألقاه عن فرسه. فصاح/حاجب: يا غوثاه. [و ندر السـيف(6)]، و جعل زهـدم يريغ(7) قائم السـيف. فنزل مالك فاقتلع زهدما عن حاجب. فمضـى زهدم و أخوه حتى أتيا قيس بن زهير بن جذيمة فقالا: أخذ مالك أسـيرنا من أيدينا. قال: و من أسـيركما؟ قالا: حاجب بن زرارة. فخرج قيس يتمثّل قول حنظلة بن الشّرقيّ القينيّ أبي الطّمحان رافعا صوته يقول:

أجدّ بني الشّرقيّ أولع أنّني *** متى أستجر جارا و إن عزّ يغدر

إذا قلت أوفى أدركته دروكة *** فيا موزع الجيران بالغيّ أقصر

حتى وقف على بني عامر فقال: إنّ صاحبكم أخذ أسيرنا. قالوا: من صاحبنا؟ قال: مالك ذو الرّقيبة أخذ حاجبا من الزّهدمين. فجاءهم مالك فقال: لم آخـذه منهما، و لكنه استأسـر لي و تركهما. فلم يبرحوا حتى حكّموا حاجبا في ذلك و هو في بيت ذي الرّقيبة، فقالوا: من أسـرك يا حاجب؟ فقال: أمّا من ردّني عن قصدي و منعني أن أنجو و رأى منّي عورة فتركها فالزهدمان. و أمّا الذي استأسرت له فمالك؛ فحكّموني في نفسـي. قـال له القوم: قـد جعلنـا إليـك الحكم في نفسـك. فقـال: أمّا مالك فله ألف ناقـة، و للزهـدمين مائـة. فكان بين قيس بن زهير و بين الزهدمين مغاضبة [بعد(6) ذلك]؛ فقال قيس:

جزاني الزهدمان جزاء سوء *** و كنت المرء يجزى بالكرامه

و قد دافعت قد علمت معدّ *** بني قرط و عمّهم قدامه

/ركبت بهم طريق الحقّ حتّى *** أثبتهم(8) بها مائة ظلامه

و قال جرير في ذلك:

1- في «الأصول»: «فطعنه رجل منهم». و كلمه «منهم» ليست في «النقائض» لا معنى لها في السياق.

2- في «الأصول»: «سالم». و التصويب من «النقائض».

3- في «النقائض»: «ثمانين غلاما».

4- في «الأصول»: «أعزل». و التصويب من «النقائض». و أغرل: أقلف لم تقطع غزلته. يريد أنهم كانوا صغارا.

5- في «النقائض»: «الدهر».

6- زيادة عن «النقائض».

7- يريغ: يطلب. و في «الأصل» يراوغ» و التصويب من «النقائض».

8- في «أكثر الأصول»: «أتيتهم بها» و التصويب من «ج» و «النقائض».

و يوم الشّعب قد تركوا لقيطا *** كأنّ عليه حلّة أرجوان(1)

و كبّل(2) حاجب بشمام(3) حولا *** فحكّم ذا الرّقيبة و هو عاني

و أمّا عمرو بن [عمرو بن] عدس فأفلت يومئذ. فزعمت بنو سليم أنّ الخيل عرضت على مرداس بن أبي عامر يوم جبلة، و كان أبصر الناس بالخيل، فعرضت عليه فرس لغلام من بني كلاب، فقال: و اللّه لا أعجزها و لا أدركها ذكر و لا أنثى؛ فهذا ردائي بها و خمس و عشرون ناقة. فلمّا انهزم الناس يوم جبلة خرج الكلابيّ على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو. قال(4) الكلابيّ: فراكضته نهارا على السّواء، و اللّه ما علمت أنه سبقني بمقدار أعرفه، ثم زاد مكانه و نقصت(5). فقلت: قمر و اللّه مرداس. و هوى عمرو إلى فرسه فضربها(6) بالسّوط فانكشفت، فإذا هي خنثى، لا ذكر و لا أنثى، فأخبرتهم أنّي سبقت. فقالوا: قمر السّلميّ. فقلت لا، ثم أخبرتهم الخبر. فقال مرداس:

تمطّت كميت كالهراوة ضامر *** لعمرو بن عمرو بعد ما مسّ باليد

/فلو لا مدى الخنثى و بعد جرائها *** لقاظ ضعيف النّهض حقّ مقيّد(7)

تذكّر ربطا(8) بالعراق و راحة *** و قد خفق الأسياف فوق المقلّد(9)

و زعم علماء بني عامر(10) أنه لمّا انهزم الناس خرجت بنو عامر و حلفاؤهم في آثارهم يقتلون/و يأسرون و يسلبون، فلحق قيس بن المنتفق بن عامر [بن طفيل(11)] بن عقيل بن عمرو بن عمرو فأسره. فأقبل الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عقيل في سرعان الخيل(12)، فرآه عمرو مقبلا- فقال لقيس: إن أدركني الحارث قتلني وفاتك ما تلتمس عندي، فهل أنت محسن إليّ و إلى نفسك! تجزّ ناصيتي فتجعلها في كنانتك، و لك العهد لأفينّ لك، ففعل.

و أدركهما الحارث و هو ينادي قيسا و يقول: اقتل اقتل. فلحق عمرو بقومه. فلمّا كان الشهر(13) الحرام خرج قيس إلى عمرو و يستثيبه، و تبعه الحارث بن الأبرص حتّى قدما على عمرو بن عمرو؛ فأمر عمرو بن عمر ابنة أخيه آمنة(14) بنت زيد بن عمرو فقال: اضربي على قيس الذي أنعم على عمّك هذه القبّة. و قد كان الحارث قتل أباها زيدا

1- الأرجوان: صبغ أحمر شديد الحمرة.

2- وردت هذه الكلمة في «الأصول» محرفة، و التصويب من «النقائض».

3- شمام: موضع، و يروى بالكسر على البناء مثل قطام، و بالفتح على أنه لا ينصرف.

4- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: «و قال الكلابي» بزيادة الواو.

5- في «الأصول»: «ثم ذلك مكانه و نهضت». و التصويب من «النقائض».

6- في «ج» و «النقائض»: «و يهوى عمرو إلى فرسه فيضربها...».

7- كذا في «ح» و «النقائض» (صفحة 671). و لعله يريد: لو لا سرعة الخنثى لوقع أسيرا فأقام مدّة القيط ضعيف النهض حق مقيد، أي مقيدا حق التقييد، و ورد هذا الشطر في «سائر الأصول» محرفا. و يروى هذا البيت في «النقائض» (صفحة 409): فلو لا مدى الخنثى و طول جرائها لرحت بطيء المشي حق مقيد

8- في «ج»: «ريطا» و الربط (بضمتين و سكنت عينه هنا، و هذا التسكين جائز في مثل هذا الجمع، و الواحد ربيط): جماعات الخيل.

9- خفوق السيف اضطرابه. و المقلد: موضع القلادة من العنق، و موضع نجاد السيف على المنكبين.

10- هذه عبارة «النقائض». و في «ج»: «و زعم علماء بني أنه». و في «أكثر الأصول»: «و زعم علماؤنا أنهم لما انهزم الناس...».

11- الزيادة من «النقائض».

12- سرعان الخيل (بفتح الراء و سكونها): أوائلها.

13- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: «في الشهر الحرام» بزيادة «في».

14- في «النقائض» «أمية».

يوم جبلة. فجاءت بالقبّة فرأت الحارث أهيأهما(1)، و أجملهما، فظنّته قيسا فضـربت القبّة على رأسه و هي تقول: هذا و اللّه رجل/لم يطّلع الدّهر عليه بما اطّلع به عليّ. فلمّا رجعت إلى عمّها عمرو قال: يا ابنة أخي، على من ضربت القبّة؟ فنعتت له نعت الحارث. فقال: ضربتها و اللّه على رجل قتل أباك و أمر بقتل عمّك. فجزعت مما قال لها عمّها. فقال الحارث بن الأبرص:

أ ما تدرين يا ابنة آل زيد *** أمين(2) بما أجنّ اليوم صدري

فكم من فارس لم ترزئيه *** فتى الفتيان في عيص و قصر(3)

رأيت مكانه فصددت عنه *** فأعيا أمره و شددت أزري

لقد امرته فعصى إماري *** بأمّ عزيمة(4) في جنب عمرو

أمرت به لتخمش(5) حنّتاه *** فضيّع أمره قيس و أمري

- الحنّة: الزوجة. يقال حنّته، و طلّته(6) -. ثم إن عمرا قال: يا حار، ما الذي جاء بك! فو اللّه ما لك عندي نعمة، و لقد كنت سيّئ الرأي فيّ، قتلت(7) أخي و أمرت بقتلي. فقـال: بل كففت [عنك(8)]، و لو شـئت إذا أدركتك لقتلتك. قال: ما لك عنـدي من يد، ثم تذمّم منه فأعطاه مائة من الإبل، ثم انطلق فذهب الحارث فلمّا جاء(9) عمرا قيس أعطاه إبلا كثيرة، فخرج قيس بها، حتى إذا دنا من أهله سمع به/الحارث بن الأبرص فخرج في فوارس من بني أبيه عرض لقيس فأخذ ما كان معه. فلمّا أتى قيس بني أبيه بني المنتفق اجتمعوا إليه و أرادوا الخروج. فقال: مهلا! لا- تقاتلوا إخوتكم؛ فإنه يوشك أن يرجع و أن يؤول إلى الحق فإنه رجل حسود. فلمّا رأى الحارث أن قيسا قـد كفّ عنه ردّ إليه ما أخذ منه.

و أمّا عتيبة بن الحارث بن شـهاب فإنه أسـر يومئذ فقيّد في القدّ، و كان يبول على قدّه حتى عفن. فلمّا دخل الشهر الحرام هرب فأفلت منهم بغير فداء.

و غنم مرداس بن أبي عامر(10) غنائم و أخذ رجلا فأخذ منه مائة(11) ناقـة، فانتزعها منه بنو أبي بكر بن كلاب؛ فخرج مرداس إلى يزيد بن الصّعق، و كان له خليلا، فانتهى إليه مرداس و هو يقول:

لعمرك ما ترجو معدّ ربيعها *** رجائي يزيدا بل رجائي أكثر

1- في «الأصول»: «أحياهما». و التصويب من «النقائض».

2- أمين: مصغر أمنة تصغير ترخيم. و في «النقائض»: «أميّ» كروايته الأولى.

3- كذا في «الأصول». و في «النقائض» (في صفحة 672): «في عيص و يسر»، و في 409 «أخي الفتيان في عرف و نكر».

4- في «الأصول»: «بأم غوية». و التصويب من «النقائض» (ص 672). و في 409 منها «بأم حزامة». يشير بهذا إلى قوله لقيس بن المنتفق حين أسر عمرو بن عمرو: اقتل اقتل، فأبى قيس أن يقتله.

5- الخمش: الخدش في الوجه، و قد يستعمل في سائر الجسد. يريد: ليقتل فتبكى عليه حنتاه فتخمشا وجوههن من كثرة اللدم لها.

6- في «الأصول»: «كلته» و هو تحريف.

7- في «الأصول»: «و قتلت» بزيادة الواو و ليست في «النقائض».

8- زيادة من «النقائض».

9- عبارة «النقائض»: «فلما خلا عمرو بقيس...».

10- في «الأصول»: «أبي غاز»، و التصويب من «النقائض» و من نسخة المرحوم الشنقيطي.

11- في «الأصول»: «و أخذ رجلا و مائة ناقة» و التصويب من «النقائض».

يزيد بن عمرو خير من شدّ ناقة *** بأقتادها(1) إذا الرياح تصرصر

/تداعت بنو بكر عليّ كأنما *** تداعت عليّ بالأحزّة(2) بربر

تداعوا(3) عليّ أن رأوني بخلوة *** و أنتم بأحدان(4) الفوارس أبصر

/و يروى «بوحدان». فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردّها إليه. فطرقه البكريّون فسقوه الخمر حتى سكر، ثم سألوه الإبل فأعطاهم إيّاها. فلمّا أصبح ندم، فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه. فقال له يزيد: أ صاح أنت أم سكران؟! فانصرف فاطّرد إبلا من إبل بني جعفر فذهب بها و أنشأ يقول:

أجنّ بليلى(5) قلبه أم تذكّرا *** منازل منها حول قرّى و محضرا

تخرّ(6) الهدال فوق خيمات أهلها *** و يرسون حسّا بالعقال(7) مؤطّرا

- الحسّ: الفرس الخفيفة. و المؤطّر: المعطوف -

سآبى و أستغني كما قد أمرتني *** و أصرف عنك العسر لست بأفقرا

و إنّ سليما و الحجاز مكانها *** متى آتهم أجد لبيتي مهجرا

- المهجر: الموضع الصالح؛ يقال: هذا أهجر من هذا إذا كان أجود [منه] و أصلح -

يفرّج عنّي حدّهم(8) و عديدهم *** و أسرج لبدي خارجيّا مصدّرا(9)

قصرت عليه الحالبين فجوده(10)*** إذا ما عدا بلّ الحزام و أمطرا

- الحالبين: الراعيين. يقول احتبستهما -

فخذ إبلا إنّ العتاب(11) كما ترى *** على خذم(12) ثم ارم للنصر جعفرا

1- الأقتاد: جمع قتد (بالتحريك و بالكسر) و هو خشب الرحل أو كل أداة الرحل. و في «ب، س»: «أو أقتادها» و هو تحريف.

2- كذا في «النقائض». و الأحزة: جمع حزيز، و هو ما غلظ من الأرض و انقاد. و في «ج»: «بالأخرة» (بالخاء المعجمة و الراء المهملة) جمع خرير، و هو المكان المنهبط بين الربوتين ينقاد، و في «سائر الأصول»: «بالأخيرة» و هو تحريف: و بربر: جيل من الناس.

3- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: «تداعت» و التناسب بين الضمائر في البيت أولى.

4- كذا في «ح» و النقائض». و وردت هذه الكلمة محرفة في «سائر الأصول». و أحدان: جمع واحد كراكب و ركبان؛ يقال فيه وحدان على الأصل، و أحدان بقلب الواو همزة.

5- في «الأصول»: «أحن بليل» و التصويب من «النقائض» و «معجم البلدان» في كلامه على «محضر». و قرى و محضر: موضعان.

6- في «أكثر الأصول»: «تحن الهزال». و في «ج»: «تحن الهدال». و ما أثبتناه عن «النقائض». و الهدال هنا ضربت من الشجر يكون بالحجاز له ورق عراض، أو هو ما تدلي من الأغصان.

7- في «الأصول»: «بالفعال» و التصويب من «النقائض».

8- كذا في «النقائض». و الحدّ هنا الشوكة و القوّة. و في «الأصول»: «عدهم».

9- المصدّر من الخيل: السابق.

10- المراد بالجود هنا العرق.

11- كذا في «الأصول» و «النقائض»!.

12- الخذم (بالتحريك): السرعة في السير. و في «النقائض»: «ادع» بدل «ارم».

/

فإنّ بأكناف البحار(1) إلى الملا *** و ذي النّخل مصحى إن صحوت(2) و مسكرا

و أرعى من الأظلاف(3) أثلا و حمضة(4)*** و ترعى من الأطواء أثلا و عرعرا

و انصـرف يومئذ سنان بن أبي حارثة المرّيّ في بني ذبيان على حاميته، فلحق بهم معاوية بن الصّموت بن الكامل(5) الكلابيّ، و كان يسمّى الأسد المجدّع، و معه حرملة العكليّ و نفر من النّاس، فلحق بسنان بن أبي حارثة و مالك بن حمار الفزاريّ في سبعين فارسا من بني ذبيان. فقال سنان: يا مالك كرّ و احمنا و لك خولة بنت سنان ابنتي أزوّجكها. فكرّ مالك فقتل معاوية، ثم اتّبعه حرملة العكليّ و هو يقول:

لأيّ يوم يخبأ المرء السّعه *** مودّع و لا ترى(6) فيه الدّعه

فكرّ عليه مالـك فقتله، ثم اتّبعه رجل من بني كلاب، فكرّ عليه مالك فقتله، ثم اتّبعه رجلان من قيس كبّة من بجيلـة، فكرّ عليهما فقتلهما، و مضى مالك و أصحابه. فقال مالك في ذلك:

/

و لقد صددت عن الغنيمة حرملا *** و لقيته لددا(7) و خيلي تطرد

أقبلته(8) صدر الأغرّ و صارما *** ذكرا فخرّ على اليدين الأبعد

و ابن الصموت تركت حين لقيته *** في صدر مارنة يقوم و يقعد

و ابنا ربيعة في الغبار كلاهما *** و ابنا غنيّ عامر و الأسود(9)

/حتى تنفّس بعد نكظ مجحرا(10)*** أذهبت عنه و الفرائص ترعد

- النكظ الجهد. قال: -

يعدو ببزّي سابح ذو ميعة *** نهد المراكل ذو تليل(11) أقود

1- كذا في «النقائض». و في «ج، ب، س»: «فإن بأكناف الرحال» و في «أ، م»: «فإن بأكناف النجار». و هما تحريف. و البحار: جمع بحرة (بالفتح) و هي الفجوة من الأرض تتسع، أو هي الوادي الصغير يكون في الأرض الغليظة، أو هي الروضة العظيمة مع سعة. و الملا: الأرض الواسعة أو الفلاة.

2- كذا في «النقائض». و في «الأصول»: «إن سمعت».

3- في «النقائض»: «من الأكلاء». و الأظلاف: جمع ظلف (بالتحريك) و هو ما غلظ من الأرض و صلب.

4- كـذا في «النقـائض». و لعـل المراد بالحمضـة الحمض لحقته هاء التأنيث. و الحمض من النبات: كل نبت مالـح أو حامض يقوم على

سوق و لا أصل له. و في «ج»: «و خضمة» بالضاد المعجمة. و في «أ، م»: «و خصمة» بالصاد المهملة. و في «ب، س»: «و خطمة».

5- كذا في «أكثر الأصول». و في «ج»: «الكاهن». و في «النقائض»: «الكاهل». و لم نهتد لوجه الصواب فيه.

6- في «الأصول»: «و لا يرى فيها الدعة» و التصويب من «النقائض». و المودّع: المترف المنعم. و الدعة هنا: الخفض في العيش و الراحة. يقول: هو مترف منعم و لا ترى عليه آثار النعمة.

7- وردت هذه الكلمة في «الأصول» مضطربة؛ ففي «ب، س»: «لدا». و في «أ، م»: «لدوا». و في «ج»: «للدا». و التصويب من «النقائض»، و الرواية فيها: «و بغيته لددا». و اللدد: مصدر لددت فلانا ألده إذا خصمته و جادلته.

8- أقبلت الشيء الشيء: جعلته قبالته.

9- رواية «النقائض»: و ابنا بجيلة في الغبار كلاهما و ابن الغني و عامر و الأسود

10- المجحر: المضطر الملجأ.

11- في «الأصول»: «يعدو بين» بدون الياء. و التصويب من «النقائض». و السابح: الفرس الحسن مدّ اليدين في الجري. و ميعة كل شيء: أوّله و أنشطه. و النهد: الجسم المرتفع. و مركل الدابة: حيث يركله الراكب برجله ليحثه على السير. و التليل: العنق. و الأقود: إن كان وصفا لنهد فهو المنقاد الذليل، و إن كان وصفا لتليل فهو الطويل، و يكون في البيت إقواء.

فخطب إليه مالك خولة فأبى أن يزوّجه.

و أمّا بنو جعفر فيزعمون أن عروة الرّحّال بن عتبة بن جعفر وجد سنان بن أبي حارثة و ابنيه هرما و يزيد على غدير قد كاد العطش أن يهلكهم، فجرّ نواصيهم و أعتقهم. ثم إن عروة أتى سنانا بعد ذلك يستثيبه ثوابا يرضاه [فلم يثبه شيئا(1)].

فقال عروة في ذلك:

ألا من مبلغ عنّي سنانا *** ألوكا لا أريد بها عتابا

أ في الخضراء تقسم هجمتيكم(2) *** و عروة لم يثب إلا التّرابا

/فلو كان الجعافر طاوعوني *** غداة الشّعب لم تذق(3) الشّرابا

أ تجزي القين نعمتها عليكم *** و لا تجزي بنعمتها كلابا

و أمّا بنو عامر فيزعمون أن سنانا انصرف ذات يوم هو و ناس من طيّئ و غيرهم قبل الوقعة، فبلغه أنّ بني عامر يقولون: منّا عليه؛ فأنشأ يقول:

و اللّه ما منّوا و لكن شكّتي *** منّت و حادرة المناكب صلدم(4)

بخرير شول(5) يوم يدعى عامر *** لا عاجز ورع(6) و لا مستسلم

و أمّا بارق فتدّعي أسر سنان يومئذ على الثّواب، ثم أتوه فلم يصنع بهم خيرا. فقال معقّر بن أوس بن حمار البارقيّ:

متى تك في ذبيان منك صنيعة *** فلا تحمدنها الدّهر بعد سنان

يظلّ يمنّينها بحسن ثوابه(7) *** لكم مائة يحدو بها فرسان

مخاض أوّديها و جلّ لقائح(8) *** و أكرم مثوى منكم من أتاني

/فجئناه للنّعمى فكان ثوابه *** رغوث و وطبا حازر مذقان(9)

1- زيادة عن «النقائض».

2- الخضراء من الناس: سوادهم و معظمهم. و الهجمة: القطعة الضخمة من الإبل و اختلف في مقدارها على عدة أقوال.

3- في «الأصول»: «يذق» بالياء المثناة من تحت. و التصويب من «النقائض».

4- الشكة: السلاح. و حادرة المناكب: غليظتها. و المناكب: جمع منكب (بكسر الكاف) و هو من الإنسان و غيره مجتمع رأس الكتف و العضد. و قد عللوا ورود الجمع في مثل هذا فقال اللحياني: هو من الواحد الذي يفرّق فيجعل جمعا، و العرب تفعل هذا كثيرا. و قياس قول سيبويه أن يكونوا ذهبوا في ذلك إلى تعظيم العضو، كأنهم جعلوا كل طائفة منه منكبا. و صلدم: صلب شديد أو هو شديد الحاقر. و يلحظ

أن «حادرة المناكب» وصف لأنثى، «و صلدما» وصف مذكر، و الأنثى «صلدمة» بهاء التأنيث.

5- في «ج»: «بجزير سول». و في «النقائض»: بجزير سول» بحاء مهملة و زاءين معجمتين و قد أثبتنا ما ورد فيه.

6- الورع: الجبان. و الضعيف في رأيه و عقله و بدنه.

7- في «أكثر الأصول»: «يظل فينأى محسن بثوابه» و التصويب من «ج» و «النقائض».

8- ورد هذا الشطر في «النقائض» هكذا: مخاض أؤديها لقائح مائة

9- في «أكثر الأصول»: رغوثا و وطبا خازرا» و التصويب من «ج» و «النقائض». و المراد بالرغوث هنا: ذات اللبن. و الوطب: سقاء اللبن. و الحازر: الحامض. و المذق: اللبن المخلوط بالماء. يقال: مذقت اللبن أمذقه مذقا من باب نصر) إذا خلطته بالماء، فاللبن ممذوق و مذيق و مذق (بفتح فكسر) الأخيرة على النسب.

و ظلّل ثلاثا يسأل الحيّ ما يرى *** يؤامرهم(1) فيناله أملان

فإن كنت هذا الدهر لا بدّ شاكرا *** فلا تثقن بالشكر في غطفان(2)

تاريخ يوم جبلة:

قال: و كان جبلة قبل الإسلام بتسع(3) و خمسين سنة قبل مولد النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم(4) بتسع عشرة سنة. و ولد النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم عام الفيل، ثم أوحى اللّه إليه بعد أربعين سنة، و قبض و هو ابن ثلاث و ستّين سنة، و قدم عليه عامر بن الطّفيل في السنة التي قبض فيها صلّى اللّه عليه و سلّم، قال: و هو ابن ثمانين سنة.

ما قيل في هذا اليوم من الشعر:

اشارة

و قال المعقّر بن أوس بن حمار البارقيّ حليف بني نمير بن عامر:

أ من آل شعثاء(4) الحمول البواكر *** مع اللّيل أم(5) زالت قبيل الأباعر(6)

و حلت سليمى في هضاب و أيكة *** فليس عليها يوم ذلك قادر

و ألقت عصاها و استقرّت بها النّوى *** كما قرّ عينا بالإياب المسافر

/و صبّحها أملاكها بكتيبة *** عليها إذا أمست من اللّه ناظر

/معاوية بن الجون ذبيان حوله *** و حسّان في جمع الرّباب مكاثر

فمرّوا بأطناب(7) البيوت فردّهم *** رجال بأطراف الرماح مساعر(8)

و قد جمعوا جمعا كأن زهاءه *** جراد هوى في هبوة(9) متطاير

فباتوا لنا ضيفا و بتنا بنعمة *** لنا مسمعات بالدّفوف و سامر

و لم نقرهم(10) شيئا و لكنّ قصدهم *** صبوح لدينا مطلع الشّمس حازر

1- يؤامرهم: يشاورهم.

2- كذا ورد هذا البيت في «الأصول». و روايته في «النقائض»: فإن كنت هذا الدهر لا بدّ منعما فلا تبغين الشكر في غطفان و المعنى على هذه الرواية واضح؛ إذ هو يقول: إن كنت لا بدّ منعما في دهرك على أحد فلا تنعم على أحد من غطفان؛ فإنهم قوم يكفرون النعمة و

يجحدون الصنيع. و ظاهر أن الغموض في «رواية الأصل» يرجع إلى تحريف فيها.

3- في «النقائض»: «بسبع».

4- في «ب، س»: «آل شعفاء» بالفاء و هو تحريف.

5- في «الأصول»: «أن زالت» و التصويب من «النقائض».

6- كذا في «ج» و «النقائض». و في «سائر الأصول»: «الأعاصر» و هو تحريف.

7- الأطناب: حبال تشدّ بها البيوت. و المراد بأطناب البيوت هنا: أطرافها و نواحيها و من ذلك الحديث: «ما بين طنبي المدينة أحوج مني إليها» أي ما بين طرفيها. و المراد بالبيوت هنا الخيام التي تشدّ بأطناب.

8- مساعر: جمع مسعر (بكسر الميم و فتح العين) يقال: فلان مسعر حرب، إذا كان يورثها، فتحمي به الحرب.

9- الهبوة: الغبار الثائر.

10- في «الأصول»: و لم يغرهم شيئا و لكن قصدهم صبوح لنا من مطلع الشمس خازر و التصويب من «النقائض». و حازر: حامض.

صبحناهم عند الشّروق كتائبا(1) *** كأركان سلمى شبرها متواتر

كأنّ نعام الدّوّ باض عليهم(2) *** و أعينهم تحت الحبيك جواحر(3)

- الحبيك في البيض إحكام عملها و طرائقها -

من الضاربين الكبش(4) يمشون مقدما *** إذا غصّ بالريق القليل الحناجر

و ظنّ سراة القوم ألاّ يقتّلوا(5)*** إذا دعيت بالسّفح(6) عبس و عامر

/ضربنا حبيك البيض في غمر لجّة *** فلم يبق(7) في الناجين منهم مفاخر

و لم ينج إلاّ من يكون طمرّة(8)*** يوائل أو نهد ملحّ مثابر

هوى زهدم تحت الغبار لحاجب *** كما انقضّ أقنى(9) ذو جناحين ماهر(10)

هما بطلان يعثران كلاهما *** أراد(11) رئاس السيف و السيف نادر

و لا فضل إلا أن يكون جراءة *** و ذبيان تسمو(12) و الرءوس حواسر

ينوء و كفّا زهدم من ورثه *** و قد علقت ما بينهن الأظافر

يفرّج عنّا كلّ ثغر نخافه *** مسحّ كسرحان القصيمة ضامر(13)

- القصيدة من الرمل: ما أنبتت الغضى و الرّمث -

و كلّ طموح في العنان كأنّها *** إذا اغتمست في الماء فتخاء(14) كاسر

1- الكتائب: فرق الجيش، واحدها كتيبة. و سلمى هنا: جبل في بلاد طيئ. و الشبر: الإعطاء. و متواتر: متتابع. يصف الكتائب بالضخامة كأنها أركان جبل سلمى المعروف. و المراد بإعطائها المتواتر: فتكها المتواصل.

2- يريد تشبيه ما على رءوسهم من بيض الحديد ببيض النعام.

3- جواحر: غائرات. و في «ب، س»: «جواهر» و هو تحريف.

4- كبش القوم: رئيسهم و سيدهم أو هو حاميهم و المنظور إليه فيهم.

5- في «ج» و «النقائض»: «أن لن يقتلوا».

6- في «الأصول»: «بالصفح» و التصويب من «النقائض». و سفح الجبل: أسفله حيث يسفح فيه الماء. و لعله يعني به مكانا بعينه.

7- في «النقائض»: «فلم ينج في الناجين».

8- في «أكثر الأصول»: «بطمره. بوائل» و التصويب من «ح» و «النقائض». و الطمر: الفرس الجواد، أو المستفز للوثب، أو هو الطويل

القوائم الخفيف. و يوائل: يبادر إلى ملجأ لينجو. و النهد: القوي الضخم. يقال فرس نهد، و شاب نهد.

9- القنا: تنوء في وسط قصبة الأنف و إشراف، و قيل: هو في الصقر و البازي اعوجاج في المنقار.

10- في «أ، م»: «قاهر».

11- وردت هذه الكلمة محرفة في «الأصول»؛ ففي «ح»: «إذا أراد بأس السيف». و في «سائر الأصول». إذا ردّ بأس السيف». و التصويب من «النقائض». و رئاس السيف مقبضه. و نادر: ساقط. يقول: إن كل واحد منهما يطلب رئاس السيف لقتل صاحبه.

12- في «النقائض». «و ذو بدنين و الرءوس». و البدن هنا الدرع.

13- في «النقائض»: «جاسر». و المسح: الفرس الجواد السريع كأنّه يصب الجري صبا، شبه بالمطر في سرعة انصبابه. و السرجان: الذئب.

14- الفتخاء الكاسر: العقاب. و الفتح (بالتحريك): اللين في المفاصل و غيرها. و العقاب إذا انحطت كسرت جناحيها و غمزتها، و هذا لا يكون إلا من اللبن، فهي فتخاء.

لها ناهض(1) في المهد قد مهدت له *** كما مهدت(2) للبعل حسناء عاقر

/ - و بهذا البيت سمّي معقّرا و اسمه سفيان بن أوس. و إنما خصّ العاقر لأنها أقلّ دلاّ(3) على الزوج من الولود فهي تصنع له و تداريه -

تخاف نساء يبتدرن حليلها *** محرّدة(4) قد خرّدتها الضراء

و قال عامر بن الطّفيل بعد ذلك بدهر:

و يوم الجمع لاقينا لقيطا *** كسونا رأسه عضبا حساما(5)

أسرنا حاجبا فثوى بقدّ(6) *** و لم نترك لنسوته سوام

و جمع الجون(7) إذ دلفوا إلينا *** صبحنا جمعهم جيشا لهاما(8)

و قال لبيد بن ربيعة في ذلك:

و هم حماة الشّعب يوم تواكلت *** أسد و ذبيان الصّفا و تميم

فارتثّ(9) كلماهم عشيّة هزمهم *** حيّ(10) بمنعرج المسيل مقيم

/تم اليوم و الحمد للّه.

صوت

أ يجمل ما يؤتى إلى فتياتكم *** و أنتم رجال فيكم عدد النّمل

فلو أننا كنا رجالا و كنتم *** نساء حجال لم نقرّ(11) بذا الفعل

/الشعر لعفيرة بنت عفار(12) - و قيل بنت عبّاد - الجديسيّة التي يقال لها الشّموس. و الغناء لعريب خفيف ثقيل أوّل

1- الناهض: الفرخ الذي وفر جناحاه حتى استقل للنهوض.

2- في «الأصول»: «نهدت» و التصويب من «النقائض».

3- في «ح» و «النقائض»: «دالة».

4- التحريد هنا: من الحرد بمعنى الغيظ و الغضب، أي إن ضرائرها أغضبتها و غظنها.

5- العضب: السيف. و حسام: قاطع.

6- كذا في «ح» و «النقائض». و في «سائر الأصول»: «بقيد». و القدّ (بالكسر): سير بقد من جلد غير مدبوغ. و السوام: الإبل الراعية. يريد أنه لم يترك للنساء مالا.

7- في «الأصول»: «و جمع الحزم». و التصويب من «النقائض».

8- وردت هـذه الكلمـة في «الأـصول»: محرفـة؛ ففي «ح»: «كحيـا لهامـا». و في «سـائر الأـصول»: «كجبـال هامـا». و التصـويب من «النقائض». و اللهام: الكثير.

9- الارتثاث: أن يحمل الجريح من المعركة و هو ضعيف قد أثخنته الجراح. و الكلمي: جمع كليم و هو الجريح.

10- في «ب، س»: «حتى» و هو تحريف.

11- كـذا في «ح» و «كل الأصول» فيما يأتي (ص 166). و في «سائر الأصول» هنا: «لم نعير». و في «كتاب الصـبح المنير» في شعر أبي بصير (ص 74 طبع مطبعة آدلف هلز هوسن بيانة): «لا نقر على الذل».

12- كـذا في «الصـبح المنير» و نسـخة من «الكامل» لابن الأثير أشـير إليها في ذيل النسـخة المطبوعـة في أوربا (ج 1 ص 251). و في «الأصول»: «بنت «عفان».

مطلق في مجرى البنصر. و فيه لحن من الثقيل الأوّل قديم.

عمليق ملك طسم و جديس و سبب قتله:

أخبرني بهذا الشعر و السبب الذي من أجله قيل عليّ بن سليمان الأخفش عن السّكّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضّل أن عمليقا ملك طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، و جديس بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، و كانت منازلهم في موضع اليمامة، كان(1) في أوّل مملكته قد تمادى في الظّلم و الغشم و السّيرة بغير الحقّ، و أنّ امرأة من جديس كان يقال لها هزيلة، و كان لها زوج يقال له قرقس(2)، فطلّقها و أراد أخذ ولدها منها، فخاصمته إلى عمليق، فقالت: «يا أيها الملك إنّي حملته تسعا، و وضعته دفعا، و أرضعته شفعا، حتى إذا تمّت أوصاله، و دنا فصاله، أراد أن يأخذه منّي كرها، و يتركني من بعده ورها(3)». فقال لزوجها:

ما حجّتك؟ قال: «حجّتي أيها الملك أنّي قد أعطيتها المهر كاملا، و لم أصب منها طائلا، إلاّ وليدا خاملا(4)، فافعل ما كنت فاعلا. فأمر بالغلام أن ينزع منهما جميعا و يجعل في غلمانه، و قال لهزيلة: «ابغيه ولدا، /و لا تنكحي أحدا، و اجزيه صفدا(5)». فقالت هزيلة: «أمّا النكاح فإنما يكون بالمهر، و أمّا السّفاح فإنما يكون بالقهر، و ما لي فيهما من أمر». فلما سمع ذلك عمليق أمر بأن تباع هي و زوجها، فيعطى زوجها خمس ثمنها، و تعطى هزيلة عشر ثمن زوجها. فأنشأت تقول:

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا *** فأنفذ حكما في هزيلة ظالما

لعمري لقد حكّمت لا متورّعا *** و لا كنت فيما تبرم(6) الحكم عالما

ندمت و لم أندم و أنّى بعثرتي(7) *** و أصبح بعلي في الحكومة نادما

أمر أ لا تزوّج بكر من جديس حتى يفترعها:

فلمّا سمع عمليق قولها أمر ألاّ تزوّج بكر من جديس و تهدى إلى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها، فلقوا من ذلك بلاء و جهدا و ذلاّ. فلم يزل يفعل هذا حتى زوّجت الشّموس و هي عفيرة بنت عبّاد أخت الأسود الذي وقع(8) إلى جبل طيّئ فقتلته طيئ و سكنوا الجبل من بعده. فلمّا أرادوا حملها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق لينالها قبله، و معها القيان يتغنّين:

ابدي(9) بعمليق و قومي فاركبي *** و بادري الصّبح لأمر معجب

1- في «الأصول الخطية»: «و كان...» بزيادة الواو و هو تحريف.

2- كذا في «ح». و في «أ، م»: «فرس». و في «ب، س»: «ما شق». و لم نهتد إليه.

3- كذا في «الأصول»: و كتاب «الكامل» لابن الأثير. و الورهاء (بالمد و قصرت هنا للسجع): الخرقاء. و في نسخة من كتاب «الكامل» لابن الأثير أشير إليها في ذيل النسخة المطبوعة في أوربا: «و لهى». و الوله: الحزن و ذهاب العقل لفقدان الحبيب. و هذه الرواية هي المناسبة هنا.

4- في «الأصول»: «حاملا» بالحاء المهملة، و التصويب من «الكامل» لابن الأثير و «الصبح المنير».

5- الصفد (بالتحريك): العطاء.

6- في «الأصول»: «يبرم» بالياء المثناة من تحت. و في «الكامل» لابن الأثير: «فيمن يبرم». و في «الصبح المنير»: «ممن يبرم».

7- كذا في «ح» و «الكامل» لابن الأثير. و في «ب، س»: لعترتي». و في «أ، م»: «قدمت و لم أندم و أني بعترتي». و كلاهما تحريف.

8- في «ب، س»: «دفع».

9- ابدي: أمر للأنثى من «بدأ» مع تسهيل الهمزة.

فسوف تلقين الذي لم تطلبي *** و ما لبكر عنده(1) من مهرب

تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليه:

فلمّا أن دخلت عليه افترعها و خلّى سبيلها. فخرجت إلى قومها في دمائها شاقّة درعها من قبل و من دبر و الدّم يسيل و هي في أقبح منظر، و هي تقول:

/

لا أحد أذلّ من جديس *** أ هكذا يفعل بالعروس

/يرضى بهذا يا لقومي حرّ(2)*** أهدى و قد أعطى و سيق المهر

لأخذة الموت كذا لنفسه *** خير من ان يفعل ذا بعرسه

و قالت تحرّض قومها فيما أتى إليها:

أ يجمل ما يؤتى إلى فتياتكم *** و أنتم رجال فيكم عدد النّمل

و تصبح تمشي في الدّماء(3) عفيرة *** جهارا(4) و زفّت في النساء إلى بعل

و لو أننا كنا رجالا و كنتم *** نساء لكنّا لا نقرّ بذا الفعل

فموتوا كراما أو أميتوا عدوّكم *** و دبّوا لنار الحرب بالحطب الجزل

و إلا فخلّوا بطنها و تحمّلوا *** إلى بلد قفر و موتوا من الهزل

فللبين خير من مقام(5) على أذى *** و للموت خير من مقام على الذّلّ

و إن أنتم لم تغضبوا بعد هذه *** فكونوا نساء لا تعاب(6) من الكحل

و دونكم طيب العروس فإنما *** خلقتم لأثواب العروس و للغسل(7)

فبعدا و سحقا للذي ليس دافعا *** و يختال يمشي بيننا مشية الفحل

ائتمار جديس للغدر به و بقومه:

فلمّا سمع الأسود أخوها ذلك و كان سيّدا مطاعا قال لقومه: يا معشر جديس! إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزّ منكم في داركم إلاّ بما كان من ملك صاحبهم علينا و عليهم، و لو لا عجزنا و إدهاننا(8) ما كان له فضل علينا. و لو امتنعنا لكان لنا منه النّصف(9). فأطيعوني فيما آمركم به، فإنّه عزّ الدهر، و ذهاب الذلّ العمر، و اقبلوا/رأيي. قال: و قد أحمى

1- في «الصبح المنير»: «بعد ذا».

2- في «الكامل»: يرضى بذا يا قوم بعل حر

3- في «ج»: «في الدجاء». و في «سائر الأصول»: «في الرعاء». و التصويب من كتاب «الكامل» لابن الأثير و «الصبح المنير».

4- هذه رواية «الكامل». و في «الأصول»: «عفيرة زفت». و في «الصبح المنير»: «عشية زفت».

5- كذا في «ج» و كتاب «الكامل» و «الصبح المنير». و في «سائر الأصول»: «من تماد».

6- في «الصبح المنير»: «لا تغب عن الكحل».

7- كذا في «ج» و كتاب «الكامل». و في «سائر الأصول»: «و للنسل». و الغسل (بالكسر): ما يغتسل به.

8- الإدهان: المصانعة و اللين مثل المداهنة.

9- النصف (بالتحريك): إعطاء الحق مثل النصفة و الإنصاف.

جديسا ما سمعوا من قولها فقالوا: نطيعك، و لكنّ القوم أكثر و أحمى و أقوى. قال فإنّي أصنع للملك طعاما ثم أدعوهم له جميعا. فإذا جاءوا يرفلون في الحلل ثرنا إلى سيوفنا و هم غارّون(1) فأهمدناهم بها. قالوا: نفعل.

فصنع طعاما كثيرا و خرج به إلى ظهر بلدهم، و دعا عمليقا و سأله أن يتغدى عنده هو و أهل بيته، فأجابه(2)إلى ذلك و خرج مع أهله يرفلون في الحلي و الحلل، حتى إذا أخذوا مجالسهم و مدّوا أيديهم إلى الطعام، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم فشدّ الأسود على عمليق فقتله، و كلّ رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم. فلمّا فرغوا من الأشراف شدّوا على السّفلة فلم يدعوا منهم أحدا. فقال الأسود في ذلك:

ذوقي ببغيك يا طسم مجلّلة *** فقد أتيت لعمري أعجب العجب

إنّا أبينا(3) فلم ننفكّ نقتلهم *** و البغي هيّج منّا سورة الغضب

و لن يعود علينا بغيهم أبدا *** و لن يكونوا كذى أنف و لا ذنب

و إن رعيتم لنا قربى مؤكّدة *** كنّا الأقارب في الأرحام و النسب

غزوة حسان بن تبع لجديس و هروب الأسود و قتل طيئ له:

اشارة

ثم إن بقيّة طسم لجئوا إلى حسّان بن تبّع، فغزا جديسا فقتلها و أخرب بلادها. فهرب الأسود قاتل عمليق، فأقام بجبلي طيّئ قبل نزول طيئ إيّاهما. و كانت طيئ تسكن الجرف من/أرض اليمن، و هو اليوم محلّة مراد و همدان، و كان سيّدهم يومئذ أسامة بن لؤيّ بن الغوث بن طيّئ، و كان الوادي مسبعة، و هم قليل عددهم، و قد كان ينتابهم بعير في أزمان الخريف و لم يدر أين يذهب و لم يروه إلى قابل، و كانت/الأزد قد خرجت من اليمن أيام العرم(4)، فاستوحشت طيّئ(5) لذلك و قالت: قد ظعن إخواننا فصاروا إلى الأرياف. فلما همّوا بالظّعن قالوا لأسامة: إنّ هذا البعير يأتينا من بلد ريف و خصب، و إنّا لنرى في بعره النّوى. فلو أننا نتعهّده عند انصرافه فشخصنا معه لكنا نصيب مكانا خيرا من مكاننا هذا. فأجمعوا أمرهم على ذلك. فلمّا كان الخريف جاء البعير فضرب في إبلهم، فلمّا انصرف احتملوا و اتّبعوه يسيرون بسيره و يبيتون حيث يبيت حتى هبط على الجبلين. فقال أسامة بن لؤيّ:

اجعل ظريبا كحبيب ينسى(6) *** لكل قوم مصبح و ممسى

قال: و طريب(7) اسم الموضع الذي كانوا ينزلون به. فهجمت طيئ على النخل في الشّعاب و على مواش

1- الغارّ: الغافل: و أهمدنانهم: أمتناهم.

2- في «الأصول»: «فأجابهم».

3- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «أتيتا».

4- كذا في «ج» و قد صححها كذلك المرحوم الشنقيطي في نسخته الخاصة من طبعة بلاق. و في «سائر الأصول»: «أيام الصرم» و هو

تحريف.

5- في «الأصول»: «بلى» و التصويب من نسخة الشنقيطي.

6- كذا صححه المرحوم الشنقيطي في نسخته. و في «الأصول»: «جعلت طريفا كحب يبسا» و في «ج»: «ينسى» و هو تحريف. و في كتاب «صفة جزيرة العرب» لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني صفحة 253 طبع مدينة ليدن سنة 1884 م: «و طريب موضع طيئ الذي انتجعوا منه إلى الجبلين».

7- في «الأصول»: «و طريف» و هو تحريف كما تقدّم.

كثيرة، و إذا هم برجل في شعب من تلك الشّعاب و هو الأسود بن عبّاد، فهالهم ما رأوا من عظم خلقه و تخوّفوه، و قد نزلوا ناحية من الأرض و استبروها هل يرون بها أحدا غيره فلم يروا. فقال أسامة بن لؤيّ لابن له يقال له الغوث: أي بنيّ! إنّ قومك قد عرفوا فضلك عليهم في الجلد و البأس و الرمي، فإن كفيتنا هذا الرجل سدت قومك آخر الدهر، و كنت الذي أنزلتنا هذا البلد. فانطلق الغوث حتى أتى الرجل فكلّمه و ساءله. فعجب الأسود بن صغر خلق الغوث فقال له: من أين أقبلتم؟ قال: من اليمن، و أخبره خبر البعير و مجيئهم معه، /و أنهم رهبوا ما رأوا من عظم خلقه و صغرهم عنه، و شغلوه بالكلام، فرماه الغوث بسهم فقتله، و أقامت طيئ بالجبلين بعده، فهم هنالك إلى اليوم.

صوت

إذا قبّل الإنسان آخر يشتهي *** ثناياه لم يحرج و كان له أجرا

فإن زاد زاد اللّه في حسناته *** مثاقيل يمحو اللّه عنه بها وزرا

الشعر لرجل من عذرة. و الغناء لعريب ثقيل أوّل بالوسطى.

حديث عمر بن أبي ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذري:

نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن موسى بن حمّاد قال ذكر الرّياشيّ قال قال حماد الراوية. أتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة، فتذاكروا من العذريّين، فقال عمر بن أبي ربيعة: كان لي صديق من عذرة يقال له الجعد بن مهجع، و كان أحد سلامان، و كان يلقى مثل الذي ألقى من الصّبابة بالنساء و الوجد بهن، على أنه كان لا عاهر الخلوة و لا سريع السّلوة، و كان يوافي الموسم في كلّ سنة؛ فإذا راث(1) عن وقته ترجّمت(2) عنه الأخبار، و توكفت له الأسفار حتى يقدم. فغمّني ذات سنة إبطاؤه حتى قدم حجّاج عذرة، فأتيت القوم أنشد صاحبي، و إذا غلام قد تنفّس الصّعداء ثم قال: أ عن أبي المسهر تسأل؟ قلت: عنه أسأل و إيّاه أردت. قال: هيهات هيهات! أصبح و اللّه أبو المسهر لا مؤيسا فيهمل و لا مرجوا فيعلّل، /أصبح و اللّه كما قال القائل:

لعمرك ما حبّي لأسماء تاركي *** أعيش و لا أقضي به فأموت

/قال قلت: و ما الذي به؟ قال: مثل الذي بك من تهوّركما في الضّلال، و جرّكما أذيال الخسار، فكأنكما لم تسمعا بجنّة و لا نار. قلت: من أنت منه يا ابن أخي؟ قال: أخوه. قلت: أما و اللّه يا ابن أخي ما يمنعك أن تسلك مسلك أخيك من الأدب و أن تركب منه مركبه إلا أنّك و أخاك كالبرد و البجاد لا ترقعه و لا يرقعك، ثم صرفت وجه ناقتي و أنا أقول:

أ رائحة حجّاج عذرة وجهة *** و لمّا يرح في القوم جعد بن مهجع

خليلان نشكو ما نلاقي من الهوى *** متى ما يقل أسمع و إن قلت يسمع

ألا ليت شعري أيّ شيء أصابه *** فلى زفرات هجن ما بين أضلعي

1- راث: أبطأ.

2- ترجمت: تظننت، من الرجم بمعنى الظن و الحدس. و توكفت توقعت و انتظرت. و الأسفار: جماعة المسافرين؛ يقال قوم أسفار، و سفار (بضم السين و تشديد الفاء) و سفر بفتح فسكون)، و سافرة.

فلا يبعدنك اللّه خلا فإنني *** سألقى كما لا لاقيت في كلّ

ثم انطلقت حتى وقفت موقفي من عرفات. فبينا أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد تغيّر لونه و ساءت هيئته، فأدنى ناقته من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما، ثم عانقني و بكى حتى اشتدّ بكاؤه. فقلت: ما وراءك؟ فقال: برح العذل، و طول المطل، ثم أنشأ يقول:

لئن كانت عديّة ذات لبّ *** لقد علمت بأنّ الحبّ داء

أ لم تنظر إلى تغيير جسمي *** و إنّي لا يفارقني البكاء

و لو أنّي تكلّفت الذي بي *** لقفّ(1) الكلم و انكشف الغطاء

فإنّ معاشري و رجال قومي *** حتوفهم الصّبابة و اللّقاء

إذا العذريّ مات خليّ ذرع *** فذاك العبد يبكيه الرّشاء

/فقلت: يا أبا المسهر إنها ساعة تضرب إليها أكباد الإبل من شرق الأرض و غربها، فلو دعوت اللّه كنت قمنا أن تظفر بحاجتك و أن تنصر على عدوّك. قال: فتركني و أقبل على الدعاء. فلمّا نزلت الشمس للغروب و همّ الناس أن يفيضوا سمعته يتكلّم بشيء، فأصغيت إليه، فإذا هو يقول:

يا ربّ كلّ غدوة و روحه *** من محرم يشكو الضّحى و لوحه

أنت حسيب الخلق يوم الدّوحة

الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه و مسعى عمر في زواجه من عشقها:

اشارة

فقلت له: و ما يوم الدوحة؟ قال: و اللّه لأخبرنّك و لو لم تسألني: فيمّمنا نحو مزدلفة، فأقبل عليّ و قال: إني رجل ذو مال كثير من نعم و شاء، و ذو المال لا يصدره و لا يرويه الثّماد(2). و قطر(3) الغيث أرض كلب، فانتجعت أخوالي منهم، فأوسعوا لي عن صدر المجلس و سقوني جمّة(4) الماء، و كنت فيهم في خير أخوال. ثم إنّي عزمت على موافقة إبلي بماء لهم يقال له الحوذان، فركبت فرسي و سمطت(5) خلفي شرابا كان أهداه إليّ بعضهم ثم مضيت، حتى إذا كنت بين الحيّ و مرعى النّعم رفعت(6) لي دوحة عظيمة، فنزلت عن فرسي و شددته بغصن من أغصانها و جلست في ظلّها. فبينا أنا كذلك إذ سطع غبار من ناحية الحيّ و رفعت لي شخوص/ثلاثة، ثم تبيّنت فإذا فارس يطرد مسحلا(7) و أتانا، فتأمّلته فإذا عليه درع أصفر و عمامة خزّ سوداء، و إذا فروع شعره تضرب خصريه، فقلت: غلام حديث عهد بعرس أعجلته لذّة الصيد فترك ثوبه و لبس ثوب امرأته. فما جاز عليّ إلا يسيرا حتى طعن المسحل و ثنّى طعنة للأتان فصرعهما، و أقبل راجعا نحوي و هو يقول:

1- قف: يبس، يريد التأم. يقول: لو أني حاولت الذي بي و تكلفته لسهل على أن أبرأ منه، و لكنه قدر من اللّه لا محيص منه.

2- الثماد: جمع ثمد (بالتحريك و بالفتح) و هو الماء القليل الذي لا مادّ له.

3- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «و نضر الغيث» و هو تحريف.

4- جمة الماء (بالضم): معظمه.

5- سمط هنا: علق.

6- رفع لي الشيء: أبصرته من بعيد.

7- المسحل: الحمار الوحشي. و الأتان: الحمارة الوحشية.

/

نطعنهم سلكى و مخلوجة *** كرّك لأمين على نابل(1)

فقلت: إنك قد تعبت و أتعبت، فلو نزلت! فثنى رجله فنزل فشدّ فرسه بغصن من أغصان الشجرة و ألقى رمحه و أقبل حتى جلس، فجعل يحدّثني حديثا ذكرت به قول أبي ذؤيب:

و إنّ حديثا منك لو تبذلينه *** جنى النّحل في ألبان عوذ مطافل(2)

فقمت إلى فرسي فأصلحت من أمره ثم رجعت، و قد حسر العمامة عن رأسه، فإذا غلام كأنّ وجهه الدينار المنقوش. فقلت: سبحانك اللّهمّ! ما أعظم قدرتك و أحسن صنعتك! /فقال: ممّ ذاك؟ قلت: مما راعني من جمالك و بهرني من نورك. قال: و ما الذي يروعك من حبيس التّراب، و أكيل الدوابّ، ثم لا يدري أ ينعم بعد ذلك أم يبأس. قلت: لا يصنع اللّه بك إلاّ خيرا. ثم تحدّثنا ساعة، فأقبل عليّ و قال: ما هذا الذي أرى قد سمعت في سرجك؟ قلت: شراب أهداه إليّ بعض أهلك، فهل لك فيه من أرب؟ قال: أنت و ذاك. فأتيته به، فشرب/منه و جعل ينكت أحيانا بالسّوط على ثناياه، فجعل و اللّه يتبيّن لي ظلّ السوط فيهن. فقلت: مهلا فإني خائف أن تكسرهنّ، فقال: و لم؟ قلت: لأنهن رقاق و هنّ عذاب. قال: رفع عقيرته يتغنّى:

إذا قبّل الإنسان آخر يشتهي *** ثناياه لم يأثم و كان له أجرا

فإن زاد زاد اللّه في حسناته *** مثاقيل يمحو اللّه عنه بها الوزرا

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع. قال: فبرقت لي بارقة تحت الدّرع. فإذا ثدي كأنه حقّ عاج. فقلت:

نشدتك اللّه امرأة؟ قالت: إي و اللّه إلاّ أنّي أكره العشير و أحبّ الغزل. ثم جلست فجعلت تشرب معي ما أفقد من أنسها شيئا حتى نظرت إلى عينيها كأنّهما عينا مهاة مذعورة. فو اللّه ما راعني إلاّ ميلها على الدوحة سكرى. فزيّن لي و اللّه الغدر و حسن في عيني، ثم إنّ اللّه عصمني منه، فجلست حجرة منها. فما لبثت إلاّ يسيرا حتى انتبهت فزعة، فلاثت عمامتها برأسها، و جالت في متن فرسها، و قالت: جزاك اللّه عن الصّحبة خيرا. قلت: أ و ما تزوّدينني منك زادا؟ فناولتني يدها، فقبّلتها فشممت و اللّه منها ريح المسك المفتوت، فذكرت قول الشاعر:

كأنها إذ تقضّى النوم و انتبهت *** سحابة ما لها عين و لا أثر

قلت: و أين الموعد؟ قالت: إنّ لي إخوة شرسا و أبا غيورا. و و اللّه لأن أسرّك أحبّ إليّ من أن أضرّك، ثم انصرفت.

فجعلت أتبعها بصري حتى غابت، فهي و اللّه يا ابن ربيعة أحلّتني هذا المحلّ و أبلغتني. فقلت له: يا أبا المسهر إنّ الغدر بك مع ما تذكر لمليح. فبكى و اشتدّ/بكاؤه. فقلت: لا تبك؛ فما قلت لك ما قلت إلا مازحا، و لو لم أبلغ

1- البيت لامرئ القيس. و السلكى: الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه. و المخلوجة: الطعنة المعوجة عن يمين و شمال. و اللام: السهم عليه

ريش لؤام. و اللؤام من الريش: ما يلائم بعضه بعضا، و هو ما كان بطن القذة منه يلي ظهر الأخرى، و هو أجود ما يكون. فإذا التقى بطنان أو ظهران فهو لغاب و لغب. و النابل: صاحب النبل. يصف الطعن بأنه كان يذهب فيهم و يرجع سريعا كما تردّ سهمين على رام رمى بهما. و قيل سئل امرؤ القيس و هو يشرب مع علقمة بن عبدة عن معنى قوله «كرك لأمين» فقال: مررت بنابل و صاحبه يناوله الريش لؤاما و ظهرا، فما رأيت أسرع منه فشبهت به. و قال القتيبي: إنما هو «كر كلامين» أي تكرير كلام بمعنى قول القائل للرامي: ارم ارم، أي ليس بين الطعن و الطعن إلا بمقدار ارم ارم. و قال زيد بن كندة: يريد أن يطعن طعنتين مختلفتين و يوالي بينهما كما يوالي هذا القائل بين هاتين الكلمتين. (راجع «لسان العرب» في الموادّ خلج و سلك و لأم، و شرح «ديوان امرئ القيس» للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب).

2- عوذ، جمع عائذ و هي الحديثة النتاج إلى خمسة عشر يوما أو نحوها ثم هي بعد ذلك مطفل.

في حاجتك بمالي لسعيت في ذلك حتى أقدر عليه، فقال لي: /خيرا. فلمّا انقضى الموسم شددت على ناقتي و شدّ على ناقته، و دعوت غلامي فشدّ على بعير له، و حملت عليه قبّة حمراء من أدم كانت لأبي ربيعة المخزوميّ، و حملت معي ألف دينار و مطرف خزّ، و انطلقنا حتى أتينا بلاد كلب، فنشدنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادي قومه، و إذا هو سيّد الحيّ و إذا الناس حوله. فوقفت على القوم فسلّمت، فردّ الشيخ السلام، ثم قال: من الرجل؟ قلت: عمر بن أبي ربيعة بن المغيرة. فقال: المعروف غير المنكر، فما الذي جاء بك؟ قلت: خاطبا. قال: الكف، و الرّغبة. قلت: إني لم آت ذلك لنفسي عن غير زهادة فيك و لا جهالة بشرفك، و لكني أتيت في حاجة ابن أختكم العذريّ، و ها هو ذاك. فقال: و اللّه إنّه لكفيء الحسب رفيع البيت، غير أنّ بناتي لم يقعن إلاّ في هذا الحيّ من قريش. فوجمت لذلك، و عرف التغيّر في وجهي فقال: أما إنّي صانع بك ما لم أصنعه بغيرك. قلت: و ما ذاك فمثلي من شكر؟ قال: أخيّرها فهي و ما اختارت. قلت: ما أنصفتني إذ تختار لغيري و تولي الخيار غيرك. فأشار إليّ، العذريّ أن دعه يخيّرها. فأرسل إليها: إنّ من الأمر كذا و كذا. فأرسلت إليه: ما كنت لأستبدّ برأي دون القرشيّ، فالخيار في قوله، حكمه. فقال لي: إنها قد ولّتك أمرها فاقض ما أنت قاض. فحمدت اللّه عزّ و جلّ و أثنيت عليه و قلت: اشهدوا أنّي قد زوّجتها من الجعد بن مهجع و أصدقتها هذا الألف الدّينار، و جعل تكرمتها العبد و البعير و القبّة، و كسوت الشيخ المطرف، و سألته أن يبني بها عليه في ليلته. فأرسل إلى أمّها، فقالت: أ تخرج ابنتي كما تخرج الأمة!. فقال الشيخ: هجّري(1) في جهازها، فما برحت حتى ضربت القبّة في وسط الحريم، ثم أهديت إليه ليلا، و بتّ أنا عند الشيخ. فلمّا أصبحت أتيت القبّة فصحت بصاحبي، فخرج إليّ و قد أثّر السرور/فيه، فقلت:

كيف كنت بعدي و كيف هي بعدك؟ فقال لي: أبدت لي و اللّه كثيرا مما كانت أخفته عنّي يوم لقيتها. فسألتها عن ذلك فأنشأت تقول:

صوت

كتمت الهوى لما رأيتك جازعا *** و قلت فتى بعض الصديق يريد

و أن تطرحنّي(2) أو تقول فتيّة *** يضرّ بها برح الهوى فتعود

فورّيت عمّا بي و في داخل الحشى *** من الوجد برح فاعملنّ شديد

فقلت: أقم على أهلك، بارك اللّه لك فبهم، و انطلقت و أنا أقول:

كفيت أخي العذريّ ما كان نابه *** و إني لأعباء النوائب حمّال

أما استحسنت منّي المكارم و العلا *** إذا طرحت! إنّي لمالي بذّال

و قال العذريّ:

إذا ما الخطّاب خلّى مكانه *** فأفّ لدنيا ليس من أهلها عمر

1- هجري: أي بادري و أسرعي.

2- فتحنا الهمزة على تقدير و خشـية أن تطرحني إلخ... أي و كتمت الهوى خشـية أن يكون ذلك. و في «الأصول»: «يطرحني أو يقول...» بالياء المثناة من تحت.

فلا حيّ فتيان الحجازين بعده *** و لا سقيت أرض الحجازين بالمطر

صوت

/

إنّ الخليط قد ازمعوا تركي *** فوقفت في عرصاتهم أبكي

جنّيّة برزت لتقتلني *** مطليّة الأصداغ بالمسك

عجبا لمثلك لا يكون له *** خرج العراق و منبر الملك

الشعر لابن قيس الرّقيّات يقوله في عائشة بنت طلحة. و الغناء لمعبد، ثقيل أوّل السبّابة في مجرى البنصر.

و السبب في قول ابن قيس هذا الشعر فيها يذكر في أخبارها إن شاء اللّه تعالى.

ص: 119

10 - أخبار عائشة بنت طلحة و نسبها

نسب عائشة بنت طلحة:

عائشة بنت طلحة بن عبيد اللّه بن عثمان بن عامر(1) بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم. و أمّها أمّ كلثوم بنت أبي بكر الصّدّيق. أخبرني الحسن بن يحيى قال قال حمّاد قال أبي قال مصعب:

كانت لا تستر وجهها و عتاب مصعب لها في ذلك:

كانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها من أحد. فعاتبها مصعب في ذلك، فقالت: إنّ اللّه تبارك و تعالى و سمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس و يعرفوا فضلي(2) عليهم، فما كانت لأستره، و و اللّه ما فيّ وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد. و طالت مرادّة مصعب إيّاها في ذلك، و كانت شرسة الخلق. قال: و كذلك نساء بني تيم هنّ أشرس خلق اللّه و أحظاه(3) عند أزواجهن. و كانت عند الحسين بن عليّ صلوات اللّه عليهما أمّ إسحاق بنت طلحة، فكان يقول: و اللّه لربّما حملت و وضعت و هي مصارمة لي لا تكلّمني.

غضبت على مصعب فبعث إليها ابن قيس الرقيات:

قال: نالت عائشة من مصعب و قالت: عليّ كظهر أمّي، و قعدت في غرفة و هيّأت فيها ما يصلحها. فجهد مصعب أن تكلّمه فأبت. فبعث إليها ابن قيس الرقيّات، فسألها كلامه، فقالت: كيف بيميني؟ فقال: هاهنا الشّعبيّ فقيه أهل العراق فاستفتيه. فدخل عليها فأخبرته، فقال: ليس هذا بشيء. فقالت: أ تحلّني و تخرج خائبا! فأمرت له بأربعة آلاف درهم. و قال ابن قيس الرّقيّات لمّا رآها:

/

جنّيّة برزت لتقتلنا *** مطليّة الأقراب(4) بالمسك

و ذكر باقي الأبيات:

غضبت على مصعب فاسترضاها أشعب فرضيت:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا محمد بن إسحاق اليعقوبيّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم قال:

كان أشعب يألف مصعبا، فغضبت عليه عائشة بنت طلحة يوما، و كانت من أحبّ الناس إليه، فشكا ذلك إلى أشعب. فقال: ما لي إن رضيت؟ قال: حكمك. قال: عشرة آلاف درهم. قال: هي لك. فانطلق حتى أتى عائشة فقال: جعلت فداءك! قد علمت حبّي لك و ميلي قديما و حديثا إليك من غير منالة و لا فائدة. و هذه حاجة قد عرضت

1- في الكتب التي وردت فيها ترجمة طلحة بن عبيد اللّه مثل كتاب «المعارف» لابن قتيبة و كتب «تراجم الصحابة التي بين أيدينا»: «عثمان بن عمرو بن كعب... إلخ» و ليس فيها «عامر».

2- في «ب، س»: «فضله» و هو تحريف.

3- في «ب، س»: «أحظى عند أزواجهن» و هو تحريف.

4- الأقراب: جمع قرب (بالضم و بضمتين) و هو الخاصرة. و إنما للإنسان قربان، و لكن العرب يتوسعون في مثل هذا فيجمعونه.

تقضين بها حقّي و ترتهنين بها شكري. قالت: و ما عناك؟ قال: قد جعل لي الأمير عشرة آلاف درهم إن رضيت عنه.

قالت: ويحك! لا يمكنني ذلك. قال: بأبي أنت فارض عنه حتى يعطيني ثم عودي إلى ما عوّدك اللّه من سوء الخلق. فضحكت منه و رضيت عن مصعب. و قد ذكر المدائنيّ أن هذه القصة كانت لها مع عمر بن عبيد اللّه بن معمر، و أن الرسول إليها و المخاطب لها بهذه المخاطبة ابن أبي عتيق.

وصف عزة الميلاء لها و لعائشة بنت عثمان و أم القاسم بنت زكريا:

اشارة

و أخبرني الحسين/بن يحيى قال قال حماد قال أبي حدّثت عن صالح بن حسّان قال:

كان بالمدينة امرأة حسناء تسمّى عزّة الميلاء يألفها الأشراف و غيرهم من أهل المروءات، و كانت من أظرف الناس و أعلمهم بأمور النساء. فأتاها مصعب بن الزبير و عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر و سعيد بن العاص، فقالوا: إنّا خطبنا/فانظري لنا. فقالت لمصعب: يا ابن أبي عبد اللّه و من خطبت؟ فقال: عائشة بنت طلحة. فقالت:

فأنت يا ابن أبي أحيحة؟ قال: عائشة بنت عثمان. قالت: فأنت يا ابن الصّدّيق؟ قال: أمّ القاسم بنت زكريّا بن طلحة.

قالت: يا جارية هاتي منقليّ (تعني خفّيها) فلبستهما و خرجت و معها خادم لها، فإذا هي بجماعة يزحم بعضهم بعضا، فقالت: يا جارية انظري ما هذا. فنظرت ثم رجعت فقالت: امرأة أخذت مع رجل. فقالت: داء قديم، امض ويلك. فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت: فديتك! كنّا في مأدبة أو مأتم لقريش، فتذاكروا جمال النساء و خلقهن فذكروك، فلم أدر كيف أصفك فديتك. فألقي ثيابك، ففعلت فأقبلت و أدبرت فارتجّ كلّ شيء منها. فقالت لها عزّة: خذي ثوبك فديتك. فقالت عائشة: قد قضيت حاجتك و بقيت حاجتي. قالت عزّة: و ما هي بنفسي أنت؟ قالت: تغنّيني صوتا. فاندفعت تغنّي لحنها:

صوت

خليليّ عوجا بالمحلّة من جمل *** و أترابها بين الأصيفر و الخبل(1)

نقف بمغان قد محا رسمها البلى *** تعاقبها الأيّام بالريح و الوبل

فلو درج النمل الصّغار بجلدها *** لأندب(2) أعلى جلدها مدرج النمل

و أحسن خلق اللّه جيدا و مقلة *** تشبّه في النسوان بالشادن(3) الطّفل

- الشعر لجميل بن عبد اللّه بن معمر العذريّ. و الغناء لعزّة الميلاء ثقيل أوّل بالوسطى - فقامت عائشة فقبّلت ما بين عينيها و دعت لها بعشرة أثواب و بطرائف من أنواع/الفضّة و غير ذلك، فدفعته إلى مولاتها فحملته. و أتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن، حتى أتت القوم في السقيفة. فقالوا: ما صنعت؟ فقالت: يا بن أبي عبد اللّه، أمّا عائشة فلا و اللّه إن رأيت مثلها مقبلة و مدبرة، محطوطة(4) المتنين، عظيمة العجيزة، ممتلئة الترائب(5)، نقيّة الثغر

1- لعل صوابها «و الحبل» بالحاء المهملة؛ فإننا لم نجد في المظان «الخبل» بالخاء المعجمة من أسماء الأمكنة.

2- أندب أعلى جلدها: ترك فيه ندوبا. و الندب (بالتحريك): أثر الجرح.

3- الشادن من أولاد الظباء: الذي قوي و طلع قرناه و استغنى عن أمه. و الطفل بالفتح: الناعم الرخص.

4- محطوطة المتنين ممدودتهما. و المتنان. جنبتا الظهر، و يقال لهما المتنتان.

5- الترائب: موضع القلادة أو هي عظام الصدر.

و صفحة الوجه، فرعاء(1) الشعر: لفّاء الفخذين، ممتلئة الصدر، خميصة(2) البطن، ذات عكن، ضخمة السّرّة، مسرولة الساق. يرتجّ ما بين أعلاها إلى قدميها. و فيها عيبان، أمّا أحدهما فيواريه الخمار، و أمّا الآخر فيواريه الخفّ: عظم القدم و الأذن. و كانت عائشة كذلك. ثم قالت عزّة: و أما أنت يا ابن أبي أحيحة فإني و اللّه ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمان لامرأة قطّ، ليس فيها عيب. و اللّه لكأنما أفرغت إفراغا، و لكن في الوجه ردّة(3)، و إن استشرتني أشرت عليك بوجه تستأنس به. و أمّا أنت يا ابن الصّدّيق فو اللّه ما رأيت مثل أمّ القاسم، كأنها خوط(4) بانة تنثني، و كأنها جدل عنان، أو كأنها جانّ(5) يتثنّى على رمل، لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت. و لكنها شختة الصدر و أنت عريض الصدر؛ فإذا كان ذلك كان قبيحا، /لا و اللّه حتى يملأ كلّ شيء مثله. قال: فوصلها الرجال و النساء و تزوجوهن.

/

أمها، و خالتها، و زواجها من ابن خالها و أولادها منه:

/ أخبرني الطّوسيّ و حرميّ عن الزّبير عن عمّه، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الزبيريّ و المدائنيّ، و نسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد بن الحارث عن المدائنيّ و جمعت ذلك، قالوا جميعا:

إنّ أمّ عائشة بنت طلحة أمّ كلثوم بنت أبي بكر الصّدّيق، و أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الخزرج بن الحارث. قالوا: و كانت عائشة بنت طلحة تشبّه بعائشة أمّ المؤمنين خالتها. فزوّجتها عائشة عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر و هو ابن أخيها و ابن خال عائشة بنت طلحة، و هو أبو عذرها(6)، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه؛ ولدت له عمران و به كانت تكنى، و عبد الرحمن، و أبا بكر، و طلحة، و نفيسة و تزوّجها الوليد بن عبد الملك، و لكلّ هؤلاء عقب. و كان ابنها طلحة من أجواد قريش، و له يقول الحزين الدّيليّ:

فإن تك يا طلح أعطيتني *** عذافرة(7) تستخفّ الضّفار(8)

فما كان نفعك لي مرّة *** و لا مرّتين و لكن مرارا

أبوك الذي صدّق المصطفى *** و سار مع المصطفى حيث سارا

و أمّك بيضاء تيميّة *** إذا نسب الناس كانوا نضارا

مصارمتها لزوجها و إيلاؤه منها:

قال: فصارمت عائشة بنت طلحة زوجها، و خرجت من دارها غضبى، فمرّت في المسجد و عليها ملحفة تريد عائشة

1- فرعاء الشعر: طويلته. و اللفف في الفخذين: التفافهما أو ضخامتهما و اكتناز لحمهما.

2- خميصة البطن: ضامرته. و العكن: الأطواء في البطن من السمن، الواحدة عكنة (بالضم).

3- الردّة: القبح مع شيء من الجمال.

4- الخوط: الغصن الناعم.

5- كذا في «ج». و الجان هنا: حية كحلاء العينين لا تؤذي. شبهتها بالحية في اللين. و في «سائر الأصول»: «أو كأنها خشف». و الخشف

(مثلثة الخاء): ولد الظبية.

6- أبو عذر المرأة و أبو عذرتها: الذي اقتضها و افترعها.

7- العذافرة: الناقة الشديدة العظيمة.

8- كذا في «ج». و الضفار (بفتح الضاد): ما يشدّ به البعير من الشعر المضفور. أي تستخف زمامها لقوّتها. و في «سائر الأصول»: «تستخف العقارا». و لعله «القفار» بالقاف بدل العين.

أمّ المؤمنين، فرآها أبو هريرة فقال: سبحان اللّه! كأنها من الحور العين. فمكثت عند عائشة أربعة أشهر. و كان زوجها/قد آلى منها، فأرسلت عائشة: إني أخاف عليك الإيلاء(1)، فضمّها إليه و كان موليا منها فقيل له: طلّقها، فقال:

يقولون طلّقها لأصبح ثاويا *** مقيما عليّ الهمّ، أحلام نائم

و إنّ فراقي أهل بيت أحبّهم *** لهم زلفة عندي لإحدى العظائم

زواجها من مصعب بن الزبير:

فتوفي عبد اللّه بعد ذلك و هي عنده، فما فتحت فاها عليه، و كانت عائشة أمّ المؤمنين تعدّد عليها هذا في ذنوبها التي تعدّدها. ثم تزوّجها بعده مصعب بن الزبير، فأمهرها خمسمائة ألف درهم و أهدى لها مثل ذلك. و بلغ ذلك أخاه فقال: إن مصعبا قدّم أيره، و أخّر خيره. فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مروان فقال: لكنّه أخّر أيره و خيره، و كتب ابن الزبير إلى مصعب يؤنّبه على ذلك و يقسم عليه أن يلحق به بمكة و لا ينزل المدينة و لا ينزل إلا بالبيداء، و قال له: إني لأرجو أن تكون الذي يخسف به بالبيداء، فما أمرتك بنزولها إلا لهذا. و صار إليه و أرضاه من نفسه، فأمسك عنه.

كانت تعاسر مصعبا فاحتال له كاتبه ابن أبي فروة حتى ياسرته:

قال و حدّثني المدائنيّ عن سحيم بن حفص قال:

كان مصعب بن الزبير لا يقدر عليها إلاّ بتلاح ينالها منه و بضربها. فشكا ذلك إلى ابن أبي فروة كاتبه. فقال له: أنا أكفيك هذا إن أذنت لي. قال: نعم! افعل ما شئت فإنّها أفضل شيء نلته من الدنيا. فأتاها ليلا و معه أسودان فاستأذن عليها. فقالت له: أ في مثل هذه الساعة! قال نعم. فأدخلته. فقال للأسودين: احفراها هنا بئرا. فقالت له جاريتها: و ما تصنع بالبئر؟ قال: /شؤم/ملاتك، أمرني هذا الفاجر أن أدفنها حيّة و هو أسفك خلق اللّه لدم حرام.

فقالت عائشة: فانظرني أذهب إليه. قال: هيهات! لا سبيل إلى ذلك، و قال للأسودين: احفرا. فلمّا رأت الجدّ منه بكت ثم قالت: يا بن أبي فروة إنك لقاتلي ما منه بدّ؟ قال: نعم، و إني لأعلم أن اللّه سيجزيه بعدك، و لكنه قد غضب و هو كافر الغضب. قالت: و في أيّ شيء غضبه. قال: في امتناعك عنه، و قد ظنّ أنك تبغضينه و تتطلّعين إلى غيره فقد جنّ. فقالت: أنشدك اللّه إلاّ عاودته. قال: إني أخاف أن يقتلني. فبكت و بكى جواريها. فقال: قد رققت لك، و حلف أنّه يغرّر بنفسه، ثم قال لها: فما أقول؟ قالت: تضمن عنّي ألاّ أعود أبدا. قال: فما لي عندك؟ قالت: قيام بحقّك ما عشت. قال: فأعطيني المواثيق، فأعطته. فقال للأسودين: مكانكما، و أتى مصعبا فأخبره. فقال له:

استوثق منها بالأيمان، ففعلت و صلحت بعد ذلك لمصعب.

أخبار لها مع مصعب:

قال: و دخل عليها مصعب يوما و هي نائمة متصبّحة(2) و معه ثماني لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبهها

1- الإيلاء: اليمين، وفي الشرع أن يقسم الزوج ألا يقرب امرأته. و حكمه أن يتربص به أربعة أشهر ثم يوقف، فإما أن يطلق بعد ذلك أو يرجع.

2- التصبح: نوم الغداة.

و نثر اللؤلؤ في حجرها. فقالت له: نومتي كانت أحبّ إليّ من هذا اللؤلؤ.

قال: و صارمت مصعبا مرة، فطالت مصارمتها له و شقّ ذلك عليها و عليه، و كانت لمصعب حرب فخرج إليها ثم عاد و قد ظفر، فشكت عائشة مصارمته إلى مولاة لها. فقالت: الآن يصلح أن تخرجي إليه. فخرجت فهنّأته بالفتح و جعلت تمسح التراب عن وجهه. فقال لها مصعب: إني أشفق عليك من رائحة الحديد. فقالت: لهو و اللّه عندي أطيب من ريح المسك الأذفر.

/أخبرني ابن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسعر قال:

كان مصعب من أشدّ الناس إعجابا بعائشة بنت طلحة، و لم يكن لها شبه في زمانها حسنا و دماثة و جمالا و هيئة و متانة و عفّة، و إنها دعت يوما نسوة من قريش فلمّا جئنها أجلستهن في مجلس قد نضد فيه الريحان و الفواكه و الطّيب و متانة و عفّة، و إنها دعت يوما نسوة من قريش فلمّا جئنها أجلستهن في مجلس قد نضد فيه الريحان و الفواكه و الطّيب [و(1)] المجمر، و خلعت على كل امرأة منهن، خلعة تامّة من الوشي و الخزّ و نحوهما، و دعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك و أضعفت، ثم قالت لعزّة: هاتي يا عزّة فغنّينا، فغنّتهن في شعر امرئ القيس:

و ثغر أغرّ شتيت النبات *** لذيذ المقبّل و المبتسم

و ما ذقته غير ظنّ به *** و بالظن يقضي عليك الحكم

و كان مصعب قريبا منهن و معه إخوان له، فقام فانتقل حتى دنا منهن و الستور مسبلة، فصاح: يا هذه إنّا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت، فبارك اللّه فيك يا عزّة! ثم أرسل إلى عائشة: أمّا أنت فلا سبيل لنا إليك مع من عندك، و أمّا عزّة فتأذنين لها أن تغنّينا هذا الصوت ثم تعود إليك، ففعلت. و خرجت عزّة إليه فغنّته هذا الصوت مرارا و كاد مصعب أن يذهب عقله فرحا. ثم قال لها: يا عزّة إنك لتحسنين القول و الوصف، و أمرها بالعود إلى مجلسها، و تحدّث ساعة مع القوم ثم تفرّقوا.

خطبها بشر بن مروان فتزوجت عمر بن عبيد اللّه:

و قال المدائني، و ذكر القحذميّ أيضا في خبره،: فلمّا قتل مصعب عن عائشة خطبها بشر بن مروان، و قدم عمر بن عبيد اللّه بن معمر التيميّ من الشام فنزل/الكوفة، فبلغه أن بشر بن مروان خطبها، /فأرسل إليها جارية لها و قال: قولي لابنة عمّي يقرؤك السلام ابن عمك و يقول لك أنا خير من هذا المبسور المطحول، و أنا ابن عمّك و أحقّ بك، و إن تزوّجت بك ملأت بيتك خيرا، و حرك أيرا. فتزوّجته فبنى بها بالحيرة و مهدت له سبعة أفرشة عرضها أربع أذرع، فأصبح ليلة بنى بها عن تسع. قال: فلقيته مولاة لها فقالت: أبا حفص فديتك! قد كملت في كل شيء حتى في هذا.

و قال مصعب في خبره إن بشرا بعث إليها عمر بن عبيد اللّه بن معمر يخطبها عليه، فقالت له: يا مصارع(2)قلة! أ ما وجد بشر رسولا إلى ابنه عمّك غيرك! فأين بك عن نفسك؟! قال: أو تفعلين؟ قالت نعم، فتزوّجها. و قال معصب الزبيريّ في خبره: لمّا بنى بها عمر قال لها: لأقتلنك الليلة، فلم يصنع إلا واحدة. فقالت له لمّا أصبح: قم يا قتّال. قال: و قالت له حينئذ:

1- الزياد عن «ج». و المجمر (بكسر فسكون ففتح و بضم فسكون فكسر): العود الذي تبخر به.

2- كـذا في «أكثر الأصول». و في «ج» هكـذا: «يا مصارع فكه». و ظاهر أنها تريـد أن تؤنبه، بيـد أننا لم نهتد إلى وجه نطمئن إليه في هذه الكلمة.

قد رأيناك فلم تحل لنا *** و بلوناك فلم ترض الخبر

و هذه الحكاية تحامل من مصعب الزبيريّ و عصبيّة. و الخبر في رضاها عنه و الحكاية في هذا غير ما حكاه و هو ما سبق.

ما كان في يوم زواجها من عمر بن عبيد اللّه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد عن القحذميّ أنّ عمر بن عبيد اللّه لمّا قدم الكوفة تزوّج عائشة بنت طلحة، فحمل إليها ألف ألف درهم: خمسمائة ألف درهم مهرا و خمسمائة ألف هديّة، و قال لمولاتها: لك عليّ ألف دينار إن دخلت بها اللّيلة. و أمر بالمال فحمل فألقى/في الدار و غطّي بالثياب.

و خرجت عائشة فقالت لمولاتها: أ هذا فرش أم ثياب؟ قالت: انظري إليه، فنظرت فإذا مال، فتبسّمت. فقالت:

أجزاء من حمل هذا أن يبيت عزبا! قالت: لا و اللّه، و لكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن أتزيّن له و أستعدّ. قالت: فيم ذا! فوجهك و اللّه أحسن من كل زينة، و ما تمدّين يدك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا و هو عندك. و قد عزمت عليك أن تأذني له. قالت: افعلي. فذهبت إليه فقالت له: بت بنا الليلة. فجاءهم عند العشاء الآخرة(1)، فأذني إليه طعام فأكل الطعام كلّه حتى أعرى الخوان، و غسل يده، و سأل عن المتوضّأ فأخبرته فتوضّأ، و قام يصلّي حتى ضاق صدري و نمت، ثم قال: أ عليكم إذن؟ قلت: نعم، فدخل، فأدخلته و أسبلت السّتر عليهما. فعددت له في بقيّة الليل على قلّتها سبع عشرة مرة دخل المتوضّأ فيها. فلمّا أصبحنا وقفت على رأسه فقال: أ تقولين شيئا؟ قلت: نعم! و اللّه ما رأيت مثلك، أكلت أكل سبعة، و صلّيت صلاة سبعة، و نكت نيك سبعة. فضحك و ضرب بيده على منكب عائشة، فضحكت و غطّت وجهها و قالت:

قد رأيناك فلم تحل لنا *** و بلوناك فلم نرض الخبر

و يدلّ أيضا على بطلان خبره أنه لمّا مات ندبته قائمة، و لم تندب أحدا من أزواجها إلا جالسة فقيل لها في ذلك، فقالت: إنه كان أكرمهم عليّ و أمسّهم رحما بي، و أردت ألاّ أتزوّج بعده و كانت ندبة المرأة زوجها قائمة مما تفعله من لا تريد أن تتزوج بعد زوجها أخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير بن حرب عن محمد بن سلاّم. و هذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب.

ثم رجع الخبر إلى سياقة خبرها:

حديث امرأة عنها و قد اختلى بها عمر:

قال المدائنيّ في خبره: قالت امرأة: كنت عند عائشة بنت طلحة، فقيل لها: قد جاء الأمير، فتنحّيت، و دخل عمر بن عبيد اللّه، و كنت بحيث أسمع كلامهما، فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج، فقلت لها: أنت في نفسك و موضعك و شرفك تفعلين هذا! فقالت: إنا نتشهّى لهذه الفحول بكل ما حرّكها و كلّ ما قدرنا عليه.

طلبت ضرتها من مولاة لها أن تراها متجردة ثم ندمت أن رأتها

قال المدائنيّ: و حدّثني مسلمة بن محارب قال:

1- في «ج، ب، س»: «الأخيرة» و هو تحريف.

قالت رملة بنت عبد اللّه بن خلف – و كانت تحت عمر بن عبيد اللّه بن معمر، و قد ولدت منه ابنه طلحة الجود – لمولاة لعائشة بنت طلحة: أريني عائشة متجرّدة و لك ألفا درهم. فأخبرت عائشة بذلك. قالت: فإني أتجرّد، فأعلميها و لا تعرّفيها أني أعلم. فقامت عائشة كأنها تغتسل، و أعلمتها فأشرفت عليها مقبلة و مدبرة، فأعطت رملة مولاتها ألفي درهم، و قالت: لوددت أني أعطيتك أربعة آلاف درهم و لم أرها. قال: و كانت رملة قد أسنّت، و كانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف. و فيها و في عائشة يقول الشاعر:

انعم بعائش عيشا غير ذي رنق *** و انبذ برملة نبذ الجورب الخلق

و يقال: إنّ رملة قد أسنّت عند عمر بن عبيد اللّه، فكانت تجتنبه في أيّام أقرائها ثم تغتسل، تريه أنها تحيض، و ذلك بعد انقطاع حيضها. فقال في ذلك بعض الشعراء:

جعل اللّه كلّ قطرة حيض *** قطرت منك في حماليق عين

/أخبرنا بذلك الجوهريّ عن عمر بن شبّة.

أخبار لها مع عمر بن عبيد اللّه:

و ذكر هارون بن الزيّات عن أبي محلّم عن أبي بكر بن عيّاش قال:

قال عمر بن عبيد اللّه لعائشة بنت طلحة و قد أصاب منها طيب نفس: ما مرّ بي مثل يوم أبي فديك(1).

فقالت له: اعدد أيّامك و اذكر أفضلها، فعدّ يوم سجستان و يوم قطريّ بفارس و نحو ذلك. فقالت عائشة. قد تركت يوما لم تكن في أيّامك أشجع منك فيه. قال: و أيّ يوم؟ قالت: يوم أرخت عليها و عليك رملة السّتر.

تريد قبح وجهها.

قال: فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد اللّه بن معمر ثماني سنين، ثم مات عنها في سنة اثنتين و ثمانين، فتأيّمت بعده، فخطبها جماعة فردّتهم، و لم تتزوج بعده أحدا(2).

قال المدائنيّ: كان عمر بن عبيد اللّه من أشدّ الناس غيرة، فدخل يوما على عائشة و قد ناله حرّ شديد و غبار، فقال لها: انفضي التراب عنّي. فأخذت منديلا تنفض به عنه التراب، ثم قالت له: ما رأيت الغبار على وجه أحد قطّ كان أحسن منه على وجه مصعب، قال: فكاد عمر يموت غيظا.

و قال أحمد بن حمّاد بن جميل حدّثني القحذميّ قال.

كانت عائشة بنت طلحة من أشدّ الناس مغايظة لا زواجها، و كانت تكون لمن يجيء يحدّثها في رقيق الثياب، فإذا قالوا: قد جاء الأمير ضمّت عليها مطرفها/و قطّبت. و كانت كثيرا ما تصف لعمر بن عبيد اللّه مصعبا و جماله، تغيظه بذلك فيكاد يموت.

1- أبو فـديك هو عبـد اللّه بن ثور من بني قيس بن ثعلبة، كان من الخوارج، فوجه إليه عبد الملك بن مروان سـنة 73 ه عمر بن عبيد اللّه بن معمر و أمره أن يندب معه من أحب، فندب عشرة آلاف من أهل الكوفة و عشرة آلاف من أهل البصرة و سار بهم حتى انتهوا إلى البحرين. و هنالـك التقوا بأبي فـديك و أصـحابه، فكانت بينهم وقعـة شديـدة قتل فيها أبو فـديك و كثير من أصـحابه، و أسـر منهم فريق. (راجع «تاريخ الطبري» القسم الثاني صفحة 852-853).

2- في «ج، ب، س»: «أبدا».

طلبت من الوليد بن عبد الملك أعوانا حين حجت:

و قال المدائنيّ حدّثني مسلمة بن محارب و عبيد اللّه بن فائد، و أخبرنا به حرميّ عن الزبير عن عمه و محمد(1)ابن الضحّاك، قالوا:

دخلت عائشة بنت طلحة على الوليد بن عبد الملك و هو بمكّة، فقالت: يا أمير المؤمنين، مر لي/بأعوان فضمّ إليها قوما يكونون معها، فحجّت و معها ستّون بغلا عليها الهوادج و الرحائل. فعرض لها عروة بن الزّبير فقال:

عائش يا ذات البغال الستّين *** أ كلّ عام هكذا تحجّين

فأرسلت إليه: نعم يا عريّة، فتقدّم إن شئت؛ فكفّ عنها. و لم تتزوّج حتى ماتت.

حجت مع سكينة بنت الحسين و كانت أحسن آلة و ثقلا:

و قال غير المدائنيّ: إن عائشة بنت طلحة حجّت و سكينة بنت الحسين عليهما السلام معا، و كانت عائشة أحسن آلة و ثقلا(2). فقال حاديها:

عائش يا ذات البغال الستّين *** لا زلت ما عشت كذا تحجّين

فشق ذلك على سكينة، و نزل حاديها فقال:

عائش هذي ضرّة تشكوك *** لو لا أبوها ما اهتدى أبوك

فأمرت عائشة حاديها أن يكفّ فكفّ.

بهر موكب عاتكة بنت يزيد في الحج:

و قال: إسحاق بن إبراهيم في خبره حدّثني محمد بن سلاّم عن يزيد بن عياض قال:

استأذنت عاتكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحجّ، فأذن لها و قال: ارفعي حوائجك و استظهري؛ فإنّ عائشة بنت طلحة تحجّ، ففعلت فجاءت بهيئته جهدت/فيها. فلمّا كانت بين مكة و المدينة إذا موكب قد جاء فضغطها و فرّق جماعتها. فقالت: أرى هذه عائشة بنت طلحة، فسألت عنها فقالوا: هذه خازنتها. ثم جاء موكب آخر أعظم من ذلك فقالوا: عائشة عائشة، فضغطهم، فسألت عنه، فقالوا: هذا ماشطتها. ثم جاءت مواكب على هذا إلى سننها(3). ثم أقبلت كوكبة فيها ثلاثمائة راحلة عليها القباب و الهوادج. فقالت عاتكة: ما عند اللّه خير و أبقى.

و قال هارون بن الزيّات حدّثني قبيصة عن ابن عائشة عن أمّه عن سلاّمة مولاة جدّته أثيلة بنت المغيرة بن عبد اللّه(4) بن معمر قالت:

1- في «ب، س»: «و يحيى بن الضحاك» و هو تحريف.

2- الثقل: (بالتحريك): المتاع.

3- كذا في «ح». و في «ب، س»: «أي سننها». و في «أ، م»: «إلى يسنها». و ظاهر أن المراد «ثم جاءت مواكب على هذا السنن».

4- كذا في «الأصول». و لعل عبد اللّه بن معمر أبا المغيرة عم عمر بن عبيد اللّه بن معمر.

كان كبر عجيزتها مثار العجب:

زرت مع مولاتي خالتها عائشة بنت طلحة و أنا يومئذ وصيفة(1)، فرأيت عجيزتها من خلفها و هي جالسة كأنها غيرها، فوضعت إصبعي عليها لأعلم ما هي، فلمّا وجدت مسّ إصبعي قالت: ما هذا؟ قلت: جعلت فداءك! لم أدر ما هو، فجئت لأنظر. فضحكت و قالت: ما أكثر من يعجب مما عجبت منه.

إعجاب أبي هريرة بجمالها:

و زعم بكر بن عبد اللّه بن عاصم مولى عرينة عن أبيه عن جدّه: أنّ عائشة نازعت زوجها إلى أبي هريرة، فوقع خمارها عن وجهها، فقال أبو هريرة: سبحان اللّه! ما أحسن ما غذّاك أهلك! لكأنما خرجت من الجنّة.

وفدت على هشام فأعجب سامروه بعلمها:

قال ابن عائشة و حدّثني أبي أنّ عائشة بنت طلحة وفدت على هشام، فقال لها: ما أوفدك؟ قالت: حبست السماء المطر، و منع السلطان الحقّ. قال: فإني أبلّ رحمك و أعرف حقّك، ثم بعث إلى مشايخ بني أميّة فقال: إنّ عائشة عندي، فاسمروا عندي الليلة فحضروا، فما تذاكروا شيئا من أخبار العرب و أشعارها و أيّامها/إلا أفاضت معهم فيه، و ما طلع نجم و لا غار إلا سمّته. فقال لها هشام: أمّا الأوّل فلا أنكره، و أمّا النجوم فمن أين لك؟ قالت:

أخذتها عن خالتي عائشة. فأمر لها بمائة ألف درهم و ردّها إلى المدينة.

مر بها النميري الشاعر فاستنشدته و خبره معها:

أخبرني عمّي عن الكرانيّ عن المغيرة بن محمد(2) المهلّبيّ عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد اللّه قال/حدّثني ابن عمران البزّازيّ قال:

لمّا تأيّمت عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة، و بالمدينة سنة، تخرج إلى مال لها بالطائف عظيم و قصر لها فتنزّه و تجلس فيه بالعشيّات، فتناضل بين الرّماة. فمرّ بها النّميريّ الشاعر، فسألت عنه فنسب لها، فقالت:

ائتوني به. فقالت له لمّا أتوها به: أنشدني ممّا قلت في زينب(3). فامتنع و قال: ابنة عمّي و قد صارت عظاما بالية.

قالت: أقسمت لمّا فعلت. فأنشدها قوله:

نزلن بفخّ ثم رحن عشيّة *** يلبّين للرحمن معتمرات(4)

يخبّئن أطراف الأكفّ من التّقى *** و يخرجن شطر الليل معتجرات(5)

و لمّا رأت ركب النميريّ أعرضت *** و كنّ من ان يلقينه حذرات

1- أي جارية شابة.

2- في «الأصول»: «عن المغيرة عن محمد المهلبي» و هو تحريف. و المغيرة بن محمد المهلبي ذكر كثيرا في «الأغاني».

3- هي زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف الثقفي.

4- فـخ: واد بمكة. و فيه يقول بلال يحن إليه: ألا ليت شـعري هلى أبيتن ليلة بفخ و عندي إذخر و جليل و الاعتمار: القصد و الزيارة، و هو في الشرع: زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة معروفة في كتب الفقه.

5- الاعتجار: ليّ الثوب على الرأس من غير أن يدار تحت الحنك.

تضوّع مسكا بطن نعمان أن مشت *** به زينب في نسوة خفرات

فقالت: و اللّه ما قلت إلاّ جميلا و لا وصفت إلا كرما و طيبا و تقى و دينا، أعطوه ألف درهم. فلمّا كانت الجمعة الأخرى تعرّض لها، فقالت: عليّ به فجاء. فقالت: /أنشدني من شعرك في زينب. فقال: أو أنشدك من قول الحارث فيك؟ فوثب مواليها، فقالت: دعوه؛ فإنه أراد يستقيد لابنة عمّه، هات. فأنشدها:

ظعن(1) الأمير بأحسن الخلق *** و غدوا بلبّك مطلع الشّرق

و تنوء تثقلها عجيزتها *** نهض الضعيف ينوء بالوسق

ما صبّحت زوجها بطلعتها *** إلاّ غدا بكواكب الطّلق

قرشيّة عبق العبير بها *** عبق الدّهان بجانب الحقّ

بيضاء من تيم كلفت بها *** هذا الجنون و ليس بالعشق

قالت: و اللّه ما ذكر إلا جميلا، ذكر أنّي إذا صبّحت زوجا بوجهي غدا بكواكب الطّلق، و أني غدوت مع أمير تزوّجني إلى الشرق. أعطوه ألف درهم و اكسوه حلّتين، و لا تعد لإتياننا يا نميريّ.

أخر الحارث بن خالد الصلاة لتتم طوافها:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة عن محمد بن سلاّم:

أن عبد الملك ولّى الحارث بن خالد على مكّة. فأذّن المؤذّن، و خرج للصلاة، فأرسلت إليه عائشة بنت طلحة: قد بقي من طوافي شيء لم آته، و كان يتعشّقها، فأمر المؤذّن فكفّ عن الإقامة، ففرغت من طوافها. و بلغ ذلك عبد الملك فعزله. فقال: ما أهون و اللّه غضبه و عزله إيّاي عليّ عند رضاها عنّي.

كانت معناة بعجيزتها:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز حدّثني عمر بن شبّة قال:

قال سلم بن قتيبة: رأيت عائشة بنت طلحة بمنى أو مسجد الخيف، فسألتني من أنت؟ قلت: سلم بن قتيبة.

فقالت: رحم اللّه مصعبا! ثم ذهبت تقوم و معها/امرأتان تنهضانها، فأعجزتها(2) أليتاها من عظمهما، فقالت: إنّي بكما لمعنّاة. فذكرت قول الحارث:

و تنوء تثقلها عجيزتها *** نهض الضعيف ينوء بالوسق

و روى هذا الخبر هارون بن الزيّات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو عمرو بن

خلاّد عن المدائنيّ قال:

قال أبو هريرة/لعائشة بنت طلحة: ما رأيت شيئا أحسن منك إلاّ معاوية أوّل يوم خطب على منبر

1- مرت هـذه الأبيات مع اختلاف يسـير في «الروايـة» في ترجمـة الحارث بن خالـد المخزومي في الجزء الثالث صـفحة 319 من هذه الطبعة.

2- في «ج»: «فانخزلت أليتاها» أي انقطعتا و تميزتا كأنهما شيء آخر؛ قال الأعشى: إذا تقوم يكاد الخصر ينخزل

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. فقالت: و اللّه لأنها أحسن من النار في الليلة القرّة في عين المقرور.

خطبها أبان بن سعيد على يد أخيه فأبت:

اشارة

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة قال:

كتب أبان بن سعيد إلى أخيه يحيى يخطب عليه عائشة بنت طلحة، ففعل. فقال ليحيى: ما أنزل أخاك أيلة؟ قال: أراد العزلة. قالت: اكتب إلى أخيك:

حللت محلّ الضّبّ لا أنت ضائر *** عدوّا و لا مستنفع بك نافع

صوت

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه *** صنيعة تقوى أو صديق توامقه

منعت و بعض المنع حزم و قوّة *** فلم يفتلتك المال إلاّ حقائقه(1)

/عروضه من الطويل. توامقه: تفاعله من الموامقة، أي تودّه و يودّك؛ يقال: و مقته أمقه أي أحببته. و يفتلتك أي يخرجه من يدك و قبضتك. الشعر لكثيّر. و الغناء لمالك بن أبي السّمح، و يقال إنه للهذلي، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر.

سئل ابن عمران الطلحيّ أن يعاون صيرفيا أفلس فتمثل ببيتين لكثير:

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا طلحة بن عبد اللّه قال حدّثني أبو معمر عافية بن شيبة قال حدّثني العتبيّ قال:

أفلس صيرفيّ بالمدينة، فخرج قوم يسألون له، فمرّوا بابن عمران الطّلحي و قد فتح بابه و اجتمع له أصحابه، فسألوه، فقرع بمخصرته(2) ثم رفع رأسه إليهم فقال:

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه *** صنيعة تقوى أو صديق توامقه

بخلت و بعض البخل حزم و قوّة *** فلم يفتلتك المال إلاّ حقائقه

إنّا و اللّه ما نحيد عن الحق، و لا نتدفق في الباطل، و إنّ لنا لحوقا تشغل فضول أموالنا، و ما كلّ من أفلس من صيارفة المدينة قدرنا أن نجبره، قوموا. قال: فقمنا نستبق الباب.

أن يفرض له فأبى فتمثل الأبرش ببيتين لكثير:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عمر شبّة قال حدّثنا أبو مسلمة(3) المدينيّ قال أخبرني أبي قال:

كـان رجل من الأنصار من بني حارثـة مملقا ليس في ديوان و لا عطاء، و كان صـديقا لإبراهيم بن هشام بن إسـماعيل. فقال له يوما: إنّ أمير المؤمنين مسابق عدا بين الخيل، و قد أمرت الحرس ألاّ يعرضوا لك حتى تكلّمه.

قال: فسبق هشاما يومئذ ابن له، و كان السبق(4) يشتدّ عليه. فعرض له الأنصاريّ فقال: /يا أمير المؤمنين، أنا

1- حقائقه أي حقوقه.

2- المخصرة: ما يختصره الإنسان أي يمسكه ليتوكأ عليه مثل العصا و القضيب و المقرعة.

3- في «ج»: «أبو سلمة المديني».

4- هذه عبارة «ج». و في «سائر الأصول»: «و كان إذا سبق يشتدّ عليه».

امرؤ من الأنصار، و قد بلغت هذه السنّ(1) و لست في ديوان، فإن رأى أمير المؤمنين أن يفرض لي فعل. قال:

فأقبل عليه هشام فقال: و اللّه لا أفرض لك حتّى مثل هـذه الليلـة من السـنة المقبلـة، ثم أقبل على الأبرش فقال: يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألة. فقال: يا أمير المؤمنين، ابن أبي جمعة يقول:

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه *** صنيعة تقوى أو خليل توامقه

منعت و بعض المنع حزم و قوّة *** فلم يفتلتك المال إلاّ حقائقه

من شعر عمرو بن شأس:

صوت

/

فوا ندمي على الشباب و وا ندم *** ندمت وبال اليوم منّي بغير ذم

و إذ إخوتي حولي و إذ أنا شامخ *** و إذ لا أجيب العاذلات من الصّمم

إرادت عرارا بالهوان و من يرد *** عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم

فإن كنت منّي أو تريدين صحبتي *** فكوني له كالسّمن ربّت له الأدم

و إلاّ فبيني(2) مثل ما بان راكب *** تيمّم خمسا ليس في ورده يتم

فإنّ عرارا إن يكن ذا شكيمة *** تعافينها منه فما أملك الشّيم

و إنّ عرارا إن يكن غير واضح *** فإنّي أحبّ الجون ذا المنكب العمم

و إني لأعطي غثّها و سمينها *** و أسري إذا ما الليل ذو الظّلم ادلهم

حذارا على ما كان قدّم والدي *** إذا روّحتهم حرجف تطرد الصّرم

عروضه من الطويل. الشـعر لعمرو بن شأس الأسديّ. و الغناء في الأوّل و الثاني من الأبيات لمعبد، ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى، عن إسـحاق. و ذكر عمرو/أن فيهمـا لمالك خفيف رمل بالبنصـر. و في الثامن و التاسع لابن جامع هزج بالوسـطى عن الهشاميّ و عليّ بن يحيى، و فيهما لإبراهيم ماخوريّ بالبنصـر من نسـخة عمرو الثانية، و لابن سـريج ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش، و فيهما رمل مجهول و قيل: إنه لسـليم. الشامخ: الذي يشمخ بأنفه زهوا و كبرا. و أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه. و الشيمة: الطبيعة. ربّت له: يعني للسّمن فلا تفسده(3). و الأدم جمع واحدها أديم و جمعها(4) أدم، كما يقال أفيق و أفق(5). و اليتم: الغفلة(6) و الضّيعة؛ و اليتيم مأخوذ من هذا.

1- في «الأصول»: «هذا السن» و السن مؤنثة.

2- و يروى هذا البيت في «ديوان الحماسة»: و إلا فسيري مثل ما سار راكب تجشم خمسا ليس في سيره أمم و الأمم هنا: القرب و القصد.

3- يريد أن الأدم التي هي أوعية السـمن إذا دهنت بالرب، منعت فساد السـمن و زادت في طيب ريحه. و الرب: خلاصة التمر بعد طبخه و عصره.

4- في «ج»: «و جمعت أدما».

5- في «الأصول»: «أنيق و أنق» و هو تحريف. و الأفيق و الأديم كلاهما الجلد المدبوغ.

6- قيل معنى اليتم هنا الإبطاء. (راجع «لسان العرب» في مادة يتم).

و اليتيم من البهائم: ما اختلج عن أمّه. و العرب تقول: «لا تخلج الفصيل عن أمه، فإنّ الذئب عالم بمكان الفصيل [اليتيم(1)]. و يقال: فلان شديد الشكيمة أي شديد اللسان كثير البيان؛ و منه شكيمة اللّجام، و جمعها شكائم. قال عويف القوافي:

أقول لفتيان كرام تروّحوا *** على الجرد في أفواههن الشكائم

و الواضح: الأبيض. و الجون: الأسود و الأبيض أيضا، و هو من الأضداد. و العمم: الطويل؛ يقال رجل عمم، و امرأة عمم، و رجل عميم، و امرأة عميمة، و نخل عميم، و نبت عميم. و السّرى: السير ليلا. و ادلهمّ: اشتدّ سواده.

و الحرجف: الريح الشديدة الباردة. و الصّرم: جمع صرمة(2) و هي القطعة من الإبل. يعني أن هذه الريح إذا هبّت طرد الرعاء الإبل إلى مراحها و أعطانها فتسكن فيها.

11 - نسب عمرو بن شأس و أخباره في هذا الشعر و غيره:

نسب عمرو بن شأس:

هو عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة بن ذؤيبة(3) بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة. و هذا الشعر يقوله في امرأته أمّ حسّان و ابنه عرار بن عمرو، و كانت تؤذيه و تعيّره بسواده.

كانت امرأته تؤذي ابنه عرارا و تشتمه و يشتمها، فقال هو شعرا يخاطبها به:

و أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن الحسن الأحول قال قال ابن الأعرابيّ:

كانت امرأة عمرو بن شأس من رهطه، و يقال لها أمّ حسّان، و اسمها(4) حيّة بنت الحارث بن سعد، و كان له ابن يقال له عرار من أمة له سوداء/و كانت تعيّره و تؤذي عرارا و تشتمه و يشتمها. فلمّا أعيت عمرا قال فيها:

ديار ابنة السّعديّ هيه تكلّمي *** بدافقة الحومان فالسّفح من رمم(5)

لعمر ابنة السّعديّ إنّي لأتّقي *** خلائق تؤبى(6) في الثّراء و في العدم

وقفت بها و لم أكن قبل أرتجي *** إذا الحبل من إحدى حبائبي انصرم

و إنّي لمزر(7) بالمطيّ تنقّلي *** عليه و إيقاعي المهنّد بالعصم

و إنّي لأعطي غثّها و سمينها *** و أسرى إذا ما الليل ذو الظّلم ادلهم

/إذا الثلج أضحى في الديار كأنه *** مناثر ملح في السّهول و في الأكم(8)

1- التكملة من «لسان العرب» (في مادة يتم).

2- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «جمع صريمة» و هو تحريف.

3- الذي في شرح التبريزي ل «ديوان الحماسة» (طبع مدينة بن سنة 1828 م ص 139): «رويبة» بدل «ذؤيبة».

4- كذا في «أ، م». و في «سائر الأصول»: «و أمها».

5- هيه: كلمة استزاده للحديث، مثل إيه. و الحومان و رمم: موضعان.

6- تؤبى: تغاف و تكره.

7- مزر: مستخف متهاون. و تنقلي عليه: بدل من المطي. و العصم: القلائد، واحدتها عصمة، و المراد مواضعها يريد أنه كثير الأسفار كثير الإغارة.

8- مناثر: جمع منثر (وزان مكتب)، و هو اسم مكان من نثر ينثر. و هو يريد كأن الثلج ملح منثور، فشبه مساقط الثلج بمناثر الملح. و الأكم (بفتحتين و بضمتين): جمع أكمة (بفتحتين) و هي دون الجبل.

حذارا على ما كان قدّم والدي *** إذا روّحتهم حرجف تطرد الصّرم

و أترك ندماني(1) يجرّ ثيابه *** و أوصاله من غير جرح و لا سقم

و لكنّها من ريّة بعد ريّة *** معتّقة صهباء راووقها رذم(2)

من العانيات(3) من مدام كأنها *** مذابح غزلان يطيب بها الشّمم

و إذ إخوتي حولي و إذ أنا شامخ *** و إذ لا أجيب العاذلات من الصمم

أ لم يأتها أنّي صحوت و أنّني *** تحالمت حتى ما أعارم من عرم(4)

و أطرقت إطراق الشّجاع و لو يرى *** مساغا لنابيه الشجاع لقد أزم(5)

و قد علمت سعد بأنّي عميدها *** قديما و أنّي لست أهضم من هضم

- يقول: لا أظلم أحدا من قومي و أتهضّمه(6) فيطلبني بمثل ذلك، أي أرفع نفسي عن هذا -

خزيمة ردّاني(7) الفعال و معشر(8)*** قديما بنوا لي سورة المجد و الكرم

/إذا ما وردنا الماء كانت حماته *** بنو أسد يوما على رغم من رغم(9)

أرادت عرارا بالهوان و من يرد *** عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم

لما يئس من الصلح بين امرأته و ابنه طلقها ثم ندم و قال شعرا:

و ذكر باقي الأبيات. قال ابن الأعرابيّ و أبو بكر الشّيبانيّ: فجهد عمرو بن شأس أن يصلح بين ابنه و امرأته أمّ حسّان فلم يمكنه ذلك، و جعل الشرّ يزيد بينهما. فلمّا رأى ذلك طلّقها، قم ندم و لام نفسه؛ فقال في ذلك:

تذكّر ذكرى أمّ حسّان فاقشعر *** على دبر لمّا تبيّن ما ائتمر(10)

فكدت أذوق الموت لو أنّ عاشقا *** أمر بموساه(11) الشوارب فانتحر

1- الندمان: الذي يوافقك في شرابك. و الأوصال: المفاصل، واحدها وصل (بكسر الواو و ضمها).

2- راووق الخمر: ناجودها الذي تروّق فيه و الرذم (بالتحريك): اسم من الامتلاء وصف به.

3- في «الأصول»: «من الغانيات» بالغين المعجمة، و هو تصحيف. و العانيات: الأسيرات، أي هي من المحتبسات في دنانها. و قوله «كأنها مذابح غزلان» يريد أن يصفها بطيب الريح، حتى كأنها مواضع شق نوافج المسك.

4- يقال: عرم يعرم (من بابي نصر و ضرب) و عرم (بكسر عين الفعل) و عرم (بضمها) عرامة و عراما (بضم أوله) إذا اشتدّ.

5- الإطراق: السكوت في سكون. و الشجاع هنا: الحية الذكر. و أزم عض؛ يقال: أزمه يأزمه و عليه (من باب ضرب) إذا عضه.

6- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «و انهضه». و هو تحريف.

7- ردّاني: ألبسني. و الفعال (بالفتح): الخير. يريد: ورثني شمائل الخير.

8- كذا في «الأصول». و قد أثبتها المرحوم الشيخ سيد بن علي المرصفي في كتابه «أسرار الحماسة». «و معشري» بياء المتكلم، و هي الأنسب بالسياق. و سورة المجد: يريد منزلة المجد. و السورة من البناء: ما حسن و طال.

9- الرغم (مثلث آراء) هنا: الكره و القسر. و رغم: ذل؛ يقال رغم أنف فلان (بفتح الغين و كسرها و ضمها) إذا ذل و انقاد.

10- دبر كل شيء: آخره. و أتمر هنا: عمل برأيه. و المؤتمر يصيب مرة و يخطئ أخرى. يقول: تذكر أم حسان أخيرا فاقشعر حين تبين له خطأ ما فعل.

11- في العبارة هنا قلب أي أمر موساه بالشواب. و الشوارب هنا: عروق في الحلق. و الانتحار هنا: قتل المرء نفسه.

تذكّرتها وهنا و قد حال دونها *** رعان و قيعان بها الزّهر و الشجر(1)

فكنت كذات البوّ(2) لما تذكّرت *** لها ربعا حنّت لمعهده سحر

حفاظا و لم تنزع هراي أثيمة *** كذلك شأوا المرء يخلجه القدر

قال ابن الأعرابيّ: الأثيمة الفعيلة من الإثم، و هي مرفوعة بفعلها، كأنه قال: [لم] تنزع الأثيمة هواي. تخلجه:

تصرفه. شأوه: همّه و نيّته. قال و قال فيها أيضا:

/

أ لم تعلمي يا أمّ حسّان أنني *** إذا عبرة نهنهتها(3) فتخلت

رجعت إلى صدر كجرّة حنتم(4)*** إذا قرعت صفرا من الماء صلّت

خبر ابنه عرار مع عبد الملك حين جاءه رسولا من قبل الحجاج:

/أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق بن محمد بن سلاّم، و أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال ابن سلاّم:

لمّا قتل الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بعث برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس الأسديّ، فلمّا ورد به و أوصل كتاب الحجاج، جعل عبد الملك يعجب من بيانه و فصاحته مع سواده، فقال متمثّلا:

و إنّ عرارا إن يكن غير واضح *** فإنّي أحبّ الجون ذا المنكب العمم

فضحك عرار من قوله ضحكا غاظ عبد الملك؛ فقال له: ممّ ضحكت ويحك قال: أ تعرف عرارا يا أمير المؤمنين الذي قبل فيه هذا الشعر؟! قال لا. قال: أنا و اللّه هو. فضحك عبد الملك ثم قال: حظّ وافق كلمة، و أحسن جائزته و سرّحه.

قال شعرا في قتل ملك من غسان يقال له عديّ:

اشارة

و قال الطوسيّ: أغار ملك من ملوك غسّان يقال له عديّ و هو ابن أخت الحارث بن أبي شمر الغسّانيّ علي بني أسد، فلقيته بنو سعد بن ثعلبة بن دودان بالفرات و رئيسهم ربيعة بن حذار(5)، فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتلت بنو سعد عديّا، اشترك في قتله عمرو و عمير ابنا حذار أخوا ربيعة، و أمّهما امرأة من كنانة يقال لها تماضر إحدى بني فرّاس بن غنم و هي التي يقال لها مقيّدة الحمار. فقالت فاختة بنت عديّ:

/

لعمرك ما خشيت على عديّ *** رماح بني مقيّدة الحمار

و لكنّي خشيت على عديّ *** رماح الجنّ أو إيّاك حار

ص: 134

1- الوهن: نحو نصف الليل، أو بعد ساعة منه، أو هو حين يدبر الليل، و مثله الموهن. و رعان: جمع رعن (بالفتح) و هو أنف يتقدم الجبل، و الجبل الطويل. و القيعان جمع قاع، و هو أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال و الآكام.

2- البوّ: جلد ولد الناقة أو البقرة يحشى تبنا أو نحوه ثم يقرب إلى أمه فتعطف عليه و تدر. و الربع (بضم ففتح): الفصيل ينتج في الربيع و هو أول انتاج، فإن نتج في آخره فهو هبع (بضم و فتح).

3- العبرة: الدمعة قبل أن تفيض. و نهنهتها: كففتها.

4- في «الأصول»: «... إلى صبر كطسة خنتم». و التصويب من «اللسان» (في مادة حنتم). و الحنتم: جرار خضر تضرب إلى الحمرة. وصلت: صوّتت.

5- و قيل في ضبطه إنه ككتاب.

- تغنى الحارث بن أبي شمر خاله -

قتيل ما قتيل ابني حذار *** بعيد الهمّ طلاّع النجار

و يروى: «جواب الصحاري». فقال عمرو بن شأس في ذلك:

صوت

متى تعرف العينان أطلال دمنة *** لليلى بأعلى ذي معارك(1) تدمعا

على النحر و السّربال حتى تبلّه(2) *** سجوم و لم تجزع على الدار مجزعا

خليليّ عوجا اليوم نقض لبانة *** و إلاّ تعوجا اليوم لا ننطلق معا

و إن تنظراني اليوم أتبعكما غدا *** قياد النجيب أو أذلّ و أطوعا(3)

و هي قصيدة. غنّى في هذه الأبيات إبراهيم ثقيلا أوّل بالوسطى عن الهشاميّ. و الدمنة في هذا الموضع: آثار الناس و ما سوّدوا، و هي في غير هذا الموضع الحقد؛ يقال: في صدره عليّ إحنة، و ترة، و ضبّ، و حسيكة، و دمنة.

و عوجا: احبسا و تلبّثا، عاج يعوج عياجا(4). و ما أعيج(5) بكلامك أي ما ألتفت إليه. و اللّبانة: الحاجة؛ /يقال:

لي في كذا لبانة و لبونة(6) و لماسة، و وطر، و حوجاء ممدودة. و قوله: «لا ننطلق معا»، يقول إن لم تقفا تأخّرت عنكما فتفرّقنا. و تنظراني تنظراني؛ يقال نظرته أنظره، و أنظرته أنظره إنظارا و نظرة أيضا إذا أخّرته؛ قال اللّه عزّ و جلّ: فَنَظِرَةٌ إِلىٰ مَيْسَرَةٍ . و الجنيب: المجنوب من فرس و غيره، و الجنيب أيضا الذي يشتكي رئته من شدّة العطش.

خطب بنت رجل كان مجاورا له فلما أحس منه امتناعا أراد أن يصيبها سبية ثم تذمم و قال شعرا:

اشارة

و قال الطوسيّ قال الأصمعيّ: جاور رجل من بني عامر بن صعصعة عمرو بن شأس و معه بنت له من أجمل الناس و أظرفهم، فخطبها عمرو إلى أبيها. /فقال أبوها: أمّا دمت جارا لكم فلا، لأني أكره أن يقول الناس غصبه أمره، و لكن إذا أتيت قومي فأخطبها إليّ أزوّجكها. فوجد عمرو من ذلك في نفسه و اعتقد ألاّ يتزوّجها أبدا إلا أن يصيبها مسبيّة. فلمّا ارتحل أبوها همّ عمرو بغزو قومها، فسار في أثر أبيها. فلمّا وقعت عينه عليه و ظفر به استحيا من جواره و ما كان بينهما من العهد و الميثاق، فنظر إلى الجارية أمامهم و قد أخرجت رأسها من الهودج تنظر إليه. فلمّا رآها رجع مستحييا متذمّما منها. و كان عمرو مع شجاعته و نجدته من أهل الخير؛ فقال في ذلك:

1- ذو معارك: موضع في ديار بني تميم. و في «الأصول»: «ذي معازل» و التصويب من كتاب «معجم ما استعجم» و «طبقات الشعراء»

لابن سلام. (صفحة 47 طبعة مدينة ليدن سنة 1916 م).

2- الضـمير المرفوع في «تبله» و مـا بعـده مراد به العين. و جائز في مثل هـذا المثنى أن يعود الضـمير إليه مفردا. و في «طبقات الشـعراء» «رشاشا» بـدل «سـجوم». و قوله: و لم تجزع على الـدار، يريـد أن تـذراف العين بالدموع لم يكن لجزعها على الدار، و إنما كان على أهلها الذين فارقوها.

3- رواية «طبقات الشعراء»: أذل قيادا من جنيب و أطوعا

4- الذي في «القاموس»: عاج عوجا و معاجا.

5- عين هذا الفعل ياء، و عين الأول واو. و بنو أسد يقولون: ما أعوج بكلامك.

6- لم نجد هذه الكلمة فيما لدينا من كتب اللغة.

صوت

إذا نحن أدلجنا(1) و أنت أمامنا *** كفى لمطايانا بوجهك هاديا

أ ليس يزيد العيس(2) خفّة أذرع *** و إن كنّ حسرى أن تكوني أماميا

/و لو لا اتّقاء اللّه و العهد قد رأى *** منيّته منّي أبوك اللّياليا

و نحن بنو خير السّباع أكيلة *** و أحربه(3) إذا تنفّس عاديا

بنو أسد و زد يشقّ بنابه *** عظام الرجال لا يجيب الرّواقيا(4)

متى تدع قيسا أدع خندف إنّهم *** إذا ما دعوا أسمعت ثمّ الدّواعيا

لنا حاضر لم يحضر الناس مثله *** و باد إذا عدّوا علينا البواديا

الغناء لإسحاق الموصليّ ثاني ثقيل في الأوّل و الثاني من الأبيات، و فيه لحن قديم.

سئل ابن سيرين عن النسيب فأنشد بيتين في شعره دلالة على جوازه:

اشارة

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثنا الحزاميّ قال حدّثنا معن بن عيسى عن رجل عن سويد بن أبي رهم قال: قلت لابن سيرين: ما تقول في الشعر؟ قال: هو كلام، حسنه حسن، و قبيحه قبيح. قلت: فما تقول في النّسيب؟ قال: لعلك تريد مثل قول الشاعر:

إذا نحن أدلجنا و أنت أمامنا *** كفى لمطايانا بوجهك هاديا

أ ليس يزيد العيس خفّة أذرع *** و إن كنّ حسرى أن تكوني أماميا

قال: و أراد بإنشاده إيّاهما أنك قد رأيتني أحفظ هذا الجنس و أرويه و أنشدتك إياه، فلو كان به بأس ما أنشدته.

صوت

فإن تكن القتلى بواء فإنّكم *** فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

فتى كان أحيا من فتاة حييّة *** و أشجع من ليث بخفّان خادر

/عروضه من الطويل. البواء بالباء: التكافؤ؛ يقال ما فلان لفلان ببواء، أي ما هو له بكفء أن يقتل به. و «ما» في قولها «فتى ما قتلتم» صلة. و

آل عوف نداء. و خفّان: موضع مشهور. و خادر: مقيم في مكمنة و غيله، و هو مأخوذ من الخدر(5).

الشعر لليلى الأخيليّة ترثي توبة بن الخميّر. و الغناء لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ، رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. و فيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش. و في هذه القصيدة عدّة أغان تذكر مع سائر ما قاله توبة/في ليلى و قالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر في مقتله إن شاء اللّه تعالى.

1- الإدلاج: سير الليل.

2- العيس من الإبل: البيض مع شقرة يسيرة، الواحد أعيس و عيساء. و الحسرى: جمع حسير و هي الدابة المعيبة المتعبة.

3- و أحربه: يريد أنه أحرب السباع أي أشدها في الحرب و المقاتلة. و العادي من السباع: الظالم الذي يفترس الناس.

4- هذا كناية عن أن فريسته لا سبيل إلى شفائها و سلامتها.

5- من معاني الخدر (بالكسر): أجمة الأسد، و من معاني الخدر (بالفتح): الإقامة.

12 - ذكر ليلى و نسبها و خبر توبة بن الحميّر معها و خبر مقتله

نسب ليلى الأخيلية:

هي ليلى بنت عبد اللّه بن الرّحّال - و قيل ابن الرحّالة - بن شدّاد بن كعب بن معاوية، و هو الأخيل و هو فارس الهرّار(1)، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. و هي من النساء المتقدّمات(2) في الشعر من شعراء الإسلام.

كان توبة بن الحمير يهواها و نسبه:

و كان توبة بن الحميّر يهواها. و هو توبة بن الحميّر بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل.

جاءها توبة يوما فسفرت له لتحذره:

أخبرني ببعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و محمد بن حبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد الورّاق(3) قال حدّثنا محمد بن عليّ أبو المغيرة قال حدّثنا أبي عن أبي عبيدة قال حدّثني أنيس بن عمرو العامريّ قال:

كان توبة بن الحميّر أحد بني الأسديّة، و هي عامرة بنت والبة بن الحارث، و كان يتعشّق ليلى بنت عبد اللّه بن الرحّالة و يقول فيها الشعر، فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إيّاها و زوّجها في بني الأدلع. فجاء يوما كما كان يجيء لزيارتها، فإذا هي سافرة و لم ير منها إليه بشاشة، فعلم أنّ ذلك لأمر ما كان، فرجع إلى راحلته فركبها و مضى، و بلغ بني الأدلع أنّه أتاها فتبعوه ففاتهم. فقال توبة في ذلك:

/

نأتك بليلى دارها لا تزورها *** و شطّت نواها و استمرّ مريرها(4)

و هي طويلة، يقول فيها:

و كنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت *** فقد رابني منها الغداة سفورها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال:

كان توبة بن الحميّر إذا أتى ليلى الأخيليّة خرجت إليه في برقع. فلمّا شهر أمره شكوه إلى السّلطان، فأباحهم دمه إن أتاهم. فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه. فلمّا علمت به خرجت سافرة حتى جلست في طريقه فلمّا رآها سافرة فطن لما أرادت و علم أنه قد رصد، و أنها سفرت لذلك تحذّره، فركض فرسه فنجا. و ذلك قوله:

1- ورد اسم هذا الفرس في «الأصول» هنا محرفا. و قد تقدم في صفحتي 85 و 87 من هذا الجزء.

2- في «أ، م»: «المقدمات».

3- في «الأصول» هنا: «عبد اللّه بن عمرو بن أبي سعد الوراق». و قد ورد كثيرا من الأجزاء الماضية كما أثبتناه.

4- يقال: نآه و نأي عنه إذا بعد عنه. و شطت. بعدت. و النوى هنا: الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد، و مثله النية. و استمر: استحكم. و المرير هنا: العزيمة، و مثله المريرة. يقال: استمرت مريرة فلان على كذا إذا استحكم أمره عليه و قويت شكيمته فيه و ألفه و اعتاده.

و كنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت *** فقد رابني منها الغداة سفورها

قال أبو عبيدة و حدّثني غير أنيس أنه كان يكثر زيارتها، فعاتبه أخوها و قومها فلم يعتب(1)، و شكوه إلى قومه فلم يقلع، فتظلّموا منه إلى السّلطان فأهدر دمه إن أتاهم. و علمت ليلى بذلك، و جاءها زوجها و كان غيورا فحلف لئن لم تعلمه بمجيئه ليقتلنّها، و لئن أنذرته بذلك ليقتلنّها. قالت ليلى: و كنت أعرف الوجه الذي يجيئني منه، فرصدوه بموضع و رصدته بآخر، فلمّا أقبل لم أقدر على كلامه لليمين، فسفرت و ألقيت البرقع عن رأسي. فلمّا رأى ذلك أنكره فركب راحلته و مضى ففاتهم.

عرفها رجل من بنى كلاب و خبره معها و مع زوجها:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال حدّثني أبو زياد الكلابيّ قال:

/خرج رجل من بني كلاب ثم من بني الصحمة(2) يبتغي إبلا له حتى أوحش و أرمل(3)، ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيت بواد، فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيف، فأبصر امرأة و صبيانا يدورون بالخباء فلم يكلّمه/أحد. فلمّا كان بعد هدأة من الليل سمع جرجرة إبل رائحة، و سمع فيها صوت رجل حتى(4) جاء بها فأناخها على البيت، ثم تقدّم فسمع الرجل يناجي المرأة و يقول: ما هذا السّواد حذاءك؟ قالت: راكب أناخ بنا حين غابت الشمس و لم أكلّمه.

فقال لها: كذبت، ما هو إلا بعض خلاّنك، و نهض يضربها و هي تناشده، قال الرجل: فسمعته يقول: و اللّه لا أترك ضربك حتى يأتي ضيفك هذا فيغيثك. فلمّا عيل صبرها(5) قالت: يا صاحب البعير يا رجل! و أخذ الصحميّ هرواته ثم أقبل يحضر(6) حتى أتاها و هو يضربها، فضربه ثلاث ضربات أو أربعا، ثم أدركته المرأة فقالت: يا عبد اللّه، ما لك و لنا! نحّ عنّا نفسك، فانصرف فجلس على راحلته و أدلج ليلته كلّها و قد ظنّ أنه قتل الرجل و هو لا يدري من الحيّ بعد(7)، حتى أصبح في أخبية من الناس، و رأى غنما فيها أمة مولّدة، فسألها عن أشياء حتى بلغ به الذكر(8)، فقال: أخبريني عن أناس وجدتهم بشعب كذا(9). فضحكت و قالت: إنك لتسألني عن شيء و أنت به عالم. فقال:

و ما ذاك للّه بلادك؟ فو اللّه ما أنا به عالم. قالت: ذاك خباء ليلى الأخيليّة، و هي أحسن الناس وجها، و زوجها رجل غيور فهو يعزب بها عن الناس/فلا يحلّ بها معهم، و اللّه ما يقربها أحد و لا يضيفها، فكيف نزلت أنت بها؟ قال.

إنما مررت فنظرت إلى الخباء و لم أقربه، و كتمها الأمر. و تحدّث الناس عن رجل نزل بها فضربها زوجها فضربه الرجل و لم يدر من هو. فلمّا أخبر(10) باسم المرأة و أقرّ على نفسه تغنّى بشعر دلّ فيه على نفسه و قال:

1- أي لم يرضهم.

2- في «مختار الأغاني»: «من بني الصمح» و كذلك ورد في الشعر الآتي: «أنا الصمحيّ» و لم نهتد لوجه الصواب فيه.

3- أوحش هنا: جاع. و أرمل: نفد زاده.

4- كلمة «حتى» ليست في «ج».

5- في «مختار الأغاني» لابن منظور: «فلما عيل صبرها غوّثت و قالت...».

6- في «ب، س»: «يحفز» و هو تحريف. و الإحضار: العدو.

7- زاد في «مختار الأغاني»: «و لا من الرجل».

8- كذا في «مختار الأغاني». و في «الأصول»: «... بها الذكر».

9- كذا في مختار الأغاني. و في «الأصول» «بشعب كذا و كذا» و لا معنى لتكرار هذه الكلمة.

10- في «مختار الأغاني»: «فلما أخبر باسم المرأة أقر على نفسه بشعر قاله و هو...».

ألا يا ليل أخت بني عقيل *** أنا الصّحميّ إن لم تعرفيني

دعتني دعوة فحجزت(1) عنها *** بصكّات رفعت بها يميني

فإن تك غيرة أبرئك منها *** و إن تك قد جننت فذا جنوني(2)

سألها الحجاج هل كان بينها و بين توبة ريبة و جوابها له:

اشارة

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا رشد(3) بن خنتم الهلاليّ قال حدّثني أيّوب بن عمرو عن رجل يقال له ورقاء قال:

سمعت الحجّاج يقول لليلى الأخيليّة: إنّ شبابك قد ذهب، و اضمحلّ أمرك و أمر توبة؛ فأقسم عليك إلاّ صدقتني، هل كانت بينكما ريبة قطّ أو خاطبك في ذلك قطّ؟ فقالت: لا و اللّه أيّها الأمير إلا أنّه قال لي ليلة و قد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر، فقلت له.

و ذي حاجة قلنا له لا تبح بها *** فليس إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه *** و أنت لأخرى فارغ و حليل(4)

/فلا و اللّه ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرّق بيننا الموت. قال لها الحجاج: فما كان منه بعد ذلك؟ قالت: وجّه صاحبا له إلى حاضرنا فقال: إذا أتيت الحاضر من بني عبادة بن عقيل فاعل شرفا ثم اهتف بهذا البيت:

عفا اللّه عنها هل أبيتنّ ليلة *** من الدهر لا يسري إليّ خيالها

فلمّا فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له:

/

و عنه عفا ربّي و أحسن حفظه(5)*** عزيز علينا حاجة لا ينالها

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء، و هو أجمع في قصيدة توبة.

نأتك بليلى دارها لا تزورها

صوت

حمامة بطن الواديين ترنّمي *** سقاك من الغرّ الغوادي مطيرها

أبيني لنا لا زال ريشك ناعما *** و لا زلت في خضراء دان بريرها(6)

1- حجزت: كففت و دفعت.

2- في «ج»: «فذو جنون». و كلا الرسـمين يستقيم به المعنى. و معنى البيت: إن كان ما حملك على ضرب زوجك غيره فأنا أشفيك منها، و إن كان جنونا فأنا ذو جنون يغلب جنونك، أو فهذا الذي رأيته مني جنوني. و في «مختار الأغاني»: «فذق جنوني».

3- لم نعثر على ضبط هذا الاسم، و قد سموا رشدا (بضم فسكون) و رشدا (بالتحريك).

4- في «بعض الأصول»: «و خليل». و في كتاب «الأمالي» لأبي علي القالي (ج 1 ص 88 طبع مطبعة دار الكتب المصرية): «صاحب» بدل «فارغ». و حليل المرأة زوجها، و هي حليلته، لأن كليهما يحال الآخر أي يكون معه في محل واحد.

5- في «الأمالي»: «... و أحسن حاله فعزت...».

6- في «الأمالي»: «غض نضيرها». و البرير: ثمر الأراك.

و أشرف بالقوز اليفاع(1) لعلّني *** أرى نار ليلى أو يراني بصيرها(2)

و كنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت *** فقد رابني منها الغداة سفورها

عليّ دماء البدن(3) إن كان بعلها *** يرى لي ذنبا غير أنّي أزورها

و أنّي إذا ما زرتها قلت يا اسلمي *** و ما كان في قولي اسلمي ما يضيرها

/و غيّرني(4) إن كنت لمّا تغيّري *** هواجر تكتنّينها(5) و أسيرها

و أدماء(6) من سرّ المهاري كأنّها *** مهاة صوار(7) غير ما مسّ كورها

قطعت بها أجواز كلّ تنوفة *** مخوف رداها كلّما استنّ مورها(8)

ترى ضعفاء القوم فيها كأنّهم *** دعاميص(9) ماء نشّ(10) عنها غديرها

غنّى في الأربعة الأبيات الأول فليح بن أبي العوراء ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. و غنّى في الثالث و الرابع ابن سريج رملا بالوسطى عن الهشاميّ و عليّ بن يحيى المنجّم، و ذكر غيرهما أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بزيع.

و غنّى فيها الهذليّ ثقيلا أوّل بالبنصر عن حبش. و غنّى ابن محرز في «عليّ دماء البدن» و الذي بعده خفيف رمل بالبنصر عن عمرو. و عن ابن مسجح في:

و غيّرني إن كنت لمّا تغيّري

و ما بعده لحن ذكر أنّ عبد اللّه بن جعفر روّاه الأبيات و أمره أن يغنّي بها، أخبرني بذلك إسماعيل بن يونس الشّيعيّ عن عمر بن شبّة عن إسحاق الموصليّ عن ابن الكلبيّ في خبر قد ذكرته في أخبار ابن مسجح(11)، و ذكر الهشاميّ أن اللحن ثقيل أوّل بالوسطى.

رأي الأصمعي فيما تضمنه شعر لتوبة:

1- كذا في «ج». و القوز: الكثيب من الرمل. و اليفاع: المشرف. و في «بعض الأصول» «بالغور» بالغين المعجمة، و في بعضها الآخر «بالفور» بالفاء و هو تصحيف.

2- أي أو يراني البصير المجاور للنار، فأضاف البصير إلى النار لهذه المناسبة. و ظاهر أنه يريد بالبصير ليلى.

3- البدن (بالضم، و بضمتين أيضا): جمع بدنة (بالتحريك) و هي الناقة أو البقرة تسمن و تذبح بمكة.

4- تقدّمت هذه الأبيات الأربعة التي أوّلها هذا البيت في «الأغاني» (ج 3 ص 280 من هذه الطبعة).

5- وردت هذه الكلمة محرفة هاهنا في «الأصول»، و التصويب مما تقدّم في الجزء الثالث و كتاب «منتهى الطلب من أشعار العرب».

6- الأدمة في الإبل: لون مشرب سوادا أو بياضا أو هو البياض الواضح. و المهاري: جمع مهرية و هي إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان أبي

حي من العرب، و قيل: هي منسوبة إلى بلد. و قال الأزهري: هي نجائب تسبق الخيل. و سرها: محضها و أفضلها. و في «أكثر الأصول» هنا: «من حر المهاري» و ما أثبتناه هو ما في «ج» و الرواية فيما تقدّم. و في كتاب «منتهى الطلب من أشعار العرب»: «من سر الهجان».

7- كذا في «ج» و «منتهى الطلب» و الرواية فيما تقدّم. و في «سائر الأصول»: «مهاة صحار». و المهاة: البقرة الوحشية. و الصوار: قطيع البقر.

8- أجواز: جمع جوز، و جوز كل شيء وسطه. و التنوفة: الفلاة التي لا ماء فيها. و استن: هاج و ثار. و المور: الغبار تثيره الرياح.

9- الدعاميص: دود أسود يكون في الغدران إذا نشّت.

10- كذا في «ج» و «منتهى الطلب» و فيما تقدّم. و في «سائر الأصول» هنا: «جف». و نش: يبس و نضب.

11- راجع الجزء الثالث صفحة 280 من هذه الطبعة.

حدّثنا أحمد بن عبيد اللّه بن عمار قال حدّثني محمد بن يعقوب بالأنبار قال حدّثني من أنشد(1) الأصمعيّ:

عليّ دماء البدن إن كان زوجها *** يرى لي ذنبا غير أنّي أزورها

و أنّي إذا ما زرتها قلت يا اسلمى *** فهل كان من قولي اسلمي ما يضيرها

فقال الأصمعيّ: شكوى مظلوم، و فعل ظالم.

مقتل توبة و سببه و كيف كان:

أخبرني بالسبب في مقتل توبة محمد بن الحسن بن دريد إجازة عن أبي حاتم السّجستانيّ عن أبي عبيدة، و الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عليّ بن المغيرة عن أبيه عن أبي عبيدة، و أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السّكّري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، و رواية أبي عبيدة أتمّ و اللّفظ له. قال أبو عبيدة:

كان الذي هاج مقتل توبة بن الحميّر بن حزم(2) بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر/ابن صعصعة أنّه كان بينه و بين بني عامر بن عوف بن عقيل لحاء(3)، ثم إنّ توبة شهد بني خفاجة و بني عوف و هم يختصمون عند همّام بن مطرف العقيليّ في بعض أمورهم. قال: و كان مروان بن الحكم يومئذ أميرا/على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، فاستعمله على صدقات بني عامر. قال: فوثب ثور بن أبي سمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عقيل على توبة بن الحميّر فضربه بجرز(4) و على توبة الدرع و البيضة، فجرح أنف البيضة وجه توبة. فأمر همام بثور بن أبي سمعان فأقعد بين يدي توبة، فقال: خذ بحقّك يا توبة. فقال له توبة: ما كان هذا إلاّ عن أمرك، و ما كان ليجترئ عليّ عند غيرك. و أمّ همّام صوبانة بنت جون(5) بن عامر بن عوف بن عقيل، فاتّهمه توبة لذلك، فانصرف و لم يقتصّ منه. فمكثوا غير كثير، و إنّ توبة بلغة أنّ ثور بن أبي سمعان خرج في نفر من رهطه إلى ماء من مياه قومه يقال له قوباء(6) يريدون مالهم(7) بموضع يقال له جرير بتثليث – قال: و بينهما فلاة – فاتّبعه توبة في ناس من أصحابه، فسأل عنه و بحث حتى ذكر له أنه عند رجل من بني عامر بن عقيل يقال له سارية بن عمير(8) بن أبي عديّ و كان صديقا لتوبة. فقال توبة: و اللّه لا نطرقهم(9) عند سارية الليلة حتى يخرجوا

1- في «الأصول»: «من أنشده الأصمعي... إلخ».

2- في «ج» هنا: «جون» بدل «حزم». و في «منتهى الطلب»: «حزن». و في «المختلف و المؤتلف» للآمديّ: «سفيان». و سيأتي في صفحة 222: «... حمير بن ربيعة» و هي رواية أبي عبيدة عن مزرع.

3- لحاء: مصدر لاحاه ملاحاة و لحاء إذا نازعه.

4- الجرز (بالضم) عمود من حديد.

5- في «مختار الأغاني»: «طوبانة بنت حزن». و لم نهتد لوجه الصواب فيه.

6- كذا في «أكثر الأصول». و في «ج»: «قويا». و في «مختار الأغاني»: «هوفا». و لم نجد شيئا من هذه الرسوم في المظانّ. و في كتاب «صفة جزيرة العرب» لأبي محمد الهمدانيّ: «القوفاء» وردت في قصيدة لشاعر نجدي يقال له الحزازة العامريّ، و قد كان ذهب مع قومه إلى البيت الحرام يستسقون، فوصف أرضهم بلدا بلدا و واديا واديا و جبلا جبلا، و ورد في هذه القصيدة بعد «القوفاء» بقليل «تثليث». فلعل ما في «الأصول» محرف عنه.

7- في ج و «مختار الأغاني»: «يريدون ماء لهم يقال له جرير...».

8- في «مختار الأغاني»: «سارية بن عريم...».

9- في «ب، س»: «و اللّه لأنظرنهم».

عنه. فأرادوا أن يخرجوا حين يصبحون. فقال لهم سارية. ادّرعوا(1) الليل؛ فإنّي لا آمن توبة عليكم الليلة فإنه لا ينام عن طلبكم. قال: فلمّا تعشّوا ادّرعوا الليل في الفلاة. و أقعد له توبة رجلين فغفل صاحبا توبة.

فلمّا/ذهب الليل فزع توبة و قال: لقد اغتررت إلى رجلين ما صنعا شيئا، و إنّي لأعلم أنهم لم يصبحوا بهذا البلاد، فاقتصّ آثارهم، فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا، فبعث إلى صاحبيه فأتياه، فقال: دونكما هذا الجمل فأوقراه من الماء في مزادتيه ثم اتّبعها أثري، فإن خفي عليكما أن تدركاني فإني سأنوّر لكما إن أمسيتما دوني.

و خرج توبة في أثر القوم مسرعا، حتى إذا انتصف النهار جاوز علما يقال له أفيح(2) في الغائط. فقال لأصحابه:

هل ترون سمرات إلى جنب قرون بقر؟ - و قرون بقر مكان هنالك - فإنّ ذلك مقيل القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه(3) ظلّ. فنظروا فقال قائل: أرى رجلا يقود بعيرا(4) كأنه يقوده لصيد. قال توبة: ذلك ابن الحبتريّة، و ذلك من أرمى من رمى. فمن له يختلجه(5) دون القوم فلا ينذرون(6) بنا؟ قال: فقال عبد اللّه أخو توبة: أنا له.

قال: فاحذر لا يضربنّك، و إن استطعت أن تحول بينه و بين أصحابه فافعل. فخلّي طريق فرسه في غمض(7) من الأرض، ثم دنا منه فحمل عليه، فرماه لابن الحبتريّة - قال: و بنو الحبتر(8) ناس من مذحج في بني عقيل - فعقر(9) فرس عبد اللّه أخي توبة و اختلّ(10) السهم ساق عبد اللّه، فانحاز الرجل حتى أتى أصحابه فأنذرهم، فجمعوا ركابهم و كانت متفرّقة. قال: و غشيهم توبة و من معه، فلمّا رأوا ذلك صفّوا رحالهم و جعلوا السّمرات في نحورهم و أخذوا سلاحهم و درقهم، و زحف إليهم توبة، فارتمى القوم لا يغني أحد منهم شيئا/في أحد. ثم إنّ توبة و كان يترس(11) له أخوه عبد اللّه، قال: يا أخي لا تترّس لي؛ فإني رأيت ثورا كثيرا ما يرفع التّرس، عسى أن أوافق منه عند رفعه(12) مرمى فأرميه. قال: ففعل، فرماه توبة على حلمة ثديه فصرعه. و جال(13)/القوم فغشيهم توبة و أصحابه فوضعوا فيهم السّلاح حتى تركوهم صرعى و هم سبعة نفر. ثم إنّ ثورا قال انتزعوا هذا السهم عنّي. قال توبة: ما وضعناه لننتزعه. فقال أصحاب توبة: انج بنا نأخذ آثارنا و نلحق راويتنا، فقد أخذنا ثأرنا من هؤلاء و قد متنا عطشا(14). قال توبة: كيف بهؤلاء القوم الذي لا يمنعون و لا يمتنعون!. فقالوا: أبعدهم اللّه. قال توبة: ما أنا بفاعل و ما هم إلاّ عشيرتكم، و لكن تجيء(15) الراوية فأضع لهم ماء و أغسل عنهم دماءهم

1- في «ج، ب، س»: ادّرعوا الليلة». يقال: ادّرع الليل و تدرعه إذا دخل فيه يسري، كأنه لبس ظلمته.

2- ضبط الأصمعي «أفيح» بضم أوّله و فتح ثانيه، و ضبطه غيره بفتح أوّله و كسر ثانيه.

3- عبارة «مختار الأغاني»: «فإن ذلك مقيل لم يتجاوزه القوم و ليس لهم وراءه ظل».

4- في «الأصول»: «نرى رجلا يقود بعيرا له... إلخ» و التصويب عن «مختار الأغاني».

5- يختلجه: ينتزعه.

6- فلا ينذرون بنا: فلا يعلمون.

7- الغمض: المطمئن المنخفض من الأرض.

8- في «الأصول»: «و بنو الحبترية» و التصويب من «مختار الأغاني».

9- في «الأصول»: «فعقروا» بضمير الجمع، و هو تحريف.

10- اختله السهم: أصابه و نفذه.

11- يترس له: يستره بالترس.

12- في «الأصول»: «عند رميه» و التصويب من «مختار الأغاني».

13- في «الأصول»: «و جاء القوم» و التصويب من «مختار الأغاني».

14- كذا في «مختار الأغاني». و «عبارة الأصول»: «... انج فقد أخذنا ثأرنا و نلقى راويتنا فقد متنا عطشا».

15- في «مختار الأغاني»: «و لكن حتى تجيء...» بزيادة «حتى».

و أخيل(1) عليهم من السّباع و الطير لا تأكلهم حتى أوذن قومهم بهم بعمق(2). فأقام توبة حتّى أتته الراوية قبل اللّيل، فسقاهم من الماء و غسل عنهم الدماء، و جعل في أساقيهم(3) ماء، ثم خيّل لهم بالثّياب على الشجر، ثم مضى حتى طرق من اللّيل سارية بن عويمر(4) بن أبي عديّ العقيليّ فقال: إنّا قد تركنا رهطا من قومكم بسمرات من قرون بقر، فأدركوهم، فمن كان حيّا فداووه، و من كان ميّتا فادفنوه، ثم انصرف فلحق بقومه. و صبّح/سارية القوم فاحتملهم و قد مات ثور بن أبي سمعان و لم يمت غيره. فلم يزل توبة خائفا. و كان السّليل بن ثور المقتول راميا كثير البغي و الشرّ، فأخبر(5) بغرّة من توبة و هو(6) بقنّة من قنان الشّرف يقال لها قنّة بني الحميّر، فركب في نحو ثلاثين فارسا حتى طرقه؛ فترقّى توبة و رجل من إخوته في الجبل، فأحاطوا بالبيوت، فناداهم و هو في الجبل: ها أنا ذا من تبغون فاجتنبوا(7) البيوت. فقالوا: إنكم لن تستطيعوه و هو في الجبل، و لكن خذوا ما استدفّ(8) لكم من ماله، فأخذوا أفراسا له و لإخوته و انصرفوا. ثم إنّ توبة غزاهم، فمرّ على أفلت(9) بن حزن بن معاوية بن خفاجة ببطن بيشة(10). فقال: يا توبة أين تريد؟ قال: أريد الصبيان من بني عوف بن عقيل. قال: لا تفعل فإنّ القوم قاتلوك، فمهلا. قال: لا أقلع عنهم ما عشت، ثم ضرب بطن فرسه فاستمرّ به يحضر(11) و [هو(12)] يرتجز و يقول:

تنجو إذا قيل لها يعاط(13) *** تنجو بهم من خلل الأمشاط

حتى انتهى إلى مكان، يقال له حجر الرّاشدة، ظليل، أسفله كالعمود، و أعلاه منتشر، فاستظلّ فيه [هو(12)] و أصحابه. حتى إذا كان بالهاجرة مرّت عليه إبل هبيرة بن السّمين أخي/بني عوف بن عقيل واردة ماء لهم يقال له طلوب، فأخذها و خلّى طريق راعيها، و قال له: إذا أتيت صدغ البقرة(14) مولاك فأخبره أنّ توبة أخذ الإبل، ثم انصرف توبة [يطرد الإبل(15)]. قال: فلمّا ورد العبد على مولاه فأخبره نادى في بني عوف و قال: حتّام هذا!.

1- التخييل هنا: وضع خيال على الشيء لتفزع منه السباع، يقال: خيل له، و خيل عليه.

2- عمق: موضع. و في «مختار الأغاني»: «حتى أوذن قومهم يغمونهم».

3- الأساقي: جمع أسقية، و الأسقية: جمع سقاء (بالكسر) و هو وعاء الماء. فالأساقي جمع الجمع. و في «مختار الأغاني»: «و جعل لهم في أشنانهم ماء». و الأشنان: جمع شن، و هو القربة الخلق، و هي طيبة الماء لأنه ذهب منها ما يغير ماءها.

4- تقدم في صفحة 211 «سارية بن عمير...» و لم نهتد لوجه الصواب فيه.

5- كذا في «مختار الأغاني». و في «الأصول»: «و أخبر».

6- في «الأصول»: «و هم» و التصويب من «مختار الأغاني».

7- في «الأصول»: «هذا من تبغون فأجيبوا» و التصويب من «مختار الأغاني».

8- كذا في «ج». و استدف: تهيأ و أمكن. يقال خذ ما دف لك و استدف، أي خذ ما تهيأ و أمكن و تسهل. و في «سائر الأصول»: «ما استدنى».

9- في «الأصول»: «قلب بن حزن» و التصويب من «مختار الأغاني».

10- في «الأصول»: «يبطن نفسه». و التصويب من «مختار الأغاني».

11- كذا في «ج» و «مختار الأغاني». و الإحضار؛ عدو سريع. و في «سائر الأصول»: «يخطر».

12- زيادة عن «مختار الأغاني».

13- في «الأصول»: «ينجو إذا قيل لهم معاط» و في «ج»: «يعاط» صحيحة. و التصويب من «مختار الأغاني». و قد وردت البيت فيه

هكذا: تنجو إذا قيل لها نعاط تنجو و لو من خلل الأمشاط و يعاط (وزان قطام): زجر للإبل، و يزجر به الذئب و غيره. و تنجو: تسرع.

14- في «مختار الأغاني»: «ضرع البقرة».

15- زيادة عن «مختار الأغاني».

فتعاقدوا بينهم نحوا من ثلاثين فارسا ثم اتّبعوه. و نهضت امرأة من بني خثعم من بني الهرّة(1) كانت في بني عوف و كانت تؤخّذ(2) لهم، فقالت: أروني أثره، فخرجوا بها فأروها أثره، فأخذت من ترابه فسافته فقالت: اطلبوه فإنّه [سيحبس(3)] عليكم. فطلبوه فسبقهم، فتلاوموا [بينهم(3)] و قالوا: ما نرى له أثرا، و ما نراه إلا و قد سبقكم. قال:

و خرج توبة حتى إذا كان بالمضجع من أرض بني كلاب جعل نذارته(4) و حبس أصحابه. حتى إذا كان بشعب من هضبة قال لها هند(5) من كبد المضجع جعل ابن عمّ له(6) يقال له قابض بن عبد اللّه ربيئة [له(3)] على رأس الهضبة فقال: انظر فإن شخص لك شيء فأعلمنا. /فقال عبد اللّه(7) بن الحميّر: يا توبة إنّك حائن(8)، أذكّرك اللّه، فو اللّه ما رأيت يوما أشبه/بسمرات بني عوف يوم أدركناهم في ساعتهم التي أتيناهم فيها منه(9)، فانج إن كان بك نجاة.

قال: دعني، فقد جعلت ربيئة ينظر لنا. قال: و يرجع بنو عوف بن عقيل حين لم يجدوا أثر توبة فيلقون رجلا من غنيّ، فقالوا له: هل أحسست في مجيئك أثر خيل أو أثر إبل؟ قال: لا و اللّه. قالوا: كذبت و ضربوه. فقال: يا قوم لا تضربوني، فإني لم أجد أثرا، و لقد رأيت زهاء كذا و كذا إبلا شخوصا في هاتيك الهضبة، و ما أدري ما هو. فبعثوا رجلا منهم يقال له يزيد بن رويبة لينظر حتّى ما في الهضبة. فأشرف على القوم، فلما رآهم ألوى بثوبه لأصحابه حتّى جاءوا، فحمل أوّلهم على القوم حتى غشي(10) توبة، و فزع توبة و أخوه إلى خيلهما، فقام توبة إلى فرسه فغلبته لا يقدر على أن يلجمها و لا وقفت له، فخلّى طريقها، و غشيه(10) الرّجل فاعتنقه، فصرعه توبة و هو مدهوش و قد لبس الدّرع على السيف فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن رويبة فاتّقاه بيده فقطع منها، و جعل يزيد يناشده رحم صفيّة، و صفيّة أمّ له(11) من بني خفاجة. و غشي القوم توبة من ورائه فضربوه فقتلوه، و علقهم عبد اللّه بن الحميّر يطعنهم بالرّمح حتى انكسر. قال: فلمّا فرغوا من توبة لووا على عبد اللّه بن الحميّر فضربوا رجله فقطعوها. فلمّا وقع بالأرض أشرع سيفه وحده ثم جثا على ركبتيه و جعل يقول: هلمّوا، و لم يشعر القوم بما أصابه. و انصرف بنو عوف بن عقيل، و ولّى قابض منهزما حتى لحق بعبد العزيز بن زرارة الكلابيّ/فأخبره الخبر. قال: فركب عبد العزيز حتى أتى توبة فدفنه و ضمّ أخاه. ثم ترافع القوم إلى مروان بن الحكم، فكافأ بين الدّمين(12) و حملت الجراحات.

1- في «مختار الأغاني»: «من بني الهدة».

2- تؤخذ لهم أي تعالج لهم السحر.

3- زيادة عن «مختار الأغاني».

4- النذارة: الإنذار. و إذ صح ما في «الأصول» فلعله يريد: وضع من ينذره أمر العدوّ أي وضعه حيث يعلم أمرهم إن قدموا فيخبره بهم، فاستعمل النذارة في المنذر. و عبارة «مختار الأغاني»: «... جعل يحبس أصحابه».

5- كذا في «الأصول». و في كتاب «معجم ما استعجم» في الكلام على هيدة (بالدال المهملة): «... و لم تختلف الرواية عن أبي عبيدة في كتابيه كتاب «أيام العرب» و كتاب «مقاتل الفرسان» أن الهضبة التي قتل فيها توبة اسمها بنت هند، على لفظ اسم المرأة...».

6- في «الأصول»: «ابن عمة له». و التصويب من «مختار الأغاني». و في كتاب «معجم ما استعجم» في الكلام على هيدة ذكر قول ليلى الأخيلية ترثي توبة: تخلى عن أبي حرب فولى بهيدة قابض قبل القتال ثم قال: «تعني قابض بن عبد اللّه المسلم لابن عمه توبة...».

7- في «ب، س»: «عبد اللّه بن جسوسا بن الحمير» و هو غلط سببه أن قارئا لنسخة «ج» فسر «ربيئة» فقال «أي جاسوسا» فكان التفسير فوق «عبد اللّه» فظن الناشر أنه أبوه.

8- الحائن: الهالك. و في «ب، س»: «حائر» و هو تحريف.

9- عبارة «مختار الأغاني»: «من هذه الساعة من هذا اليوم».

10- غشيه هنا: لحقه و أدركه.

11- كذا في «مختار الأغاني». و في «الأصول»: «و صفية امرأة من بني خفاجة».

12- في «ج»: «بين الدميين». و يقال في تثنية الدم دمان و دميان، و شذ دموان.

و نزل بنو عوف بن عقيل(1) البادية و لحقوا بالجزيرة و الشام.

رواية لأبي عبيدة في مقتله و سببه:

قال أبو عبيدة: و قد كان توبة أيضا يغير زمن معاوية بن أبي سفيان على قضاعة و خثعم و مهرة و بني الحارث بن كعب. و كانت بينهم و بين بني عقيل مغاورات(2)، فكان توبة إذا أراد الغارة عليهم حمل الماء معه في الرّوايا ثم دفنه في بعض المفازة على مسيرة يوم منها؛ فيصيب ما قدر عليه من إبلهم فيدخلها المفازة فيطلبه(3) القوم، فإذا دخل المفازة أعجزهم فلم يقدروا عليه فانصرفوا عنه. قال: فمكث كذلك حينا. ثم إنه أغار في المرّة الأولى التي قتل فيها هو و أخوه(4) عبد اللّه بن الحميّر و رجل يقال له قابض بن أبي عقيل(5)، فوجد القوم قد حذروا فانصرف توبة مخفقا لم يصب شيئا. فمرّ برجل(6) من بني عوف بن عامر بن عقيل متنحّيا عن قومه، فقتله توبة و قتل رجلا كان معه من رهطه و اطّرد إبلهما، ثم خرج عامدا يريد عبد العزيز بن زرارة بن جزء بن سفيان بن عوف بن كلاب، و خرج ابن عمّ لثور بن أبي سمعان(7) المقتول، فقال له خزيمة: صر إلى بني عوف بن عامر بن عقيل فأخبرهم الخبر. فركبوا في طلب توبة فأدركوه في أرض بني خفاجة، و قد أمن في نفسه فنزل، و قد كان أسرى يومه و ليلته، فاستظلّ ببرديه و ألقى عنه درعه و خلّى عن فرسه الخوصاء تتردّد/قريبا(8) منه، و جعل قابضا ربيئة له و نام، فأقبلت بنو عوف بن عامر متقاطرين لئلاّ يفطن لهم أحد، فنظر قابض فأبصر رجلا منهم فأقبل إلى توبة فأنبهه. فقال توبة: ما رأيت؟ قال: رأيت شخص/رجل واحد، فنام و لم يكترث له، و عاد قابض إلى مكانه فغلبته عيناه فنام. قال: فأقبل القوم على تلك الحال فلم يشعر بهم قابض حتى غشوه، فلما رآهم طار على فرسه. و أقبل القوم إلى توبة، و كان أوّل من تقدّم غلام أمرد على فرس عري(9) يقال له يزيد بن رويبة بن سالم بن كعب بن عوف بن عامر بن عقيل؛ ثم تلاه ابن عمّه عبد اللّه بن سالم ثم تتابعوا. فلمّا سمع توبة وقع الخيل نهض و هو وسنان فلبس درعه على سيفه ثم صوّت بفرسه الخوصاء فأتته، فلمّا أراد أن يركبها أهوت ترمحه(10)، ثلاث مرّات، فلمّا رأى ذلك لطم وجهها فأدبرت، و حال القوم بينه و بينها. فأخذ رمحه و شدّ على يزيد بن رويبة فطعنه فأنفذ فخذيه جميعا(11). و شدّ على توبة ابن عمّ الغلام عبد اللّه بن سالم فطعنه فقتله، و قطعوا رجل عبد اللّه. فلمّا رجع عبد اللّه بعد ذلك إلى قومه لاموه و قالوا له: فررت عن أخيك، فقال عبد اللّه بن الحميّر في ذلك(12). قال أبو عبيدة و حدّثني أيضا مزرّع بن عبد اللّه بن همّام بن مطرّف بن الأعلم قال:

1- في «الأصول»: «و بنو عقيل» و التصويب من «مختار الأغاني».

2- في «ب، س»: «غارات».

3- في «ب، س»: «فيطلبهم» و هو تحريف.

4- معطوف على فاعل «أغار».

5- تقدّم في صفحة 215 أنه: «قابض بن عبد اللّه». فلعل «أبا عقيل» جدّ من أجداده، أو هو تحريف.

6- الذي تقدّم في صفحة 214 أنه «مرت عليه إبل هبيرة بن السمين أخي بني عوف بن عقيل».

7- في «الأصول» هنا: «أبي سفيان» و هو تحريف.

8- في «ج»: «قريبة منه».

9- في «الأصول»: «على فرس عربي». و الفرس العري (بضم العين و سكون الراء): الذي لا سرج عليه.

10- ترمحه: ترفسه.

11- في «أ، م»: «فطعنه فقتله».

12- أي قال القصيدة الآتية التي مطلعها: تأوبني بعارمة الهموم

كان أهل دار من بني جشم بن بكر بن هوازن يقال لهم بنو الشّريد حلفاء لبني عداد(1) بن خفاجة في الإسلام، فكان بينهم و بين خميس بن ربيعة رهط قومه قتال على مائة تدعى الحليفة و عامّتها لجدّ بن همّام. قال و شهد عبد اللّه بن الحميّر ذلك و هو/أعرج، عرج يوم قتل توبة فلم يغن كثير غناء. فقالت بنو عقيل: لو توبة تلقّاهم لبلوا [منه(2)] بغير أفوق ناصل(3). فقال عبد اللّه بن الحميّر يعتذر إليهم:

قصيدة لعبد اللّه بن الحمير يعتذر فيها إلى قومه بعد قتل أخيه:

تأوّبني(4) بعارمة الهموم *** كما يعتاد ذا الدّين الغريم

كأنّ الهمّ ليس يريد غيري *** و لو أمسى له نبط و روم

علام تقوم عاذلتي تلوم *** تؤرّقني(5) و ما انجاب الصّريم(6)

فقلت لها رويدا كي تجلّى *** غواشي النّوم و الليل البهيم

أ لمّا تعلمي أنّي قديما *** إذا ما شئت أعصي من يلوم

و أنّ المرء لا يدري إذا ما *** يهمّ علام تحمله الهموم

و قد تعدي(7) على الحاجات حرف *** كركن(8) الرّعن ذعلبة عقيم

مداخلة الفقار(9) و ذات لوث *** على الحزّان(10) مقحمة غشوم

/كأنّ الرّحل منها فوق جأب(11) *** بذات الحاذ(12) معقله الصّريم

1- لم نجد هذا الاسم في مظانه.

2- زيادة عن «ج».

3- الأفوق من السهام: الذي كسر فوقه و هو مشق الوتر منه. و الناصل من السهام: ذو النصل، و الذي سقط نصله. و المراد هنا ساقط النصل. و نصل السهم: الحديدة التي في رأسه. و في حديث عليّ كرم اللّه وجهه يؤنب قوما: «و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل».

4- تأويني الشيء: رجع إلي ليلا. و يحتمل أن يكون «تتأوّبني» هنا فعلا مضارعا أي تتأوّبني. و عارمة: موضع. و في «الأصول»: «بغازية» و التصويب من كتاب «منتهى الطلب».

5- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «تؤنبني».

6- الصريم: الليل، و الصريم: الصبح، ضد. و قد وردت هذه الكلمة في «الأصول» محرّفة. و انجاب: انشق.

7- تعدي: تعين. و الحرف هنا: الناقة الصلبة الضامرة، شبهت بحرف الجبل في الصلابة.

8- كذا في «ج» و كتاب «منتهى الطلب». و في «ب، س»: «كركب الرعن» و في «أ، م»: «كرعب الرعن» و هو تحريف. و الرعن الجبل الطويل، و أنف يتقدم الجبل. و ذعلبة: سريعة.

9- في «منتهى الطلب»: «مداخلة الفقارة ذات لوث». و اللوث هنا: القوة.

10- كذا في «ج» و «منتهى الطلب». و الحزان (بالضم و بالكسر): جمع حزيز و هو المكان الغليظ المنقاد. و في «أ، م»: «الحران» بالراء المهملة و هو تصحيف. و في «ب، س»: «الحرات». جمع حرة و هي أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت النار. و من معاني المقحم: البعير الذي يسير في المفازة من غير راع و لا سائق. و لعل المراد بمقحمة هنا أنها تلقي بنفسها في السير من غير روية. و غشوم: يريد أنها جريئة ماضية تركب رأسها إذا سارت لا يثنيها شيء عن هواها.

11- الجأب (بالهمز و قد تسهل همزته): الغليظ الصلب من الحمر الوحشية و الثيران الوحشية. و تشبيه الناقة بالحمار الوحشي أو الثور الوحشي في القوة و الصلابة كثير مستغيض في الشعر العربي القديم.

12- الحاذ: ضرب من الشجر واحده حاذة، و الحاذ: موضع بنجد. قال طرفه بن العبد: حيثما قاظوا بنجد و شتوا حول ذات الحاذ من ثنى وقر و الصريم هنا: القطعة المنقطعة من معظم الرمل، و مثله الصريمة. و يحتمل أنه يريد مكانا بعينه.

طباه(1) برجلة البقّار برق *** فبات الليل منتصبا يشيم

فبينا ذاك إذ هبطت عليه *** دلوح(2) المزن واهية هزيم

تهبّ لها الشّمال فتمتريها(3) *** و يعقبها بنافحة نسيم

يكبّ(4) إذا الرّذاذ جرى عليه *** كما يصغي(5) إلى الآسي الأميم

إذا ما قال أقشع جانباه *** نشت(6) من كلّ ناحية غيوم

فأشعر(7) ليلة أرقا و قرّا *** يسهّره كما أرق السليم

/ألا من يشتري رجلا برجل *** تخوّنها السّلاح فما تسوم(8)

/تلومك في القتال بنو عقيل *** و كيف قتال أعرج و لا يقوم

و لو كنت القتيل و كان حيّا *** لقاتل لا ألّف(9) و لا سئوم

و لا جثّامة(10) ورع هيوب *** و لا ضرع إذا يمسي(11) جثوم

قال: ثم إنّ خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف بن عامر عقيل الذين قتلوا توبة، فلمّا بلغهم الخبر لحقوا ببني الحارث بن كعب، ثم افترقت بنو خفاجة. فلمّا بلغ ذلك بني عوف رجعوا، فجمعت لهم بنو خفاجة أيضا قبائل عقيل. فلمّا رأت كذلك بنو عوف بن عامر بن عقيل لحقوا بالجزيرة فنزلوها؛ و هم رهط إسحاق بن مسافر بن ربيعة بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عقيل. ثمّ إنّ بني عامر بن صعصعة صاروا في أمرهم إلى مروان بن الحكم و هو والي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فقالوا: ننشدك(12) اللّه أن تفرّق جماعتنا،

1- طباه هنا: دعاه أو قاده. و رجلة البقار: موضع. و يشيم: ينظر.

2- الدلوح من السحاب: كثيرة الماء. و المزن: السحاب أو أبيضه أو ذو الماء. الواهية من السحاب: التي تنبثق بالماء انبثاقا شديدا. و هزيم هنا: تنبعج بالماء لا تستمسك.

3- تمتريها: تحتلبها أي تنزل ماءها. و النافحة: وصف من نفحت الريح إذا هبت.

4- كذا في «منتهى الطلب». و في «الأصول»: «يلث إذا الرباب» و في «ج»: «الرثاث» بمثلثة بدل «الرباب» و كله تحريف. و يكب: يريد أنه يطأطئ رأسه.

5- كذا في «ج». و «منتهى الطلب» و يصغى يميل. و في «أكثر الأصول» «يصفي» بالفاء و هو تصحيف. و الآسي: الطبيب. و الأميم: المشجوج في أم رأسه أي دماغه. يصف الجأب بأنه يميل رأسه إذا جرى ماء المطر عليه كما يفعل مشجوج الرأس حين يميل رأسه للطبيب.

6- نشت: أصله نشأت، سهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين.

7- أي جعل القر و الأرق شعارا له في ليلة. و يجوز أن يرفع «ليلة» على أن يجعل الأرق و القر شعارا له تجوزا في الإسناد، كما يقال نهار

فلان صائم، و ليله قائم. و السليم: اللديغ.

8- تخوّنها: تنقصها و غيّر حالها. و السوم هنا: سرعة المر.

9- الألف هنا: الثقيل الكثير اللحم، و هو عيب في الرجال دون النساء. و الألف أيضا المقرون الحاجبين و هو غير مراد هنا. و سئوم: ملول.

10- الجثامة هنا: النئوم الذي لا ينهض للمكارم أو البليد، و الجثامة أيضا: السيد الحليم و هو غير مراد هنا. و الورع: الجبان و الصغير الضعيف لا غناء عنده. و الضرع (بالتحريك): الضعيف و الجبان، يستوي فيه المفرد و الجمع؛ و الضرع (بالكسر): المتذلل الخاضع. و الجثوم: الذي يلزم مكانه فلا يبرح، و الذي يتلبد بالأرض.

11- كذا في «ج» و «منتهى الطلب». و في «سائر الأصول»: «يمشي» بالشين المعجمة، و هو تصحيف.

12- أي نسألك باللّه أن تتلافى تفرق جماعتنا. يقال: نشدتك اللّه و باللّه أي سألتك و استحلفتك باللّه.

فعقل(1) توبة و عقل الآخرين معاقل العرب مائة من الإبل، فأدّتها بنو عامر. قال: فخرجت بنو عوف بن عامر قتله توبة/فلحقوا بالجزيرة، فلم يبق بالعالية(2) منهم أحد، و أقامت بنو ربيعة بن عقيل و عروة بن عقيل و عبادة بن عقيل(3) بمكانهم بالبادية.

رواية أبي عبيدة عن مزرّع في مقتله و سببه:

قال أبو عبيدة و حدّثنا مزرّع(4) بن عمرو بن همّام - قال أبو عبيدة: و كان مع أبو الخطّاب و غيره - قال: توبة ابن حميّر بن ربيعة بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، و أمّه زبيدة. فهاج بينه و بين السّ ليل بن ثور بن أبي سمعان بن عامر ابن عوف بن عقيل كلام، و كان شرّيرا و نظير توبة في القوّة و البأس، فبلغ الحور(5) (و هو الكلام) إلى أن أوعد كلّ واحد منهما صاحبه، فالتقى بعد ذلك توبة و السّ ليل على غدير من ماء السماء، فرمى توبة السليل فقتله. ثم إنّ توبة أغار ثانية على إبل بني السّمين بن كعب بن عوف بن عقيل واردة ماءهم فاطّردها. و اتبعوه و هم سبعة نفر: يزيد بن رويبة، و عبد اللّه بن سالم، و معاوية بن عبد اللّه - قال أبو عبيدة: و لم يذكر غير هؤلاء - فانصرفوا يجنبون(6) الخيل يحملون المزاد، فقصّوا أثر توبة و أصحابه فوجدوهم و قد أخذوا في المضجع من أرض بني كلاب في أرض دمثة(7) تربة، فضلّت فرس توبة الخوصاء من اللّيل، فأقام و اضطجع حتى أصبح، و ساق أصحابه الإبل، و هم ثلاثة نفر سوى توبة: المحرز أحد بني عمرو بن كلاب، و قابض(8) بن أبي عقيل أحد بني خفاجة، و عبد اللّه بن حميّر أخو توبة لأمّه و أبيه. فلمّا/أصبح توبة إذا فرسه الخوصاء راتعة أدنى ظلم(9) قريبة(10) منه ليس دونها وجاح(11)فأشلاها(12) حتى أتته، ثم خرج يعدو حتى لحق بأصحابه، فانتهوا إلى هضبة بكبد المضجع، فارتقى توبة فوقها ينظر الطّلب(13)، فرآه القوم و لم يرهم عند طلوع الشمس، و بالت الخوصاء حين انتهت إلى الهضبة، فقال القوم: إنه لطائر أو إنسان. فركب يزيد بن رويبة و كان أحدث القوم سنّا، و أمّه بنت عمّ توبة، فأغار ركضا حتى انتهى إلى الهضبة، فإذا بول الفرس و عليه بقيّة من رغوته، و إذا أثر توبة يعرفونه، فرجع فخبّر أصحابه. و اندفع توبة و أصحابه حتى نزلوا إلى طرف هضبة يقال لها الشّجر من أرض بني/كلاب، فقالوا بالظّهيرة، فلم يشعر شعره إلاّ و الإبل قد نفرت، و كانت بركا(14) بالهاجرة، من وئيد(15) الخيل. فوثب توبة، و كان لا يضع السيف، فصبّ الدّرع على السيف

1- عقل فلانا: وداه أي دفع ديته.

2- العالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها و عمائرها إلى تهامة، و ما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة.

3- في «الأصول»: «عبادة بن مقعل» و هو تحريف.

4- تقدّم في صفحة 218: «مزرّع بن عبد اللّه بن همام».

5- الحور: الاسم من المحاورة. يقال: إن فلانا لضعيف الحور، أين المحاورة، و هي المراجعة في الكلام.

6- جنب الدابة: قادها إلى جنبه. و في «الأصول»: «يجيبون» و هو تصحيف.

7- في «الأصول»: «دمنة» و هو تصحيف. و الأرض الدمثة: السهلة اللينة.

8- كذا في «ج». و في «سائر الأصول» هنا: «قابض بن عقيل». (راجع الحاشية رقم 6 من صفحة 217 من هذا الجزء طبعة دار الكتب).

9- أدنى ظلم أي أدنى شيء. و قد شرح المؤلف هذه الكلمة فيما تقدّم (صفحة 79 من هذا الجزء طبعة دار الكتب).

10- في «ج»: «قريبا منه».

11- الوجاح (مثلث الأوّل): الستر. و في «الأصول»: «وجاج» بجيمين و هو تصحيف.

12- أشلى الدابة: دعاها إليه.

13- الطلب هنا: جمع لطالب.

14- البرك هنا: جماعة الإبل الباركة، الواحد بارك و الأنثى باركة.

15- الوئيد هنا: الصوت العالي الشديد.

متقلّده وهلا، و داجت(1) القوم، فطلب قائم السيف فلم يقدر عليه تحت الدّرع فلم يستطع سلّه، فطار إلى الرّمح فأخذه، فأهوى به طعنا إلى يزيد بن رويبة، و قد كان يزيد عاهد اللّه ليقتلنّه أو ليأخذنّه، فأنفذ فخذ يزيد، و اعتنقه يزيد فعضّ بوجنتيه، و استدبره عبد اللّه بالسيف ففلق رأس توبة. و هيّت(2) توبة حين اعتوره الرجلان بقابض: يا قابض فلم يلو عليه، و فرّ قابض [و] الكلابيّ، و ذبّ عبد اللّه/بن حميّر عن أخيه؛ فأهوى له معاوية بن عبد اللّه بالسيف فأصاب ركبته فاختلعت (أي سقطت). فأتى قابض من فوره ذلك عبد العزيز بن زرارة أحد بين أبي بكر بن كلاب فقال: قتل توبة. فنادى في قومه، فجاءه أبوه زرارة فقال: أين تريد؟ فقال: قتل توبة. فقال أبوه طوط(3)سحقا لك! أ تطلب بدم توبة أن قتلته بنو عقيل ظالما لها باغيا عاديا عليها! قال لكنّي أجنّه(4) إذا. قال أبوه. أمّا هذه فنعم. فألقى السّلاح و انطلق حتى أجنّه، و حمل أخاه عبد اللّه بن حميّر. قال: فأهل البادية يزعمون أنّ محرزا سحر فأخذ عن سيفه. فقالت ليلى الأخيلية بنت عبد اللّه بن الرحّالة بن شدّاد بن كعب بن معاوية فارس الهرّار ابن عبادة بن عقيل:

رثت ليلى توبة بعدّة قصائد:

اشارة

نظرت و ركن من ذقانين دونه *** مفاوز حوضي(5) أيّ نظرة ناظر

/لأونس(6) إن لم يقصر الطّرف عنهم(7) *** فلم تقصر الأخبار و الطّرف قاصري

فوارس أجلي شأوها عن عقيرة *** لعاقرها فيها عقيرة عاقر

شأوها(8): سرعتها و هو الطّلق و جريها، و قال غيره: غايتها. عقيرة: تعني توبة. لعاقرها: تعني لعاقر توبة، تريد

1- كذا في «أكثر الأصول». و في «ج»: «و دامت القوم». و ظاهر أن فيه تحريفا، و يحتمل أن يكون صوابه: «و زاحف القوم» أو «و واجه القوم» أو ما يشبه ذلك، و يحتمل أن يكون محرفا عما يدل على القدوم أو الهجوم على أن يكون «القوم» فاعلا.

2- هيت بفلان: صاح به و دعاه.

3- كذا وردت هذه الكلمة في «أكثر الأصول». و في «ج»: «ظوط» بظاء معجمة في أوله فطاء مهملة في آخره. و لم نجد في معاني هذه الكلمة ما يناسب المقام هنا. و الظاهر من السياق أن المراد بها التهكم به، أو لعلها من زيادات النساخ.

4- أجنه: كفنه و ستره.

5- وردت هذه الكلمة محرّفة في «الأصول»، بين «دفانين» و «دفاتين». و «دنانين». و التصويب من «معجم ما استعجم». و ذقان (بكسر الذال) اسم جبل، و هما جبلان أحدهما لبني عمرو بن كلاب، و الآخر لبني أبي بكر بن كلاب. (راجع «معجم ما استعجم» للبكري). و رواية هذا البيت في «منتهى الطلب من أشعار العرب»: نظرت و دوني من عماية منكب و بطن الركاء أي نظرة ناظر و في «الكامل» للمبرد (طبعة أوربا): نظرت و ركن من بوانة دوننا و أركان حسمي أي نظرة ناظر و يجوز في «أي نظرة ناظر» النصب و الرفع، فالنصب على أنه معمول لنظرت، أي نظرت أيّ نظرة ناظر، و معناه نظرت نظرة كاملة، كما تقول أنت رجل أي رجل، أي أنت رجل كامل في الرجولية. و الرفع على القطع و الابتداء و المخرج مخرج استفهام، و تقديره أي نظرة هي، كما تقول سبحان اللّه أي رجل زيد. (راجع «الكامل» للمبرد). و حوضي هنا: نجد من منازل بني عقيل، و حوضي أيضا: ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن بن قريط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب

إلى جنب جبل في ناحية الرمل. (راجع «معجم البلدان»).

6- في «ب، س»: «لآنس» و هو تحريف.

7- في «منتهى الطلب»: «دونهم».

8- الذي في «لسان العرب». «الشأو: الطلق و الشوط، و الشأو: الغاية و الأمد».

يزيد بن رويبة. و وجه آخر(1): في عقيرة عاقر معنى مدح أي عقيرة كريمة لعاقرها. و وجه آخر: عقيرة لعاقرها: فيها الهلاك بعقرها -

فآنست خيلا بالرّقيّ(2) مغيرة *** سوابقها(3) مثل القطا المتواتر

قتيل بني عوف و أيصر(4) دونه *** قتيل بني عوف قتيل يحابر(5)

توارده أسيافهم فكأنّما *** تصادرن عن أقطاع(6) أبيض باتر

/من الهندوانيات في كلّ قطعة *** دم زلّ عن أثر من السيف(7) ظاهر

أتته المنايا دون زغف(8) حصينة *** و أسمر خطّيّ و خوصاء ضامر

على كلّ حرداء السّراة(9) و سابح *** درأن(10) بشبّاك الحديد زوافر

عوابس تعدو الثّعلبيّة(11) ضمّرا *** و هنّ شواح بالشّكيم الشواجر

فلا يبعدنك اللّه يا توب(12) إنّما *** لقاء المنايا دارعا مثل حاسر(13)

1- ذكر المؤلف في معنى قوله: «لعاقرها فيها عقيرة عاقر» وجهين، و هذا الوجه هو الأوّل، و هو كقولهم «ثأر منيم» و هو الذي إذا أصابه المثر هدأ و استقرّ لأنه أصاب كفؤا. ثم ذكر الوجه الثاني بعد.

2- الرقيّ: موضع.

3- في «منتهى الطلب»: «أوائلها». و المتواتر: الذي يجيء بعضه في إثر بعض.

4- كذا في «رغبة الآمل» من كتاب «الكامل» للأستاذ المرحوم سيد بن عليّ المرصفي. و أيصر: موضع ببلاد بني عقيل، و قد ورد هذا الاسم أيضا في شعر ليلى الأخيلية: و لم يملك الجرد الجياد يقودها بسرة بين الأشمسات فأيصر و سيأتي هذا البيت في قصيدة لليلى في صفحة 232 و في «الأصول المخطوطة»): «و يتبرونه» و فوق الواو في «أ، م» همزة. و في «ب، س»: «و يثبر دونه» و في «منتهى الطلب»: قتيل بني عوف فواترتا له و الترة: الثأر.

5- كذا في «ج» و «منتهى الطلب». و يحابر: قبيلة. و في «سائر الأصول»: «قتيل لجابر». و في «رغبة الآمل» من كتاب «الكامل»: «قتيل لعامر». و لعل هذه الرواية هي المناسبة للسياق.

6- في «منتهى الطلب»: «عن حامي الحديدة». و الأقطاع: جمع قطع (بكسر فسكون) و هو ما قطع من حديد أو غيره. و الأبيض الباتر: السيف.

7- الأثر (بالفتح) و الإثر (بالكسر): فرند السيف و رونقه. و زاد في «لسان العرب» «الأثر» بضمتين، و زاد في «القاموس» «الأثير».

8- الزغف: الدروع المحكمة. و الأسمر الخطيّ: الرمح. و الخوصاء الضامر: الفرس.

9- الجرداء من الخيل: القصيرة الشعر، و هو مدح في الخيل. و السراة: الظهر. و السابح من الخيل: الحسن مدّ اليدين في الجري.

10- كذا في «رغبة الآمل». و الدره: الدفع. و في «الأصول»: «لهن». و في «منتهى الطلب»: «درأت». و شباك الحديد هنا: اللجم المشتبكة. و زوافر. مخرجات أنفاسهن. تصف الخيل بسرعة الاندفاع.

11- الثعلبية: أن يعدو الفرس عدو الكلب. و شواح: فاتحات أفواهها. و الشكيم: واحدته شكيمة و هي الحديدة المعترضة في الفم من اللجام. و الشواجر: المشتبكة. و ورد هذا البيت في «الأصول» هكذا: عوابس تعدو التغلبية ضمرا و هن شواح بالشكيم السواجر و التصويب من «منتهى الطلب»: و «رغبة الآمل» و نسخة الشنقيطي.

12- كذا في «ج» و «منتهى الطلب». و في «سائر الأصول»: «فلا يبعدنك اللّه توبة».

13- تريد: إنما لقاء المنايا دارعا مثل لقائها حاسرا.

فإلاّ تك(1) القتلى بواء فإنّكم *** ستلقون يوما ورده غير صادر

و إنّ السليل إذ يباوي قتيلكم *** كمرحومة من عركها غير طاهر(2)

/فإن تكن القتلى بواء فإنكم *** فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

/فتى لا تخطّاه الرّفاق و لا يرى *** لقذر عيالا دون جار مجاور

و لا تأخذ الكوم الجلاد رماحها *** لتوبة في نحس الشّتاء الصّنابر(3)

إذا ما رأته قائما بسلاحه *** تقته(4) الخفاف بالثّقال البهازر

إذا لم يجد منها برسل فقصره *** ذرى المرهفت و القلاص التّواجر(5)

قرى سيفه منها مشاشا(6) و ضيفه *** سنام المهاريس السّباط المشافر

و توبة أحيا من فتاة حييّة *** و أجرأ من ليث بخفّان خادر(7)

/و نعم الفتى إن كان توبة فاجرا *** و فوق الفتى إن كان ليس بفاجر(8)

فتى ينهل الحاجات ثم يعلّها *** فيطلعها عنه ثنايا المصادر

1- في «منتهى الطلب» «فإن تكن القتلى».

2- يباوي: يساوي، و أصله الهمز. تريد إذ يقتل بقتيلكم. و في «الأصول»: «يباري» و هو تحريف. و مرحومة: بها داء في الرحم؛ يقال رحمت المرأة (بالبناء للمفعول) رحما (بالفتح) إذا أخذها داء في رحمها فهي تشتكي منه، و يقال أيضا رحمت رحما (وزان فرح فرحا) فهي رحمة، و رحمت (بضم عين الفعل) رحامة فهي رحوم و رحماء. و العرك: الحيض؛ يقال عركت المرأة تعرك (بالضم) عروكا فهي عارك. تقول: إن السليل الذي قتلناه منكم صغير القدر لا يباوي قتيلكم الذي قتلتموه منا، فهو مثل المرأة العارك و يشبه الساقطون من الرجال بالنساء العوارك؛ قال الشاعر: أ في السلم أعيارا جفاء و غلظة و في الحرب أمثال النساء العوارك و في «الأصول»: «كمرجومة» بالجيم، و هو تصحيف.

3- الكوم: جمع كوماء و هي العظيمة السنام من الإبل. و الجلاد من الإبل: الغزيرات اللبن كالمجاليد أو ما لا لبن لها و لا نتاج. يقال: أخذت الإبل رماحها إذا حسنت في عين صاحبها فامتنع من نحرها نفاسة بها. و أخذ الإبل رماحها إنما هو على التمثيل. و نحس الشتاء: ريحه الباردة. و صنابر الشتاء: شدّة برده. و الصنابر: جمع صنبر (بكسر الصاد و تشديد النون المفتوحة و تكسر، و سكون الباء)؛ يقال غداة صنبر. و لعل الصنابر وصف للشتاء باعتبار أيامه و لياليه، أو وصف لنحس الشتاء على أن يكون المراد بنحس الشتاء جمعا. و رواية البيت في «منتهى الطلب»: و لا تأخذ الإبل الزهاري رماحها لتوبة عن صرف السرى في الصنابر

4- كذا في «ج» و «منتهى الطلب». و في «سائر الأصول»: «بسلاحه ات قته». و يقال اتقاه و تقاه (مثل قضى يقضي) بمعنى واحد. و

البهازر من الإبل: العظام، واحدتها بهزرة (بضم الباء و الزاي و سكون الهاء بينهما).

5- الرسل «بالكسر»: اللبن. و المرهفات الدقيقات. و القلاص: جمع قلوص و هي الشابة من النوق كالجارية من النساء. و التواجر هنا: الإبل النافقة في التجارة و في السوق. و في «الأصول الخطية»: «النواحر». و في «ب، س»: «النواجر» و التصويب من «منتهى الطلب».

6- كذا في «ج» و «منتهى الطلب» و «رغبة الآمل». و في «سائر الأصول» «منهن شأسا» و هو تحريف. و المشاش: رءوس العظام مثل الركبتين و المرفقين، الواحدة مشاشة. و المهاريس من الإبل: الجسام الثقال، سميت بذلك لشدّة وطئها كأنها تهرس ما وطئته و تدقه. و في «الأصول»: «البهاريس» و التصويب من «منتهى الطلب» و «رغبة الآمل». و سباط المشافر: طويلتها، و واحد السباط سبط ككتف. و في «بعض الأصول: «السياط» بالمثناة و هو تصحيف. و المشفر للبعير كالشفة للإنسان.

7- خفان: موضع قرب الكوفة و هو مأسدة. و خادر مقيم.

8- كذا في «منتهى الطلب». و في «الأصول»: و نعم فتى الدنيا و إن كان فاجرا

صوت

كأنّ فتى الفتيان توبة لم ينخ *** قلائص يفحصن الحصا بالكراكر(1)

و لم يبن أبرادا عتاقا(2) لفتية *** كرام و يرحل قبل(3) فيء الهواجر

- في هذين البيتين لحن من الثّقيل الأوّل لمحمد بن إبراهيم قريض و هو من خاصّ صنعته و غنائه -

و لم يتجلّ الصّبح عنه و بطنه *** لطيف كطيّ السّبّ(4) ليس بحادر

فتى كان للمولى(5) سناء و رفعة *** و للطارق الساري قرى غير باسر

و لم يدع يوما للحفاظ و للنّدا(6)*** و للحرب يرمي(7) نارها بالشرائر

/و للبازل الكوماء يرغو حوارها *** و للخيل تعدو بالكماة المساعر(8)

كأنّك لم تقطع(9) فلاة و لم تنخ *** قلاصا لدى(10) فأو من الأرض غائر(11)

و تصبح بموماة(12) كأنّ صريفها *** صريف خطاطيف الصّرى في المحاور

طوت نفعها عنّا كلاب و آسدت(13)*** بنا أجهليها بين غاو و شاعر

1- الكراكر: جمع كركرة (بالكسر) و هي هنا رحى زور البعير أو صدره.

2- في «الكامل»: «أبرادا رقاقا» ثم شرحها المبرد فقال: «تريد الخيام».

3- كذا في «ج» و «الكامل» للمبرد. ثم قال المبرد: «و قولها: و يرحل قبل فيء الهواجر، تريد أنه متيقظ ظعان». و في «سائر الأصول»: «قبلهم في الهواجر».

4- السب: الثوب الرقيق. و الحادر هنا: الغليظ السمين. و في «أكثر الأصول» «بحاذر» بالذال المعجمة؛ و التصويب من «ج» و «منتهى الطلب». تصفه بهضم الكشح، و هو مدح؛ قال زياد بن منقذ: يغدو أمامهم في كل مربأة طلاع أنجدة في كشحه هضم و رواية البيت في «منتهى الطلب»: و لم يتخل الضيف عنه و بعلته خميص كطي السبت ليس بحادر

5- المولى هنا: ابن العم أو الحليف الذي ينضم إليك فيعز بعزك و يمتنع بمنعتك. و باسر: عابس. و في «رغبة الآمل» «... قرى غير قاتر». و غير قاتر: غير ضيق، من قتر عيشه يقتر (بالكسر و الضم) قترا و قتورا فهو قاتر ضاق لا يمسك إلا الرمق.

6- كذا في «ج» و «منتهى الطلب». و في «سائر الأصول»: «و للعدا».

7- في «منتهى الطلب»: «يذكي».

8- البازل: الناقة التي انشق نابها؛ و هي ما استكملت السنة الثامنة و طعنت في التاسعة. و هذا اللفظ مما يستوي فيه المذكر و المؤنث؛ يقال: ناقة بازل و جمل بازل. و الكوماء: الناقة العظيمة السنام. و الحوار (بالضم و قد يكسر): ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم، أو هو

حوار ساعة تضعه أمه خاصة و المساعر: جمع مسعر (بكسر الميم و سكون السين و فتح العين). و المسعر هو الذي يوقد نار الحرب. يقال: فلان مسعر حرب إذا كان يورثها، أي تحمي به الحرب. و في «الأصول»: «المشاعر» بالشين المعجمة. و التصويب من «منتهى الطلب»، و قد صححها كذلك المرحوم الشنقيطي في نسخته.

9- في «أكثر الأصول»: «كأن لم تكن تقطع» و في «ج»: «كأنما لم تقطع». و التصويب من «منتهى الطلب».

10- كذا في «ج». و في «أكثر الأصول»: «لدى بأو» و هو تحريف. و الفأو: بطن من الأرض تطيف به الرمال. و في «منتهى الطلب» «لدى واد».

11- في «الأصول»: «غابر» بالموحدة و هو تصحيف.

12- في «منتهى الطلب» «جنوحا بموماة». و الموماة: المفازة الواسعة أو التي لا ماء فيها و لا أنيس بها. و الصريف: الصوت. و الخطاطيف: جمع خطاف (بالضم)، و هو حديدة حجناء تعقل بها البكرة من جانبيها و فيها المحور. و الصري: الماء الذي طال مكثه فتغير. و هذه رواية «ج» و «منتهى الطلب». و في «سائر الأصول»: «خطاطيف المدى في المحافر» و هو تحريف. و المحاور: جمع محور و هو الحديدة التي تجمع بين الخطاف و البكرة، و هو أيضا الخشبة التي تجمع المحالة.

13- كذا في «ج» و «منتهى الطلب». و في «أ، م»: «و آسرت». و في «ب، س»: «و أثرت» و كلاهما تحريف. و آسدت: هيجت و أغرت. يقال: آسدت الكلب و أوسدته (بقلب الهمزة واوا) بالصيد إذا أغريته به.

و قد كان حقّا أن تقول سراتهم *** لعا(1) لأخينا عاليا(2) غير عاثر

/و دويّة قفر يحار بها القطا *** تخطّيتها بالنّاعجات(3) الضّوامر

فتا للّه تبني بيتها أمّ عاصم(4) *** على مثله أخرى(5) الليالي الغوابر

فليس شهاب الحرب توبة بعدها *** بغاز و لا غاد بركب مسافر(6)

و قد كان طلاّع النّجاد(7) و بيّن الل *** سان و مدلاج(8) السّرى غير فاتر

و قد كان قبل الحادثات إذا انتحى(9) *** و سائق أو معبوطة لم يغادر

و كنت إذا مولاك خاف ظلامة *** دعاك و لم يهتف(10) سواك بناصر

فإن يك عبد اللّه آسى ابن أمّه *** و آب بأسلاب الكميّ المغاور(11)

و كان(12) كذات البوّ تضرب عنده *** سباعا و قد ألقينه في الجراجر(13)

/فإنك(14) قد فارقته لك عاذرا *** و أنّي لحيّ عذر من في المقابر

فأقسمت أبكي(15) بعد توبة هالكا *** و أحفل من نالت صروف المقادر

1- في «أكثر الأصول»: «لما». و التصويب من «ج» و «منتهى الطلب». ولعا. كلمة يدعى بها للعاثر بأن ينتعش. يقال: لعا لفلان عاليا إذا دعى له، فإذا دعي عليه قيل: لا لعا له.

2- في «الأصول»: «عائشا» و هو تحريف.

3- الدوية، و مثلها الداوية: الفلاة الواسعة المستوية. و الناعجات من الإبل: البيض الكريمة، أو هي التي يصاد بها فعاج الوحش من الظباء و البقر. و النعج (بفتح فسكون) ضرب من سير الإبل سريع.

4- في «منتهى الطلب»: «أم عامر».

5- في «الأصول»: «إحدى الليالي» و التصويب من «منتهى الطلب». و الغوابر هنا: الباقيات. تقول: إن هذه المرأة لا يشتمل بيتها على مثله آخر الدهر؛ فإن الدهر بمثله بخيل.

6- في «بعض الأصول»: «مماقر»، و في بعضها «ممافر». و التصويب من «منتهى الطلب».

7- يقال: فلان طلاع النجاد، و طلاع أنجد، و طلاع أنجدة، إذا كان ضابطا للأمور غالبا لها. و قال الجوهري: يقال فلان طلاع أنجد و طلاع الثنايا إذا كان ساميا لمعالي الأمور. (عن «لسان العرب»).

8- في «منتهى الطلب»: «و مجذام السرى».

9- انتحى: قصد. و الوسيقة: الجماعة من الإبل و نحوها كفرقة من الناس، وصف من الوسق بمعنى الطرد لأنها إذا سرقت طردت معا. و

المعبوطة: المذبوحة من غير داء و لا كسر. تريد أنه إذا قصد إبلا مغصوبة أو معبوطة لم يتركها تفلت منه.

10- كذا في «منتهى الطلب». و في «الأصول»: «و لم يعدل».

11- آساه هنا: شاركه أو أصابه بخير. و الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه لأنه كمى نفسه أي سترها بالدرع و البيضة، و الجمع كماة كأنهم جمعوا كاميا مثل قاض و قضاة. و المغاور: المقاتل الكثير الغارات، و مثله المغوار.

12- كذا في «منتهى الطلب». و في «الأصول»: «فكان» بالفاء؛ و جواب الشرط إنما هو قوله: «فإنك قد فارقته...» البيت الذي بعده.

13- الجراجر: الحلوق.

14- ورد هذا البيت في «الأصول» هكذا: فإن تك قد فارقته لك غادرا و أي لحي غدر من في المقابر و التصويب من «منتهى الطلب». و الشطر الثاني في «منتهى الطلب». و أني و أني عذر من في المقابر

15- فأقسمت أبكي: أي لا أبكي. و حذف «لا» في مثل هذا كثير.

/

على مثل همّام و لابن مطرّف *** لتبك(1) البواكي أو لبشر بن عامر

غلامان كانا استوردا كلّ سورة(2)*** من المجد ثم استوثقا في المصادر

ربيعي حيا كانا يفيض نداهما *** على كلّ مغمور نداة(3) و غامر

كأنّ سنا ناريهما كلّ شتوة *** سنا البرق يبدو للعيون النواظر

و قالت أيضا ترثي توبة - عن أمّ حميّر، و أمّها ابنة أخي توبة، عن أمّها. قال أبو عبيدة: أم حميّر أخت أبي الجرّاح العقيليّ. قال: و أمها بنت أخي توبة بن حميّر. قال: و كان الأصمعيّ يعجب بها -:

أيا عين بكّي توبة ابن حميّر *** بسحّ كفيض الجدول المتفجّر

لتبك عليه من خفاجة(4) نسوة *** بماء شئون الغبرة المتحدّر

سمعن بهيجا(5) أرهقت فذكرنه *** و لا يبعث الأحزان مثل التذكّر

/كأنّ فتى الفتيان توبة لم يسر(6) *** بنجد و لم يطلع مع المتغوّر(7)

و لم يرد الماء السّدام(8) إذا بدا *** سنا الصّبح في بادي الحواشي منوّر(9)

و لم يغلب الخصم الضّجاج و يملأ ال *** جفان سديفا يوم نكباء صرصر(10)

و لم يعل بالجرد الجياد يقودها *** بسرّة بين الأشمسات فايصر(11)

و صحراء موماة يحار القطا *** قطعت على هول الجنان بمنسر(12)

1- في «الأصول»: «لتبكي». و في «منتهى الطلب»: «تبكي».

2- السورة (بالفتح) من «المجد»: أثره و علامته و ارتفاعه.

3- في «ب، س»: «تراه» و هو تحريف.

4- خفاجة: رهط توبة و هو جدّ له.

5- الهيجا (بالمد و القصر): الحرب. و أرهقت: أدركت، أو ألحقت و أغشت، أي جعلت من فيها من المحاربين يغشون خصمهم و يلحقونه. و في «منتهى الطلب»: «أضلعت»، أي أثقلت. و في «الكامل» للمبرد: «أزحفت».

6- في «الكامل» للمبرد (ص 733 طبعة أوربا): «لم ينخ».

7- كذا في «أ، م» و «منتهى الطلب» و «الكامل». و في «سائر الأصول»: «من المتغور». و المتغور: الذي يأتي الغور. و الغور: ما انخفض

من الأرض. و النجد: ما أشرف من الأرض.

8- الماء السدام: القديم المندفن.

9- رواية «الكامل»: «في أعقاب أخضر مدبر» و هي الرواية الواضحة المعنى. و الأخضر هنا الليل. و العرب تسمى الأسود أخضر.

10- في «الكامل»: «و لم يقدع الخصم الألد». و القدع. و الكف. و الألد: الشديد الخصام. و الضجاج: مصدر ضاجه مضاجة و ضجاجا إذا جادله و شارّه و شاغبه، و الاسم الضجاج (بالفتح). و هو وصف بالمصدر للمبالغة. و السديف: قطع السنام. و النكباء: الريح التي تنحرف في مهبها فتجيء بين ريحين. و الصرصر: الشديدة الصوت أو البرد.

11- ورد في هذا الشطر تحريف في «الأصول» و في «منتهى الطلب». و قد صوّبناه من كتاب «معجم ما استعجم»، و فيه: «و لم يملك الجرد» بدل: «و لم يعل بالجرد». و أشمس (بفتح أوّله و سكون ثانيه و فتح الميم و ضمها معا): جبل في شق بلاد بني عقيل. و جمعته ليلى لأنها أرادت الجبل و ما يليه من البقاع. كذا ذكر البكري في معجمه. و سرة و أيصر: موضعان.

12- المنسر (وزان منبر و مجلس) هنا: قطعة من الجيش تمر قدّام الجيش الكبير، و هو أيضا الجماعة من الخيل، و في مقدارها عدّة أقوال، و ليس هذا المعنى مرادا هنا.

يقودون قبّا كالسّراحين لاحها *** سراهم و سير الراكب المتهجّر(1)

/فلمّا بدت أرض العدوّ سقيتها *** مجاج بقيّات المزاد المقيّر(2)

و لمّا أهابوا بالنّهاب حويتها *** بخاظي(3) البضيع كرّه غير أعسر

ممرّ(4) ككرّ الأندريّ مثابر *** إذا ما ونين(5) مهلب(6) الشّدّ محضر

فألوت بأعناق طوال و راعها *** صلاصل(7) بيض سابغ و سنّور

أ لم تر أنّ العبد يقتل ربّه *** فيظهر جدّ العبد من غير مظهر

قتلتم فتى لا يسقط الرّوع رمحه *** إذا الخيل جالت في قنا متكسّر

فيا توب للهيجا و يا توب للنّدى *** و يا توب للمستنبح(8) المتنوّر

ألا ربّ مكروب أجبت و نائل *** بذلت و معروف لديك و منكر

/و قالت ترثيه:

أقسمت(9) أرثي بعد توبة هالكا *** و أحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى *** إذا لم تصبه في الحياة المعاير

و ما أحد حيّ و إن عاش سالما *** بأخلد ممن غيّبته المقابر

و من كان مما يحدث الدهر جازعا *** فلا بدّ يوما أن يرى و هو صابر

و ليس لذي عيش عن الموت مقصر(10) *** و ليس على الأيّام و الدهر غابر(11)

1- القب: الدقاق الخصور، و الواحد أقب و قباء. و السراحين: الذئاب واحدها سرحان. و لاحها: غيّرها. و السري: سير الليل. و المتهجر: الذي يسير في الهاجرة و هي نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر، و المراد سير النهار، أي غيرها سير الليل و سير النهار.

2- في «أكثر الأصول»: «المغبر» و التصويب من «ح» «منتهى الطلب». و رواية «منتهى الطلب»: فلما بدت أولى العدوّ سقيتها صبابة مثلوب المزاد المقير و سقيتها أي الخيل. و المجاج (بضم الميم): اسم لما تمجه من فيك. و المزاد: الأسقية، الواحدة مزادة. و المقير: المطلي بالقار و هو الزفت.

3- النهاب: جمع نهب و هو الغنيمة. و الخاظي: المكتنز اللحم. و البضيع: اللحم. يريد جوادا هذه صفته.

4- الممر: اسم مفعول من أمر فلان الحبل إذا أجاد فتله. تريد أنه مجدول الخلق. و الكر هنا: الحبل الغليظ أو حبل يصعد به على النخل.

و الأندري: المنسوب إلى أندرين قرية كانت بالشام.

5- ونين: فترن و ضعفن، تريد الخيل. تصف الجواد بالمثابرة على العدو إذا فترت الخيل التي معه و ضعفت.

6- إلهاب الفرس للشد: متابعته للجري؛ يقال: هلب (مثل كتب) الفرس و أهلب إذا تابع جريه. و إحضار الفرس: ارتفاعه في عدوه.

7- راعها: أفزعها. و صلاصل البيض: أصواتها، واحدتها صلصلة. و البيض من الحديد: ما يتقي به الرأس من السلاح، واحدته بيضة و هي الخوذة. و السنّور: جملة السلاح، و خص بعضهم به الدروع.

8- المستنبح: الذي يكون في مضلة فيخرج صوته على مثل نباح الكلب ليسمعه كلب الحي فيتوهمه كلبا فينبح، فيستدل بنباحه فيهتدي. و المتنور: الذي يبصر النار من بعيد.

9- أي أقسمت لا أرثي... و لا أحفل. و حذف «لا» في مثل هذا الموضع جائز و كثير.

10- تريد: ليس عنه محيد و لا مصرف.

11- غابر هنا: باق.

و لا الحيّ مما يحدث الدهر معتب(1) *** و لا الميت إن لم يصبر الحيّ ناشر

/و كلّ شباب أو جديد إلى بلى *** و كلّ امرئ يوما إلى اللّه صائر

و كلّ قريني ألفة لتفرّق *** شتاتا و إن ضنّا و طال التّعاشر

فلا يبعدنك اللّه حيّا و ميّتا *** أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر

و يروى:

(فلا يبعدنك اللّه يا توب هالكا *** أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر)

فآليت لا أنفكّ أبكيك ما دعت *** على فنن ورقاء أو طار طائر

قتيل بني عوف فيا لهفتا له *** و ما كنت إيّاهم عليه أحاذر

و لكنما أخشى عليه قبيلة *** لها بدروب الروم باد و حاضر

/و قالت ترثيه:

كم هاتف بك من باك و باكية *** يا توب للضيف إذ تدعى و للجار

و توب للخصم إن جاروا و إن عدلوا(2) و بدّلوا الأمر نقضا بعد إمرار(3)

إن يصدروا الأمر تطلعه(4) موارده *** أو يوردوا الأمر تحلله(4) بإصدار

و قالت ترثيه:

هراقت بنو عوف دما غير واحد *** له نبأ نجديّه(5) سيغور

تداعت له أفناء عوف(6) و لم يكن *** له يوم هضب الرّدهتين نصير

و قالت ترثيه:

يا عين بكّي بدمع دائم السّجم(7) *** و أبكي لتوبة عند الرّوع و البهم(8)

على فتى من بني سعد(9) فجعت به *** ما ذا أجنّ به في الحفرة الرّجم(10)

من كلّ صافية صرف و قافية *** مثل السّنان و أمر غير مقتسم

1- معتب: اسم مفعول؛ يقال أعتبت فلانا إذا أرضيته. و ناشر: وصف من نشر اللازم؛ يقال: نشر اللّه الميت، فنشر الميت، فهو لازم متعد.

2- كذا في «مختار الأغاني». و في «الأصول»: «و إن عندوا» و هو تحريف.

3- في «الأصول»: «بعد إبراري» و التصويب من «مختار الأغاني».

4- في «مختار الأغاني»: «يطلعه» في الموضعين و بضمير الغائب.

5- في «الأصول»: «نجدية».

6- أفناء الناس: أخلاطهم و هم النزاع من هاهنا و هاهنا.

7- ظاهر أنها تريد دائم القطران، فحركت الجيم للشعر. أما السجم (بالتحريك) فهو الماء و الدمع.

8- البهم هنا: مشكلات الأمور، واحدتها بهمة (بالضم).

9- يلاحظ أن ليس في نسب توبة المتقدّم «سعد». و هذا مما يبعث الريب في هذا الشعر.

10- الرجم (بالتحريك) هنا: القبر.

و مصدر حين يعيي القوم مصدرهم *** و جفنة عند نحس الكوكب الشّبم(1)

و قالت تعيّر قابضا:

جزى اللّه شرّا قابضا بصنيعه *** و كلّ امرئ يجزى بما كان ساعيا

/دعا قابضا و المرهفات يردنه(2) *** فقبّحت مدعوّا و لبّيك داعيا

و قالت لقابض و تعذر عبد اللّه(3) أخا توبة:

دعا قابضا و الموت يخفق ظلّه *** و ما قابض إذ لم يجب بنجيب

و آسى عبيد اللّه ثمّ ابن أمّه *** و لو شاء نجّى يوم ذاك حبيبي

خرج توبة إلى الشام فلقيه زنجي و خبره معه:

أخبرني الحسن بن عليّ عن(4) عبد اللّه بن أبي سعد عن أحمد بن معاوية بن بكر قال حدّثني أبو الجرّاح العقيليّ عن أمّه دينار بنت خيبريّ بن الحميّر عن توبة بن الحميّر قال:

خرجت إلى الشام، فبينا أنا أسير ليلة في بلاد لا أنيس بها ذات شجر نزلت لأريح، و أخذت ترسي فألقيته فوقي، و ألقيت نفسي بين المضطجع و البارك. فلمّا وجدت طعم النّوم إذا شيء قد تجلّلني عظيم ثقيل قد برك عليّ، و نشزت(5) عنه ثم قمصت(6) منه قماصا فرميت به على وجهه، و جلست إلى/راحلتي فانتضيت السيف، و نهض نحوي فضربته ضربة انخزل منها، و عدت إلى موضعي و أنا لا أدري ما هو أ إنسان أم سبع، فلمّا أصبحت إذا هو أسود زنجيّ يضرب برجليه و قد قطعت وسطه حتى كدت أبريه، و انتهيت إلى ناقة مناخة موقرة ثيابا من سلبه، و إذا جارية شابة ناهد و قد أوثقها و قرنها بناقته. فسألتها عن خبرها، فأخبرتني أنه/قتل مولاها و أخذها منه. فأخذت الجميع و عدت إلى أهلي. قال أبو الجرّاح قالت أمّي: و أنا أدركتها في الحيّ تخدم أهلنا.

حديث معاوية مع ليلى في توبة:

أخبرنا اليزيديّ عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال أخبرنا عطاء بن مصعب القرشيّ عن عاصم اللّيثيّ عن يونس بن حبيب الضّبيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال:

سأل معاوية بن أبي سفيان ليلى الأخيليّة عن توبة بن الحميّر فقال: ويحك يا ليلى! أ كما يقول الناس كان توبة؟ قالت: يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقّا، و الناس شجرة بغي يحسدون أهل النّعم حيث كانوا و على من كانت. و لقد كان يا أمير المؤمنين سبط البنان، حديد اللّسان، شجا للأقران، كريم المخبر(7)، عفيف

1- كذا في «ح». و الشبم: البارد. و نحس الكوكب الشبم كناية عن الشتاء. و في «سائر الأصول»: «الشئم» بالهمز و هو تصحيف.

2- في «الكامل»: «ينشنه» أي يتناوله.

3- في «الكامل»: «عبيد اللّه» بالتصغير. و قد ورد كذلك في البيت الأخير من البيتين الآتيين. و لكنه تقدّم غير مرة في ترجمة توبة في «الشعر و النثر» «عبد اللّه». فلعله صغر هنا للشعر.

4- في «الأصول» هنا: «... الحسن بن علي بن عبد اللّه بن أبي سعد» و هو تحريف.

5- في «الأصول»: «و نشرت عنه» بالراء المهملة و هو تصحيف. يريد ارتفعت و بعدت. و في «مختار الأغاني»: «و ثرت عنه».

6- القماص (بالضم و بالكسر معا): الوثب.

7- في «الأصول»: «كريم المختبر».

المئزر، جميل المنظر. و هو يا أمير المؤمنين كما قلت له. قال: و ما قلت له؟ قالت قلت و لم أتعدّ الحقّ و علمي فيه:

بعيد الثّرى لا يبلغ القوم قعره *** ألدّ ملدّ(1) يغلب الحقّ باطله

إذا حلّ ركب في ذراه و ظلّه *** ليمنعهم مما تخاف نوازله

حماهم بنصل السّيف من كلّ فادح(2) *** يخافونه حتى تموت خصائله(3)

فقال لها معاوية: ويحك! يزعم الناس أنه كان عاهرا خاربا(4). فقالت من ساعتها:

معاذ إلهي كان و اللّه سيّدا *** جوادا على العلاّت(5) جمّا نوافله

أغرّ خفاجيّا(6) يرى البخل سبّة *** تحلّب كفّاه النّدى و أنامله

/عفيفا بعيد الهمّ صلبا قناته *** جميلا محيّاه قليلا غوائله

و قد علم الجوع الذي بات ساريا *** على الضّيف و الجيران أنّك قاتله

و أنك رحب الباع يا توب بالقرى *** إذا ما لئيم القوم ضاقت منازله

يبيت قرير العين من بات جاره *** و يضحي بخير ضيفه و منازله

فقال لها معاوية: ويحك يا ليلى! لقد جزت بتوبة قدره. فقالت: و اللّه يا أمير المؤمنين لو رأيته و خبرته لعرفت أنّي مقصّرة في نعته و أنّي لا أبلغ كنه ما هو أهله. فقال لها معاوية: من أيّ الرجال كان؟ قالت:

أتته المنايا حين تمّ تمامه *** و أقصر عنه كلّ قرن يطاوله(7)

و كان كليث الغاب يحمي عرينه *** و ترضى به أشباله و حلائله

غضوب حليم حين يطلب حلمه *** و سمّ زعاف(8) لا تصاب مقاتله

قال: فأمر لها بجائزة عظيمة و قال لها: خبّريني بأجود ما قلت فيه من الشعر. قالت: يا أمير المؤمنين، ما قلت فيه شيئا إلاّ و الذي فيه من خصال الخير أكثر منه. و لقد أجدت حين قلت:

جزى اللّه خيرا و الجزاء بكفه *** فتى من عقيل ساد غير مكلّف

/فتى كانت الدّنيا تهون بأسرها *** عليه و لا ينفكّ جمّ التّصرّف

ينال عليّات الأمور بهونة(9) *** إذا هي أعيت كلّ خرق مشرّف

1- الألد: الكثير الجدل و الخصومة الشحيح الذي يزيغ إلى الحق. و ملد وصف من ألددت بفلان إذا عسرت عليه في الخصومة.

2- في «الأصول»: «من كل قادح» بالقاف. و الفادح هنا: الخطب من خطوب الدهر.

3- الخصائل: جمع خصيلة، و هي كل لحمة فيها عصب. و الظاهر أنها كنت بموت خصائل الفادح عن سكونه و ذهابه.

4- خارب: لص.

5- على العلات: أي على كل حال من عسره و يسره.

6- خفاجي: منسوب إلى خفاجة و هو من آباء توبة.

7- في «ب، س»: «يصاوله».

8- السم الزعاف (و مثله الذعاف بالذال): القاتل لساعته. و في «ب، س»: «ذعاق» بالقاف و هو تصحيف.

9- الهونة: الرفق و السهولة. و أعياه الشيء: أكله و أعجزه. و الخرق (بالكسر): السخيّ أو الظريف في سخاوة، أو الفتى الحسن الكريم الخليفة. و مشرف: جعل له شرف.

/

هو الذّوب(1) بل أرى الخلايا شبيهه *** بدرياقة من خمر بيسان قرقف

فيا توب ما في العيش خير و لا ندى *** يعدّ و قد أمسيت في ترب نفنف(2)

و ما(3) نلت منك النّصف حتى ارتمت بك ال *** منايا بسهم صائب الوقوع أعجف

فيا ألف ألف كنت حيّا مسلّما *** لألقاك مثل القسور(4) المتطرّف

كما كنت إذ كنت المنحّى من الرّدى *** إذا الخيل جالت بالقنا المتقصّف(5)

و كم من لهيف محجر(6) قد أجبته *** بأبيض قطّاع الضّريبة مرهف

فأنقذته و الموت يحرق(7) نابه *** عليه و لم يطعن و لم يتنسّف

ما كان بين توبة و جميل أمام بثينة:

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن ابن سعد قال حدّثت عن القحذميّ عن محارب بن غصين(8)العقيليّ قال:

كان توبة قد خرج إلى الشام، فمرّ ببني عذرة، فرأته بثينة فجعلت تنظر إليه، فشقّ ذلك على جميل، و ذلك قبل أن يظهر حبّه لها. فقال له جميل: من أنت؟ /قال: أنا توبة بن الحميّر. قال: هل لك في الصّراع؟ قال: ذلك إليك، فشدّت عليه بثينة ملحفة مورّسة(9) فأتزر بها، ثم صارعه فصرعه جميل. ثم قال: هل لك في النّضال(10)؟ قال نعم، فناضله فنضله جميل. ثم قال له: هل لك في السّباق؟ فقال نعم، فسابقه فسبقه جميل. فقال له توبة: يا هذا إنما تفعل هذا بريح هذه الجالسة، و لكن اهبط بنا الواديّ، فصرعه توبة و نضله و سبقه.

1- كذا ورد هذا الشطر في «ج». و في «سائر الأصول»: هو الذوب بل أسدي الخلايا شبيهة و في «معجم البلدان» (في الكلام على بيسان): هو الذوب أو أرى الضحا لي شبته و لعل صوابه: هو الذوب بل أرى الخليات شبته و الذوب: العسل. و الأرى: العسل أيضا. و الشوب: الخلط و المزج. و الدرياقة: الخمر. و بيسان بلدة كانت بالشام مشهورة بالخمر. و القرقف: الخمر يرعد عنها صاحبها.

2- النفنف هنا: المفازة.

3- في «ج»: «و ما نيل» بدل: «و ما نلت». و النصف هنا: إعطاء الحق، مثل الإنصاف و النصف و النصفة (محركين). و السهم الأعجف: الرقيق.

4- القسور: الأسد و المتطرف: المغير.

5- القنا المتقصف: المتكسر. و جولان الخيل: كناية عن الحرب.

6- المحجر: المضيق عليه.

7- حرق الأنياب: حكها بعضها ببعض، و هو كناية عن الغضب و الغيظ. و تنسف في الصراع: قبض بيده على خصمه ثم عرض له رجله

فعثره.

8- في «أ، م»: «ابن غص». و في «سائر الأصول»: «ابن غضين» بالغين و الضاد المعجمتين. و قد سموا غصينا و غصنا.

9- مصبوغة: بالورس و هو نبت أصفر.

10- النضال: المباراة في الرمي. و نضله: سبقه فيه.

سأل عبد الملك بن مروان ليلى عما رآه توبة فيها فأجابته:

أخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة قال:

بلغني أنّ ليلى الأخيلية دخلت على عبد الملك بن مروان و قد أسنّت و عجزت، فقال لها: ما رأى توبة فيك حين هويك؟ قالت: ما رآه الناس فيك حين ولّوك. فضحك عبد الملك حتى بدت له سنّ سوداء كان يخفيها.

وفود ليلى على الحجاج و حديثه معها:

و أخبرني الحسن بن عليّ عن [ابن] أبي سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهلاليّ عن أيّوب بن عمرو عن رجل من بني عامر يقال له ورقاء قال:

كنت عند الحجاج بن يوسف، فدخل عليه الآذن فقال: أصلح اللّه الأمير، بالباب امرأة تهدر كما يهدر البعير النادّ(1). قال: أدخلها. فلمّا دخلت نسبها فانتسبت له. فقال: ما أتى بك يا ليلى؟ قالت: إخلاف النّجوم(2)، [و قلّة الغيوم(3)]، و كلب(4) البرد، و شدّة الجهد، و كنت لنا بعد اللّه الرّدّ(5). قال: فأخبريني عن الأرض. قالت:

الأرض مقشعرّة(6)، و الفجاج مغبرّة، و ذو الغنى مختلّ، و ذو الحدّ منفلّ. قال: و ما سبب ذلك؟ /قالت: أصابتنا سنون(7) مجحفة مظلمة، لم تدع لنا فصيلا و لا ربعا، و لم تبق عافطة؛ و لا نافطة؛ فقد أهلكت الرجال، و مزّقت العيال، و أفسدت الأموال، ثم أنشدته الأبيات التي ذكرناها متقدّما(8). و قال في الخبر: قال الحجّاج: هذه التي تقول(9)

نحن الأخائل لا يزال غلامنا *** حتّى يدبّ على العصا مشهورا

تبكي الرّماح إذا فقدن أكفّنا *** جزعا و تعرفنا الرّفاق بحورا

ثم قال لها: يا ليلى، أنشدينا بعض شعرك في توبة، فأنشدته قولها:

1- النادّ: الشارد.

2- إخلاف النجوم: تريد امتناع المطر.

3- زيادة من كتاب «الأمالي» لأبي علي القالي.

4- كلب البرد: شدته.

5- الرد (بالكسر): الكهف و المعقل.

6- اقشعرار الأرض: تقبضها من المحل. و الفجاج: جمع فج، و هو كل سعة بين نشازين. و مختل: محتاج، من الخلة (بالفتح) و هي الحاجة. و منفل: منكسر متثلم.

7- السنون هنا: القحوط. و مجحفة: قاشرة تجترف المال و تذهب به. و في كتاب «الأمالي»: «مبلطة» يدل «مظلمة». و المبلطة: المفقرة، أي تلزق الناس بالبلاط، و هو الأرض المستوية. و الفصيل: ولد الناقة أو البقرة إذا فصل من أمه للفطام. و في كتاب «الأمالي»: «لم تدع لنا

هبعا...» بضم الهاء و فتح الباء، و هو المناسب لما بعده. و الهبع: ما نتج في الصيف. و الربع ما نتج في الربيع. و العافطة: الضائنة. و الناقطة: الماعزة.

8- لم تتقدّم أبيات تتصل بالحجاج. و الذي في «الأمالي» أنها أنشدته الأبيات التي أوّلها: أ حجّاج لا يفلل سلاحك إنها ال منايا بكف اللّه حيث تراها و ستأتي هذه الأبيات في صفحة 48.

9- في «أ، م»: «هذه التي يقول فيها قوله». و في «سائر الأصول»: «هذه التي يقول فيها». و التصويب من كتاب «زهر الآداب» للحصري.

/

لعمرك ما بالموت عار على الفتى *** إذا لم تصبه في الحياة المعاير

و ما أحد حيّ و إن عاش سالما *** بأخلد ممن غيّبته المقابر

فلا الحيّ(1) مما أحدث الدّهر معتب *** و لا الميت إن لم يصبر الحيّ ناشر

و كلّ جديد أو شباب إلى بلى *** و كلّ امرئ يوما إلى الموت صائر

قتيل بني عوف فيا لهفتا له *** و ما كنت إيّاهم عليه أحاذر

و لكنّني أخشى عليه قبيلة *** لها بدروب الشام باد و حاضر

/فقال الحجّاج لحاجبه: اذهب فاقطع لسانها. فدعا لها بالحجّام ليقطع لسانها، فقالت: ويلك! إنّما قال لك الأمير اقطع لسانها بالصّلة و العطاء، فارجع إليه و استأذنه. فرجع إليه فاستأمره(2)، فاستشاط عليه و همّ بقطع لسانه، ثم أمر بها فأدخلت عليه، فقالت: كاد و عهد اللّه يقطع مقولي، و أنشدته:

حجّاج أنت الذي لا فوقه أحد *** إلاّ الخليفة و المستغفر الصّمد

حجّاج أنت سنان الحرب إن نهجت(3) *** و أنت للنّاس في الداجي لنا تقد

أخبرنا الحسن قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني أبو الحسن ميمون الموصليّ عن سلمة بن أيّوب بن مسلمة الهمدانيّ قال: كان جديّ عند الحجّاج، فدخلت عليه امرأة برزة(4)، فانتسبت له فإذا هي ليلى الأخيليّة.

و أخبرني بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ، و أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ(5) قال: كنت عند الحجاج.

و أخبرني وكيع عن إسماعيل بن محمد بن المدائني عن جويرية عن بشر(6) بن عبد اللّه بن أبي بكر: أنّ ليلى دخلت على الحجّاج، ثم ذكر مثل الخبر الأوّل، و زاد فيه: فلمّا قالت:

غلام إذا هزّ القناة سقاها

قال لها: لا تقولي «غلام»، قولي «همام». و قال فيه: فأمر لها بمائتين. فقالت: زدني، فقال: اجعلوها ثلاثمائة.

فقال بعض جلسائه: إنّها غنم. فقالت: الأمير/أكرم من ذلك و أعظم قدرا من أن يأمر لي إلاّ بالإبل. قال: فاستحيا و أمر لها بثلاثمائة بعير، و إنما كان أمر لها بغنم لا إبل.

و أخبرنا [به(7)] وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصالحيّ عن عمر بن شبّة عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه، و قال فيه: أ لا قلت مكان غلام همام! و ذكر باقي الخبر الذي ذكره من تقدّم، و قال فيه: فقال لها: أنشدينا ما

1- تقدّمت هذه الأبيات في صفحة 234 مع أبيات أخرى. (فراجع ما كتب على هذا البيت هناك).

2- استأمره: استشاره.

3- كـذا في «الأصول». و نهجت: سـلكت. و يخيل إلينا أن هذه الكلمة محرّفة عن «لقحت» كما وردت في «الأمالي». و رواية هذه البيت فيه: حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت و أنت للناس نور في الدجى يقد

4- المرأة البرزة: المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون إليها و يتحدثون و هي عفيفة، و البرزة أيضا: البارزة المحاسن.

5- كـذا في «أ، م». و صـاحب «الأغـاني» يروي عـن محمـد بن العبـاس اليزيـدي، و عن أحمـد بن عبـد العزيز الجـوهري. و في «سـائر الأصول»: «... اليزيدي أخبرنا ابن عبد العزيز الجوهري»، و هو تحريف. و ظاهر أن في السند نقصا.

6- في «أ، م»: «بشير». و لم نهتد إليه.

7- تكملة يقتضيها سياق الكلام.

قلت في توبة، فأنشدته قولها:

فإن تكن القتلى بواء(1) فإنكم *** فتى ما قلتم آل عوف بن عامر

فتى كان أحيا من فتاة حييّة *** و أشجع من ليث بخفّان خادر

أتته المنايا دون درع حصينة *** و أسمر خطّيّ و جرداء ضامر

فنعم الفتى إن كان توبة فاجرا *** و فوق الفتى إن كان ليس بفاجر

كأنّ فتى الفتيان توبة لم ينخ *** قلائص يفحصن الحصا بالكراكر

فقال لها أسماء بن خارجة: أيتها المرأة إنك لتصفين هذا الرجل بشيء ما تعرفه العرب فيه. فقالت: أيها الرجل هل رأيت توبة قطّ؟ قال لا. فقالت: أما و اللّه لو رأيته لوددت أنّ كلّ/عاتق(2) في بيتك حامل منه؛ فكأنّما فقئ في وجه أسماء حبّ الرّمّان. فقال له الحجاج: و ما كان لك و لها!.

وفاتها و كيف كانت:

اشارة

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي سعد عن محمد بن عليّ بن المغيرة قال سمعت أبي يقول سمعت الأصمعيّ يذكر أنّ الحجّاج أمر لها بعشرة آلاف درهم، و قال لها: هل لك من حاجة؟ قالت: نعم أصلح اللّه الأمير، تحملني إلى ابن عمّي/قتيبة بن مسلم، و هو على خراسان يومئذ فحملها إليه، فأجازها و أقبلت راجعة تريد البادية، فلمّا كانت بالرّيّ ماتت، فقبرها(3) هناك. هكذا ذكر الأصمعيّ في وفاتها و هو غلط. و قد أخبرني عمّي عن الحزنبل الأصبهانيّ عمّن أخبره عن المدائنيّ، و أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهديّ عن ابن أبي سعد عن محمد بن الحسن النّخعيّ عن ابن الخصيب الكاتب، و اللّفظ في الخبر للحزنبل، و روايته أتمّ:

أنّ ليلى الأخيليّة أقبلت من سفر، فمرّت بقبر توبة و معها زوجها و هي في هودج لها. فقالت: و اللّه لا أبرح حتى أسلّم على توبة، فجعل زوجها يمنعها من ذلك و تأبى إلاّ أن تلمّ به. فلمّا كثر ذلك منها تركها، فصعدت أكمة عليها قبر توبة، فقالت: السلام عليك يا توبة، ثم حوّلت وجهها إلى القوم فقالت: ما عرفت له كذبة قطّ قبل هذا.

قالوا: و كيف؟ قالت: أ ليس القائل:

صوت

و لو أنّ ليلى الأخيليّة سلّمت *** عليّ و دوني(4) تربة و صفائح

لسلّمت تسليم البشاشة أو زقا(5) *** إليها صدى من جانب القبر صائح

و أغبط من ليلى بما لا أناله *** ألا كلّ ما قرّت به العين صالح

فما باله لم يسلّم عليّ كما قال!. و كانت إلى جانب القبر بومة كامنة، فلمّا رأت الهودج و اضطرابه فزعت و طارت

1- وردت هذه الأبيات في قصيدة تقدّمت (صفحة 224 و ما بعدها. فليراجع الكلام عليها هناك).

2- العاتق: الشابة.

3- في «ب، س»: «فقبرت هناك».

4- في «ج»: «و فوقي». و يروى «جندل» بدل «تربة».

5- زقا: صاح. و الصدى هنا: طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل و يصيح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره.

في وجه الجمل، فنفر فرمى بليلى على راسها، فماتت من وقتها، فدفنت إلى جنبه. و هذا هو الصحيح من خبر وفاتها.

/غنّى في الأبيات المذكورة آنفا حكم الواديّ لحنين، أحدهما رمل بالوسطى عن عمرو، و الآخر خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش، و قال حبش: و فيها لحنان لجميلة و الميلاء رملان بالبنصر، و ذكر أبو العبيس بن حمدون أنّ الرمل لعمر الواديّ.

كان توبة شريرا كثير الغارات:

قال أبو عبيدة: كان توبة شرّيرا كثير الغارة على بني الحارث بن كعب و خثعم و همدان، فكان يزور نساء منهن يتحدّث إليهن، و قال:

أ يذهب ريعان الشّباب و لم أزر *** غرائر من همدان بيضا نحورها

قال أبو عبيدة: و كان توبة ربّما ارتفع إلى بلاد مهرة فيغير عليهم، و بين بلاد مهرة و بلاد عقيل مفازة منكرة لا يقطعها الطّير، و كان يحمل مزاد الماء فيدفن منه على مسيرة كلّ يوم مزادة ثم يغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازة، و إنما كان يتعمّد حمارّة القيظ و شدّة الحرّ، فإذا ركب المفازة رجعوا عنه.

خبر ليلى مع عبد الملك بن مروان حين رآها عند زوجته عاتكة:

أخبرني حرميّ عن الزّبير عن يحيى بن المقدام الرّبعيّ عن عمّه موسى بن يعقوب قال:

دخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فرأى عندها امرأة بدويّة أنكرها، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا/الوالهة الحرّى ليلى الأخيليّة. قال: أنت التي تقولين:

أريقت(1) جفان ابن الخليع فأصبحت *** حياض النّدى زالت(2) بهنّ المراتب

/فعفاته لهفى يطوفون حوله(3) *** كما انقضّ عرش البئر و الورد عاصب(4)

قالت: أنا الّتي أقول ذلك. قال: فما أبقيت لنا؟ قالت: الذي أبقاه اللّه لك. قال: و ما ذاك؟ قالت: نسبا قرشيّا، و عيشا رخيّا، و إمرة مطاعة. قال: أفردته بالكرم! قالت: أفردته بما أفرده اللّه به. فقالت عاتكة: إنها قد جاءت

1- تريد أنه قد مات فأريقت جفانه و مات الندى بموته. و الخليع: من آباء توبة. و في شرح «القاموس»: «و قال ابن الكلبي»: ولد ربيعة بن عقيل رباحا و عمرا و عامرا و عويمرا و كعبا و هم الخلعاء». و كعب أحد هؤلاء الخلفاء من آباء توبة.

2- كذا في «مختار الأغاني» لابن منظور. و في «الأصول»: «زلت».

3- في «الأصول»: فلهى و عفى بطن قود و حوله و التصويب من «مختار الأغاني». على أن فيه عيبا في الوزن و هو حذف الحرف الثالث من «فعولن»، و هو واقع في وتد، و الأوتاد لا تدخلها العلل و الزحافات. و إنما الجائز في الوتد من «فعولن» حذف أوّله إذا وقع في أوّل قصيدة. و هذا الحذف يسمى الخرم. على أنه يحتمل أن يكون صوابه «فعفاؤه» (بضم العين و تشديد الفاء) جمع عاف. و هذا الجمع في «فاعل» وصفا معتل العين نادر؛ يقال قوم عزّى و غزّاء، جمعا لغاز. و العفاة: طالبوا المعروف. و اللهف (بالتحريك): الحزن و التحسر، و

الوصف منه لهف (ككتف) و لهيف و لهفان.

4- المناسب من معاني «الورد» هنا: الماء المورود. و عاصب هنا: جامع. أي كما انقض عرش البئر و قد جمع «الورد المستقين». و يحتمل أن يكون «عاصب» هنا شديدا، على أن يكون «الورد» العطش.

تستعين بنا عليك في عين تسقيها(1) و تحميها لها. و لست ليزيد إن شفّعتها في شيء من حاجاتها، لتقديمها أعرابيا جلفا على أمير المؤمنين. قال: فوثبت ليلى فقامت على رجلها و اندفعت تقول:

ستحملني و رحلي ذات وخد(2) *** عليها بنت آباء كرام

إذا جعلت سواد الشّأم جنبا *** و غلّق دونها باب اللّثام

فليس بعائد أبدا إليهم *** ذوو الحاجات في غلس الظّلام

أ عاتك لو رأيت غداء بنّا *** عزاء النّفس عنكم و اعتزامي

إذا لعلمت و استيقنت أنّي *** مشيّعة و لم ترعي ذمامي

أ أجعل مثل توبة في نداه *** أبا الذّبّان(3) فوه الدّهر دامي

/معاذ اللّه ما عسفت(4) برحلي *** تغذّ(5) السّير للبلد التّهامي(6)

أقلت خليفة فسواه أحجى *** بإمرته و أولى باللّثام

لثام الملك حين تعدّ كعب(7) *** ذوو الأخطار و الخطط الجسام

فقيل لها: أيّ الكعبين عنيت؟ قالت: ما أخال كعبا(8) ككعبي.

رواية أخرى في وفودها على الحجاج:

اشارة

أخبرنا اليزيديّ عن الخليل بن أسد عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي يعقوب الثّقفيّ عن عبد الملك بن عمير عن محمد بن الحجّاج بن يوسف قال:

بينا الأمير جالس إذ استؤذن لليلى. فقال الحجّاج: و من ليلى؟ قيل: الأخيليّة صاحبة توبة. قال: أدخلوها.

فدخلت امرأة طويلة دعجاء العينين حسنة المشية إلى الفوه(9) ما هي، حسنة الثّغر، فسلّمت فردّ الحجّاج عليها و رحّب بها فدنت، فقال الحجّاج: دراك(10) ضع لها وسادة يا غلام، فجلست. فقال: ما أعملك إلينا؟ قالت:

السلام على الأمير، و القضاء لحقّه، و التعرّض لمعروفه. قال: و كيف خلفت قومك؟ قالت: تركتهم في حال خصب

1- تسقيها أي تجعلها لها سقيا.

2- كذا في «مختار الأغاني». و الوخد: ضرب من السير. و في «الأصول»: «ذات رحل».

3- أبو الـذبان، كنيـة عبـد الملك بن مروان لشـدّة بخره و موت الـذباب إذا دنت من فيه. (عن كتاب «ما يعول عليه في المضاف و المضاف إليه»).

4- عسفت: سارت و خبطت.

5- في «الأصول»: «تعد» بالعين و الدال المهملتين، و هو تصحيف.

6- في «مختار الأغاني»: «البلد الحرام».

7- في «الأصول»: ..... تعد بكر ذوو الأخطار و الخطى الحسام و في «ج»: «و الخطو الحسام» و التصويب من «مختار الأغاني».

8- كعب: من آباء ليلى.

9- الفوه: سعة الفم.

10- كذا في «ج». و دراك: اسم فعل بمعنى أدرك. و في «سائر الأصول»: «وراءك».

و أمن و دعـة. أمّـا الخصب ففي الأموال و الكلأ. و أمّا الأمن فقـد أمّنهم اللّه عزّ و جلّ بك. و أمّا الدعـة فقـد خامرهم من خوفك ما أصـلح بينهم. ثم قالت: أ لا أنشدك؟ فقال: إذا شئت. فقالت:

/

[أ حجّاج إنّ اللّه أعطاك غاية *** يقصّر عنها من أراد مداها(1)]

أ حجّاج لا يفلل سلاحك إنّما ال *** منايا بكفّ اللّه حيث تراها

إذا هبط الحجّاج أرضا مريضة *** تتبّع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الدّاء العضال الّذي بها *** غلام إذا هزّ القناة سقاها

سقاها دماء المارقين و علّها *** إذا جمحت يوما و خيف أذاها

/إذا سمع الحجّاج رزّ(2) كتيبة *** أعدّ لها قبل النّزول قراها

أعدّ لها مصقولة فارسيّة *** بأيدي رجال يحلبون صراها(3)

أ حجّاج لا تعط العصاة مناهم *** و لا اللّه يعطي للعصاة مناها

و لا كلّ حلاّف تقلّد بيعة *** فأعظم عهد اللّه ثم شراها

فقال الحجّاج ليحيى بن منقـذ، للّه بلادها ما أشـعرها!. فقال: ما لي بشـعرها علم. فقال: عليّ بعبيـدة بن موهب و كان حاجبه، فقال: أنشديه فأنشدته، فقال: عبيدة: هذه الشاعرة الكريمة، قد وجب حقّها. قال: ما أغناها عن شـفاعتك! يا غلام مر لها بخمسمائة درهم؛ و أكسها خمسة أثواب أحدها كساء خزّ، و أدخلها على ابنة عمّها هند بنت أسـماء فقل لها: حلّيها. فقالت: أصلح اللّه الأمير. أضرّ بنا العريف في الصدقة، و قـد خربت بلادنـا، و انكسـرت قلوبنـا، فأخـذ خيـار المـال. قال: اكتبوا لها إلى الحكم بن أيّوب فليبتع لها خمسـة أجمال و ليجعل أحـدها نجيبا(4)، /و اكتبوا إلى صاحب اليمامة بعزل العريف الذي شـكته. فقال ابن موهب: أصلح اللّه الأمير، أ أصلها؟ قال نعم، فوصلها بأربعمائة درهم، و وصلتها [هند(5)] بثلاثمائة درهم، و وصلها محمد بن الحجّاج بوصيفتين.

قال الهيثم: فـذكرت هـذا الحـديث لإسـحاق بن الجصّاص فكتبه عنّي، ثم حـدّثني عن حمّاد الراوية قال: لمّا فرغت ليلى من شـعرها أقبل الحجّـاج على جلسـائه فقال لهم: أ تـدرون من هـذه؟ قالوا: لا! و اللّه ما رأينا امرأة أفصـح و لا أبلغ منها و لا أحسن إنشادا. قال: هـذه ليلى صاحبـة توبة. ثم أقبل عليها فقال لها: باللّه يا ليلى أ رأيت من توبة أمرا تكرهينه أو سألك شـيئا يعاب؟ قالت: لا و اللّه الذي أسأله المغفرة ما كان ذلك منه قطّ. فقال: إذا لم يكن فيرحمنا اللّه و إيّاه.

أخبرني أحمد(6) بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبّة عن عبد اللّه بن محمد ابن حكيم الطائيّ عن خالد بن

1- زيادة عن «مختار الأغاني».

2- كذا في «ج» و «الأمالي» لأبي علي القالي. و الرز: الصوت تسمعه من بعيد. و في «سائر الأصول»: «صوت كتيبة».

3- كذا في «الأمالي»: و فيه «مسمومة» بدل «مصقولة». و في «أ، م»: «يحلبون مراها» و هو تحريف. و في «سائر الأصول»: «يحسنون غذاها». و الصري هنا بقية اللبن. و الصري أيضا: اللبن يبقى فيتغير طعمه.

4- النجيب: الكريم.

5- التكملة من «مختار الأغاني».

6- في «الأصول»: «محمد بن عبد العزيز». و هو تحريف.

سعيد عن أبيه قال: كنت عند الحجّاج فدخلت عليه ليلى الأخيليّة، ثم ذكر مثل الخبر الأوّل، و زاد فيه: فلمّا قالت:

غلام إذا هزّ القناة سقاها

قال: لا تقولي غلام، قولي همام.

صوت

سالني الناس أين يعمد هذا *** قلت أتى في الدّار قرما سريّا

ما قطعت البلاد أسري و لا يمّ *** مت إلاّ إيّاك يا زكريّا

كم عطاء و نائل و جزيل *** كان لي منكم هنيّا مريّا

عروضه من الخفيف، الشّعر للأقيشر الأسديّ. و الغناء لدحمان، و له فيه لحنان، أحدهما خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه عن إسحاق، [و الآخر] ثقيل أوّل بالبنصر في الثالث و الثاني عن عمرو، و ذكر يونس أنه للأبجر و لم يجنّسه، و ذكر الهشاميّ أنّ لحن الأبجر خفيف ثقيل، و أنّ لحن ابن بلوع في الثالث ثاني ثقيل. و ليحيى ابن واصل ثقيل أوّل بالوسطى.

13 - ذكر الأقيشر و أخباره

نسب الأقيشر و اسمه و لقبه و كنيته:

/الأقيشر: لقب [غلب عليه(1)]؛ لأنه كان أحمر الوجه أقشر(2)، و اسمه المغيرة بن عبد اللّه بن معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. و كان يكنى أبا معرض، و قد ذكر ذلك في شعره في مواضع عدّة، منها قوله:

فإنّ أبا معرض إذ حسا *** من الرّاح كأسا على المنبر

خطيب لبيب أبو معرض *** فإن ليم في الخمر لم يصبر

و عمّر عمرا طويلا- فكان أقعد(3) بني أسد نسبا، و ما أخلقه بأن يكون ولد في الجاهليّة و نشأ في أوّل الإسلام؛ لأنّ سماك بن مخرمة الأسديّ صاحب مسجد سماك بالكوفة بناه في أيّام عمر، و كان عثمانيّا، و أهل تلك المحلّة إلى اليوم كذلك. فيروي أهل الكوفة أنّ عليّ بن أبي طالب - صلوات اللّه عليه - لم يصلّ فيه، و أهل الكوفة إلى اليوم يجتنبونه. و سماك الذي بناه هو سماك بن مخرمة بن حمين بن بلث(4) بن عمرو بن معرض بن عمرو بن أسد، و الأقيشر أقعد(5) نسبا منه. و قال الأقيشر في ذكر مسجد سماك شعرا.

/أخبرني محمد بن الحسن الكنديّ الكوفيّ قال أخبرني الحسن بن عليل العنزيّ عن محمد بن معاوية - و كنيته أبو عبد اللّه محمد بن معاوية - قال: الأقيشر من رهط خريم(6) بن فاتك الأسديّ. و خريم إنما نسب إلى جدّ أبيه فاتك، و هو خريم بن الأخرم [ابن شدّاد(7)] بن عمرو بن فاتك الأسديّ، و فاتك بن قليب بن عمرو بن أسد.

و الأقيشر هو المغيرة بن عبد اللّه بن معرض بن عمرو بن أسد.

قال في مسجد سماك بالكوفة شعرا ذم فيه بني دودان ثم ترضاهم ببيت:

قال: و هو القائل لمّا بني سماك بن مخرمة مسجده الذي بالكوفة، و هو أكبر مسجد لبني أسد، و هو في خطّة بني نصر بن قعين:

1- زيادة عن «مختصر الأغاني». و في «الأصول»: «الأقيشر لقب به».

2- الأقشر: وصف من القشر (بالتحريك) و هو شدة الحمرة.

3- أقعدهم نسبا أي أقلهم آباء إلى الجد الأكبر.

4- ورد هذا النسب في «الأصول» محرفا؛ ففي «ج»: «سماك بن عمير بن ثلب بن عمرو... إلخ». و عمير محرف عن «حمين» و «ثلب» مصحف عن «بلث». و في «أ، م»: «سماك بن حرب بن ثابت بن عوف بن عمرو بن معرض...» و في «ب، س»: سماك بن عمير بن ثابت بن عمرو...» و التصويب من «القاموس» (في مادتي حمن و بلث) و «معجم البلدان» (في مسجد سماك).

5- في «الأصول»: «أبعد» و هو تحريف.

6- خريم بن فاتك هذا صحابي شهد بدرا. و روي أن النبي صلى اللّه عليه و سلم قال: «نعم الرجل خريم الأسدي لو لا طول جمته و إسبال إزاره». فبلغ ذلك خريما فقطع جمته إلى أذنه و رفع إزاره إلى نصف ساقه.

7- زيادة من الكتب التي ترجمت للصحابة رضوان اللّه عليهم.

غضبت دودان من مسجدنا *** و به يعرفهم كلّ أحد

لو هدمنا غدوة بنيانه *** لانمحت أسماؤهم طول الأبد

اسمهم فيه و هم جيرانه *** و اسمه الدّهر لعمرو بن أسد

كلّما صلّوا قسمنا أجره *** فلنا(1) النّصف على كلّ جسد

فحلف بنو دودان ليضربنّه. فأتاهم فقال: قد قلت بيتا محوت به كلّ ما قلت. قالوا: و ما هو يا فاسق؟ قال قلت:

و بنو دودان حيّ سادة *** حلّ بيت المجد فيهم و العدد

فتركوه.

كان خليعا ماجنا مدمنا لشرب الخمر:

أخبرني وكيع عن إسماعيل بن مجمّع عن المدائنيّ قال، و أخبرني أبو أيّوب المدينيّ عن محمد بن سلاّم قال:

كان الأقيشر كوفيّا خليعا ماجنا مدمنا لشرب الخمر، و هو الذي يقول لنفسه:

فإنّ أبا معرض إذ حسا *** من الرّاح كأسا على المنبر

خطيب لبيب أبو معرض *** فصار خليعا على المكبر(2)

أحلّ الحرام أبو معرض *** فإن ليم في الخمر لم يصبر

يجلّ(3) اللّئام و يلحى الكرام *** و إن أقصروا عنه لم يقصر

اجتاز على مجلس لبني عبس فناداه أحدهم بلقبه و كان يغضب منه فهجاه:

/أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ، و أخبرني عبد الوهّاب بن عبيد الصّحّاف الكوفيّ عن قعنب بن محرز الباهليّ عن المدائنيّ:

أنّ الأقيشر مرّ يريد الحيرة(4)، فاجتاز على مجلس لبني عبس، فناداه أحدهم: يا أقيشر، و كان يغضب منها، فزجره الأشياخ، و مضى الأقيشر ثم عاد إليه معه رجل و قال له: قف معي، فإذا أنشدت بيتا فقل لي: و لم ذلك، ثم انصرف، و خذ هذين الدرهمين. فقال له: أنا أصير معك إلى حيث شئت يا أبا معرض و لا أرزؤك شيئا، قال:

فافعل. فأقبل به حتى أتى مجلس القوم، فوقف عليهم ثم تأمّلهم و قد عرف الشابّ، فأقبل عليه و قال:

أ تدعوني الأقيشر ذلك اسمي *** و أدعوك ابن مطفئة السّراج

فقال له الرجل: و لم ذاك؟ فقال:

تناجي خذنها باللّيل سرّا *** و ربّ الناس يعلم ما تناجي

قال قعنب في خبره. فلقّب ذلك الرجل ابن مطفئة السراج.

ص: 168

1- في «الأصول»: «فلها» و التصويب من «مختار الأغاني». و فيه: على كل أحد».

2- وضع هذا الشطر في «ب، س» موضع الشطر الذي بعده و الذي بعد موضعه. و المكبر (وزان منزل) الكبر في السن.

3- في «ج»: «يحب».

4- كذا في «مختار الأغاني». و في «الأصول»: «بدير الحيرة».

كتب له أبو الضحاك التميمي شعرا يذمه فرد عليه و تكرر ذلك:

و قال قعنب في خبره عن المدائنيّ أخبرنا به اليزيديّ عن الخرّاز عن المدائنيّ في كتاب الجوابات، و لم يروه الباقون:

كان الأقيشر يكتري بغلة أبي المضاء المكاري فيركبها إلى الخمّارين بالحيرة. فركبها يوما و مضى لحاجته، و عند أبي المضاء رجل من تميم يكنى أبا الضّحّاك، فقال له: من هذا؟ قال: الأقيشر. فأخذ طبق الميزان و كتب فيه:

عجبت لشاعر من حيّ سوء *** ضئيل الجسم مبطان هجين

و قال لأبي المضاء: إذا جاء فأقرئه هذا. فلمّا جاء أقرأه. فقال له الأقيشر: ممن هو؟ قال: من بني تميم. فكتب الأقيشر تحت كتابه:

فلا أسدا أسبّ و لا تميما *** و كيف يجوز سبّ الأكرمين

و لكنّ التّميمي حال بيني *** و بينك يا ابن مضرطة العجين(1)

فهرب إلى الكوفة فلم يزد على هذا.

و قال قعنب في خبره عن المدائنيّ: فجاء التميمي فقرأ ما كتب، فكتب تحته:

يا أيها المبتغي حشّا(2) لحاجته *** وجه الأقيشر حشّ غير ممنوع

فلما قرأه قال: اللهم أني أستعديك عليه، و كتب تحته:

إني أتاني مقال كنت آمنة *** فجاء من فاحش في الناس مخلوع

عبد العزيز أبو الضحّاك منيته *** فيه من اللّؤم و هي غير ممنوع

و لم تبت أمّه إلاّ مطاحنة(3) *** و أن تؤاجر في سوق المراضيع

/ينساب ماء البرايا في استها سربا(4) *** كأنما انساب في بعض البلاليع

من ثمّ جاءت به و البظر حنّكه *** كأنه في استها تمثال يسروع(5)

فلمّا جاءه جزع و مشى إليه بقوم من بني تميم، فطلبوا أن يكفّ ففعل. و أمّا عبد اللّه بن خلف فذكر عن أبي عمرو الشيبانيّ أنّ الأقيشر قال هذا في مسكين.

و الشعر الذي فيه/الغناء يقوله الأقيشر في زكريّا بن طلحة الذي يقال له الفيّاض، و كان مدّاحا له.

1- يريد أن أمه يستخدمها الناس في شئونهم و منها ملك العجين، فكنى بمضرطة العجين عن أنها خادم. و إضراط العجين: ما يسمع عند ملكه من صوت. و هذا المعنى واضح في البيت الثالث من الأبيات العينية الآتية.

2- الحش هنا: بيت الخلاء.

3- يريد أن الناس يؤاجرونها لطحن برهم.

4- سربا: سائلا.

5- حنكه هنا: أحكمه. و اليسروع (بفتح الياء و ضمها، و يقال فيه الأسروع بضم الهمزة و فتحها أيضا و الجمع الأساريع): دودة حمراء الرأس بيضاء الجسد أو هي مخططة بسواد و حمرة.

سمع عبد الملك بن مروان شعرا له في طلحة الفياض فمدحه:

أخبرني الحسن بن عليّ عن العنزيّ عن [محمد بن] معاوية قال: غنّت جارية عند عبد الملك بن مروان بشعر الأقيشر:

قرّب اللّه بالسلام و حيّا *** زكريّا بن طلحة الفيّاض

معدن الضّيف إن أناخوا إليه *** بعد أين الطلائح الأنقاض(1)

ساهمات العيون خوص(2) رذايا *** قد براها الكلال بعد إياض(3)

زاده خالد ابن عمّ أبيه *** منصبا كان في العلا ذا انتقاض

فرع تيم من تيم مرّة حقّا *** قد قضى ذاك لابن طلحة قاض

/فقال عبد الملك للجارية: ويحك! لمن هذا؟ قالت: للأقيشر. قال: هذا المدح لا على طمع و لا فرق، و أشعر الناس الأقيشر.

لقيه الكميت فسمع من شعره و أثنى عليه:

و ذكر عبد اللّه بن خلف أنّ أبا عمرو الشيبانيّ أخبره أنّ الكميت بن زيد لقي الأقيشر في سفرة(4)، فقال له: أين تقصد يا أبا معرض؟ فقال:

سالني الناس أين يقصد هذا *** قلت آتى في الدار قرما سريّا

و ذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء، فلم يزل الكميت يستعيده إيّاها مرارا، ثم قال: ما كذب من قال إنك أشعر الناس.

كان عنينا فقال شعرا في ضدّ ذلك داعب به رجلا من قيس:

أخبرني عمّي عن الكرانيّ عن ابن سلاّم قال:

كان الأقيشر عنّينا، و كان لا يأتي النساء، و كان كثيرا ما كان يصف ضدّ ذلك من نفسه. فجلس إليه يوما رجل من قيس، فأنشده الأقيشر:

و لقد أروح بمشرف ذي شعرة(5) *** عسر المكرّة ماؤه يتفصّد

1- معـدن: اسم من عدن بالمكان إذا أقام به. و الأين: التعب. و في «الأصول»: «ابن» بالموحدة و هو تصـحيف. و الطلائح: جمع طليح و طليحة، و هو الذي أعياه السـير. و في «الأصول» ما عدا ج: «الطلائع»، و هو تحريف. و الأنقاض: جمع نقض (بالكسر) و هو المهزول من السير.

2- ساهمات العيون: متغيراتها. و المعروف في هذا أن يقال ساهم الوجه أي متغيره. قال عنترة: و الخيل ساهمة الوجوه كأنما يسقي فوارسها نقيع الحنظل و خوص: غائرات العيون، الواحد أخوص و خوصاء. و رذايا: مهزولات، و الواحد رذي و رذية.

3- كذا في «أكثر الأصول». و في «ج» هكذا: «أباض» بالباء الموحدة. و لم نهتد إلى ما نطمئن إليه في هذه الكلمة.

4- في «الأصول»: «في سفره».

5- في «أ، م»: «ذي كرة». و يتفصد: يسيل. و قد أورد هذين البيتين و معهما ثالث الخطيب التبريزي في «شرح ديوان الحماسة» لأبي تمام هكذا: و لقد غدوت بمشرف يافوخه عسر المكره ماؤه يتفصد مرح يمج من المراح لعابه و يكاد جلد إهابه يتقدّد حتى علوت به مشق ثنية طورا أغور بها و طورا أنجد

مرح يطير من المراح لعابه *** و تكاد جلدته به تتقدّد(1)

ثم قال للرجل: أتبصر الشعر؟ قال نعم. قال: فما وصفت؟ قال: فرسا قال: أ فكنت لو رأيته ركبته؟ قال: إي و اللّه و أثني عطفه. فكشف عن أيره و قال: هذا وصفت، فقم فاركبه. فوثب الرجل من مجلسه و جعل يقول له: قبحك اللّه من جليس! سائر اليوم.

دعاه عابس و هو في جنازة بنت زياد العصفري لغداء و شراب فقال شعرا:

و نسخت من كتاب عبد اللّه بن خلف: حدّثني أبو عمرو الشيبانيّ قال:

ماتت بنت زياد العصفريّ، فخرج الأقيشر في جنازتها، فلمّا دفنوها انصرف، فلقيه عابس مولى عائذ اللّه، فقال له: هل لك في غداء و طلاء(2) أتيت به من طيزناباذ(3)؟ قال نعم. فذهب به إلى منزله فغدّاه و سقاه، فلمّا شرب قال:

فليت زيادا لا يزلن(4) بناته *** يمتن و ألقى كلّما عشت عابسا

فذلك يوم غاب عنّي شرّه *** و أنجحت فيه بعد ما كنت آيسا

أخذه الشرط من حانة فتخلص منهم برشوة و قال شعرا:

و نسخت من كتابه: حدّثني أبو عمرو قال:

شرب الأقيشر في بيت خمّار بالحيرة، فجاءه الشّرط ليأخذوه، فتحرّز منهم و أغلق بابه و قال: لست أشرب، فما سبيلكم عليّ! قالوا: قد رأينا العسّ(5) في كفّك و أنت تشرب. قال: إنما شربت من لبن لقحة(6) لصاحب الدار، فلم يبرحوا حتى أخذوا منه درهمين. فقال:

إنّما لقحتنا باطية *** فإذا ما مزجت كانت عجب

/لبن أصفر صاف لونه *** ينزع الباسور من عجب الذّنب

إنما نشرب من أموالنا *** فسلوا الشّرطيّ ما هذا الغضب

سأل عبد الملك وفد بني أسد عنه و قال إنه شاعرهم:

أخبرني الحسن بن عليّ عن العنزيّ عن محمد بن معاوية قال:

دخل وفد بني أسد على عبد الملك بن مروان، فقال: من شاعركم يا بني أسد؟ قالوا: إنّ فينا لشعراء ما يرضى

1- المراح (وزان كتاب): اسم من المرح و هو الأشر و النشاط. و تتقدد: تنقطع.

2- الطلاء: من أسماء الخمر.

3- طيزناباذ: موضع بين الكوفة و القادسية على حافة الطريق.

4- أثبت الأقيشر هاهنا علامة الجمع في الفعل و هو غير الفصيح.

5- العس: القدح العظيم.

6- اللقحة (بالكسر و يفتح): الناقة الحلوب.

قومهم أن يفضّلوا عليهم أحدا. قال لهم: فما/فعل الأقيشر؟ قالوا: مات. قال: لم يمت، و لكنه مشتغل بعشقه، و ما أبعد أن يكون شاعركم إلاّ أنه يضيع نفسه. أ ليس هو القائل:

يا أيّها السائل عمّا مضى *** من علم هذا الزّمن الذاهب

إن كنت تبغي العلم أو أهله *** أو شاهدا يخبر عن غائب

فاعتبر الأرض بأسمائها *** و اعتبر الصاحب بالصاحب

سأل جارا له طحانا كان يقرض الناس فلم يعطه فقال فيه شعرا:

و ذكر عبد اللّه بن خلف عن أبي عمرو الشيبانيّ أنّ جارا للأقيشر طحّانا كان ينسئ(1) الناس يكنى أبا عائشة.

فأتاه الأقيشر يسأله فلم يعطه، فقال له:

يريد النساء و يأبى الرجال *** فما لي و ما لأبي عائشه

أدام له اللّه كدّ الرّجال *** و أثكله ابنته عائشه

فأعطاه ما أراد و استعفاه من أن يزيد شيئا.

تعرض له رجل من هجيم فهجاهم فاستكفوه فكف:

سخت من كتاب عبيد اللّه بن محمد اليزيديّ بخطّه: قال الهيثم بن عديّ حدّثني عطّاف بن عاصم بن الحدثان قال:

مرّ أعرابيّ من بني تميم كان يهزأ بالأقيشر، فقال له:

أبا معرض كن أنت إن متّ دافني *** إلى جنب قبر فيه شلو المضلّل

فعلّي أن أنجو من النار إنّها *** تضرّم للعبد اللئيم المبخّل

بذلك أوصاها الإله و لم تزل *** تحشّ(2) بأوصال و ترب و جندل

و أنت بحمد اللّه إن شئت مفلتي *** بحزمك فاحزم يا أقيشر و اعجل

فقال له: ممن أنت؟ قال: من بني تميم ثم أحد بني الهجيم بن عمرو بن تميم، فقال الأقيشر:

تميم بن مرّ كفكفوا عن تعمّدي *** بذلّ فإنّي لست بالمتذلّل

أ يهزأ بي العبد الهجيميّ ضلّة *** و مثلي رمي ذا التّدرأ(3) المتضلّل

1- ينسئ الناس: يريد ينسئ الناس الدين أي يقرضهم و يؤخرهم بالدين.

2- حش النار أوقدها. و الأوصال: المفاصل، واحدها وصل (بضم أوله و كسره و سكون ثانيه). و الوصل: كل عظم على حدة لا يكسر و لا يخلط بغيره و لا يوصل به غيره. و الجندل: الحجارة.

3- في «الأصول الخطية»: «ذا النذرا» بالنون و الذال المعجمة. و في «ب، س»: «ذا الناذر» و هما تحريف. يقال: فلان ذو تدرإ أي ذو حفاظ و منعة و قوّة على أعدائه و مدافعة، يكون ذلك في الحرب و في الخصومة. و المتضلل إن جعل وصفا لذي تدرإ كان جره للمجاورة؛ كما قال امرؤ القيس: كأنّ ثبيرا في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مزمل و إن جعل وصفا لتدرإ أي حفاظ و قوّة كان الوصف به على التجوّز، و يكون المعنى: و مثلي رمى ذا الحفاظ الأحمق العنيف.

بداهية دهياء لا يستطيعها *** شماريخ(1) من أركان سلمى و يدبل

و باللّه لو لا أنّ حلمي زاجري *** تركت تميما ضحكة كلّ محفل(2)

فكفّوا رماكم ذو الجلال بخزية *** تصبّحكم في كلّ جمع و منزل

فأنتم لئام الناس لا تنكرونه *** و ألأمكم طرّا حريث بن جندل

فصار إليه شيوخ من بني الهجيم و اعتذروا إليه و استكفّوه فكفّ.

شرب مع مقعد و أعمى و غناهم مغن فطربوا فقال هو شعرا:

أخبرني الأخفش قال حدّثني أبو الفيّاض بن أبي شراعة عن أبيه قال:

شرب الأقيشر بالحيرة في بيت فيه خيّاط مقعد و رجل أعمى، و عندهم مغنّ مطرب، فطرب الأقيشر، فسقاهم من شربه، فلمّا انشتوا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم، و قفز الخيّاط المقعد يرقص على ظلعة(3)/و يجهد في ذلك كلّ جهد. فقال الأقيشر:

/

و مقعد قوم قد مشى من شرابنا *** و أعمى سقيناه ثلاثا(4) فأبصرا

شرابا كريح العنبر الورد ريحه *** و مسحوق هنديّ من المسك أذفرا(5)

من الفتيات الغرّ من أرض بابل *** إذا شفّها(6) الحاني من الدّنّ كبّرا

لها من زجاج الشام عنق غريبة *** تأنّق فيها صانع و تخيّرا

ذخائر فرعون التي جبيت له *** و كلّ يسمّى بالعتيق مشهّرا

إذا ما رآها بعد إنقاء غسلها *** تدور علينا صائم القوم أفطرا

كان صاحب سراب و ندامى تفرق أصحابه فقال شعرا:

أخبرنا علي بن سليمان قال حدّثني سوّار قال حدّثني أبي قال:

كان الأقيشر صاحب شراب و ندامى، فأشخص الحجّاج بعض ندمائه إلى بعض [النواحي(7)]، و مات بعضهم، و نسك بعضهم، و هرب بعضهم؛ فقال في ذلك:

غلب الصّبر فاعترتني هموم *** لفراق الثّقات من إخواني

مات هذا و غاب هذا و هذا *** دائب في تلاوة القرآن

ص: 173

1- الشماريخ هنا: رءوس الجبال، واحدها شمراخ. و سلمى و يذبل جبلان.

2- يريد: صيرتهم ضحكة في كل محفل.

3- الظلع: العرج.

4- في «ج»: «شرابا».

5- المسك الأذفر: البالغ الغاية في الجودة.

6- كـذا في «الأصول»!. و الحاني هنا: بائع الخمر، نسـبة إلى الحانيـة و هي الحانوت: المكان الـذي تباع فيه الخمر، أو نسـبة إلى الحانة. و خففت ياء النسب للشعر.

7- زيادة يقتضيها السياق.

و لقد كان قبل إظهاره النّس *** ك قديما من أظرف الفتيان(1)

شعر له في بغل أبي المضاء و كان يكتريه فيركبه إلى الحيرة:

و أخبرني أبو الحسن الأسديّ عن العنزيّ قال قال ابن الكلبيّ حدّثني سلمة بن عبد سواع(2) عن أبيه قال:

كان الأقيشر لا يسأل أحدا أكثر من خمسة دراهم، يجعل درهمين في كراء بغل إلى الحيرة، و درهمين للشراب، و درهما للطعام. و كان له جار يكنى أبا المضاء له بغل يكريه، و كان يعطيه درهمين و يأخذ بغله فيركبه إلى الحيرة، حتى يأتي بيت/الخمّار فينزل عنده و يربطه بلجامه و سرجه - فيقال إنه أعطى ثمنه في الكراء - ثم يجلس فيشرب حتى يمسي، ثم يركبه و ينصرف. فقال في ذلك:

يا بغل بغل أبي المضاء تعلّمن *** أنّي حلفت و لليمين نذور

لتعسّفنّ(3) و إن كرهت مهامها *** فيما أحبّ و كلّ ذاك يسير

بالرغم يا ولد الحمار قطعتها *** عمدا و أنت مذلّل مصبور

حتى تزور مسمّعا(4) في داره *** و ترى المدامة بالأكفّ تدور

لا يرفعون بما يسوؤك نعرة *** و إذا سخطت فخطب ذاك صغير

خدعته امرأة بأنها أم حنين الخمار و أخذت منه درهمين، فأخذ يهجو أم حنين حتى استرضاه حنين:

قال: فأتى يوما من الأيّام بيت الحمّار الذي كان يأتيه فلم يصادفه فجعل ينتظره، و دخلت الدار امرأة عباديّة(5)، فقال لها: ما فعل فلان؟ قالت: مضى في حاجة و أنا امرأته، فما تريد؟ قال: نبيذا. قالت بكم؟ قال:

بدرهمين. قالت: هلمّ درهميك و انتظرني. قال لا(6). قالت: فذلك إليك، و مضت و تبعها، فدخلت دارا لها بابان و خرجت من أحدهما و تركته. فلمّا طال جلوسه خرج إليه بعض أهل الدار، قالوا: و ما يجلسك؟ فأخبرهم. فقالوا له: تلك امرأة محتالة يقال لها أمّ حنين من العباديّين. فعلم أنه قد خدع، فانصرف إلى خمّاره فأخبره بالقصة و قال له: أنسئني(7) اليوم فاسقني ففعل. و أنشأ الأقيشر يقول:

/

لم يغرّر بذات خفّ سوانا *** بعد أخت العباد أمّ حنين

وعدتنا بدرهمين نبيذا *** أو طلاء معجّلا غير دين

ثم ألوت بالدرهمين جميعا *** يا لقومي لضيعة(8) الدرهمين

1- في «ح»: «في أظرف الفتيان». و في «أ، م»: «في أظهر الفتيان».

2- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «عبد سراع» بالراء.

3- عسف المفازة: (بالتشديد) مثل عسفها و اعتسفها و تعسفها أي قطعها بغير قصد و لا هداية. و المهامة: جمع مهمة، و هو المفازة البعيدة و البلد القفر.

4- في «ج»: «سميعا». و يجب أن يكون مشدّد الياء ليستقيم الوزن، و إنما سمى العرب سميعا (وزان زبير).

5- عبادية: نسبة إلى العباد و هم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة.

6- يريد: لا أنتظر، أما الدرهما فيدل سياق الكلام على أنه أعطاهما إياها.

7- كذا في «ج». و الإنساء و النسيء: التأخير في الدين و في العمر. و في «سائر الأصول»: «أنشنى اليوم فامتعني».

8- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «لصعبة الدرهمين» و هو تحريف.

و ذكر هـذا الخبر عبـد اللّه بن خلف عن أبي عمرو الشّيبانيّ و زاد فيه: أنّ الخمّار كان يسـمّى بحنين، و أنّ المرأة المحتالـة قالت له: إنها أمّ حنين الخمّار الذي كان يعامله حتى أخذت الدرهمين ثم هربت منه، و ذكر الأبيات الثلاثة التي تقدّمت، و بعدها:

عاهدت زوجها و قد قال إنّي *** سوف أغدو لحاجتي و لديني

فدعت كالحصان أبيض جلدا *** وافر الأير مرسل الخصيتين

قال ما أجر ذا هديت فقالت *** سوف أعطيك أجره مرّتين

فأبدأ الآن بالسّفاح فلمّا *** سافحته أرضته بالأخريين

تلّها(1) للجبين ثمّ امتطاها *** عالم الأير أفحج(2) الحالبين

بينما ذاك منهما و هي تحوي *** ظهره بالبنان و المعصمين

جاءها زوجها و قد شام فيها *** ذا انتصاب موثّق الأخدعين(3)

فتأسّى و قال ويل طويل *** لحنين من عار أمّ حنين

قال: فجاء حنين الخمّار فقال له: يا هذا ما أردت بهجائي و هجاء أمّي؟!. قال: أخذت منّي درهمين و لم تعطيني شرابا. قال: و اللّه ما تعرفك أمّي و لا أخذت منك شيئا قطّ، فانظر إلى أمّي فإن كانت هي صاحبتك غرمت لك الدرهمين. قال: لا و اللّه ما أعرف غير أمّ حنين، ما قالت لي إلاّ ذلـك، و لا أهجو إلاّ أمّ حنين/و ابنها، فإن كانت أمّك فإيّاها أعني. و إن كانت أمّ حنين أخرى فإيّاها أعني. فقال: إذا لا يفرّق الناس بينهما. قال: فما عليّ إذا! أ ترى درهميّ يضيعان! فقال له: هلمّ إذا أغرمهما لك و أقم ما تحتاج إليه، لا بارك اللّه لك! ففعل.

استكتبه العريان بن الهيثم من ملحه ثم أرسل له خمسين درهما فاستقلها و هجاه، ثم استرضاه أبوه الهيثم:

قال عبد اللّه و حدّثني أبو عمرو قال:

كان العريان بن الهيثم النّخعيّ صديقا للأقيشر، فقال له: يا أقيشر إنّي أريد أن أمتدّ إلى الشام فأكتبني(4) من ملحك فأكتبه. فخرج إلى الشام فأصاب مالا، فبعث إلى الأقيشـر بخمسـين درهما، ففعل(5) و قـال: هـات. قـال المولى: على أن تهجوه إذ وضع منـك؟ قـال نعم، فأعطاه خمسين درهما. و قال الأقيشر:

و سألتني يوم الرّحيل قصائدا *** فملأتهنّ قصائدا و كتابا

إنّي صدقتك إذ وجدتك صادقا(6) *** و كذبتني فوجدتني كذّابا

و فتحت بابا للخيانة عامدا *** لمّا فتحت من الخيانة بابا

1- تلها للجبين: صرعها. يريد أنه قلبها و ألقاها على وجهها.

2- أفحج الحالبين: متباعد ما بينهما.

3- الأخدعان: عرقان في جانبي العنق.

4- الإكتاب هنا: الإملاء. و في «ب، س»: «فاكتب لي» و هو تحريف.

5- كذا في «الأصول». و الكلام هنا غير واضح؛ و أحسب أنه وقع بين الأقيشر و المولى رسول العريان حوار سقط من النساخ.

6- في «الأصول»: «كاذبا» و هو تحريف.

و كان أبو العريان على الشّرطة، فخافه الأقيشر من هجاء ابنه. و بلغ الهيثم هذه الأبيات فبعث إليه بخمسمائة درهم و سأله الكفّ عن ابنه و ألاّ يشهّره(1)، فأخذها و فعل.

خطب رجل من حضر موت امرأة من بني أسد و سأله عنها فهجاه:

قال أبو عمرو: و خطب رجل من حضر موت امرأة من بني أسد، فأقبل يسأل عنها و عن حسبها و أمّهاتها، حتى جاء الأقيشر فسأله عنها. فقال له: من [أين(2)] أنت؟ قال: من حضر موت. /فأنشأ يقول:

/

حضر موت فتّشت أحسابنا *** و إلينا حضر موت تنتسب

إخوة القرد و هم أعمامه *** برئت منكم إلى اللّه العرب

طلبت إليه عمته أن يصلي فقال اختاري إما الصلاة أو الوضوء:

أخبرني الحسن بن عليّ عن أبي أيّوب المدينيّ قال قال أبو طالب الشاعر حدّثني رجل من بني أسد قال:

سمعت عمّة الأقيشر تقول له يوما: اتّق اللّه و قم فصلّ، فقال: لا أصلّي. فأكثرت عليه، فقال: قد أبرمتني، فاختاري خصلة من خصلتين. إمّا أن أصلّي و لا أتطهّر، و إمّا أن أتطهّر و لا أصلّي. قالت: قبحك اللّه! فإن لم يكن غير هذا فصلّ بلا وضوء.

جاءه شرطي و هو يشرب فخافه و سقاه بأنبوب من ثقب الباب:

قال أبو أيّوب: و حدّثت أنه شرب يوما في بيت خمّار بالحيرة، فجاء شرطيّ من شرط الأمر ليدخل عليه، فغلّق الباب دونه. فناداه الشّرطيّ اسقني نبيذا و أنت آمن. فقال: و اللّه ما آمنك، و لكن هذا ثقب في الباب فاجلس عنده و أنا أسقيك منه، ثم وضع له أنبوبا من قصب في الثّقب و صبّ فيه نبيذا من داخل و الشرطيّ يشرب من خارج الباب حتّى سكر. فقال الأقيشر:

سأل(3) الشّرطيّ أن نسقيه *** فسقيناه بأنبوب القصب

إنما نشرب من أموالنا *** فسلوا الشّرطيّ ما هذا الغضب

أعطاه قيس بن محمد مالا و نجمه له فكرر ذلك مرارا فرده فهجاه:

أخبرني عمّي عن الكرانيّ عن قعنب بن المحرز، و حدّثنا(4) محمد بن خلف عن أبي أيّوب المدينيّ عن قعنب(5) بن الهيثم بن عديّ قال:

كان قيس بن محمد بن الأشعث ضرير البصر، فأتاه الأقيشر فسأله، فأمر قهرمانة(6) فأعطاه ثلاثمائة درهم،

1- كذا في ج. و في «سائر الأصول»: «و الاستهزاء» و هو تحريف.

2- زيادة يقتضيها السياق.

3- في «ب، س»: «سالني».

4- في «أكثر الأصول»: «قال حدّثنا محمد بن خلف...». و التصويب من ج. و المؤلف يروي كثيرا عن محمد بن خلف وكيع عن أبي أيوب المديني.

5- لم نجد هذا الاسم في الرواة. و يخيل إلينا أن في السند تحريفا.

6- القهرمان: الوكيل أو أمين الدخل و الخرج.

فقـال: لا أريـدها جملـة، و لكن مر القهرمان أن/يعطيني في كلّ يوم ثلاثـة دراهم حتى تنفـد. فكان يأخـذها منه، فيجعل درهما لطعامه، و درهما لشرابه، و درهما لدابّة تحمله إلى بيوت الخمّارين. فلمّا نفدت الدراهم أتاه الثانية فسأله فأعطاه و فعل مثل ذلك، و أتاه الثالثة فأعطاه و فعل مثل ذلك، و أتاه الرابعة فسأله. فقال له قيس: لا أبا لك! كأنّك قد جعلت هذا خراجا علينا. فانصرف و هو يقول:

أ لم تر قيس الأكمه ابن محمد *** يقول و لا تلقاه للخير يفعل

رأيتك أعمى العين و القلب ممسكا *** و ما خير أعمى العين و القلب يبخل

فلو صمّ تمّت لعنة اللّه كلّها *** عليه و ما فيه من الشرّ أفضل

فقال قيس: لو نجا أحد من الأقيشر لنجوت منه.

كان سكران فحكموه في الصحابة فقال شعرا:

أخبرني أبو الحسن الأسديّ عن العنزيّ عن محمد بن معاوية قال:

اختصم قوم بالكوفـة في أبي بكر و عمر و عثمـان و عليّ، فقـالوا: نجعـل بيننـا أوّل من يطلع علينا. فطلع الأقيشـر عليهم و هو سـكران. فقال بعضهم لبعض: انظروا من حكمنا. فقالوا: يا أبا معرض قد حكّمناك. قال: في ما ذا؟ فأخبروه. فمكث ساعة ثم أنشأ يقول:

إذا صلّيت خمسا كلّ يوم *** فإنّ اللّه يغفر لي فسوقي

و لم أشرك بربّ الناس شيئا *** فقد أمسكت بالحبل الوثيق

/و هذا الحقّ ليس به خفاء *** و دعني من بنيّات الطّريق(1)

أعطاه ابن رأس البغل مهر ابنة عم له فمدحه فاعترض عليه فأجابه:

قـال محمـد بن معاويـة: و تزوّج الأقيشـر ابنـة عمّ له يقـال لها الرّباب، على أربعـة آلاف درهم، و يقال على عشـرة آلاف درهم، فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئا؛ فأتى ابن رأس البغل و هو دهقان الصّين و كان مجوسيّا، فسأله فأعطاه الصّداق. فقال الأقيشر:

كفاني المجوسيّ مهر الرّباب *** فدى للمجوسيّ خالي(2) و عم

شهدت بأنّك رطب(3) المشاش *** و أنّ أباك الجواد الخصم

و أنّك سيّد أهل الجحيم *** إذا ما تردّيت فيمن ظلم

تجاور قارون في قعرها *** و فرعون و المكتنى بالحكم

ذهب إلى عكرمة بن ربعي فلم يعطه فهجاه:

1- بنيـات الطريق: الطرق الصـغار المتشـبعة من الطريق الأـعظم. و يضـرب بهـا المثل فيقال: «دع عنك بنيات الطريق» أي عليك بمعظم الأمر و دع الروغان. (عن كتاب ما يعول عليه في المضاف و المضاف إليه).

2- في «ج»: «خال و عم».

3- يقال: فلان لين المشاش إذا كان طيب النحيرة عفيفا عن الطمع. و يقال: فلان طيب المشاش إذا كان كريم النفس.

فقال له المجوسيّ: ويحك! سألت قومك فلم يعطوك و جئتني فأعطيتك، فجزيتني هذا القول و لم أفلت من شعرك و شرّك! قال: أ و ما ترضى أن جعلتك مع الملوك و فوق(1) أبي جهل!. ثم جاء إلى عكرمة بن ربعيّ التميميّ فلم يعطه، فقال فيه:

سألت ربيعة من شرّها *** أبا ثم أمّا فقالوا لمه

فقلت لأعلم من شرّكم *** و أجعل بالسبّ فيه سمه(2)

فقالوا لعكرمة المخزيات *** و ما ذا يرى الناس في عكرمه

فإن يك عبدا زكا ماله *** فما غير ذا فيه من مكرمه

شرب بما معه و بثيابه ثم جلس في تبن و حديث الخمار معه:

قال ابن الكلبيّ: و شرب الأقيشر في حانة خمّار حتى أنفد ما معه، ثم شرب بثيابه حتى غلقت(3) فلم يبق عليه شيء، و جلس في تبن إلى جانب البيت إلى حلقه مستدفئا به. فمرّ رجل به ينشد ضالّة، فقال: اللّهمّ اردد عليه و احفظ علينا. فقال/له الخمّار: سخنت عينك! أيّ شيء يحفظ عليك ربّك؟ قال: هذا التّبن لا تأخذه فأموت من البرد. فضحك الخمّار و ردّ عليه ثيابه و قال: اذهب فاطلب ما تشرب به، و لا تجئني بثيابك فإنّي لا أشتريها بعد ذلك.

لقيه هشام الشرطي و هو سكران فحاوره في سكره:

قال ابن الكلبيّ: و اجتاز الأقيشر برجل يقال له هشام(4) و كان على شرطة عمرو بن حريث و هو سكران، فدعا به فقال له: أنت سكران؟ قال لا. قال: فما هذه الرائحة؟ قال: أكلت سفرجلا، ثم قال:

يقولون لي انكه(5) شربت مدامة *** فقلت كذبتم بل أكلت سفر جلا

فضحك منه ثم قال: فإن لم تكن سكران فأخبرني كم تصلّي في كلّ يوم. فقال:

يسائلني هشام(6) عن صلاتي *** صلاة المسلمين فقلت خمس

صلاة العصر و الأولى ثمان *** مواترة فما فيهنّ لبس

و عند مغيب قرن الشمس وتر *** و شفع بعدها فيهنّ حبس

و غدوة اثنتان معا جميعا *** و لمّا تبد للراءين شمس

و بعدهما لوقتهما صلاة *** لنسك بالضّحاء إذا نبسّ(7)

1- في «أ، م»: «و دون».

2- سمة: علامة.

3- الغلق هنا: ضد الفك. و هو يريد هنا حتى صارت حقا للخمار.

4- كذا في «ج». و في «سائر الأصول» هنا: «هشيم». و لم نهتد لوجه الصواب فيه. و قد ذكر هذا الاسم في هذا الخبر أربع مرات و سننبه على رسمه في كل موضع.

5- نكه فلان (من بابي ضرب و منع): أخرج نفسه إلى أنف آخر، و نكهه (من بابي سمع و منع) و استنكهه: شم ريح فمه.

6- في «كل الأصول» هنا: «هشيم».

7- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «تبس» بالتاء. و للنبس عدّة معان، و لك منها معناه عمل من أعمال الحياة. و لعله يريد أن صلاة النسك بالضحاء تكون حين نقوم بشئوننا في الحياة.

/

أ أحصيت الصلاة أيا هشاما(1)*** فذاك مكدّر الأخلاق جبس(2)

/تعوّد أن يلام فليس يوما *** بحامده من(3) الأقوام انس

قال: فضحك هشام(4) و قال: بلى قد أخبرتنا يا أبا معرض، فانصرف راشدا.

استنشد قتيبة بن مسلم مرداس بن جذام شعره في قدامة بن جعدة:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي عبيدة قال:

قدم رجل من بني سلول على قتيبة بن مسلم بكتاب عامله على الريّ و هو المعلّى بن عمرو المحاربيّ، فرآه(5)على الباب قدامة بن جعدة بن هبيرة المخزوميّ و كان صديقا لقتيبة، فدخل عليه فقال له: ببابك ألأم العرب، سلوليّ رسول محاربيّ إلى باهليّ. فتبسّم قتيبة تبسّما فيه غيظ. و كان قدامة بن جعدة يتّهم بشرب الخمر، و كان الأقيشر ينادمه. فقال قتيبة: ادعوا لي مرداس بن جذام الأسديّ فدعي. فقال له: أنشدني ما قال الأقيشر في قدامة بن جعدة و هو بالحيرة. فأنشده [قوله(6)]:

ربّ ندمان كريم ماجد *** سيّد الجدّين من فرعي مضر

قد سقيت الكأس حتى هرّها(7) *** لم يخالط صفوها منه كدر

قلت قم صلّ فصلّى قاعدا *** تغشّاه سمادير(8) السّكر

قرن الظّهر مع العصر كما *** تقرن الحقّة(9) بالحقّ الذّكر

/ترك الفجر فما يقرؤها *** وقرا الكوثر من بين السّور

قال: فتغيّر لون القرشيّ(10) و خجل. فقال له قتيبة: هذه بتلك، و البادئ أظلم.

استنشده عبد الملك أبياته في الخمر و حاوره فيها:

أخبرني الأخفش عن محمد بن الحسن(11) بن الحرون قال حدّثنا الكسرويّ(12) عن الأصمعيّ قال:

قال عبد الملك للأقيشر: أنشدني أبياتك في الخمر، فأنشده قوله:

1- كذا في «ج». و في: «سائر الأصول»: «أبا هشام».

2- في «الأصول»: «حبس». و الحبس: الجامد الثقيل الروح، و الفاسق، و الجبان، و اللئيم. و لعله يعرّض بشخص آخر.

3- كذا في «أ، م». و في «سائر الأصول»: «إلى الأقوام».

4- في «كل الأصول» هنا: «هشام».

5- في «الأصول» ما عدا «ج»: «فرأى» و هو تحريف.

6- زيادة عن «ج».

7- هرها: كرهها. و وردت هذه الكلمة في «الأصول» محرفة، ففي بعضها «هرما». و في بعضها «مرها».

8- السمادير هنا: شيء يتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر.

9- الحقة من الإبل: الداخلة في السنة الرابعة.

10- كذا في «الأصول». و لعل صوابه «المخزومي» فإنه كذلك تقدم، و إن كان بنو مخزوم من قريش.

11- راجع الحاشية رقم 4 صفحة 26 من الجزء الثاني من طبعة دار الكتب المصرية.

12- في «أكثر الأصول»: «السكري» و التصويب من «ج». (و راجع الحاشية رقم 5 صفحة 26 ج 2 من طبعة دار الكتب المصرية).

تريك القذى من دونها و هي دونه *** لوجه أخيها في الإناء قطوب

كميت إذا فضّت و في الكأس وردة *** لها في عظام الشاربين دبيب

فقال له: أحسنت يا أبا معرض! و لقد أجدت وصفها، و أظنّك قد شربتها، فقال: و اللّه يا أمير المؤمنين إنه ليريبني منك معرفتك بهذا.

قصة له مع بعض ندمائه في حانة:

أخبرني الحسن بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن ابن الكلبيّ عن رجل من الأزد قال:

كان الأقيشر يأتي إخوانا له يسألهم فيعطونه، فأتى رجلا منهم فأمر له بخمسمائة درهم، فأخذها و توجّه إلى الحانة و دفعها إلى صاحبها و قال له: أقم لي ما أحتاج إليه ففعل ذلك، و انضمّ إليه رفقاء له، فلم يزل معهم حتى نفدت الدّراهم، فأتاهم بعد إنفاقها بيوم ثم أتاهم من غد فاحتملوه، فلمّا أتاهم في اليوم الثالث نظر إليه أصحابه من بعيد فقالوا لصاحب الحانة: أصعدنا إلى غرفتك هذه و أعلم الأقيشر أنّا لم نأت اليوم. فلمّا جاء الأقيشر أعلمه ما قالوه له. فعلم الأقيشر أنه لا فرج له عند صاحب/الحانة إلا برهن، فطرح إليه ثيابه و قال له: أقم لي ما أحتاج إليه ففعل. فلما أخذ فيه الشراب أنشأ يقول:

يا خليليّ اسقياني كأسا *** ثم كأسا حتّى أخّر نعاسا

إنّ في الغرفة التي فوق رأسي *** لأناسا يخادعون أناسا

يشربون المعتق الراح صرفا *** ثم لا يرفعون بالزّور راسا

/فلمّا سمع أصحابه هذا الشعر فدوه بآبائهم و أمّهاتهم ثم قالوا له: إمّا أن تصعد إلينا أو ننزل إليك، فصعد إليهم.

قصته مع عمه و بشر بن مروان حين مدح بشرا فوصله:

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه قال حدّثني أبو مسلم المستملي عن المدائني قال:

مدح الأقيشر بشر بن مروان و دخل إليه فأنشده القصيدة(1) و عنده أيمن بن خزيم بن فاتك الأسديّ، فقال أيمن: هذا و اللّه كلام حسن من جوف خرب. فأجابه بالبيت(1) المذكور. و قال أبو عمرو أيضا في خبره: فلمّا صار الأقيشر إلى منزله بعث عمّه فأخذ منه الألف الدّرهم و قال: و اللّه لا أخلّيك تفسدها و تشرب بها الخمر. قال: فتصنع بها ما ذا؟ قال: أكسوك و اكسو عيالك و أعدّ لك قوت عامك. فتركه و دخل على بشر فقال له:

أبلغ أبا مروان أنّ عطاءه *** أزاغ(2) به من ليس لي بعيال

قال: و من ذلك؟ فأخبره الخبر. فأمر صاحب شرطته أن يحضر عمّه و ينتزع منه الألف الدرهم و يسلّمها إليه، و قال:

خذها و نحن نقوم لعيالك بما يصلحهم.

مدح خمارة بشعر داعر فسرّت به:

أخبرني هاشم بن محمد عن أبي غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال:

ص: 180

1- سياق هذا الخبر يدل على أن في الكلام سقطا من النساخ؛ فإن الكلام كله هاهنا مضطرب.

2- كذا في «الأصول»!.

مرّ الأقيشر بخمّارة بالحيرة يقال لها دومة، فنزل عندها فاشترى منها نبيذا، ثم قال لها جوّدي لي الشّراب حتى أجيد لك المدح ففعلت. فأنشأ يقول:

ألا يا دوم دام لك النّعيم *** و أسمر ملء كفّك مستقيم

شديد الأسر ينبض(1) حالباه *** يحمّ كأنّه رجل سقيم

يروّيه الشراب فيزدهيه *** و ينفخ فيه شيطان رجيم

قال: فسرّت به الخمّارة و قالت: ما قيل فيّ أحسن من هذا و لا أسرّ لي منه.

مدح فاتك بن فضالة حين وفد على عبد الملك:

أخبرني أبو الحسن الأسـديّ عن حمّاد بن إسـحاق عن أبيه عن أيّوب بن عبايـة قال: كان فاتك بن فضالة بن شـريك الأسديّ كريما على بني أميّة، و هو الوافد على عبد الملك بن مروان قبل أن ينهض إلى حرب ابن الزّبير، فضـمن له على أهل العراق طاعتهم و تسليم بلادهم إليه، و أن يسلموا مصعبا إذا لقيه و يتفرّقوا عنه. و له يقول الأقيشر في هذه الوفادة.

وفد الوفود فكنت أفضل وافد *** يا فاتك بن فضالة بن شريك

تولى الكوفة رجل من بني تميم فانكسر المنبر من تحته فهجاهم:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن السّكّريّ قال حدّثني ابن حبيب قال:

ولي الكوفة رجل من بني تميم يقال له مطر(2)؛ فلما علا المنبر انكسرت الدّرجة من تحته فسقط عنها؛ فقال الأقيشر:

/

ابني تميم ما لمنبر ملككم *** ما يستقرّ قراره يتمرمر(3)

إنّ المنابر أنكرت أستاهكم *** فادعوا خزيمة يستقرّ المنبر

سئل عن قريظة بن قرظة فتكاسل عن ذكر اسمه فهجاه فرد عليه:

أخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال:

مرّ رجل من محارب يقال له قريظـة بن يقظة بالأقيشـر الأسديّ و هو في مجلس من مجالس بني أسد، فسـلّم على الأقيشـر و كان به عارفا. فقال له القوم: من هذا يا أبا معرض؟ و كان/مخمورا، فقال:

و من لي بأن أستطيع أن أذكر اسمه *** و أعيا عقالا أن يطيق له ذكرا(4)

1- الأسر: شدّة الخلق. و ينبض: يتحرك.

2- في «ج، ب، س»: «مطرف» و هو تحريف. و هو مطر بن ناحيـة اليربوعي، كان غلب على الكوفة أيام الضـحاك بن قيس الشاري. (راجع كتاب «الشعر و الشعراء» صفحة 353) و فيه بعـد البيتين اللذين ذكرهما المؤلف: خلعوا أمير المؤمنين و بايعوا مطرا لعمرك بيعة لا تظهر و استخلفوا مطرا فكان كقائل بدل لعمرك من يزيد أعور

3- يتمرمر: يهتز و يضطرب.

4- كـذا في «الأـصول». و يحتمـل أن يكون صوابه «و أوعيا عقالا أن أطيق له ذكرا» أي أعيا أنا أن أطيق له ذكر الاعتقال لساني. على أننا لم نجد «عقالا» في «معجمات اللغة» بمعنى اعتقال اللسان.

قال: فضحك القوم و قالوا: سبحان اللّه! أيّ شيء تقول؟ فقال: اسمه و نسبه أعظم من أن أقدر على ذكرهما في يوم، فإن شئتم سميته اليوم و نسبته غدا، و إن شئتم نسبته اليوم و سمّيته غدا. قالوا: هات اسمه اليوم. فقال:

قريظة(1). فقال رجل منهم: ينبغي أن يكون ابن يقظة. فقال الأقيشر: صدقت و اللّه و أصبت، و لقد أثقلني اسمه حين ذكرته أن أقول نعم. فبلغ قريظة(2) قوله و كان شاعرا فقال:

لسانك من سكر ثقيل عن التّقى *** و لكنّه بالمخزيات طليق

و أنت حقيق يا أقيشر أن ترى *** كذاك إذا ما كنت غير مفيق

تسفّ من الصهباء صرفا تخالها *** جنى النّحل يهديه إليك صديق

فبلغ الأقيشر قول المحاربيّ و كان يكنى أبا الذيّال، فأجابه فقال:

عدمت أبا الذيّال من ذي نوالة(3) *** له في بيوت العاهرات طريق

/أبا الخمر عيّرت امرأ ليس مقلعا *** و ذلك رأيي لو علمت وثيق

سأشربها ما دمت حيّا و إن أمت *** ففي النّفس منها زفرة و شهيق

سمع الرشيد من يتغنى بشعر له في توبته من الخمر فأعجب به:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال:

بلغني أنّ الرشيد سمع ليلة رجلا يغنّي:

إن كانت الخمر قد عزّت و قد منعت *** و حال من دونها الإسلام و الحرج

فقد أباكرها صرفا و أشربها *** أشفي بها غلّتي صرفا و أمتزج(4)

و قد تقوم على رأسي مغنّية *** لها إذا رجّعت في صوتها غنج

و ترفع الصوت أحيانا و تخفضه *** كما يطنّ ذباب الرّوضة الهزج

قال: فوجّه في أثر الصوت من جاءه بالرجل و هو يرعد، فقال: لا ترع فإنّما أعجبني حسن صوتك. فقال: و اللّه يا أمير المؤمنين ما تغنّيت بهذا الشعر إلاّ و أنا قد تبت من شرب النّبيذ، و هذا شعر يقوله الأقيشر في توبته من النّبيذ.

فقال له الرشيد: و ما حملك على تركه؟ قال: خشية اللّه. و إنّي فيه يا أمير المؤمنين كما قال زيد بن ظبيان:

جاءوا بقاقزّة(5) صفراء مترعة *** هل بين ذي كبرة و الخمر من نسب

1- في «ج» «قرظة».

2- في هذا البيت إقواء.

3- كذا في «الأصول»!.

4- في «ديوان أبي محجن» (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية): فقد أباكرها ريا و أشربها صرفا و أطرب أحيانا فأمتزج و قال شارحه: «أراد فقد باكرتها و شربتها صرفا و ربما طربت فمزجتها. و كان ينبغي أن يقول شربتها ممزوجة و ربما طربت فأصرفتها. و لما قاله وجه، و هو أنه إذا طرب مزجها لئلا تدخله في السكر. و جاء بلفظ المستقبل و هو يريد الماضي».

5- القاقزة: الصغيرة من القوارير (أي الكأس الصغيرة)، و يقال فيها «قاقوزة» و «قازوزة» فارسية معربة.

بئس الشّراب شرابا حين تشربه *** يوهي العظام و طورا مفتر العصب

إنّي أخاف مليكي أن يعذّبني *** و في العشيرة أن يزري على حسبي

/فقال له الرشيد: أنت(1) و ما اخترت أعلم، فأعد الصوت، فأعاده. و أمر بإحضار المغنّين و استعاده، و أمرهم بأخذه عنه فأخذوه، و وصله و انصرف، و كان صوت الرّشيد أيّاما. هكذا ذكر إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبّة في هذا الخبر أنّ الأبيات للأقيشر، و وجدتها في شعر أبي محجن الثّقفيّ له لمّا تاب من الشّراب.

خرج لغزو الشام فباع حماره و أنفق ثمنه في الفجور ثم رجع مع الغازين:

أخبرني عليّ بن سليمان قال/حدّثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب قال:

كان القباع(2)، و هو الحارث بن عبد اللّه بن أبي ربيعة، قد أخرج الأقيشر مع قومه لقتال أهل الشّأم، و لم يكن عند الأقيشر فرس فخرج على حمار، فلمّا عبر جسر سورا(3) فوصل لقرية يقال لها قنّين(4) توارى عند خمّار نبطيّ يبرز زوجته للفجور، فباع حماره و جعل ينفقه هناك و يشرب بثمنه و يفجر إلى أن قفل الجيش، و قال في ذلك:

خرجت من المصر الحواريّ(5) أهله *** بلا ندبة فيها احتساب و لا جعل

إلى جيش أهل الشّأم أغزيت(6) كارها *** سفاها بلا سيف حديد و لا نبل

و لكن بترس ليس فيه(7) حمالة *** و رمح ضعيف الزّجّ متصدع النّصل

/حباني به ظلم القباع و لم أجد *** سوى أمره و السّير شيئا من الفعل

فأزمعت أمري ثم أصبحت غازيا *** و سلّمت تسليم الغزاة على أهلي

و قلت لعلّي أن أرى ثمّ راكبا *** على فرس أو ذا متاع على بغل

جوادي حمار كان حينا لظهره *** إكاف و إشناق(8) المزادة و الحبل

و قد خان عينيه بياض و خانه *** قوائم سوء حين يزجر في الوحل(9)

إذا ما انتحى في الماء و الوحل لم ترم *** قوائمه حتّى يؤخّر بالحمل

أنادي الرّفاق بارك اللّه فيكم *** رويدكم حتّى أجوز إلى السّهل

1- الواو هنا بمعنى الباء، أي أنت أعلم بما اخترت.

2- راجع في «الأغاني» (ج 1 صفحة 110 من طبعة دار الكتب المصرية) بعض سيرته و سبب تلقيبه بالقباع.

3- سورا (بالضم و القصر): قرية بالعراق من أرض بابل، و قد نسبوا إليها الخمر. و سوراء (بالضم و المدّ): موضع قرب بغداد، و قيل هو بغداد نفسها. و قد وردت هذه الكلمة في شعر الأقيشر الآتي ممدودة، فالظاهر أنه يريد الأخيرة، و يحتمل أن يكون أراد الأولى فمدها كما مدّها عبيد اللّه بن الحر في قوله: و يوما بسوراء التي عند بابل أتاني أخو عجل بذي لجب مجر

4- لم نهتد إلى هذه القرية في مظانها.

5- أي الصديق أهله.

6- في «الأصول»: «أغريت» بالراء المهملة. و هو تصحيف. و أغزاه: حمله على الغزو.

7- في «الأصول» «فيها».

8- كذا في «الأصول». و الذي في كتب اللغة أنه يقال شنق المزادة و أشنقها إذا أوكاها و ربطها. و البيت بعد ذلك غير واضح.

9- الوحل (بسكون الحاء): لغة قليلة في الوحل (بالتحريك).

فسرنا إلى قنّين يوما و ليلة *** كأنّا بغايا ما يسرن إلى بعل

إذا ما نزلنا لم نجد ظلّ ساحة *** سوى يابس الأنهار(1) أو سعف النخل

مررنا على سوراء نسمع جسرها *** يئطّ(2) نقيضا عن سفائنه الفضل(3)

فلمّا بدا جسر السّراة و أعرضت *** لنا سوق فراغ الحديث إلى شغل

نزلنا إلى ظلّ ظليل و باءة(3) *** حلال برغم القلطمان(4) و ما نفل(5)

يشارطه(6) من شاء كان بدرهم *** عروسا بما بين السّبيئة(3) و النّسل

فأتبعت رمح السّوء سمية(3) نصله *** و بعت حماري و استرحت من الثّقل

/تقول ظبايا قل قليلا ألا ليا *** فقلت لها أصوي فإنّي على رسل(7)

مهرت(8) لها جرديقة فتركتها *** بمرها كطرف العين شائلة الرّجل

مما يغنى فيه من شعره:

اشارة

و مما يغنّى فيه من شعر الأقيشر:

صوت

لا أشربن(9) أبدا راحا مسارقة(10) *** إلاّ مع الغرّ أبناء البطاريق(11)

أفنى تلادي و ما جمّعت من نشب(12) *** قرع القواقيز أفواه الأباريق(13)

1- كذا في «الأصول»!.

2- يئط: يصوّت. و النقيض: الصوت مثل صوت المحامل و الرحال إذا ثقل عليها الركبان.

3- الباءة: النكاح.

4- كذا في «الأصول». و أحسب أنها محرفة عن «القلطبان» و هو الديوث الذي لا غيرة له على أهله مثل القرطبان.

5- كذا في «الأصول». و أحسب أن صوابه: «و ما نغلي» أن تبلغ ما تريد من الباءة و غيرها دون أن نعطي ثمنا غاليا. و يجوز أن يكون «و ما يغلي» أي لا يطلب القلطبان ثمنا غاليا.

6- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «بشارطة».

7- كـذا ورد في هـذا البيت في «الأـصول». و أحسب أن بعض كلمـاته نبطيّ أورده الشاعر حكايـة لما كان بينه و بين من ظفر بها من بنات النبط من حوار.

8- كذا ورد في هذا البيت في «الأصول»!.

9- في الشواهـد الكبرى للعيني: «لا تشـربن» و هي الروايـة التي توافق سـياق القصـيدة؛ إذ قبل هـذا البيت: عليك كل فتى سـمح خلائقه محض العروق كريم غير ممذوق و لا تصاحب لئيما فيه مقرفة و لا تزورن أصحاب الدوانيق و أحسب أن ما هاهنا من تغيير المغنين.

10- في حاشية الأمير على مغني اللبيب (في الباب الخامس): «مسردة» و فسر المسردة بالمتوالية.

11- الغر هنا: السادة الأشـراف؛ يقال رجل أغر إذا كان كريم الأفعال واضحها. و البطاريق: جمع بطريق و هو القائد أو العظيم من الروم. و يقال: إن البطريق عربي و افق العجمي.

12- التلاد: المال القديم من تراث و غيره. و النشب: المال الثابت كالدار و نحوها، أو هو المال الأصيل من الناطق و الصامت.

13- القواقيز: ضرب من الرواطيم و هو الكئوس الصغيرة. و إضافة القرع إلى القواقيز من إضافة المصدر إلى فاعله، و أفواه الأباريق مفعوله. و يروى برفع الأفواه، فيكون المصدر مضافا إلى مفعوله، و الأفواه فاعله.

الغناء لحنين هزج بالبنصر عن عمرو. و فيه لعمر الواديّ رمل بالبنصر عن الهشاميّ. و فيه ثقيل أوّل ينسب إلى حنين و عمر و حكم جميعا. و هذا الغناء المذكور من قصيدة للأقيشر طويلة، أوّلها:

/

إنّي يذكّرني هندا و جارتها *** بالطّفّ صوت حمامات على نيق(1)

صوت

دعاني دعوة و الخيل تردي *** فلا أدري أبا سمي أم كناني

و كان إجابتي إيّاه أنّي *** عطفت عليه خوّار العنان

الشعر لابن الغريزة النّهشليّ. و الغناء ليحيى المكيّ رمل بالوسطى عن الهشاميّ. و قد جعل المغنّون معه هذا البيت و لم أجده في قصيدته، و لا أدري أ هو له أم لغيره.

ألا يا من لذا البرق اليماني *** يلوح كأنّه مصباح بان(2)

1- الطف: موضع بناحية الكوفة. و النيق: حرف من حروف الجبل، و أرفع موضع فيه.

2- الباني هنا: الداخل بأهله. و أصله أنه كان كل من أراد منهم الزفاف بنى قبة على أهله، ثم قيل لكل داخل بان و إن كان قد دخل عليها دارا قد بنيت قبله. و يضرب بمصباح الباني المثل فيما يبقي ليله و لا يزول. (راجع «ما يعول عليه في المضاف و المضاف إليه»).

14 - أخبار ابن الغريزة و نسبه

اشارة

14 - أخبار ابن الغريزة(1) و نسبه

نسب ابن الغريزة:

كثير بن الغريزة التميميّ أحد بني نهشل. و الغريزة أمّه. و هو مخضـرم، أدرك الجاهليّة و الإسلام، و قال الشعر فيهما. و هذا الشعر يقوله ابن الغريزة في غزاة غزاها الأقرع بن حابس و أخوه بالطّالقان(2) و جوزجان و تلك البلاد، فأصيب من أصحابه قوم بالطّالقان فرثاهم ابن الغريزة.

قصيدته التي يذكر فيها يوم الطالقان و يرثي من قتل فيه:

اشارة

أخبرني الصّوليّ عن الحزنبل عن ابن أبي عمرو الشّيبانيّ عن أبيه قال:

بعث عمر بن الخطّاب الأقرع بن حابس و أخاه على جيش إلى الطّالقان و جوزجان و تلك البلاد، فأصـيب من أصـحابه قوم بالطّالقان، فقال ابن الغريزة النّهشليّ و قد شهد تلك الوقعة يرثيهم و يذكر ذلك اليوم:

سقى مزن السّحاب إذا استهلّت *** مصارع فتية بالجوزجان

إلى القصرين من رستاق خوط(3) *** أبادهم هناك الأقرعان(4)

و ما بي أن أكون جزعت إلاّ *** حنين القلب للبرق اليماني

و محبور برؤيتنا يرجّي ال *** لقاء و لن أراه و لم يراني

/و ربّ أخ أصاب الموت قبلي *** بكيت و لو نعيت له بكاني

دعاني دعوة و الخيل تردي(5) *** فما أدري أبا سمي أم كناني

فكان إجابتي إيّاه أنّي *** عطفت عليه خوّار العنان(6)

و أيّ فتى دعوت و قد تولّت *** بهنّ الخيل ذات العنظوان(7)

1- كـذا في شـرح التبريزي لل «ديوان الحماسـة» (صـفحة 460 طبعـة مدينة «بن» سـنة 1828 م) و «معجـم البلـدان» في الكلاـم على «جوزجان» و «معجم الشعر» للمرزباني. و في «الأصول» في كل المواضع: «الغريرة» بالراء المهملة.

2- الطالقان: بلـدتان، إحداهما بخراسان بين مرو الروز و بلخ، بينها و بين مرو الروز ثلاث مراحل. و الأخرى بلدة و كورة بين قزوين و أبهر، و بها عدّة قرى يطلق عليها هذا الاسم. (عن «معجم البلدان» لياقوت باختصار». و جوزجان: كورة واسـعة من كور بلخ بخراسان، و هي بين مرو الروز و بلخ.

3- القصـران هنا: مدينة السـيرجان بكرمان كانت تسمى القصرين. (عن «معجم البلدان»). و خوط هنا: من قرى بلخ. و رستاقها: سوادها و قراها.

4- يريد بالأقرعين الأقرع بن حابس و أخاه.

5- ردت الفرس تردى (وزان رمى) رديـا (بالفتـح) و رديانـا (بالتحريـك): رجمت الأـرض بحوافرها، أو هو ضـرب من السـير بين العـدو و المشي.

6- خوّار العنان من الخيل: السهل المعطف الكثير الجري.

7- كذا في «الأصول»!.

و أيّ فتى إذا ما متّ تدعو *** يطرّف(1) عنك غاشية السّنان

فإن أهلك فلم أك ذا صدوف(2) *** عن الأقران في الحرب العوان

و لم أدلج لأطرق عرس جاري(3) *** و لم أجعل على قومي لساني(4)

و لكنّي إذا ما هايجوني *** منيع الجار مرتفع البنان

و يكرهني إذا استبسلت قرني *** و أقضي واحدا ما قد قضاني

فلا تستبعدا يومي فإنّي *** سأوشك مرّة أن تفقداني

و يدركني الّذي لا بدّ منه *** و إن أشفقت من خوف الجنان(5)

و تبكيني نوائح معولات *** تركن بدار معترك الزّمان

/حبائس بالعراق منهنهات(6) *** سواحي الطّرف كالبقر الهجان

/أ عاذلتيّ من لوم دعاني *** و للرّشد المبيّن فاهدياني

و عاذلتيّ صوتكما قريب *** و نفعكما بعيد الخير و اني

فردّا الموت عنّي إن أتاني *** و لا و أبيكما لا تفعلان

*

صوت

دار(7) لقاتلة الغرانق ما بها *** غير الوحوش خلت(8) له و خلالها

ظلّت تسائل بالمتيّم ما به *** و هي الّتي فعلت به أفعالها

الشعر لأعشى بني تغلب من قصيدة يمدح بها مسلمة بن عبد الملك و يهجو جريرا و يعين الأخطل عليه. و يروى «ربع لقانصة الغرانق(9)» و هو الصحيح هكذا، و يغنّى «دار لقاتلة» لأنّه يقول في آخر البيت «خلت له(10) و خلالها».

و الغناء لعبد اللّه بن العبّاس ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة و ابن المكّيّ. و فيه لمخارق رمل من جميع أغانيه.

1- يقال: طرّف عن العسكر إذا قاتل عن أطرافه. و إنما أراد هنا يحميك و يصرف عنك غاشية السنان أي يجعلها عنك في طرف و ناحية.

2- في «الأصول»: «ذا صروف» و هو تحريف. و الصدوف: الإعراض. يريد أنه لا يعرض عن أقرانه و لا يفر من لقائهم.

3- الإدلاج: السير من أوّل الليل. و عرس الرجل: زوجه.

4- يريد أنه لا يشتم قومه و لا يهجوهم.

5- لعل الجنان هنا: الظلام، على أن يكون المخوف ظلام القبر.

6- نهنه فلان دمعه: كفه. و سواجي الطرف. ساكنات العيون. و الهجان: البيض.

7- قيل هذا البيت: ألمم على دمن تقادم عهدها بالجزع و استلب الزمان جمالها و الغرانق - و مثله الغرانيق -: جمع غرنوق (بالضم) و غرنوق (بكسر فسكون ففتح) و غرنيق (بالكسر) و هو الشاب الناعم.

8- في «الأصول»: «خلت لها» و التصويب من شعر الأعشين، و يدل عليه كلام المؤلف بعد.

9- في شعر الأعشين: «رسم لقاتلة الغرانق».

10- في «الأصول»: «خلت لها» و هو لا يساير سياق الكلام.

15 - أخبار أعشى بني تغلب و نسبه

نسب أعشى تغلب و كان نصرانيا:

قال أبو عمرو الشيبانيّ: اسمه ربيعة. و قال ابن حبيب: اسمه النّعمان بن يحيى بن معاوية، أحد بني معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، شاعر من شعراء الدولة الأمويّة، و ساكني الشام إذا حضر، و إذا بدا نزل في بلاد قومه بنواحي الموصل و ديار ربيعة. و كان نصرانيّا، و على ذلك مات.

قصته مع الحر بن يوسف:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السّكّريّ(1) قال حدّثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيبانيّ قال:

كان أعشى بني تغلب ينادم الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم. فشربا يوما في بستان له بالموصل، فسكر الأعشى فنام في البستان. و دعا الحرّ بجواريه فدخلن عليه قبّته. و استيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القبّة، فمانعه الخدم، و دافعهم حتى كاد أن يهجم على الحرّ مع جواريه، فلطمه خصيّ منهم؛ فخرج إلى قومه فقال لهم: لطمني الحرّ. فوثب معه رجل من بني تغلب يقال له ابن أدعج و هو شهاب بن همّام بن ثعلبة بن أبي سعد، فاقتحما الحائط(2) و هجما على الحرّ حتى لطمه الأعشى ثم رجعا. فقال الأعشى:

كأنّي و ابن أدعج إذ دخلنا *** على قرشيّك الورع(3) الجبان

/هزبرا غابة و قصا(4) حمارا *** فظلاّ حوله يتناهشان

أنا الجشميّ من جشم بن بكر *** عشيّة رعت طرفك بالبنان

- أي لطمتك. و قوله «أنا الجشميّ» أي مثلي يفعل ذلك بمثلك -

فما يستطيع ذو ملك عقابي *** إذا اجترمت يدي و جنى لساني

عشيّة غاب عنك بنو هشام *** و عثمان استها و بنو أبان

تروح إلى منازلها(5) قريش *** و أنت مخيّم بالزّرّقان

1- في «الأصول»: «السدي» و هو تحريف. و رواية علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب وردت كثيرا في «الأغاني»، و من ذلك ما ورد في الجزء الثالث (صفحة 10 من طبعة دار الكتب المصرية).

2- الحائط: البستان.

3- الورع: الضعيف الجبان.

4- وقص عنقه: كسرها و دقها.

5- كذا صححه الشنقيطي بقلمه في نسخته. و في «الأصول»: «منازلنا». و هو تحريف.

/و الزّرّقان: قرية كانت للحرّ بسنجار(1).

مدح مدركا الكناني فأساء ثوابه فهجاه:

قال ابن حبيب: مدح أعشى بني تغلب مدرك بن عبد اللّه الكنانيّ أحد بني أقيشر بن جذيمة بن كعب فأساء ثوابه؛ فقال الأعشى:

لعمرك إنّي يوم أمدح مدركا *** لكالمبتني حوضا على غير منهل

أمرّ الهوى دوني و فيّل(2) مدحتي *** و لو لكريم قلتها لم تفيّل

شعره في شمعلة بن عامر حين قطع الخليفة بضعة من فخذه:

قال ابن حبيب: كان شمعلة بن عامر بن عمرو بن بكر أخو بني فائد و هم رهط الفرس(3) نصرانيّا و كان ظريفا، فدخل على بعض خلفاء بني أميّة، فقال: أسلم يا شمعلة. قال: لا و اللّه أسلم كارها أبدا، و لا أسلم إلاّ طائعا إذا شئت. فغضب فأمر به فقطعت بضعة من فخذه و شويت بالنار و أطعمها. فقال أعشى بني تغلب في ذلك:

أ من حذّة(4) بالفخذ منك تباشرت *** عداك فلا عار عليك و لا وزر

و إنّ أمير المؤمنين و جرحه *** لكالدّهر لا عار بما فعل الدهر

وفد على عمر بن عبد العزيز فلم يعطه فقال شعرا:

و قال ابن حبيب قال أبو عمرو:

كان الوليد بن عبد الملك محسنا إلى أعشى بني تغلب، فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه و مدحه فلم يعطه شيئا، و قال: ما أرى للشّعراء في بيت المال حقّا، و لو كان لهم فيه حقّ لما كان لك؛ لأنّك امرؤ نصراني.

فانصرف الأعشى و هو يقول:

لعمري لقد عاش الوليد حياته *** إمام هدى لا مستزاد و لا نزر

كأنّ بني مروان بعد وفاته *** جلاميد لا تندى و إن بلّها القطر

شعره حين قعد مالك بن مسمع عن معاونة بني شيبان:

اشارة

و قال ابن حبيب عن أبي عمرو: كانت بين بني شيبان و بين تغلب حروب، فعاون مالك بن مسمع بني شيبان في بعضها ثم قعد عنهم. فقال أعشى بني تغلب في ذلك:

بني أمّنا مهلا فإنّ نفوسنا *** تميت عليكم عتبها و مصالها(5)

و ترعى بلا جهل قرابة بيننا *** و بينكم لمّا قطعتم وصالها

1- سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها و بين الموصل ثلاثة أيام. (عن «معجم البلدان»).

2- فيله: قبحه و خطأه. يريد أن الممدوح لم يقدر مدحته قدرها و لم يثبها ثوابها.

3- كذا في «الأصول»!.

4- في «الأصول»: «جذوة» بالجيم و هو تحريف. و الحذة (بالضم): القطعة من اللحم.

5- المصال: لعله هنا مصدر صال يصول إذا سطا.

جزى اللّه شيبانا و تيما ملامة *** جزاء المسيء سعيها و فعالها

أبا مسمع من تنكر الحقّ نفسه *** و تعجز عن المعروف يعرف ضلالها

أ أوقدت نار الحرب حتّى إذا بدا *** لنفسك ما تجني الحروب فهالها

نزعت و قد جرّدتها ذات منظر *** قبيح مهين حيث ألقت حلالها(1)

ألسنا إذا ما الحرب شبّ سعيرها *** و كان صفيح(2) المشرفيّ صلالها(3)

/أجارتنا حلّ لكم أن تناولوا(4) *** محارمها و أن(5) تميزوا حلالها

كذبتم يمين اللّه حتى تعاوروا *** صدور العوالي بيننا و نصالها(6)

و حتى ترى عين الذي كان شامتا *** مزاحف(7) عقرى بيننا و مجالها

صوت

و يفرح بالمولود من آل برمك *** بغاة النّدى و الرّمح و السّيف و النّصل

و تنبسط الآمال فيه لفضله *** و لا سيّما إن كان من ولد الفضل

الشعر لأبي النّضير. و الغناء لإسحاق، ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة من مجموع إسحاق. و قال حبش: فيه لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة من مجموع إسحاق. و قال حبش: فيه لإبراهيم الموصليّ ثقيل آخر بالوسطى. و لقضيب و براقش جاريتي يحيى بن خالد فيه لحنان.

1- الحلال هنا: متاع الرحل.

2- كذا في «أ، م». و في «سائر الأصول»: «سفيح» بالسين. و الصفيح: جمع صفيحة و هي هنا السيف العريض. و المشرفيّ: المنسوب إلى المشارف و هي قرى قرب حوران تنسب إليها السيوف المشرفية، نسب إلى المفرد. و قال الأصمعيّ: الشرفية منسوبة إلى مشارف و هي قرى من أرض العرب تدنو من الريف، و حكى الواحدي أنها بأرض اليمن. و أحسب أن صوابه «و كان الصفيح المشرفيّ».

3- كذا!.

4- في «ب، س»: «أن تنازلوا» و هو تحريف.

5- في «أ، م»: «أو أن تميزوا». و كلمة «تميزوا» هاهنا غير واضحة في السياق، و لم نهتد إلى ما نطمئن إليه في تصويبها.

6- تعاوروا الشيء: تداولوه. و العوالي: أطراف الرماح، الواحدة عالية. و النصال: جمع نصل و هو حديدة السهم و الرمح، و هو حديدة السيف ما لم يكن لها مقبض، فإن كان لها مقبض فهو سيف.

7- المزاحف: جمع مزحف و هو مكان الزحف أي المشي. و عقرى: جمع عقير، كجريح و جرحى.

16 - أخبار أبي النّضير و نسبه

اسم أبي النضير و نسبه:

أبو النضير اسمه عمر بن عبد الملك، بصريّ، مولى لبني جمح.

أخبرنا بـذلك عمّي عن ابن مهرويه عن إسـحاق بن محمد النّخعيّ عن إسـحاق بن خلف الشاعر قال: قلت لأبي النّضـير بن أبي الياس: لمن أنت(1)؟ فقال: لبني جمح.

هو شاعر بصري انقطع إلى البرامكة فأغنوه:

و ذكر أبو يحيى اللاّحقيّ أنّ اسمه الفضل بن عبد الملك. شاعر من شعراء البصريّين، صالح المذهب، ليس من المعدودين(2) المتقدّمين و لا من المولّدين الساقطين. و كان يغنّي بالبصـرة على جوار له مولّدات، و يظهر الخلاعة و المجون و الفسق، و يعاشـر جماعة ممن يعرف بذلك الشأن. و كان أبان اللاّحقيّ يعاشـره ثم تصارما، و هجاه و هجا جواريه و افترقا على قلّى، ثم انقطع أبو النّضـير إلى البرامكة فأغنوه إلى أن مات.

قال إسحاق الموصلي إنه أظرف الناس:

أخبرنا ابن أبي الأزهر عن حمّاد بن إسحاق قال سمعت أبي يقول: لو قيل لي من أظرف من رأيته قطّ أو عاشرته، لقلت: أبو النّضير.

دخل على الفضل بن يحيى فهنأه بمولود ارتجالا:

أخبرني عيسى الورّاق عن الفضل اليزيدي عن إسحاق، و أخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد عن أبيه قال:

ولد للفضل بن يحيى مولود، فوفد عليه أبو النّضـير و لم يكن عرف الخبر فيعدّ له تهنئة، فلمّا مثل بين يديه و رأى الناس يهنّئونه نثرا و نظما قال ارتجالا:

/

و يفرح بالمولود من آل برمك *** بغاة النّدى و السّيف و الرّمح و النّصل

و تنبسط الآمال فيه لفضله*** .....

ثم أرتج عليه فلم يدر ما يقول. فقال الفضل يلقّنه

و لا سيّما إن كان من ولد الفضل

فاستحسن الناس بديهة الفضل في هذا، و أمر لأبي النّضير بصلة.

1- كـذا في «أ»، و تبعتهـا «ب، س» من المطبوعتـان. و في «م»: «من أبي الياس لمن أنت». و في «ج»: «ابن أبي الناس أنت». و ظاهر أن فيها جميعا تحريفا من النساخ. و لعل صوابه: «... قلت لأبي النضير من أي الناس أنت؟ فقال: من بني جمح» أو «... لأي الناس أنت؟ فقال لبني جمح».

2- في «الأصول»: «المعمودين».

نقد الفضل بن يحيى شعرا له في مدحهم فأجابه:

و أخبرني حبيب بن نصر عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني بعض الموالي قال:

حضرت الفضل بن يحيى و قد قال لأبي النّضير: يا أبا النضير أنت القائل فيّا:

إذا كنت من بغداد في رأس فرسخ *** وجدت نسيم الجود من آل برمك

لقد ضيّقت علينا جدّا. قال: أ فلأجل ذلك أيها الأمير ضاقت عليّ صلتك و ضاقت عنّي مكافأتك و أنا الذي أقول:

تشاغل النّاس ببنيانهم *** و الفضل في بنيانه جاهد

كلّ ذوي الفضل و أهل النّهى *** للفضل في تدبيره حامد

و على ذلك فما قلت البيت الأوّل كما بلغ الأمير، و إنّما قلت:

إذا كنت من بغداد منقطع الثّرى(1) *** وجدت نسيم الجود من آل برمك

فقال الفضل: إنّما أخّرت عنك لأمازحك، و أمر له بثلاثين ألف درهم.

كتب إلى عنان و كان يهواها فأجابته:

أخبرني ابن/عمّار عن أبي إسحاق الطّلحيّ عن أبي سهيل(2) قال:

كان أبو النضير يهوى عنان جارية النّاطفيّ، و كتب إليها:

إنّ لي حاجة فرأيك فيها *** لك نفسي الفدا من الأوصاب

/و هي ليست ممّا يبلّغه غي *** ري و لا أستطيعه بكتاب

غير أنّي أقولها حين ألقا *** ك رويدا أسرّها من ثيابي

فأجابته و قالت:

أنا مشغولة بمن لست أهوا *** ه و قلبي من دونه في حجاب

فإذا ما أردت أمرا فأسرر *** ه و لا تجعلنّه في كتاب

قال: و قال أبو النّضير فيها:

شعر له في عنان:

صوت

أنا و اللّه أهواك *** و أهواك و أهواك

و أهوى قبلة منك *** على برد ثناياك

و أهوى لك ما أهوى *** لنفسي و كفى ذاك

ص: 192

1- أحسب أن صوابه «الندى» بمعنى الخير و المعروف.

2- في «ج» هنا: «أبي سـهل» و تبعتها «ب، س». و قد تكرر هذا السـند في أخبار أبي النضير، و في المواضع الآتية في «الأصول» جميعا: «أبو سهيل».

فهل ينفعني ذل *** ك يوما حين ألقاك

أنا و اللّه أهواك *** و ما يشعر مولاك

فإيّاك بأن يعل *** م إيّاك و إيّاك

فيه لعلّى بن المارقيّ رمل بالبنصر عن الهشاميّ.

طلبت منه مكتومة المغنية صوتا كان يغنيه فمازحها:

حدّثنا ابن عمّار عن الطّلحيّ عن أبي سهيل قال:

كان أبو النضير يغنّي غناء صالحا، فغنّى ذات يوم صوتا كان استفاده ببغداد. فقالت له قينة كانت ببغداد يقال لها مكتومة: اطرح عليّ هذا الصوت يا أبا النّضير. فقال: لا تطيب نفسي به محابيا، و لكنّي أبيعك إيّاه. قالت:

بكم؟ قال: برأس ماله. قالت: و ما رأس ماله؟ قال: ناكني فيه الذي أخذته منه. فغطّت وجهها و قالت: عليك و على هذا الصوت الدّمار.

شعر له في مدح أبي جعفر عبد اللّه بن هشام:

اشارة

أخبرني ابن عمّار الطّلحيّ عن أبي سهيل قال:

قال أبو النضير، و فيه غناء لإبراهيم،:

صوت

أ يصحو فؤادك أم يطرب *** و كيف و قد شحطت زينب

جرى الناس قبل أبي جعفر *** زمانا فلم يدر من غلّبوا

فلمّا جرى بأبي جعفر *** بنو تغلب سبقت تغلب

قال أبو سهيل: و أبو جعفر الذي عناه أبو النّضير هو عبد اللّه بن هشام بن عمرو التّغلبيّ الذي يذكره العتّابيّ في شعره و رسائله، و كان جوادا سخيّا. و كان ابن هشام ولي السّند، و فيه يقول أبو النّضير:

ألا أيّها الغيث الّذي سحّ وبله *** كأنّك تحكي راحة ابن هشام

كأنّك تحكيها و لكنّ جوده *** يدوم و قد تأتي بغير دوام

و فيك جهام(1) ربّما كان مخلفا *** و راحته تغدو بغير جهام

كان يرى أن الغناء على تقطيع العروض:

أخبرني ابن عمّار عن الطّلحيّ عن أبي سهيل قال:

كان أبو النّضير يزعم أنّ الغناء على/تقطيع العروض، و يقول: هكذا كان الذين مضوا يقولون، و كان مستهزئا بالغناء حتى تعاطى أن يغنّي، و كان إبراهيم الموصليّ يخالفه في ذلك و يقول: العروض محدث، و الغناء قبله بزمان.

فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه:

1- الجهام: السحاب لا ماء فيه، و السحاب الذي هراق ماءه.

سكتّ عن الغناء فلا أماري *** بصيرا لا و لا غير البصير

مخافة أن أجنّن فيه نفسي *** كما قد جنّ فيه أبو النّضير

قاطعه أبان اللاحقي و قال شعرا يهجوه:

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه قال حدّثني أبو طلحة الخزاعيّ عن اللاّحقيّ قال:

كان جدّي أبان يشـرب مع إخوان له على شاطئ دجلة بعد مصارمته أبا النّضـير، و كان القوم أصدقاء له و لأبي النضير، فذكروه. فقال جدي: إن حضر انصرفت، فأمسكوا. فقال جدي فيه:

ربّ يوم بشطّ دجلة لذّ *** و ليال نعمت فيها لذاذ

غيبة لم تطل عليّ و ما ذا *** خير قرب المطرمذ الملاّذ(1)

ترك الأشربات ليس بعاط *** لرساطونها(2) و لا الرّاقياذ(3)

و حكى الأحمق الذي ليس يدري *** أنّ خير الشراب(4) هذا اللذاذ

ضلّ رأي أراه ذاك كما ض *** لّ غواة لا ذوا بشرّ ملاذ

أنت أعمى فيما ادّعيت كما لس *** ت لصوغ الألحان بالأستاذ

كان ذنبا أتوب منه إلى الل *** ه اختياريك صاحبا و اتّخاذي

إنّ للّه صوم شهرين شكرا *** أن قضى منك عاجلا إنقاذي

لا لدين و لا لدنيا و لا يص *** لح(5) في علم ما ادّعى بنفاذ

كتب إلى حماد عجرد يسأله عن حاله في الشراب فأجابه:

حدّثني ابن عمّار عن الطّلحيّ عن أبي سهيل قال:

كتب أبو النّضير إلى الحمّاد عجرد يسأل عن حاله في الشّراب و شربه إيّاه و من يعاشر عليه. فكتب إليه حمّاد:

أبا النّضير اسمع كلامي و لا *** تجعل سوى الإنصاف من بالكا

سألت عن حالي، و ما حال من *** لم يلق إلاّ عابدا ناسكا

يظهر لي ذا فمتى يفترص(6) *** شيئا تجده عاديا فاتكا

يعني حريث بن عمرو. و كان حمّاد نزل عليه، و كان حريث هذا مشهورا بالزّندقة، و كذلك حمّاد هذا كان مشهورا بها، فنزل عليه لذلك.

ص: 194

1- المطرمذ: الذي يقول و لا يفعل، و الذي لا يحقق في الأمور. و الملاذ: المطرمذ المتصنع الذي لا تصح مودته.

2- العاطي: المتناول. و الرساطون: شراب يتخذه أهل الشام من الخمر و العسل، و الكلمة رومية.

3- كـذا في «أكثر الأصول». و في «ج»: «الراقباذ» بالياء الموحدة. و لم تهتد إليه في المظان التي راجعناها. و ظاهر أنّ المراد به ضـرب من الشراب.

4- في «ج»: «الشباب». و اللذاذ: مصدر لذذت الشيء لذاذا و لذاذة أي وجدته لذيذا. و ظاهر أن في هذا الشطر تحريفا لم نهتد إليه.

5- في «الأصول»: «تصلح» بتاء الخطاب، و لا يستقيم به سياق الكلام.

6- افترض الشيء: انتهزه و أصابه و اغتنمه.

كتب إلى حمدان اللاحقي يشكو إليه عمر بن يحيى و يهجوه:

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي طلحة الخزاعيّ عن أبي يحيى اللاّحقيّ قال:

كتب أبو النضير إلى عمّي حمدان(1) بن أبان، و كان له صديقا، يشكو إليه عمر ابن يحيى الزّياديّ و كان عربد عليه و شتمه:

أقر حمدان سلام ال *** لّه من فضل و قل له

يا فتى لست بحمد ال *** لّه أخشى أن أملّه

ذاك أنّ اللّه قد أن *** هله الظّرف و علّه

و ذرابيت رقاش(2) *** و علاها قد أحلّه

/إنّ شتم السّفلة الكش(3) *** خان ذي القرنين ضلّه(4)

/و لو انّ القلب(5) هاجى *** عمرا يوما لغلّه(6)

ذاك أنّ اللّه قد أخ *** زى ابن يحيى و أذلّه

من يهاجي رجلا يس *** توعب الجردان(7) كلّه

ما يسيل الأير إلاّ *** أدخل الأير و بلّه

و إذا عاين أيرا *** وافي الفيشة(8) غلّه

هذه قصّة من قد *** جعل المردان شغله

أنشد الفضل بن الربيع شعرا في امرأة تزوجها و طلقها:

اشارة

حدّثني عمّي عن أبي العيناء عن أبي النّضير قال:

دخلت على الفضل بن الرّبيع فقال: هل أحدثت بعدي شيئا؟ قلت: نعم، قلت أبياتا في امرأة تزوّجتها و طلّقتها لغير علّة إلاّ بغضي لها، و أنّها لبيضاء بضّة، كأنّها سبيكة فضّة. فقال لي: و ما قلت فيها؟ فقلت قلت:

رحلت سكينة بالطّلاق *** فأرحت(9) من غلّ الوثاق

رحلت فلم تألم لها *** نفسي و لم تدمع مآقي

1- كـذا في «ب، م» و في «سائر الأصول»: «حماد» و هو تحريف. و قـد ورد في أول الشـعر الآتي «حمدان» صـحيحا. و لحمدان بن أبان هذا شعر ورد في كتاب «الكامل» للمبرد (ص 475 طبعة أوربا).

2- جدّ حمدان الأعلى كان مولى لبني رقاش، و نسبه: حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفر مولى بني رقاش.

3- الكشخان (بالفتح و يكسر): الديوث الذي لا غيرة له على أهله.

4- أي ضلال.

5- كذا في «الأصول»: و أحسب أن كلمة «القلب» محرفة عن «الكلب» أو نحوه.

6- غلة هنا: وضع الغل في عنقه أو يده. على أنه يحتمل أن يكون «لفلّه» بالفاء بمعنى كسره أي غلبه و ظهر عليه.

7- الجردان: قضيب ذوات الحافر أو هو عام.

8- الفيشة: أعلى هامة الذكر. غلة هنا: أدخله.

9- أراح فلان: وجد راحة. و يجوز أن يكون «أرحت» مبنيا للمفعول.

لو لم تبن بطلاقها *** لأبنت نفسي بالإباق

و شفاء ما لا تشتهي *** ه النّفس تعجيل الفراق

فقال: يا غلام، الدواة و القرطاس، فأتي بهما، فأمرني فكتبت له الأبيات، ثم قلت له: أنت و اللّه تبغض بنت أبي العبّاس الطّوسيّ. فقال: اسكت أخزاك اللّه! ثم ما لبث أن طلّقها.

صوت

ما بال عينك جائلا أقذاؤها *** شرقت بعبرتها و طال بكاؤها

ذكرت عشيرتها و فرقة بينها *** فطوت(1) لذلك غلّة أحشاؤها

الشعر لعبد اللّه بن عمر العبليّ. و الغناء لأبي سعيد مولى فائد، رمل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ، و ذكره إسحاق في هذه الطريقة و لم ينسبه إلى أحد، و قيل: إنه من منحول يحيى إلى أبي سعيد.

1- الغلة: العطش أو شدته، و المراد هنا حرارة الحزن، و طوت هنا: أضمرت. و المعنى: فانطوت أحشاؤها لذلك على غلة من الحزن.

17 - أخبار العلبيّ و نسبه

نسبه، و هو من مخضرمي الدولتين:

اسمه عبد اللّه بن عمر بن عبد اللّه بن عليّ بن عديّ بن ربيعة بن عبد العزّى بن عبد شمس بن عبد مناف، و يكنى أبا عديّ(1)، شاعر مجيد من شعراء قريش، و من مخضرمي الدّولتين، و له أخبار مع بني أميّة و بني هاشم تذكر في غير هذا الموضع.

سبب نسبه إلى العبلات:

و يقال له عبد اللّه بن عمر العبليّ، و ليس منهم؛ لأنّ العبلات من ولد أميّة الأصغر بن عبد شمس. سمّوا بذلك لأنّ أمّهم عبلة بنت عبيد بن حارك(2) بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، و هؤلاء يقال لهم براجم بني تميم، ولدت لعبد شمس بن عبد مناف(3) أميّة الأصغر، و عبد أميّة و نوفلا، و أمه من بني عبد شمس(4)، فهؤلاء يقال لهم العبلات، و لهم جميعا عقب. أمّا أميّة الأصغر فإنّهم بالحجاز، و هم بنو الحارث بن أميّة، منهم عليّ بن عبد اللّه بن الحارث، و منهم الثّريا صاحبة ابن أبي ربيعة.

/و أمّا بنو نوفل و عبد أميّة(5) فإنّهم بالشام كثير. و عبد العزّى بن عبد شمس كان يقال له أسد البطحاء. و إنّما أدخلهم النّاس في العبلات لمّا صار الأمر لبني أميّة الأكبر و سادوا و عظم شأنهم في الجاهليّة و الإسلام و كثر أشرافهم، فجعل/سائر بني عبد شمس من لا يعلم قبيلة واحدة، فسمّوهم أميّة الصّغرى، ثم قيل لهم العبلات لشهرة الاسم.

و عليّ بن عديّ جدّ هذا الشاعر شهد مع عائشة يوم الجمل. و له يقول شاعر بني ضبّة لعنة اللّه عليه:

يا ربّ اكبب(6) بعليّ جمله *** و لا تبارك في بعير حمله

إلاّ عليّ بن عديّ ليس له

كان في أيام بني أمية يميل إلى بني هاشم ثم خرج على المنصور مع محمد بن عبد اللّه بن الحسن:

فأمّا عبد اللّه بن عمر هذا الشاعر فكان في أيّام بني أميّة يميل إلى بني هاشم و يذمّ بني أميّة، و لم يكن منهم إليه صنع جميل، فسلم بذلك في أيّام بني العبّاس، ثم خرج على المنصور في أيّامه مع محمد بن عبد اللّه بن الحسن.

فرّق هشام بن عبد الملك أموالا و لم يعطه فقال شعرا:

1- في «الأصول» هنا: «أبا عليّ» و هو تحريف.

2- كذا في «الأصول»: و في تاج العروس (في مادة عبل): «... قال الدارقطني: هي عبلة بنت عبيد بن جادل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. و قال غيره: هي عبلة بنت نافذ ابن قيس بن حنظلة». و في كتاب «الأنساب» للسمعاني: (في الكلام على العبلي): «... و علبة بنت عبيد بن حافل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم...».

3- في «الأصول»: «لعبد شمس بن مناة» و هو تحريف.

4- كذا في «الأصول»: و جملة «و أمه من بني عبد شمس» غير واضحة.

5- في كتاب «المعارف»: لابن قتيبة أن عبد أمية مات و هو ابن ثمان سنين.

6- في «م»: و هامش «أ»: «اكسر».

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن مصعب الزّبيريّ قال:

العبليّ عبد اللّه بن عمر بن عبد اللّه بن عليّ بن عديّ بن ربيعة بن عبد العزّى ابن عبد شمس، و يكنى أبا عديّ، و له أخبار كثيرة مع بني هاشم و بني أميّة. و قسم هشام بن عبد الملك أموالا و أجاز بجوائز، فلم يعطه شيئا. فقال:

خسّ حظّي أن كنت من عبد شمس *** ليتني كنت من بني مخزوم

فأفوز الغداة منهم بسهم *** و أبيع الأب الشريف بلوم

استقدمه المنصور و استنشده فغضب عليه فذهب إلى المدينة:

فلمّا استخلف المنصور كتب إلى السّريّ بن عبد اللّه أن يوجّه به إليه ففعل. فلمّا قدم عليه قال له: أنشدني ما قلت في قومك، فاستعفاه. فقال: لا أعفيك. فقال: أعطني الأمان فأعطاه، فأنشده:

ما بال عينك جائلا أقذاؤها *** شرقت بعبرتها فطال بكاؤها

/حتى انتهى إلى قوله:

فبنو أميّة خير من وطئ الحصى *** شرفا و أفضل ساسة أمراؤها

فقال له: اخرج عنّي لا قرّب اللّه دارك! فخرج حتى قدم المدينة، فألفى محمد بن عبد اللّه بن حسن قد خرج فبايعه.

أخذت حرمه و أمواله فمدح السفاح فأكرمه و ردّ إليه ما أخذ منه:

أخبرني عمّي عن الكرانيّ عن العمريّ عن العتبيّ عن أبيه قال:

كان أبو عديّ الذي يقال له العبليّ مجفوّا في أيّام بني مروان و كان منقطعا إلى بني هاشم، فلمّا أفضت الدولة إليهم لم يبقوا على أحد من بني أميّة، و كان الأمر في قتلهم جدّا إلاّ من هرب و طار على وجهه. فخاف أبو عديّ أن يقع به مكروه في تلك الفورة فتوارى؛ و أخذ داود بن عليّ حرمه و ماله، فهرب حتّى أتى أبا العبّاس السفّاح، فدخل عليه في غمار النّاس متنكّرا و جلس حجرة(1) حتى تقوّض(2) القوم و تفرّقوا، و بقي أبو العبّاس مع خاصّته. فوثب إليه أبو عديّ فوقف بين يديه و قال:

ألا قل للمنازل بالسّتار(3) *** سقيت الغيث من دمن قفار

فهل لك بعدنا علم بسلمى *** و أتراب لها شبه الصّوار(4)

أوانس لا عوابس جافيات *** عن الخلق الجميل و لا عواري

/و فيهنّ ابنة القصويّ سلمى(5) *** كهمّ النّفس مفعمة الإزار

/تلوث خمارها بأحمّ جعد *** تضلّ الفاليات به المداري(6)

1- حجرة: ناحية.

2- كذا في «الأصول الخطية»: يقال: تقوّض القوم إذا انقضوا و انصرفوا. و في «ب، س»: «انقض القوم».

3- الستار: اسم لعدّة مواضع.

4- الصوار (بالكسر و يضم): القطيع من البقر.

5- كذا في «ج»: و القصويّ: نسبة إلى قصيّ. و في «سائر الأصول»: «سلمى» و هو تحريف.

6- تلوث: تلف. و الأحم: الأسود. و الجعد من الشعر: خلاف السبط و هو ما فيه التواء و تقبض. و الفاليات: من فلا الرأس يفلوه و يفليه. و المداري: جمع مدري. و المدري و المدارة: شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط و أطول منه يسرح به الشعر المتلبد. و إضلال المداري في الشعر كناية عن كثرته.

برهرهة منعّمة نمتها *** أبوّتها إلى الحسب النّضار(1)

فدع ذكر الشباب و عهد سلمى *** فما لك منهما غير ادّكار

و أهد لهاشم غرر القوافي *** تنخّلها(2) بعلم و اختيار

لعمرك إنّني و لزوم نجد *** و لا ألقى حباء(3) بني الخيار

لكالبادي لأبرد مستهل *** بحوباء كبطن العير عار(4)

سأرحل رحلة فيها اعتزام *** و جدّ في رواح و ابتكار

إلى أهل الرسول غدت برحلي *** عذافرة(5) ترامى بالصّحاري

تؤمّ المعشر الأبرار تبغي *** فكاكا للنّساء من الإسار

أيا أهل الرسول و صيد(6) فهر *** و خير الواقفين على الجمار

أ تؤخذ نسوتي و يحاز مالي *** و قد جاهرت لو أغنى جهاري

/و اذعر أن دعيت لعبد شمس *** و قد أمسكت بالحرم الصّواري(7)

بنصرة هاشم شهّرت نفسي *** بداري للعدا و بغير داري

بقربى هاشم و بحقّ صهر *** لأحمد لفّه طيب النّجار

و منزل هاشم من عبد شمس *** مكان الجيد من عليا الفقار

فقال له السفّاح: من أنت؟ فانتسب له. فقال له: حقّ لعمري أعرفه قديما و مودّة لا أجحدها، و كتب له إلى داود بن عليّ بإطلاق من حبسه من أهله و ردّ أمواله عليه و إكرامه، و أمر له بنفقة تبلّغه المدينة.

وفد على عبد اللّه بن حسن و أجازه هو و ابناه و زوجه:

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانيّ قال حدّثنا يحيى بن الحسن العلويّ عن موسى بن عبد اللّه بن موسى بن عبد اللّه بن حسن قال حدّثني أبي قال:

1- البرهرهة: التارّة التي تكاد ترعد من الرطوبة، أو هي البيضاء، و قيل هي الرقيقة الجلد كأن الماء يجري فيها من النعمة. و النضار هنا: الخالص الذي لم يشبه ما يدنسه.

2- تنخلها: تخيرها.

3- الحباء: العطاء.

4- البـادي: الخـارج إلى الباديـة. و الأبرد هنا: النمر. و مسـتهل هنا: رافع صوته. و بطن العير: المعروف أنه يقال للمكان الـذي لا خير فيه جوف العير. و الحوباء: النفس. و أحسب أن هذه الكلمة هنا محرّفة عما يدل على مكان مقفر. و لعلها «بمومـاة».

5- العذافرة من الإبل: العظيمة الشديدة.

6- الصيد: جمع أصيد، و هو هنا الذي يرفع رأسه كبرا. يريد سادات فهر و ملوكها.

7- كذا في «الأصول». فإن صح فلعل «الصواري» جمع «صائرة»، و الأصل «الصوائر» فوقع فيه القلب، كما يقال «الأوالي» في «الأوائل». و الصوائر: العاطفـة؛ يقال صار فلان الشـيء يصوره و أصاره إذا أماله. و في حديث عمر و ذكر العلماء فقال: تنعطف عليهم بالعلم قلوب لا تصورها الأرحام، أي لا تميلها.

قال سعيد بن عقبة الجهنيّ: إنّي لعند عبد اللّه بن الحسن إذ أتاه آت فقال له: هذا رجل يدعوك، فخرجت فإذا أنا بأبي عديّ الأمويّ الشاعر، فقال: أعلم أبا محمد. فخرج إليه عبد اللّه بن حسن و ابناه و قد ظهرت المسوّدة و هم خائفون، فأمر له عبد اللّه بن حسن بأربعمائة دينار، فخرج من عندهم بألف دينار.

استنشده عبد اللّه بن حسن مما رثى به قومه ثم أكرمه هو و أهله:

و أخبرني حرميّ(1) عن الزّبير، و أخبرني الأخفش عن المبرّد عن المغيرة بن محمد المهلّبيّ عن الزّبير عن سليمان بن عيّاش السعديّ قال:

/جاء عبد اللّه بن عمر بن عبد اللّه العبليّ(2) إلى سويقة(3) و هو طريد بني العبّاس، و ذلك بعقب أيّام بني أميّة و ابتداء خروج ملكهم إلى بني العباس، فقصده عبد اللّه و الحسن ابنا الحسن بسويقة، فاستنشده عبد اللّه شيئا من شعره فأنشده. فقال له: أريد أن تنشدني شيئا مما رثيت به قومك، فأنشده:

تقول(4) أمامة لمّا رأت *** نشوزي عن المضجع الأنفس

/و قلّة نومي على مضجعي *** لدى هجعة الأعين النّعّس

أبي ما عراك؟ فقلت الهموم *** عرون(5) أباك فلا تبلسي(6)

عرون أباك فحبّسنه *** من الذّلّ في شرّ ما محبس

لفقد العشيرة إذ نالها *** سهام من الحدث المبئس(7)

رمتها المنون بلا نصّل(8) *** و لا طائشات و لا نكّس(9)

بأسهمها الخالسات النّفوس *** متى ما اقتضت مهجة تخلس(10)

فصرعاهم في نواحي البلا *** د تلقى بأرض و لم ترمس(11)

كريم أصيب و أثوابه *** من العار و الذّام لم تدنس

و آخر قد طار خوف الرّدى *** و كان الهمام فلم يحسس(12)

1- في «ب، س»: «و أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد حرمي...» و مثله في «ح» إلا أنه وضع فوقه علامة الشطب.

2- في «الأصول»: «العقيلي» و هو تحريف.

3- سويقة هنا: موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن طالب رضي اللّه عنه.

4- تقدّم أكثر أبيات هذه القصيدة في الجزء الرابع من هذه الطبعة (صفحة 339 و ما بعدها) مع اختلاف في بعض الكلمات.

5- في «الأصول» هنا: «منعن». و التصويب من الجزء الرابع.

6- الإبلاس: اليأس و التحير، و السكوت من الغم و الحزن.

7- في «الأصلين المطبوعين» تحريف في هذا الشطر، و في «الأصول المخطوطة» تحريف و نقص. و التصويب من الجزء الرابع.

8- كذا في «ج». و النصل: جمع ناصل. و الناصل من السهام هنا: الذي سقط نصله؛ و الناصل أيضا: ذو النصل. و في «سائر الأصول»: «بلا أنصل». و في الجزء الرابع: «بلا نكل».

9- الذي في كتب اللغة أنه يقال سهم نكس (بكسر أوّله و سكون ثانيه) و هو الذي ينكس أو يكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله، و الجمع أنكاس. و غريب أن يكون «نكس» (بضم أوّله و تشديد ثانيه) وصفا للسهام.

10- في «الأصول» هنا: «تخنس» و التصويب من الجزاء الرابع.

11- لم ترمس: لم تدفن؛ يقال: رمست الميت و أرمسته إذا دفنته.

12- رواية هذا البيت في الجزء الرابع: و آخر قد دس في حفرة و آخر قد طار لم يحسس أي لم يشعر به لاختفائه.

فكم غادروا من بواكي العيو *** ن مرضى و من صبية بؤّس

إذا(1) ما ذكرنهم لم تنم *** لحرّ الهموم و لم تجلس

يرجّعن مثل بكاء الحما *** م في مأتم قلق(2) المجلس

فذاك الذي غالني فاعلمي *** و لا تسأليني فتستنحسي(3)

و أشياء قد ضفنني(4) بالبلاد *** و لست لهنّ بمستحلس

أفاض المدامع قتلى كدى *** و قتلى بكثوة(5) لم ترمس

و قتلى بوجّ و باللاّبتي *** ن من يثرب خير ما أنفس

و بالزّابيين نفوس ثوب *** و قتلى(6) بنهر أبي فطرس(7)

أولئك قوم تداعت بهم(8) *** نوائب من زمن متعس

/أذلّت قيادي لمن رامني *** و ألزقت الرّغم بالمعطس(9)

فما أنس لا أنس قتلاهم *** و لا عاش بعدهم من نسي

قال: فلمّا أتى عليها بكى محمد بن عبد اللّه بن حسن. فقال له عمّه الحسن بن حسن بن عليّ عليهم السلام: أ تبكي على بني أميّة و أنت تريد ببني العبّاس ما تريد!. فقال: و اللّه يا عمّ لقد كنّا نقمنا على بني أميّة ما نقمنا، فما بنو العبّاس إلاّ أفلّ خوفا للّه منهم، و إنّ الحجّة على بني العبّاس لأوجب منها عليهم. و لقد كانت للقوم أخلاق و مكارم و فواضل ليست لأبي جعفر. فوثب حنس و قال: أعوذ باللّه من شرّك، و بعث إلى أبي عديّ بخمسين دينارا، و أمر له عبد اللّه بن حسن بمثلها، و أمر له كلّ واحد من محمد و إبراهيم ابنيه بخمسين خمسين، و بعثت إليه أمّهما هند بخمسين دينارا، و كانت منفعته بها كثيرة. فقال أبو عديّ في ذلك:

1- في «الأصول»: «إذا ما ذكرتهم» بالتاء. و يرجح أن يكون بالنون قوله «يرجعن» بعد هذا البيت. و مرجع الضمير «بواكي العيون» و رواية هذا البيت في الرابع: إذا عنّ ذكرهم لم ينم أبوك و أوحش في المجلس

2- في «الأصول»: «فلق المجلس» بالفاء. و قلق المجلس: اضطراب من فيه من الحزن.

3- يقال: استنحس فلان الأخبار و نحسها و تنحسها إذا تندّسها و تجسسها، و استنحس عنها: طلبها و تتبعها بالاستخبار. و رواية هذا الشطر في الرابع: و لا تسألي بامرئ متعس

4- ضفنني: نزلن بي. و المستحلس للشيء: الملازم له.

5- في «الأصول» هنا: «ببكة». و التصويب من «الجزء الرابع» و «معجم البلدان» (في كثوة و اللايتين). و راجع الكلام على هذه المواضع و الوقائع في الجزء الرابع.

6- في الجزء الرابع و «معجم البلدان»: «و أخرى».

7- في «الأصول» هنا: «أبي قرطس» و هو تحريف.

8- في الرابع: أولئك قومي أناخت بهم

9- الرغم: التراب. و المعطس (كمجلس و مقعد): الأنف.

أقام ثويّ(1) بيت أبي عديّ *** بخير منازل الجيران جارا

تقوّض بيته و جلا(2) طريدا *** فصادف خير دور النّاس دارا

و إنّي إن نزلت بدار قوم *** ذكرتهم و لم أذمم جوارا

/فقالت هند لعبد اللّه و ابنيها منه: أقسمت عليكم إلاّ أعطيتموه خمسين دينارا أخرى فقد أشركني معكم في المدح، فأعطوه خمسين دينارا أخرى عن هند.

ولى الطائف لمحمد بن عبد اللّه بن حسن ثم فرّ إلى اليمن و شعره في ذلك:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق عن أبي أيّوب المدينيّ قال ذكر محمد بن موسى مولى أبي عقيل قال:

/قدم أبو عديّ العبليّ الطائف واليا من قبل محمد بن عبد اللّه بن حسن أيّام خروجه على(3) أبي جعفر و معه أعراب من مزينة و جهينة و أسلم فأخذ الطائف و أتى محمد بن أبي بكر العمريّ حتى بايع، و كان مع أبي عديّ أحد عشر رجلا من ولد أبي بكر الصّدّيق، فقدمها بين أذان الصّبح و الإقامة، فأقام بها ثلاثا، ثم بلغه خروج الحسن(4)بن معاوية من مكة، فاستخلف على الطائف عبد الملك بن أبي زهير و خرج ليتلقّى الحسن بالعرج، فركب [الحسن(5)] البحر، و مضى أبو عديّ هاربا على وجهه إلى اليمن. فذلك حين يقول:

هيّجت للأجزاع حول عراب(6) *** و اعتاد قلبك عائد الأطراب

و ذكرت عهد معالم بلوي الثّرى(7) *** هيهات تلك معالم الأحباب

هيهات تلك معالم من ذاهب *** أمسى بحوضي أو بحقل قباب(8)

قد حلّ بين أبارق(9) ما إن له *** فيها من اخوان و لا أصحاب

شطّت نواه عن الأليف و ساقه *** لقرى يمانية حمام كتاب(10)

يا أخت آل أبي عديّ أقصري *** و ذري الخضاب فما أوان خضاب

أ تخضّبين و قد تخرّم غالبا(11) *** دهر أضرّ بها حديد الناب

1- الثويّ: الضيف.

2- «تقوّض بيته» ليست في «الأصول الخطية»، و كذا قوله: «و إني إن نزلت بدار» من الشطر الأوّل في البيت الثالث. و هو تصويب حسن، نظن أن المصوّب رجع فيه إلى أصل صحيح. جلا عن بلده: خرج.

3- في «الأصول»: «عن أبي جعفر».

4- ولى مكة لمحمد بن عبد اللّه بن حسن و غلب عليها عامل أبي جعفر المنصور. (راجع «الطبري» في حوادث سنة 145).

5- التكملة عن «أ، م».

6- كـذا في «الأصول». و لـم نجـد «عرابا» في المظان. و إنما الموجود «غراب» (بضم أوله) و هو جبل بناحيـة المدينة على طريق الشام، و موضع بالشام، و واد باليمامة، و جبل من جبال تهامة.

7- في «أ، م»: «بلوى السرى».

8- حوضي و حقل قباب: موضعان.

9- الأبارق: جمع أبرق، و هو غلظ فيه حجارة و طين و رمل مختلطة.

10- شطت: بعدت. و النوى هنا: الوجه الذي تقصده أو القصد لبلد غير البلد الذي أنت فيه مقيم. و حمام كتاب: قدره و قضاؤه.

11- ظاهر أنه يريد قبيلة.

/

و الحرب تعرك غالبا بجرانها(1)*** و تعضّ و هي حديدة الأنياب

أم كيف نفسك تستلذّ معيشة *** أو تنقعين لها ألذّ شراب

أنشد عبد اللّه بن حسن من شعره فبكى:

و ذكر العبّاس بن عيس العقيليّ عن هارون بن موسى الفرويّ عن سعيد بن عقبة الجهنيّ قال: حضرت عبد اللّه بن عمر المكنّى أبا عديّ الأمويّ ينشد عبد اللّه بن حسن قوله:

أفاض المدامع قتلى كدى *** و قتلى بكثوة(2) لم ترمس

قال: فرأيت عبد اللّه بن حسن و إنّ دموعه لتجري على خدّه.

قيل إن القصيدة السينية اشترك فيها آخران معه حين أتاهم قتل بني أمية:

و قد أخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن أبي سعيد مولى فائد قال:

لمّا أتانا قتل عبد اللّه بن عليّ من قتل من بني أميّة كنت أنا و فتى من ولد عثمان و أبو عديّ العبليّ متوارين في موضع واحد، فلحقني من الجزع ما يلحق الرجل على عشيرته، و لحق صاحبيّ كما لحقني، فبكينا طويلا، ثم تناولنا هذه القصيدة بيننا، فقال كلّ واحد منّا بعضها غير محصّل [ما(3)] لكلّ واحد منّا فيها، قال: ثم أنشدنيها، فأخذتها من فيه:

تقول أمامة لمّا رأت *** نشوزي عن المضجع الأنفس

كان يكره ما يجري عليه بنو أمية من سب عليّ و شعره في ذلك:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا محمد بن زكريّا الغلابيّ عن ابن عائشة قال:

/كان أبو عديّ الأمويّ الشاعر يكره ما يجري عليه بنو أميّة من ذكر عليّ بن أبي طالب صلوات اللّه عليه و سبّه على المنابر، و يظهر الإنكار لذلك، فشهد عليه قوم من بني/أميّة بمكة بذلك و نهوه عنه، فانتقل إلى المدينة و قال في ذلك:

شرّدوا بي عند امتداحي عليّا *** و رأوا ذاك فيّ داء دويّا

فو ربّي لا أبرح الدّهر حتى *** تختلى(4) مهجتي بحبّي عليّا

و بنيه لحبّ أحمد إنّي *** كنت أحببتهم بحبّي النبيّا

حبّ دين لا حبّ دنيا و شرّ ال *** حبّ حبّ يكون دنياويّا

صاغني اللّه في الذّؤابة منهم *** لا زنيما(5) و لا سنيدا دعيّا

ص: 203

1- عركتهم الحرب: دارت عليهم. و الجران من البعير: مقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره، و قد استعاره الشاعر هنا للحرب.

2- في «الأصول» هنا: «بمكة». (راجع الحاشية رقم 6 من صفحة 299).

3- تكملة يقتضيها سياق الكلام.

4- تختلى: تقطع. و أصل الاختلاء قطع الخلى و هو الرطب من الحشيش؛ يقال: خلى الخلي و اختلاه إذا قطعه. يريد الشاعر أنه يموت و هو على حبهم.

5- الزنيم: الدعيّ الملصق بالقوم و ليس منهم. و كذلك السنيد.

عدويّا خالي صريحا و جدّي *** عبد شمس و هاشم أبويّا

فسواء عليّ لست أبالي *** عبشميّا دعيت أم هاشميّا

دخل مع وفود قريش على هشام بن عبد الملك و مدحه ففضل هشام بني مخزوم فقال هو شعرا:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن العتبيّ عن أبيه قال:

وفد أبو عديّ الأمويّ إلى هشام بن عبد الملك و قد امتدحه بقصيدته التي يقول فيها:

عبد شمس أبوك و هو أبونا *** لا نناديك من مكان بعيد

و القرابات بيننا واشجات *** محكمات القوى بحبل شديد

فأنشده إيّاها، و أقام ببابه مدّة حتى حضر بابه وفود قريش فدخل فيهم، و أمر لهم بمال فضّل فيه بني مخزوم أخواله، و أعطى أبا عديّ عطيّة لم يرضها، فانصرف و قال:

خسّ حظّي أن كنت من عبد شمس *** ليتني كنت من بني مخزوم

فأفوز الغداة فيهم بسهم *** و أبيع الأب الكريم بلوم

/غنّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر اللّذين أولهما:

عبد شمس أبوك و هو أبونا

ابن جامع، و لحنه ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. و أوّل هذه القصيدة التي قالها في هشام:

ليلتي من كنود بالغور عودي *** بصفاء الهوى من أمّ أسيد

ما سمعنا(1) ذاك الهوى و نسينا *** عهده فارجعي به ثم زيدي

قد تولّى عصر الشباب فقيدا *** ربّ جار يبين غير فقيد

خلق الثّوب من شباب و لبس(2) *** و جديد الشّباب غير جديد

فاسر عنك الهموم حين تداعت(3) *** بعلاة مثل الفنيق(4) و خود

عنتريس(5) توفي الزّمام بفعم(6) *** مثل جذع الأشاءة المجرود

و ارم جوز(7) الفلا بها ثم سمها *** عجر فيّ النّجاء بالتوخيد

1- كذا في «الأصول». و لعله: «ما سئمنا» أو ما في معناه.

2- اللبس (بالكسر): ما يلبس.

3- أسر عنك الهموم: ألقها عنك. يقال سروت الثوب و غيره عيني سروا، و سريته تسرية إذا ألقيته عنك و نضوته. و تداعت هنا: تجمعت و أقبلت.

4- كذا في «ح». و في «بعض الأصول»: «العقيق» و في بعضها: «العتيق». و هما تحريف. و الفنيق: لفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله و لا يركب. شبه ناقته بالفحل في الضخامة و القوة. و العلاة هنا: الناقة المشرفة الصلبة. و الوخود: كثيرة الوخد و هو السرعة في السير، و أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام.

5- العنتريس من النوق: الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجواد الجريئة.

6- في «الأصول»: «بنعم». و يريد بالفعم هنا العنق. و الأشاءة: النخلة الصغيرة. و المجرود: المقشور.

7- جوز كل شيء: وسطه. و الفلا: واحدته فلاة، و هي القفر أو المفازة لا ماء فيها أو الصحراء الواسعة. و سامه الشيء كلفه إياه. و النجاء: السرعة. و العجرفة و العجرفية في السير: السرعة. يريد: كلفها سيرا سريعا لا تقصد فيه لنشاطها. و في «الأصول»: «عجر في النجاد. و هو تحريف. و التوخيد: حمل الدابة على الوخد و هو ضرب من السير سريع.

/

و هشاما خليفة اللّه فاعمد *** و اصر من مرّة(1) القويّ الجليد

تلقه محكم القوى أريحيّا(2)*** ذا قرّى عاجل و سيب عتيد

ملكا يشمل الرعيّة منه *** بأياد ليست بذات خمود

أخضر الرّبع و الجناب خصيب *** أفيح(3) المستراد للمستريد

ذكرت ناقتي البطاح فحنّت *** حين أن ورّكت(4) قبور ثمود

/قلت بعض الحنين يا ناق سيري *** نحو برق دعا لغيث عميد

فأغذّت في السّير(5) حتى أتتكم *** و هي قوداء في سواهم قود

قد براها السّرى إليك و سيري *** تحت حرّ الظّهيرة الصّيخود(6)

و طوى طائد العرائك(7) منها *** غول بيد تجتابها بعد بيد

و أتتكم حدب الظّهور و كانت *** مسنمات ممرّها بالكديد(8)

/و اطمأنّت(9) أرض الرّصافة بالخص *** ب و لم تلق رحلها بالصّعيد

نزلت بامرئ يرى الحمد غنما *** باذل متلف مفيد معيد

بذل العدل في القصاص فأضحى *** لا يخاف الضعيف ظلم الشديد

من بنى النّضر من ذرا منبت النّض *** ر بأورى زند و أكرم عود

فهو كالقلب في الجوانح منها *** واسط سرّ جذمها(10) و العديد

1- كذا في «الأصول». و المرة: قوة الخلق و شدّته.

2- الأريحيّ: الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف. و السيب: العطاء. و العتيد: الحاضر المهيأ.

3- أفيح المستراد للمستريد: واسع المطلب للطالب. و اخضرار الربع و خصب الجناب و فيح المستراد يراد به الكرم و اتساع الجود.

4- كذا في «ج». يقال: ورّك الجبل (بتشديد الراء) إذا جاوزه مثل واركه. و في «سائر الأصول»: «وردت». و قبور ثمود: حيث كانت ديارهم بوادي القرى بين المدينة و الشام، و قريتهم كانت تسمى الحجر. و ديار ثمود تقع في طريق الشاعر في رحيله من الحجاز إلى الشام.

5- أغذت في السير: أسرعت. و القوداء من الإبل: الطويلة العنق و الظهر. و الساهمة: الضامرة المتغيرة من السير.

6- الظهيرة الصيخود: الهاجرة الشديدة الحر.

7- كـذا في «ب، س». و في «الأصول الخطيـة»: «صائد العرائك». و الطائد: الثابت. و هو غير واضح، و كذلك صائد العرائك. و العرائك: جمع عريكة و هي السنام أو بقيته. و غول البيد (بفتح الغين): بعدها. و البيد: جمع بيداء و هي الفلاة. و تجتابها: تقطعها.

8- الحـدب: جمع حـدباء و هي من الـدواب: التي بدت حراقفها من الهزال. و الحرقفة: عظم الحجبة أي رأس الورك. و المسـنمات: التي أعظم الكلأ أسـنمتها. يقال: سـنم البعير يسنم سنما (وزان فرح) فهو سنم، و سنمة الكلأ (بتشديد النون) و أسنمه. و ممرها هنا: ظرف. يريد أن الإبل وصلت إلى القوم مهزولة و قد كانت سمينة حين مرت بالكديد. و الكديد: موضع بالحجاز بين عسفان و أمج.

9- يريد: نزلت أرض الرصافة مطمئنة بالخصب. فضمن «اطمأن» معنى «نزل» فعداه إلى المفعول.

10- يقال: وسط فلان قومه و حسـبه، و وسط في قومه و حسـبه، إذا حل في المكان الأكرم منهم. و الجذم (بالكسر و يفتح): الأصل. و سر الجذم: صريحه و خالصه.

بين مروان و الوليد فبخ بخ *** للكريم المجيد غير الزّهيد

لو جرى الناس نحو غاية مجد *** لرهان في المحفل المشهود

لعلاهم بسابغين(1) من المج *** د على الناس طارف و تليد

إنّكم معشر أبي اللّه إلاّ *** أن تفوزوا بدرّها(2) المحشود

لم ير اللّه معشرا من بني(3) مر *** و إن أولى بالملك و التسويد

قادة سادة ملوك بحار *** و بها ليل للقروم الصّيد(4)

أريحيون(5) ماجدون خضمّو *** ن حماة عند ارتداد الجلود

يقطعون النهار بالرأي و الحز *** م و يحيون ليلهم بالسّجود

/أهل رفد و سؤدد و حياء *** و وفاء بالوعد و الموعود

و يرون الجوار من حرم اللـ *** ـه فما الجار فيهم بوحيد

لو بمجد نال الخلود قبيل *** آل مروان فزتم بالخلود

يا ابن خير الأخيار من عبد شمس *** يا إمام الورى و ربّ الجنود

عبد شمس أبوك و هو أبونا *** لا نناديك من مكان بعيد

ثم جدّي الأدنى و عمّك شيخي *** و أبو شيخك الكريم الجدود

فالقرابات بيننا واشجات *** محكمات القوى بحبل شديد

فأثبني ثواب مثلك مثلي *** تلقني للثّواب غير جحود

إنّ ذا الجدّ من حبوت بودّ *** ليس من لا تودّ بالمجدود

و بحسب امرئ من الخير يرجى *** كونه عند ظلّك الممدود

قصيدة له يندب فيها فرقة بني أمية:

اشارة

و أمّا قصيدته التي أوّلها:

ما بال عينك جائلا أقذاؤها

و هي التي فيها الغناء المذكور، فإنه قالها في دولة بني أميّة عند اختلاف كلمتهم و وقوع الفتنة بينهم، يندب

1- في «ج»: «بسامعين». و أحسب أن صوابه «بسامقين». و السامق: العالي الطويل.

2- في «الأصول»: «بدارها» و هو تحريف.

3- أي لم ير اللّه معشرا أولى من بني مروان بالملك و التسويد.

4- البهاليل: جمع بهلول، و هو هنا: السيد الجامع لكل خير. و القروم: جمع قرم (بالفتح) و هو هنا السيد العظيم. و الصيد: جمع أصيد، و هو الذي لا يلتفت من زهوه يمينا و لا شمالا. يصفهم بأنهم سادة منسوبون لسادة عظام.

5- الأريحي: الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف. و الخضم: السيد الحمول المعطاء، و هذا الوصف خاص بالرجال (عن «القاموس»). و ارباد الجلود: تغير لونها من الغضب و الشدّة. و الربدة: لون إلى الغبرة.

بينهم(1)، و فيها يقول:

/

و اعتادها ذكر العشيرة بالأسى *** فصباحها ناب بها و مساؤها

شركوا(2) العدا في أمرهم فتفاقمت(3)*** منها الفتون(4) و فرّقت أهواؤها

ظلّت هناك و ما يعاتب بعضها *** بعضا فينفع ذا الرّجاء رجاؤها

إلاّ بمرهفة الظّبات(5) كأنّها *** شهب تقلّ - إذا هوت - أخطاؤها

/و بعسّل(6) زرق يكون خضابها *** علق النّحور إذا تفيض دماؤها

فبذاكم أمست تعاتب(7) بينها *** فلقد خشيت بأن يحمّ فناؤها

ما ذا أؤمّل إن أميّة ودّعت *** و بقاء سكّان البلاد بقاؤها

أهل الرّئاسة و السّياسة و النّدى *** و أسود حرب لا يخيم لقاؤها(8)

غيث البلاد هم و هم أمراؤها *** سرج يضيء دجى الظّلام ضياؤها

فلئن أميّة ودّعت و تتايعت(9)*** لغواية حميت لها خلفاؤها

ليودّعنّ من البريّة غزّها *** و من البلاد جمالها و رجاؤها

و من البليّة أن بقيت خلافهم *** فردا تهيجك دورهم و خلاؤها

لهفي على حرب العشيرة بينها *** هلاّ نهى جهّالها حلماؤها

هلاّ نهى تنهى الغويّ عن التي(10)*** يخشى على سلطانها غوغاؤها

و تقى و أحلام لها مضريّة *** فيها إذا تدمى الكلوم دواؤها(11)

لمّا رأيت الحرب توقد بينها *** و يشبّ نار وقودها إذكاؤها(12)

نوّهت بالملك المهيمن دعوة *** و رواح(13) نفسي في البلاء دعاؤها

1- أي يندب فرقتهم.

2- كذا في «أ، م» أي أشركوا العدا في أمرهم. و في «سائر النسخ»: «شرك».

3- تفاقمت: عظمت و اشتدّت.

4- كذا في «الأصول». و نحسب أن صوابها «الفتوق»؛ فإن الفتنة، و هي ما يقع بين الناس من الخلاف و القتال، لا تجمع على «فتون».

5- مرهفة الظبات السيوف.

6- العسل: الرماح، و غسلان الرمح: شدّة اهتزازه. و الزرقة في النصال: شدّة صفائها. وصف الشاعر الرماح بالزرقة و هي وصف نصالها.

7- في «الأصول»: «تعاقب» و هو تحريف. و يحم: يقضي.

8- خام: نكص و جبن و ضعف. يريد أنهم أسود حرب لا تجبن عند اللقاء.

9- في «الأصول»: «تتابعت» بالباء الموحدة. و التتابع: التهافت و الإسراع إلى الشيء. و لا يكون التتابع إلا في الشر.

10- كذا ورد في هذا الشطر في «ب، س». و ورد في «الأصول الخطية» ناقصا هكذا: «ها الغوي عن التي». و كلمة «ها» ليس في «ج».

11- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «دماؤها» و هو تحريف.

12- كذا في «الأصول الخطية». و إذكاء النار و تذكيتها: إيقادها. و في «ب، س»: «و تشب نار وقودها و ذكاؤها».

13- الرواح هنا - و مثله الراحة و الراح -: الارتياح و الاستراحة، و هو وجدانك روحا و خفة بعد مشقة.

/

ليردّ ألفتها و يجمع أمرها *** بخيارها فخيارها رحماؤها

فأجاب ربّي في أميّة دعوتي *** و حمى أميّة أن يهدّ بناؤها

و حبا(1) أميّة بالخلافة إنّهم *** نور البلاد و زينها و بهاؤها

فبنو أميّة خير من وطئ الثّرى *** شرفا و أفضل ساسة أمراؤها

و هي قصيدة طويلة اقتصرت منها على ما ذكرته.

*

صوت

مهلا ذريني فإنّي غالني خلقي *** و قد أرى في بلاد اللّه متّسعا

ما عضّني الدّهر إلاّ زادني كرما *** و لا استكنت له إن خان أو خدعا

الشعر لأبي جلدة(2) اليشكريّ من قصيدة يمدح بها مسمع بن مالك بن مسمع، و الغناء لعلّويه رمل بالوسطى عن عمرو.

1- لم يرد هذا البيت إلا في «أ، م».

2- في «الأصول»: «لأبي كلدة». و راجع الحاشية الأولى من الصفحة التالية.

18 - أخبار أبي جلدة و نسبه

اشارة

18 - أخبار أبي جلدة(1) و نسبه

نسب أبي جلدة:

أبو جلدة بن عبيد بن منقذ بن حجر بن عبيد اللّه بن مسلمة بن حبيّب بن عديّ بن جشم بن غنم بن حبيّب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل، شاعر إسلاميّ، من شعراء الدّولة الأمويّة، و من ساكني الكوفة. و كان ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجّاج.

كان من أخص الناس بالحجاج ثم صار من أشدّهم تحريضا عليه حين خرج مع ابن الأشعث و قتل:

أخبرني بخبره في جملة ديوان شعره محمد بن العبّاس اليزيديّ و قرأته عليه قال حدّثني عمّي عبد اللّه قال حدّثني/محمد بن حبيب، و أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش أيضا عن الحسن بن الحسن اليشكريّ عن ابن الأعرابيّ قال:

كان أبو جلدة اليشكريّ من أخصّ النّاس بالحجّاج، حتى إنه بعثه و بعث معه عبد اللّه بن شدّاد بن الهادي الليثيّ إلى عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فخطب الحجّاج منه ابنته أمّ كلثوم. ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث، و كان من أشدّ النّاس تحريضا على الحجّاج. فلمّا أتى الحجّاج برأسه و وضع بين يديه مكث ينظر إليه طويلا ثم قال: كم من سرّ أودعته(2) في هذا الرأس فلم يخرج حتى أتيت به/مقطوعا. فلمّا كان يوم الزّاوية(3) خرج أبو جلدة بين الصّفّين، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

فقل للحواريّات(4) يبكين غيرنا *** و لا تبكنا إلاّ الكلاب النوابح

بكين إلينا خشية أن تبيحها *** رماح النّصارى(5) و السيوف الجوارح

بكين لكيما يمنعوهنّ منهم *** و تأبى قلوب أضمرتها الجوانح

1- في «الأصول»: «أبي كلدة» و كذلك ورد في كل المواضع من هذه الترجمة. و التصويب من كتاب «المؤتلف و المختلف» لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمديّ (صفحة 78 طبعة مكتبة القدسي بالقاهرة) و شرح «القاموس» (مادة جلد) و «تاريخ الطبري» (القسم الثاني صفحة 1102) و «لسان العرب» (في مادة حور) و كتاب «الشعر و الشعراء» لابن قتيبة. على أنه يحتمل أن تكون في هذا الاسم لهجة أخرى تجعل الحرف الأوّل منه مثل الجيم القاهرية و القاف لدى أهل صعيد مصر، فكان رسمها بالكاف في «الأصول» إشارة إلى هذه اللهجة.

2- كذا في «الأصول». و المعروف أنه يقال: أودعت كذا كذا. فلعل حرف الجر من زيادات النساخ.

3- في «الأصول»: «الراوية» بالراء المهملة و هو تصحيف. و الزاوية: موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج و عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قتل فيها خلق كثير من الفريقين و ذلك في سنة ثلاث و ثمانين للهجرة.

4- في «الأصول»: «للجويريات». و التصويب من كتاب «المؤتلف و المختلف». و «لسان العرب» (في مادة حور). و الحواريات نساء

الأمصار، سـمين بـذلك لبياضـهن و تباعـدهن عن قشف الأعراب بنظافتهن. الواحدة حوارية. و يروى: «فقل لنساء المصـر» كما في كتاب «المؤتلف و المختلف».

5- في «اللسان»: «جعل أهل الشام نصارى لأنها تلي الروم و هي بلادها».

و نادينا: أين الفرار و كنتم *** تغارون أن تبدو البرى(1) و الوشائح

أ أسلمتمونا للعدوّ على القنا *** إذا انتزعت منها القرون النواطح

فما غار منكم غائر لحليلة *** و لا عزب عزّت عليه المناكح

قال: فلمّا أنشدهم هذه الأبيات أنفوا و ثاروا فشدّوا شدّة تضعضع لهم عسكر الحجّاج، و ثبت لهم الحجّاج و صاح بأهل الشام فتراجعوا و ثبتوا، فكانت الدائرة له، فجعل يقتّل الناس بقيّة يومه، حتى صاح به رجل: و اللّه يا حجّاج لئن كنّا قد أسأنا في الذنب لما أحسنت في العفو، و لقد خالفت اللّه فينا و ما أطعته. فقال له: و كيف ويلك؟ قال:

لأنّ اللّه تعالى يقول فَإِذٰا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقٰابِ/حَتّٰى إِذٰا أَثْخَنْتُمُوهُمْ(2) فَشُدُّوا الْوَثٰاقَ فَإِمّٰا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمّٰا فِدٰاءً حَتّٰى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزٰارَهٰا و قد قتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحدّ، فأسر و لا تقتل، ثم قال: أو امنن. فقال أولى لك(3)! أ لا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت! ثم نادى برفع السيف و أمّن الناس جميعا، قال ابن حبيب قال ابن الأعرابيّ: فبلغني أنّ الحجّاج قال يوما لجلسائه ما حرّض على أحد كما حرّض أبو جلدة؛ فإنه نزل على سرحة(4) في وسط عسكر لابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه و سلح فوقه و الناس ينظرون إليه. فقالوا له: ما لك ويلك أ جننت! ما هذا الفعل! قال: كلّكم قد فعلتم مثل هذا إلاّ أنكم سترتموه و أظهرته. فشتموه و حملوا عليّ، فما أنساهم و هو يقدمهم و يرتجز:

نحن جلبنا الخيل من زرنجا(5) *** ما لك يا حجّاج منّا منجى

لتبعجنّ(6) بالسيوف بعجا *** أو لتفرّنّ فذاك أحجى(7)

فو اللّه لقد كاد أهل الشام يومئذ يتضعضعون لو لا أنّ اللّه تعالى أيّد بنصره.

قال و قال أبو جلدة يومئذ:

أيا لهفي و يا حزني جميعا *** و يا غمّ(8) الفؤاد لما لقينا

تركنا الدّين و الدّنيا جميعا *** و خلّينا(9) الحلائل و البنينا

فما كنّا أناسا أهل دين *** فنصبر للبلاء إذا بلينا(10)

1- البري هنا: الخلاخيل، واحدها برة. و الوشائح: جمع لوشاح (بضم أوله و كسره). و هو أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها و كشحيها. و يجمع الوشاح أيضا على وشح (بضمتين) و أوشحة.

2- أثخنتموهم: غلبتموهم و كثرت فيهم الجراح.

3- أولى لك: دعاء عليه بمعنى ويل لك.

4- السرحة: الشجرة العظيمة.

5- زرنج: قصبة سجستان.

6- في «الأصول»: «لنبعجن» بالنون. و قد أثبتناه كما ترى ليكون خطابا للحجاج. و البعج: الشق.

7- في «ب، س»: «أو لنفرقن بـذاك». و في «ج»: أو لتفرن بـذاك» و يقرأ «أو لنقرن بـذاك» بـالنون و القاف. و في «أ، م»: «أو لنغرن بـذاك» بالنون و الغين. و قد أثبتناه كما ترى لأن له معنى يلائم السياق. و أحجى: أجدر و أخلق.

8- في «الطبري»: «و يا حرّ الفؤاد».

9- في «الطبري»: «و أسلمنا».

10- في «الطبري»: «في البلاء إذا ابتلينا».

و لا كنّا أناسا أهل دنيا *** فنمنعها و إن لم نرج دينا

تركنا دورنا لطغام عكّ(1) *** و أنباط(2) القرى و الأشعرينا(3)

ذم من القعقاع بن سويد بعض ما عامله به فقال فيه شعرا:

قال ابن حبيب: و كان أبو جلدة مع القعقاع بن سويد المنقريّ بسجستان، فذمّ منه بعض ما عامله به، فقال فيه:

ستعلم أنّ رأيك رأي سوء *** إذا ظلّ الإمارة عنك زالا

و راح بنو أبيك و لست فيهم *** بذي ذكر(4) يزيدهم جمالا

هناك تذكّر الأسلاف منهم(5) *** إذا اللّيل القصير عليك طالا

فقال له القعقاع: و متى يطول عليّ الليل القصير؟ قال: إذا نظرت إلى السماء مربّعة. فلمّا عزل و حبس أخرج رأسه ليلة فنظر(6)، فإذا هو لا يرى السماء إلا بقدر تربيع السّجن، فقال: هذا و اللّه الذي حذّرنيه أبو جلدة.

مدح مسمع بن مالك حين ولي سجستان و رثاه حين توفي:

قال: و ولي مسمع بن مالك سجستان، و كان مكث أبي جلدة بها، فخرج إليه فتلقّاه و مدحه بقصيدته التي أوّلها:

بانت سعاد و أمسى حبلها انقطعا *** و ليت وصلا لها من حبلها رجعا

شطّت بها غربة زوراء(7) نازحة *** فطارت النّفس من وجد بها قطعا

/ما قرّت العين إذ زالت(8) فينفعها *** طعم الرّقاد إذا ما هاجع هجعا

منعت نفسي من روح تعيش به *** و قد أكون صحيح الصّدر فانصدعا

غدت تلوم على ما فات عاذلتي *** و قبل لومك ما أغنيت من منعا

مهلا ذريني فإنّي غالني(9) خلقي *** و قد أرى في بلاد اللّه متّسعا

فخري(10) تليد و ما أنفقت أخلفه *** سيب الإله و خير المال ما نفعا

1- عك: قبيلة. و طغامها: أوغادها.

2- في «الأصول»: «و أنماط القرى». و التصويب من «الطبري». و الأنباط - و مثله النبط و النبيط -: جيل من الناس كانوا بالبطائح بين العراقين.

3- الأشعرون: جمع أشعري (نسبة إلى الأشعر و هو أبو قبيلة باليمن). و حذفت ياء النسب في الجمع تخفيفا.

4- في «ح»: «بذي ذخر».

5- كذا في «أ، م». و في «سائر الأصول»: «فيهم».

6- في «أ، م»: «ينظر».

7- شطت: بعدت. و غربة زوراء: بعيدة. و نازحة: بعيدة.

8- في «الأصول»: «إذ زلت». و زالت: فارقت.

9- غالني هنا: حبسني؛ يقال: ما غالك عنا؟ أي ما حبسك عنا.

10- يحتمل أن يكون «مجدي».

ما عضّني الدهر إلاّ زادني كرما *** و لا استكنت له إن خان أو خدعا

و لا تلين على العلاّت(1) معجمتي(2) *** في النائبات إذا ما مسّني(3) طبعا

و لا تليّن من عودي غمائزه(4) *** إذا المغمّز منها لان أو خضعا

و لا أخاتل ربّ البيت غفلته *** و لا أقول لشيء فات ما صنعا

إنّي لأمدح أقواما ذوي حسب *** لم يجعل اللّه في أقوالهم قذعا(5)

الطيّبين على العلاّت معجمة *** لو يعصر المسك من أطرافهم نبعا

بني شهاب بها أعني و إنّهم *** لأكرم النّاس أخلاقا و مصطنعا

/قال: فوصله مسمع بن مالك و حمله و كساه و ولاّه ناشيتكين(6) و كان مكتبه(7). قال: ثم توفّي مسمع بن مالك سجستان، فقال أبو جلدة يرثيه:

أقول للنّفس تأساء و تعزية *** قد كان من مسمع في(8) مالك خلف

يا مسمع الخير من ندعو إذا نزلت *** إحدى النّوائب بالأقوام و اختلفوا

/يا مسمعا لعراق لا زعيم لها *** بمن ترى يؤمن المستشرف النّطف(9)

تلك العيون بحيث المصر(10) سادمة *** تبكيك إذا غالك الأكفان و الجرف

قد وسّدوك يمينا غير موسدة *** و بذل جود لما أودي بك التلف

كنت الشّهاب الذي يرمى العدوّ به *** و البحر منه سجال الجود تغترف

1- على العلاّت أي على أي حال من يسر أو عسر، و شدّة أو رخاء.

2- المعجمة: القوة و الصلابة؛ يقال: فلان صلب المعجم و المعجمة إذا كان عزيز النفس إذا جرسته وجدته عزيزا صلبا.

3- يريد: «إذا ما مستني»، و مرجع الضمير النائبات، فاضطر، أو إذا ما مسني شيء منها. و الطبع: هنا الضعف و الخور. و أصله الوسخ و الدنس يغشيان السيف، ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار و الآثام و غيرهما من المقابح.

4- ظاهر أن الغمائز هنا جمع غميزة اسم من الغمز بمعنى العصر و التليين. و لم نجد الغمائز بهذا المعنى فيما بين أيدينا من المظان، و إنما الغميزة العيب؛ يقال: ليس في فلان غميزة و لا غميز و لا مغمز، أي ليس فيه ما يغمز فيعاب به. و يحتمل أن يكون صوابه «مغامزة» جمع «مغمز» بمعنى العصر باليد و التليين.

5- القذع (بالتحريك): الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره.

6- كذا في «أ، م». و في «ب، س»: «ناشتكين» بدون ياء. و في «ح»: «ناشئة كنن» و لم نهتد إلى وجه الصواب فيه.

7- كذا في «الأصول». و لعل صوابه: «و كان بها مكثه» كما تقدّم نظيره في أول هذه الخبر.

8- أحسب أن صوابه: قد كان في مسمع من مالك خلف

9- المستشـرف: الظالم. يقال: استشرفه حقه إذا ظلمه. و النطف: المريب. و في «الأصول»: «يأمن» ببناء الفعل للفاعل، و هو لا يستقيم به الكلام.

10- في هـذا البيت و الذي بعده كلمات غير واضـحة، و أحسب أن فيهما تحريفا، بل كلمات البيت الثاني غير ملتئمة مما يدل على أن في الشعر نقصا.

كان ينادم شقيق بن سليط و استثقل أخاه ثعلبة فهجاه:

قال ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال:

كان أبو جلدة ينادم شقيق بن سليط بن بديل السّدوسيّ أخا بسطام بن سليط، و كان لهما أخ يقال له ثعلبة بن سليط، و كان ثقيلا بخيلا مبغّضا، و كان يطفّل عليهم و يؤذيهم. فقال فيه أبو جلدة:

أحبّ على لذاذتنا شقيقا *** و أبغض مثل ثعلبة الثّقيل(1)

له غمّ على الجلساء مؤذ *** نوافله إذا شربوا قليل

أعطى مسمع مالا لعشيرته و جفا بكر فقال هو شعرا فأكرمه و أرضاه:

قال ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ:

و فرّق مسمع بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثعلبة عطايا كثيرة و قرّبهم و جفا سائر بطون بكر بن وائل. فقال أبو جلدة:

إذا نلت مالا قلت قيس عشيرتي *** تجور علينا عامدا في قضائكا

و إن كانت الأخرى فبكر بن وائل *** بزعمك يخشى(2) داؤها بدوائكا

هنالك لا نمشي الضّراء(3) إليكم *** بني مسمع إنّا هناك أولئكا

عسى دولة(4) الذّهلين يوما و يشكر *** تكرّ علينا سبغة(5) من عطائكا

قال: فبعث إليه مسمع فترضّاه و وصله و فرّق في سائر بطون بكر بن وائل على جذمين، جذم يقال له الذّهلان، و جذم يقال له اللّهازم. فالذّهلان: بنو شيبان بن ثعلبة بن يشكر بن وائل، و بنو ضبيعة بن ربيعة(6). و اللّهازم:

قيس بن ثعلبة، و تيم اللاّت بن ثعلبة، و عجل(7) بن لجيم، و عنزة(8) بن أسد بن ربيعة. قال الفرزدق:

و أرضى بحكم الحيّ بكر بن وائل *** إذا كان في الذّهلين أو في اللّهازم

/قال: و قد دخل بنو قيس بن عكابة مع إخوتهم بني قيس بن ثعلبة بن عكابة. و أمّا حنيفة فلم تدخل في شيء من

1- في هذا الشعر إقواء.

2- كذا في «الأصول».

3- الضراء: الشجر الملتف، و يراد به أيضا الاستخفاء و المكر و الخديعة؛ يقال: فلان يمشي الضراء إذا مشى فيما يواريه عمن يكيده و

يختله، و يقال منه استضـربت للصيد إذا قتلته من حيث لا يعلم. يقول الشاعر: هنالك نجاهركم و لا نخاتلكم يا بني مسمع، و سنكون هناك ظاهرين يشار إلينا.

4- الدولة (بالفتح) العقبة في الحرب؛ يقال: كانت لنا عليهم الدولة، و الدولة (بالضم) في المال؛ يقال: صار الفيء دولة بينهم يتداولونه: مرة لهذا و مرة لهذا، و قيل: هي في الحرب و في المال بالفتح و بالضم.

5- في «أكثر الأصول»: «صبغة». و في «ح»: «سعة» بغير إعجام. و السبغة في العيش: السعة فيه.

6- في «النقائض» (صفحة 764): «قال الـذهلان شـيبان بن ثعلبة و ذهل بن ثعلبة. قال و إليهم تحلفت الذهلان. قال و بهم سـموا، و هم شيبان و ذهل و يشكر وضيعة بن ربيعة هذه الأربع القبائل الذهلان». و في «اللسان» مادة ذهل: «و ذهل هي من بكر و هما ذهلان كلاهما من ربيعة أحدهما ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة و الآخر ذهل بن ثعلبة بن عكابة».

7- في «الأصول»: و تيم اللات بن ثعلبة بن عجل بن لجيم» و التصويب من «النقائض».

8- في «بعض الأصول»: «عنترة» و هو تحريف.

هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة في وسط دار مضر، و كانوا لا ينصرون بكرا و لا يستنصرونهم. فلمّا جاء الإسلام و نزل(1) الناس مع بني حنيفة و مع بني عجل بن لجيم فتلهزموا(1) و دخل معهم حلفاؤهم بنو مازن بن جديّ بن مالك بن صعب(2) بن عليّ، فصاروا جميعا في اللهازم. و قال موسى بن جابر الحنفيّ السّحيميّ بعد ذلك في الإسلام:

وجدنا أبانا كان حلّ ببلدة *** سوى(3) بين قيس قيس عيلان و الفزر

فلمّا نأت عنّا العشيرة كلّها *** أقمنا و حالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا بعد في يوم وقعة *** و لا نحن أغمدنا السيوف على وتر

كان جاره سيف يشرب و يعربد عليه فهجاه:

و قال ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال:

كان لأبي جلدة بسجستان جار يقال له سيف من بني سعد، و كان يشرب الخمر و يعربد على أبي جلدة، فقال يهجوه:

قل لذوي سيف و سيف أ لستم *** أقلّ بني سعد حصادا و مزرعا

كأنّكم جعلان دار(4) مقامة *** على عذرات(5) الحيّ أصبحن وقّعا

لقد نال سيف في سجستان نهزة *** تطاول منها فوق ما كان إصبعا

أصاب الزّنا و الخمر حتّى لقد نمت *** له سرّة تسقى الشّراب المشعشعا(6)

/فلو لا هوان الخمر ما ذقت طعمها *** و لا سقت إبريقا بكفّك مترعا(7)

كما لم يذقها أن تكون عزيزة *** أبوك و لم يعرض عليها فيطمعا

و كان مكان الكلب أو من ورائه *** إذا ما المغنّي للّذاذة أسمعا

خبره مع القعقاع حين أرجف به فتهدّده بالعزل:

قال ابن حبيب: و كان أبو جلدة قد استعمله القعقاع بن سويد حين تولّى سجستان على بست(8) و الرّخّج، فأرجف الناس بالقعقاع و أرجف به أبو جلدة معهم، و كتب القعقاع إليه يتهدّده؛ فكتب إليه أبو جلدة:

1- يحتمل أن يكون جواب «لما» «و نزل الناس» أو «و دخل بعضهم» بزيادة الواو. و الواو قد تزاد في جواب «لما».

2- في «الأصول»: «مصعب». و التصويب من «كتب الأنساب».

3- يقال: مكان سوى (بضم السين و كسرها) و سواء (بالفتح و المد) إذا كان وسطا فيما بين الفريقين.

4- كذا في «ح». و في «سائر الأصول»: «دار مضامة» و هو تحريف.

5- العذرة (بفتح فكسر): الغائط.

6- الشراب المشعشع: الممزوج بالماء.

7- ورد هذا البيت و الذي بعده في «تكملة شعر الأخطل» للأب أنطوان صالحاني اليسوعي، و فيه: و لا سفت إبريقا بأنفك مترعا و السوف: الشم.

8- بست (بالضم): مدينة بين سجستان و غزنين و هراة من نواحي كابل.

يهدّدني القعقاع في غير كنهه *** فقلت له بكر إذا رمتني ترسي

كأنّا و إيّاكم إذا الحرب بيننا *** أسود عليها الزّعفران مع الورس(1)

ترى كمصابيح الدّياجي وجوهنا *** إذا ما لقينا و الهرقليّة(2) الملس

هناك السّعود السانحات جرت لنا *** و تجري لكم طير البوارح بالنّحس

و ما أنت يا قعقاع إلاّ كمن مضى *** كأنك يوما قد نقلت إلى الرّمس

أظنّ بغال البرد تسري إليكم *** به غطفانيّا و إلاّ فمن عبس

و إلاّ فبالبسّال(3) يا لك إن سرت *** به غير مغموز القناة و لا نكس(4)

فعمّالنا أوفى و خير بقيّة *** و عمّالكم أهل الخيانة و اللّبس

و ما لبني عمرو عليّ هوادة *** و لا للرّباب غير تعس من التّعس

/قال: فلمّا انتهت هذه القصيدة إلى القعقاع وجّه برسول إلى أبي جلدة، و قال: انظر، فإن كان كتب هذا الكتاب بالغداة فاعزله، و إن كان كتبه باللّيل فأقرره على عمله و لا تعزله و لا تضربه. و كان أبو جلدة صاحب شراب، فقال للرسول: و اللّه ما كتبته إلاّ بالعشيّ. فسأله البيّنة على ذلك فأتاه بأقوام شهدوا له بما قال، فأقرّه على عمله و انصرف عنه.

شبب ببنت دهقان فأهدى له ليترك ذكرها:

قال ابن حبيب: و مرّ أبو جلدة بقصر من قصور بست ينزله رجل من الدّهاقين، فرأى ابنته تشرف من أعلى القصر، فأنشأ يقول:

إنّ في القصر ذي الخبا بدر تمّ *** حسن الدّلّ للفؤاد مصيبا

ولعا بالخلوق(5) يأرج منه *** ريح رند إذا استقلّ منيبا(6)

يلبس الخزّ و المطارف و الق *** زّ و عصبا من اليماني قشيبا

و رأيت الحبيب يبرز كفّا *** ما رآه(7) المحبّ إلاّ خضيبا

فبلغ ذلك من قوله الدّهقان، فأهدى له و برّه و سأله ألاّ يذكر ابنته في شعر بعد ذلك.

لحقه ضيم فلم يمنعه قومه فهتف بمسمع بن مالك و آخرين فسعى له قومه:

1- الزعفران: صبغ أصفر. و الورس: نبت أصفر يكون باليمن تصبغ به الثياب.

2- دياجي الليل: حنادسه (ظلماته) كأنه جمع ديجاة. و الهرقلية: الدنانير، نسبة إلى هرقل ملك الروم.

3- كذا في «ب، س». و في «أ، م»: «و إلا فيا لستال». و في «ح»: هكذا: «و إلا بنا لتسال». و لم نهتد إلى وجه الصواب فيه.

4- غمز القناة: عصرها و تليينها. و إباء القناة أن تلين للغامز يراد به القوة و عدم الانقياد. و النكس: الضعيف.

5- الخلوق: ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران. يأرج: يفيح و ينتشر. و الرند: شجر طيب الرائحة، و قيل هو العود أو الآس.

6- استقل هنا: نهض. و منيبا: راجعا.

7- كذا في «الأصول». و تذكير «الكف» غلط أو لغة قليلة.

قال ابن حبيب: و لحق أبا جلدة ضيم من بعض الولاة، فهتف بقومه فلم يقدروا على منعه منه و لا معونته رهبة للسّلطان، فهتف بأعلى صوته: يا مسمع بن مالك، يا أمير بن أحمر، ثم أنشأ يقول:

و لمّا أن رأيت سراة قومي *** سكوتا لا يثوب لهم زعيم

هتفت بمسمع و صدى(1) أمير *** و قبر معمّر تلك القروم

/قال: فأبكى جميع من حضر، و قاموا جميعا إلى الوالي فسألوه في أمره حتى كفّ عنه. قال: و أمير بن أحمر رجل من بني يشكر، و كان سيّدا جوادا، و فيه يقول زياد الأعجم:

لو لا أمير هلكت يشكر *** و يشكر هلكى على كلّ حال

قال ابن الأعرابيّ: كان أمير بن أحمر واليا على خراسان في أيّام معاوية.

و معمّر الذي عناه أبو جلدة معمّر بن شمير(2) بن عامر بن جبلة بن ناعب بن صريم، و كان أمير سجستان، و كان سيّدا شريفا.

خطب خليعة بنت صعب فأبت و تزوّجت غيره فقال شعرا:

اشارة

و قال: خطب أبو جلدة امرأة من بني عجل يقال لها خليعة(3) بنت صعب، فأبت أن تتزوّجه و قالت: أنت صعلوك فقير لا تحفظ مالك و لا تلفي شيئا إلاّ أنفقته في الخمر، و تزوّجت غيره. فقال أبو جلدة في ذلك:

صوت

لمّا خطبت إلى خليعة(2) نفسها *** قالت خليعة ما أرى لك مالا

أودى بمالي يا خليع تكرّمي *** و تخرّقي و تحمّلي الأثقالا

إنّي و جدّك لو شهدت مواقفي(4) *** بالسّفح(5) يوم أجلّل الأبطالا

سيفي، لسرّك أن تكوني خادما *** عندي إذا كره الكماة نزالا

الغناء لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ من كتاب عليّ بن يحيى.

ضرط بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضرطوا:

قال أبو سعيد السّكّريّ و عمر بن سعيد(6) صاحب الواقديّ:

إنّ أبا جلدة كان في قرية من قرى بست يقال لها الخيزران و معهم عمرو بن صوحان أخو صعصعة في جماعة يتحدّثون و يشربون، إذ قام أبو

جلدة ليبول فضرط، و كان عظيم البطن، فتضاحك القوم منه، فسلّ سيفه و قال:

1- الصدى هنا: جسد الإنسان بعد موته.

2- في «الأصول»: «سمير» بالسين المهملة. و التصويب من كتاب «الاشتقاق».

3- في «ج»: «خلية». و كذا في الشعر الآتي: «أودى بمالي يا خلي تكرمي».

4- كذا في «أ، م». و في «سائر الأصول»: «مواقعي».

5- في «ج»: «بالسنح». و السنح (بالضم): اسم لعدّة مواضع. و سفح الجبل: أسفله حيث يسفح فيه الماء. و لعل السفح هنا موضع بعينه.

6- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «عمرو بن سعد» و لم نهتد إلى الصواب فيه.

لأضربنّ من لا يضرط في مجلسه هذا ضربة بسيفي، أ منّي تضحكون لا أمّ لكم! فما زال حتّى ضرطوا جميعا غير عمرو بن صوحان. فقال له: قـد علمت أنّ عبد القيس لا تضـرط و لك بدلها عشـر فسوات. قال: لا و اللّه أو تفصح بها! فجعل عمرو يجثي(1) و ينحني فلا يقدر عليها، فتركه. و قال أبو جلدة في ذلك:

أ من ضرطة بالخيزران ضرطتها *** تشدّد منّي دارة(2) و تلين

فما هو إلاّ السيف أو ضرطة لها *** يثور دخان ساطع و طنين

قال: و لعمرو بن صوحان يقول أبو جلدة اليشكريّ و طالت صحبته إياه فلم يظفر منه بشيء:

صاحبت عمرا زمانا ثم قلت له *** الحق بقومك يا عمرو بن صوحانا

فإن صبرت فإنّ الصبر مكرمة *** و إن جزعت فقد كان الّذي كانا

هجا زيادا الأعجم لهجوه بني يشكر:

قال ابن سعيد(3) و حدّثني أبو صالح قال:

بلغ أبا جلدة أنّ زيادا الأعجم هجا بني يشكر، فقال فيه:

/

لا تهج يشكر يا زياد و لا تكن *** غرضا و أنت عن الأذى في معزل

و اعلم بأنّهم إذا ما حصّلوا *** خير و أكرم من أبيك الأعزل

/لو لا زعيم بني المعلّى لم نبت(4)*** حتّى نصبّحكم بجيش جحفل

تمشي الضّراء(5) رجالهم و كأنّهم *** أسد العرين بكلّ عضب منصل(6)

فاحذر زياد و لا تكن تدرأ(7)*** عند الرّجال و نهزة(8) للختّل

مدح سليمان بن عمرو بن مرثد كان صديقا له:

و قال ابن حبيب: كان سـليمان بن عمرو بن مرثد البكريّ صديقا لأبي جلدة، و كان فارسا شـجاعا، و قتله ابن خازم(9) لشيء بلغه فأنكره؛ و فيه يقول أبو جلدة:

إذا كنت مرتادا نديما مكرّرا *** نماه سراة من سراة بني بكر

1- جثا: جلس على ركبتيه، و هو كدعا و رمى.

2- كذا في «الأصول». و لعلها «تارة» أي بتشدّد تارة و تلين أخرى.

3- كـذا في «ح، ب، س». و هو عمر بن سـعيد، كما ورد في «ح» في الخبر السابق. و في «أ، م»: «قال ابن سـعد». (تراجع الهامشة الأولى من هذه الصفحة).

4- في «ج»: «لم تبت» بالتاء. و في «سائر الأصول»: «لم تثب».

5- راجع الحاشية رقم 2 صفحة 316.

6- العضب: السيف القاطع. و المنصل (بضم الميم و الصاد و بفتح الصاد أيضا): اسم للسيف.

7- ذو تدرأ: ذو حفاظ و مدافعة و منعة.

8- النهزة الفرصة. و الختل: جمع خاتل. و الختل: المخادعة في غفلة. و في «الأصول»: «للمختل» و ظاهر أنه تحريف.

9- في «الأصول»: «ابن حازم» بالحاء المهملة. و التصويب بقلم المرحوم محمد محمود بن التلاميذ في نسـخته. و نحسب أنه عبد اللّه بن خازم الذي كان واليا لخراسان.

فلا تعد ذا العليا سليمان عامدا(1) *** تجد ماجدا بالجود منشرح الصدر

كريما على علاّته(2) يبذل النّدى *** و يشربها صهباء طيّبة النّشر(3)

معتّقة كالمسك يذهب ريحها ال *** زّكام و تدعو المرء للجود بالوفر

و تترك حاسي الكأس منها مرنّحا *** يميد كما ماد الأثيم(4) من السكر

تلوح كعين الدّيك ينزو حبابها *** إذا مزجت بالماء مثل لظى الجمر

فتلك إذا نادمت من آل مرثد *** عليها نديما ظلّ يهرف(5) بالشّعر

/يغنّيك تارات و طورا يكرّها *** عليك بحيّاك الإله و لا يدري

تعوّد ألاّ يجهل الدّهر عندها *** و أن يبذل المعروف في العسر و اليسر

و إنّ سليمان بن عمرو بن مرثد *** تألّى(6) يمينا أن يريش(7) و لا يبري

فهمّته بذل النّدى و ابتنا العلا *** و ضرب طلى(8) الأبطال في الحرب بالبتر

و في الأمن لا ينفكّ يحسو(9) مدامة *** إذا ما دجا ليل إلى وضح الفجر

قال: فلمّا بلغت سليمان هذه الأبيات قال: هجاني أخي و ما تعمّد، لكنه يرى أنّ الناس جميعا يؤثرون الصّهباء كما يؤثرها هو، و يشربونها كما يشربها. و بلغ قوله أبا جلدة فأتاه فاعتذر إليه، و حلف أنّه لم يتعمّد بذلك ما يكرهه و ينكره. قال: قد علمت بذلك و شهدت لك به قبل أن تعتذر، و قبل عذره.

سأل الحضين بن المنذر شيئا فلم يعطه إياه فهجاه:

و قال ابن حبيب: سأل أبو جلدة الحضين بن المنذر الرّقاشيّ شيئا فلم يعطه إيّاه، و قال: لا أعطيه ما يشرب به الخمر. فقال أبو جلدة يهجوه:

يا يوم بؤس طلعت شمسه *** بالنّحس لا فارقت رأس الحضين

إنّ حضينا لم يزل باخلا *** مذ كان بالمعروف كزّ(10) اليدين

1- كذا في «أ». و في «سائر الأصول»: «عامرا» و هو تحريف.

2- على علاته أي على حالاته المختلفة من عسر و يسر.

3- النشر هنا: الرائحة.

4- كـذا في «الأصول». و لعله: «كما ماد الأميم». و الأميم و المأموم: الذي أصابت الشـجة أم رأسه و هي الدماغ حتى لا يبقى بينها و بين الدماغ إلا جلد رقيق.

5- الهرف (بالفتح) هنا: الهذيان، و الهرف أيضا: مجاوزة القدر في الثناء و المدح. و في «بعض الأصول»: «يهرق» و هو تصحيف.

6- تألّى: حلف.

7- يقـال: رشت فلانـا، إذا قويت جناحه بالإحسان إليه، فارتاش و تريش. و براه: هزله و أضـعفه. و مثله قول الشاعر: فرشـني بخير طالما قد بريتني فخير الموالي من يريش و لا يبرى

8- الطلي (بالضم): الأعناق. و البتر: جمع بتور، و هو السيف القاطع.

9- كذا في «أ، م». و في «سائر الأصول»: «نحو مدامة» و هو تحريف.

10- رجل كز اليدين: بخيل.

فبلغ الحضين قول أبي جلدة، فقال يجيبه:

عضّ أبو جلدة من أمّه *** معترضا ما جاوز الأسكتين(1)

بظرا(2) طويلا غاشيا(3) رأسه *** أعقف كالمنجل ذا شعبتين

/و قال أبو جلدة في حصين أيضا:

لعمرك إنّي يوم أسند حاجتي *** إليك أبا ساسان(4) غير مسدّد

/فلا عالم بالغيب من أين ضرّه *** و لا خائف بتّ الأحاديث في غد

فليت المنايا حلّقت بي صروفها *** فلم أطلب المعروف عند المصرّد(5)

فلو كنت حرّا يا حضين بن منذر *** لقمت بحاجاتي و لم تتبلّد

تجهّمتني خوف القرى و اطّرحتني *** و كنت قصير الباع غير المقلّد(6)

و لم تعد ما قد كنت أهلا لمثله *** من اللّؤم يا ابن المستذلّ المعبّد

تهدده بنو رقاش لهجائه الحضين فقال شعرا:

قال: فبلغ أبا جلدة أنّ بني رقاش(7) تهدّدوه بالقتل لهجائه الحضين بن منذر، فقال:

تهدّدني جهلا رقاش و ليتني *** و كلّ رقاشيّ على الأرض في الحبل

فباست حضين و است أمّ رمت به *** فبئس محلّ الضّيف في الزّمن المحل

و إن أنا لم أترك رقاش و جمعهم *** أذلّ على وطء الهوان من النّعل

فشلّت يداي و اتبعت سوى الهدى *** سبيلا وقّفت للخير و الفضل

عظام الخصى ثطّ(8) اللّحى معدن الخنا *** مباخيل بالأزواد في الخصب و الأزل(9)

إذا أمنوا ضرّاء دهر تعاظلوا(10) *** عظال الكلاب في الدّجنّة و الوبل

/و إن عضّهم دهر بنكبة حادث *** فأخور عيدانا من المرخ و الأثل(11)

1- الأسكتان (بفتح الهمزة و كسرها): جانبا الفرج و هما قذتاه.

2- البظر: هنة بين أسكتي المرأة.

3- كذا في «الأصول». و أحسب أن صوابه «عاسيا» أي شديدا صلبا.

4- أبو ساسان: كنية الحضين بن المنذر.

5- التصريد: قلة العطاء.

6- كذا في «الأصول»!.

7- رقاش: مبنية على الكسر مثل حذام و قطام، و بعضهم يجريها مجرى ما لا ينصرف.

8- ثط: جمع أثط و ثط (بالفتح) و هو القليل شعر اللحية. و المعدن اسم مكان من عدن بالبلد يعدن (من بابي ضرب و نصر) عدنا و عدونا أي أقام.

9- الأزل: الضيق و الشدة.

10- التعاظل - و مثله العظال و الاعتظال و المعاظلة -: الملازمة في السفاد. و يقال: عظلت الكلاب (من بابي نصر و سمع) إذا ركب بعضها بعضا. و الدجنة: الظلمة، و الغيم المطبق الريان المظلم. و الوبل: المطر الضخم القطر، مثل الوابل.

11- المرخ و الأثل: ضربان من الشجر.

أسود شرّى وسط النّديّ ثعالب(1) *** إذا خطرت(2) حرب مراجلها تغلي

شعره في دهقانة كان يختلف إليها:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني محمد بن عبد اللّه الأصبهانيّ المعروف بالحزنبل عن عمرو(3) بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال:

عشق أبو جلدة اليشكريّ دهقانة ببست و كان يختلف إليها و يكون عندها دائما، و قال فيها:

و كأس كأنّ المسك فيها حسوتها *** و نازعنيها صاحب لي ملوّم(4)

أغرّ كأنّ البدر سنّة(5) وجهه *** له كفل واف و فرع و مبسم(6)

يضيء دجى الظّلماء رونق خدّه *** و ينجاب عنه الليل و الليل مظلم

و ثديان كالحقّين و المتن مدمج *** و جيد عليه نسق درّ منظّم

و بطن طواه اللّه طيّا و منطق *** رخيم و ردف نيط بالحقو مفأم(7)

به تبلتني و استبتني و غادرت *** لظى في فؤادي نارها تتضرّم

أبيت بها أهذي إذا الليل جنّني *** و أصبح مبهوتا فما أتكلّم

فمن مبلغ قومي الدّنا(8) أنّ مهجتي *** تبين، لئن بانت ألا تتلوّم(9)

و عهدي بها – و اللّه يصلح بالها – *** تجود على من يشتهيها و تنعم

فما بالها ضنّت عليّ بودّها *** و قلبي لها يا قوم عان متيّم

/قال: فلمّا بلغها الشعر سألت عن تفسيره ففسّر لها. فلما انتهى المفسّر إلى هذين البيتين الأخيرين غضبت فقالت:

أنا زانية كما زعم! إن كلمته كلمة أبدا. أو كلّما اشتهاني إنسان بذلت له نفسي و أنعمت من روحي(10) إذا! أي أنا إذا زانية. فصرمته، فلم يقدر عليها و عذّب بها زمانا، ثم قال فيها لمّا يئس منها:

/

صحا قلبي و أقصر بعد غيّ *** طويل كان فيه من الغواني

بأن قصد السبيل فباع جهلا *** برشد و ارتجى عقبى الزّمان

1- في «الأصول»: «وسط الندى و ثعالب» بزيادة الواو.

2- في «أ، م»: «حضرت».

3- في «الأصول»: «عن أبي عمرو» و هو تحريف.

4- ملوّم: يلومه الناس كثيرا.

5- سنة الوجه: دائرته أو صورته أو الجبهة و الجبينان.

6- المبسم (بكسر السين): الثغر.

7- نيط بالحقو: علق به. و الحقو (بالفتح و يكسر): الكشح. و ردف مفأم: سمين.

8- القوم الدنا: الأقربون.

9- التلوم: التلبث و الانتظار.

10- كذا في «م». و في «سائر الأصول» هكذا: «من رومي» بالميم و هو تحريف.

و خاف الموت و اعتصم ابن حجر(1) *** من الحبّ المبرّح(2) بالجنان

و قدما كان معترما(3) جموحا *** إلى لذّاته سلس العنان

و أقلع بعد صبوته و أضحى *** طويل(4) اللّيل يهرف بالقرآن

و يدعو اللّه مجتهدا لكيما *** ينال الفوز من غرف الجنان

قال شعرا في يزيد بن المهلب ثم تنصل منه:

قال ابن حبيب قال أبو عبيدة:

كان يزيد بن المهلّب يتّهم بالنّساء. فقال فيه أبو جلدة:

إذا اعتكرت(5) ظلماء ليل و نوّمت *** عيون رجال و استلذّوا المضاجعا

سما نحو جار البيت يستام عرسه(6) *** يزيد دبيبا للمعاناة(7) قابعا(8)

و إن أمكنته جارة البيت أو رنت *** إليه أتاها بعد ذلك طائعا

/فشاعت الأبيات و رواها الناس لقتادة بن معرب(9). فقال أبو جلدة:

أبا خالد ركني و من أنا عبده *** لقد غالني الأعداء عمدا لتغضبا

فإن كنت قلت اللّذ أتاك به العدا *** فشلّت يدي اليمنى و أصبحت أعضبا(10)

و لا زلت محمولا عليّ بليّة *** و أمسيت شلوا للسّباع مترّبا(11)

فلا تسمعن قول العدا و تبيّنن *** أبا خالد عذرا و إن كنت مغضبا

سئل عنه البعيث فذكر شعرا لقتادة بن معرب يهجوه به:

و قال ابن حبيب: قال رجل للبعيث: أيّ رجل(12) هو أبو جلدة؟ فقال: قتادة بن معرب أعرف به حيث يقول:

1- حجر: من آباء الشاعر.

2- هذا الشطر مكانه بياض في «الأصول الخطية». و هو مثبت هكذا في الأصلين المطبوعين.

3- الاعترام هنا: الشراسة و البطر مثل العرام و العرامة. و في «بعض الأصول»: «معتزما» بالزاي المعجمة.

4- كذا في «الأصول». و لعله «طوال الليل».

5- في «الأصول»: «اعتركت» و هو تحريف. و اعتكار الظلام: اشتداده و اختلاطه.

6- يستام عرسه: يطلب زوجته.

7- كذا!.

8- في «الأصول»: «قانعا» بالنون و هو تصحيف. و القبع تغطية الرأس بالليل لريبة؛ قال الشاعر: و لا أطرق الجارات بالليل قابعا قبوع القرنبي أخطأته مجاحره أي يدخل رأسه في ثوبه كما يدخل القرنبي رأسه في جسمه. و القرنبي: دويبة شبه الخنفساء أو أعظم منها شيئا طويلة الرجل.

9- كذا في «الأصول» و كتاب «الاشتقاق». و ورد في كتاب «الشعر و الشعراء» «مغرب» بالغين المعجمة مضبوطا بضم أوّله و فتح ثانيه و تشديد الراء مكسورة، و فيه «و يقال مغرب» و ضبط بضم فسكون فكسر و في «ب، س» في «أخبار زياد الأعجم» (ج 14 ص 104 طبعة بلاق): «مقرب» بالقاف. و لم نهتد لوجه الصواب فيه. و قتادة بن معرب من بني يشكر.

10- الأعضب هنا: القصير اليد، و الأعضب: من لا ناصر له، و من الغنم: المكسور القرن.

11- المترب: الملطخ بالتراب.

12- في «الأصول»: أتى رجل» و هو تحريف.

إنّ أبا جلدة من سكره *** لا يعرف الحقّ من الباطل

يزداد غيّا و انهماكا و لا *** يسمع قول الناصح العاذل

أعيا أبوه و بنو عمّه *** و كان في الذّروة من وائل

فليته لم يك من يشكر *** فبئس خدن الرجل العاقل

أعمى عن الحقّ بصير بما *** يعرفه كلّ فتى جاهل

يصبح سكران و يمسي كما *** أصبح، لا أسقي من الوابل

شدّ ركاب الغيّ ثم اغتدى *** إلى التي تجلب من بابل

فالسّجن إن عاش له منزل *** و السّجن دار العاجز الخامل

شعر له يناقض به قتادة بن معرب:

و قال أبو جلدة يجيبه:

قبحت لو كنت امرأ صالحا *** تعرف ما الحقّ من الباطل

كففت عن شتمي بلا إحنة *** و لم تورّط كفّة(1) الحابل

لكن أبت نفسك فعل النّهى *** و الحزم و النّجدة و النائل

فتحت لي بالشّتم حتى بدا *** مكنون غشّ في الحشا داخل

فاجهد و قل لا تترك جاهدا *** شتم امرئ ذي نجدة عاقل

/تعذلني في قهوة مزّة *** دریاقة تجلب من بابل

و لو رآها خرّ من حبّها *** يسجد للشيطان بالباطل

يا شرّ بكر كلّها محتدا *** و نهزة المختلس الآكل

عرضك وقّره و دعني و ما *** أهواه يا أحمق من باقل(2)

عربد عليه ابن عم له فاحتمله و قال شعرا:

قال ابن حبيب: كان أبو جلدة يشرب مع ابن عمّ له من بكر بن وائل، فسكر نديمه فعربد عليه و شتمه، فاحتمله أبو جلدة و سقاه حتّى نام، و

قال في ذلك:

أبى لي أن ألحى نديمي إذا انتشى *** و قال كلاما سيّئا لي على السّكر

و قاري و علمي بالشّراب و أهله *** و ما نادم القوم الكرام كذي الحجر(3)

ص: 222

1- كفة الحابل: حبالته التي يصيد بها. و هي منصوبة على نزع الخافض، أو على تضمين تورط معنى فعل متعد.

2- المعروف في المثل أنه يقال «أعيا من باقل». و هو رجل من إياد، و قيل من ربيعة، بلغ من عيه أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما، فمر بقوم فقالوا له: بكم اشتريت الظبي؟ فمد يديه و دلع لسانه يريد أحد عشر، فشرد الظبي و كان تحت إبطه، فضرب بعيه المثل.

3- ذو الحجر: ذو العقل.

فلست بلاح لي نديما بزلّة *** و لا هفوة كانت و نحن على الخمر

عركت بجنبي قول خدني و صاحبي *** و نحن على صهباء طيّبة النّشر(1)

/فلمّا تمادى قلت خذها عريقة *** فإنّك من قوم جحاجحة زهر

فما زلت أسقيه و أشرب مثل ما *** سقيت أخي حتّى بدا وضح(2) الفجر

و أيقنت أنّ السّكر طار بلبّه *** فأغرق في شتمي و قال و ما يدري

و لاك لسانا كان إذ كان صاحيا *** يقلّبه في كلّ فنّ من الشّعر

شعر له و قد دعا رجلا من قومه للشراب فأبى:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال:

كان أبو جلدة اليشكريّ قد خرج إلى تستر(3) في بعث، فشرب بها في حانة مع رجل من قومه كان ساكنا بها.

ثم خرج عنها بعد ذلك و عاد إلى بست و الرّخج و كان مكتبه(4) هناك، فأقام بها مدّة، ثمّ لقي بها ذلك الرجل الذي نادمه بتستر ذات يوم، فسلّم عليه و دعاه إلى منزله، فأكلا، ثم دعا بالشّراب ليشربا، فامتنع الرجل و قال: إنّي قد تركتها للّه. فقال أبو جلدة و هو يشرب:

ألا ربّ يوم لي ببست و ليلة *** و لا مثل أيّامي المواضي بتستر

غنيت بها أسقي سلاف مدامة *** كريم المحيّا من عرانين يشكر

نبادر شرب الراح حتّى نهرّها(5) *** و تتركنا مثل الصّريع المعفّر

فذلك دهر قد تولّى نعيمه *** فأصبحت قد بدّلت طول التّوقّر

فراجعني حلمي و أصبحت(6) منهج ال *** شّراب و قد ما كنت كالمتحيّر

و كل أوان(7) الحق أبصرت قصده *** فلست و إن نبّهت عنه بمقصر

/سأركض في التّقوى و في العلم بعد ما *** ركضت إلى أمر الغويّ المشهّر

و باللّه حولي و احتيالي و قوّتي *** و من عنده عرفي الكثير و منكري

مر به مسمع بن مالك فوثب إليه و قال فيه شعرا:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا محمد بن الحارث المدائنيّ قال: مرّ مسمع بن مالك بأبي جلدة،

1- يقال: عركت ذنبه بجنبي إذا احتملته. و الخدن: الصديق. و النشر: الرئحة.

2- كذا في كتاب «الشعر و الشعراء». و وضح الفجر: بياض الصبح. و في «الأصول»: «واضح الفجر».

3- تستر: مدينة بخوزستان.

4- لعله: «و كان مكثه هناك» كما تقدّم نظيره في صفحة 313 سطر 12.

5- هرّه: كرهه.

6- كـذا!. و لعله صوابه «منهج السبيل» أي أصـبحت واضـحا طريقي الذي أسـلكه و قد كنت قديما كالمتحير؛ يقال نهج الطريق و أنهج إذا وضح و بان.

7- في «الأصول الخطية»: «و قل أوان الحق». و لم نوفق للصواب فيه.

فوثب إليه و أنشأ يقول:

يا مسمع بن مالك يا مسمع *** أنت الجواد و الخطيب المصقع

فاصنع كما كان أبوك يصنع

/فقال له رجل كان جالسا هناك: إن قبل منك و اللّه يا أبا جلدة ناك أمّه. فقال له: و كيف ذلك ويحك؟ قال: لأنك أمرته أن يصنع كما كان أبوه يصنع!.

مدح مقاتل بن مسمع طمعا في مثل ما كان مسمع يعطيه فلما ردّه هجاه:

و قال أبو عمرو الشّيبانيّ: كان مسمع بن مالك يعطي [أبا جلدة، فقال فيه(1)]:

يسعى أناس لكيما يدركوك و لو *** خاضوا بحارك أو ضحضاحها(2) غرقوا

و أنت في الحرب لا رثّ القوى برم *** عند اللّقاء و لا رعديدة فرق(3)

كلّ الحلال الّتي يسعى الكرام لها *** إن(4) يمدحوك بها يوما فقد صدقوا

ساد العراق فحال الناس صالحة(5) *** و سادهم و زمان الناس منخرق

لا خارجيّ و لا مستحدث شرفا *** بل مجد آل شهاب كان مذ خلقوا

/قال: ثم مدح مقاتل بن مسمع طمعا في مثل ما كان مسمع يعطيه، فلم يلتفت إليه و أمر أن يحجب عنه. فقيل له:

تعرّضت للسان أبي جلدة و خبثه. فقال: و من هو الكلب! و ما عسى أن يقول قبحه اللّه و قبح من كان منه! فليجهد جهده. فبلغ ذلك من قوله أبا جلدة فقال يهجوه:

قرى ضيفه الماء القراح ابن مسمع *** و كان لئيما جاره يتذلّل

فلمّا رأى الضيف القرى غير راهن(6) *** لديه تولّى هاربا يتعلّل

ينادي بأعلى الصوت بكر بن وائل *** ألا كلّ من يرجو قراكم مضلّل

عميدكم هرّ الضيوف فما لكم *** ربيعة(7) أمسى ضيفكم يتحوّل

و خفتم بأن تقروا الضيوف و كنتم *** زمانا بكم يحيا الضّريك المعيّل(8)

فما بالكم باللّه أنتم بخلتم *** و قصّرتم و الضيف يقرى و ينزل

1- هذه الزيادة ليست في «الأصول الخطية».

2- الضحضاح: الماء القليل القعر.

3- رث القوى: ضعيفها. و البرم هنا: الضجر الملول. و الرعديدة: الجبان يرعد عند القتال جبنا. و الفرق: الفزع الشديد الخوف.

4- في «الأصول»: «ليمدحوك» و لا يستقيم بها الكلام.

5- كذا في «ج». و هو يريد أن الممدوح ساد العراق فصلحت حال الناس بسيادته و كان حالهم حين ساده في اضطراب و فوضى. و في «سائر الأصول»: «و حال الناس» بالواو.

6- غير راهن: غير حاضر.

7- ربيعة: من بطون بكر بن وائل.

8- في «ج»: «المفيل» بالفاء. و في «سائر الأصول»: «المقيل» بالقاف. و المعيل: ذو العيال. و الضريك: الفقير السيئ الحال.

و يكرم حتّى يقترى(1) حين يقترى *** يقول إذا ولّى جميلا فيجمل

فمهلا بني بكر دعوا آل مسمع *** و رأيهم لا يسبق الخيل محثل(2)

و دونكم أضيافكم فتحدّبوا *** عليهم و واسوهم فذلك أجمل

/و لا تصبحوا أحدوثة مثل قائل(3) *** به يضرب الأمثال من يتمثّل

إذا ما التقى الرّكبان يوما تذاكروا *** بني مسمع حتّى يحمّوا(4) و يثقلوا

فلا تقربوا أبياتهم إنّ جارهم *** و ضيفهم سيّان أتى توسّلوا

هم القوم غرّ الضيف منهم رواؤهم *** و ما فيهم إلاّ لئيم مبخّل

فلو ببني شيبان حلّت ركائبي *** لكان قراهم راهنا(5) حين أنزل

أولئك أولى بالمكارم كلّها *** و أجدر يوما أن يواسوا و يفضلوا

بني مسمع لا قرّب اللّه داركم *** و لا زال واديكم من الماء يمحل

فلم تردعوا الأبطال بالبيض و القنا *** إذا جعلت نار الحروب تأكّل

1- اقترى الأولى: تتبع، و اقترى الأخرى: أضاف؛ يقال: افترى فلان الضيف، مثل قراه. يقول: إن من حق الضيف أن يكرم ما دام ثاويا، فإذا رحل وجب أن تتبعه الكرامة حيث حيل؛ كما قال الآخر: و نكرم جارنا ما دام فينا و نتبعه الكرامة حيث سارا و هذا البيت ليس في «ج».

2- في «الأصول»: «محتل» بالمثناة، و لم نجد لها معنى. و المحثل (بالمثلثة): الضاوي الدقيق السيئ الغذاء؛ يقال أحثلت الصبي إذا أسأت غذاءه، و أحثله الدهر: أساء حانه.

3- كذا!.

4- حم فلان: أصابته الحمى.

5- في بعض «الأصول»: «واهنا» بالواو، و هو تحريف. و الراهن: الحاضر.

19 - أخبار علّويه و نسبه

نسب علويه و أصله:

هو عليّ بن عبد اللّه بن سيف(1). و كان جدّه من السّغد(2) الذين سباهم الوليد بن(3)/عثمان بن عفّان و استرقّ منهم جماعة اختصّ بهم بخدمته، و أعتق بعضهم، و لم يعتق الباقين فقتلوه. و ذكر ابن خرداذبه، و هو ممن لا يحصّل قوله و لا يعتمد عليه، أنّه من أهل يثرب مولى بني أميّة، و القول الأوّل أصحّ.

مهارته في الغناء و الضرب و بعض أخلاقه و نشأته و سبب وفاته:

و يكنى علّويه أبا الحسن. و كان مغنّيا حاذقا، و مؤدّبا محسنا، و صانعا متفنّنا، و ضاربا متقدّما، مع خفّة روح، و طيب مجالسة، و ملاحة نوادر. و كان إبراهيم الموصليّ علّمه و خرّجه و عني به جدّا، فبرع و غنّى لمحمد الأمين، و عاش إلى أيّام المتوكّل، و مات بعد إسحاق الموصليّ بمديدة يسيرة. و كان سبب وفاته أنّه خرج به جرب، فشكاه إلى يحيى ابن ماسويه، فبعث إليه بدواء مستهل و طلاء، فشرب الطّلاء، و اطّلى بالدواء المسهل، فقتله ذلك. و كان إسحاق يتعصب له في أكثر أوقاته على مخارق. فأمّا التقديم و الوصف فلم يكن إسحاق يرى أحدا من جماعته لهما(4) أهلا، فكانوا يتعصّبون عليه لإبراهيم بن المهديّ، فلا يضرّه ذلك مع تقدّمه و فضله.

رأي إسحاق الموصلي فيه و في مخارق:

اشارة

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال: قلت لأبي: أيّما أفضل عندك مخارق أو علّويه؟ فقال: يا بنيّ علّويه أعرفهما فهما بما يخرج من رأسه و أعلمهما بما يغنّيه و يؤدّيه، و لو خيّرت بينهما من يطارح جواريّ أو شاورني من يستنصحني لما أشرت إلاّ بعلّوية؛ لأنه كان يؤدّي الغناء، و صنع صنعة محكمة. و مخارق بتمكّنه من حلقه و كثرة نغمه لا يقنع بالأخذ منه؛ لأنه لا يؤدّي صوتا واحدا كما أخذه و لا يغنّيه مرّتين غناء واحدا لكثرة زوائده فيه. و لكنّهما إذا اجتمعا عند خليفة أو سوقة غلب مخارق على المجلس و الجائزة لطيب صوته و كثرة نغمه.

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد اللّه بن حمدون قال حدّثني أبي قال:

اجتمعت مع إسحاق يوما في بعض دور بني هاشم، و حضر علّويه فغنّى أصواتا ثم غنّى من صنعته:

1- كذا في كل «الأصول» و «مختصر الأغاني» لابن منظور. و كتب المرحوم الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته «يوسف» بدل «سيف».

2- السغد: ناحية كثيرة المياه. و البساتين و الأشجار بها قرى كثيرة بين بخارى و سمرقند، و ربما قيل فيها «الصغد» بالصاد. و يقال لسكان تلك الناحية سغد.

3- كذا في «ح» و «مختار الأغاني» و «نهاية الأرب». و في سائر الأصول: «سباهم عثمان بن الوليد زمن عثمان بن عفان» و هو تحريف. و المعروف في كتب «التاريخ» أن الذي فتح تلك النواحي سنة 56 ه هو سعيد بن عثمان بن عفان.

4- في الأصول الخطية: «لها».

صوت

و نبّئت ليلى أرسلت بشفاعة *** إليّ فهلاّ نفس(1) ليلى شفيعها

- و لحنه ثاني ثقيل - فقال له إسحاق: أحسنت و اللّه يا أبا الحسن! أحسنت ما شئت!. فقام علّويه من مجلسه فقبّل رأس إسحاق و عينيه و جلس بين يديه و سرّ بقوله سرورا شديدا، ثم قال: أنت سيدي و ابن سيّدي، و أستاذي و ابن أستاذي، و لي إليك حاجة. قال: قل، فو اللّه إني أبلغ فيها ما تحبّ. قال: أيّما أفضل عندك/أنا أو مخارق؟ فإني أحبّ أن أسمع منك في هذا المعنى قولا يؤثر و يحكيه عنك من حضر، فتشرّفني(2) به. فقال إسحاق: ما منكم إلاّ محسن مجمل، فلا ترد أن ترى في هذا شيئا. قال: سألتك بحقّي عليك و بتربية أبيك و بكلّ حقّ تعظّمه إلاّ حكمت. فقال: ويحك! و اللّه لو كنت أستجيز أن أقول غير الحق لقلته فيما تحبّ، فأمّا إذا أبيت إلاّ ما ذكرت فهاك ما عندي: فلو خيّرت أنا من يطارح جواريّ أو يغنّيني لما اخترت غيرك، و لكنّما إذا غنّيتما بين يدي خليفة أو أمير غلبك على إطرابه و استبدّ عليك بجائزته. فغضب علّويه و قام و قال: أفّ من رضاك و من غضبك!.

شاع له صوت كان الناس يظنونه لإسحاق:

اشارة

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال:

قدمت من سرّ من رأى قدمة إلى بغداد، /فلقيت أبا محمد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، فجعل يسألني عن أخبار الخليفة و أخبار الناس حتّى انتهى إلى ذكر الغناء، فقال: أيّ شيء رأيت الناس يستحسنونه في هذه الأيّام من الأغاني، فإنّ الناس ربما لهجوا بالصوت بعد الصوت؟ فقلت: صوتا من صنعتك. فقال: أيّ شيء هو؟ فقلت:

صوت

ألا يا حمامي قصر دوران(3) هجتما *** بقلبي الهوى لمّا تغنّيتما ليا

و أبكيتماني وسط صحبي و لم أكن *** أبالي دموع العين لو كنت خاليا

فضحك و قال: ليس هذا لي، هذا لعلويه، و لقد لعمري أحسن فيه و جوّد ما شاء.

لحن علّويه في هذين البيتين ثاني ثقيل بالوسطى.

أتاه بعض أصحابه فأطعمهم و غناهم ألحانا له:

اشارة

حدّثني عمّي قال حدّثنا عبد اللّه بن عمرو قال حدّثني أحمد بن محمد بن عبد اللّه الأبزاريّ قال:

أتيت علّويه يوما بالعشيّ، فوجدت عنده خاقان بن حامد و عبد اللّه بن صالح صاحب المصلّى، و كنت حملت

1- هلا التي للتحضيض يليها الفعل؛ و لذلك تأوّل النحويون هذا البيت، فقيل هو على تقدير «كان» التي اسمها ضمير الشأن، و جملة «نفس ليلى شفيعها» خبرها. و قيل: «نفس ليلى» فاعل لفعل محذوف، و التقدير فهلا شفعت نفس ليلى، و يكون شفيعها خبرا لمحذوف، و التقدير: هي شفيعها أي نفسها شفيعها. على أن بعض النحويين يجيز مجيء الجمل الاسمية بعد أدوات التحضيض مستدلا بهذا البيت.

2- في «ب، س»: «فشرفني به».

3- دوران: موضع خلف جسر الكوفة كان به قصر لإسماعيل القسري أخي خالد بن عبد اللّه القسري أمير الكوفة. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

معي قفص فراريج كسكريّة(1) مسمّنة و جرابي دقيق سميذ(2)، فسلّمته إلى غلامه، و بعث(3) إلى بشر بن حارثة:

أطعمنا ما عندك، فلم يزل يطعمنا فضلات حتى أدرك طعامه، ثم بعث إلى عبد الوهّاب بن الخصيب بن عمرو فحضر، و قدّم الطعام فأكل و أكلنا أكل معذّرين(4)، ثم قال: إنّي صنعت البارحة لحنا أعجبني، فاسمعوه و قولوا فيه ما عندكم، و غنّانا فقال:

صوت

هزئت عميرة أن رأت ظهري انحنى *** و ذؤابتي(5) علّت بماء خضاب

لا تهزئي منّي عمير فإنّني *** محض كريم شيبتي و شبابي

– لحن علّويه في هذين البيتين من الثقيل الثاني بالوسطي – فقلنا له: حسن و اللّه جميل يا أبا الحسن، و شربنا عليه(6) أقداحا. ثم استؤذن لعثعث غلام أحمد بن يحيى ابن معاذ، فأذن له، و مع عثعث كتاب من مولاه أحمد بن يحيى: سمعت يا سيّدي منك صوتا عند أمير المؤمنين (يعني المعتصم)، فأحبّ أن تتفضّل و تطرحه على عبدك عثعث. و هو:

صوت

فوا حسرتا لم أقض منك لبانة *** و لم أتمتّع بالجوار و بالقرب

يقولون هذا آخر العهد منهم *** فقلت و هذا آخر العهد من قلبي

لحن علّويه في هذا الشعر ثقيل أوّل، و هو من مقدّم أغانيه و صدورها. و أوّل هذا الصوت:

ألا يا حمام الشّعب شعب مورّق(7) *** سقتك الغوادي من حمام و من شعب

قال: و إذا مع حسين(8) رقعة من مولاه: سمعتك يا سيّدي تغنّي عند الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن المهديّ:

ألا يا حمامي قصر دوران هجتما *** بقلبي الهوى لمّا تغنّيتما ليا

أحبّ أن تطرحه على عبدك حسين. قال: فدعا بغلام له يسمّى عبد آل فطرحه عليهما حتى/أحكماه ثم عرضاه عليه حتّى صحّ لهما. فما أعلم أنّه مرّ لنا يوم يقارب طيب ذلك اليوم و حسنه.

وصف الواثق له:

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر قال:

1– كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «دسكرية» و هو تحريف. و الفراريج الكسكرية: منسوبة إلى كسكر، و هي كورة كانت بين البصرة

و الكوفة، و كانت قصبتها «واسط».

2- السميذ (بالدال و بالذال، و بالمعجمة أفصح): الحوّاري، و هو خالص الدقيق بعد استخراج ما فيه من نخالة.

3- كذا في «ج» و في «سائر الأصول»: «و بعثت».

4- المعذرون هنا: المقصرون الذين لم يبالغوا في الأكل.

5- في «ج»: «و ذوائبي».

6- زاد في «ج» هنا: «يومنا».

7- الرواية فيما تقدم (ج 6 ص 295 من طبعة دار الكتب): «شعب مراهق».

8- لم يتقدّم لحسين هذا ذكر في القصة.

سمعت أبي يقول سمعت الواثق يقول: علّويه أصحّ الناس صنعة بعد إسحاق، و أطيب الناس صوتا بعد مخارق، و أضرب الناس بعد ربرب و ملاحظ، فهو مصلّي كلّ سابق قادر، و ثاني كلّ أوّل و اصل متقدّم. قال: و كان الواثق يقول: غناء علّويه مثل نقر الطّست يبقى ساعة في السمع بعد سكوته.

خطأ إسحاق لحنا غناه عند المعتصم فردّ هو عليه:

نسخت من كتاب أبي العبّاس بن ثوابة بخطّه: حدّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدّثني عبد اللّه بن العبّاس الربيعيّ قال:

/اجتمعت يوما بين يدي المعتصم و حضر إسحاق الموصليّ؛ فغنّى علّويه:

لعبدة دار ما تكلّمنا الدار *** تلوح مغانيها كما لاح أسطار(1)

فقال إسحاق: أخطأت فيه، ليس هو هكذا. فغضب علّويه و قال: أمّ من أخذنا عنه هكذا(2) زانية. فقال إسحاق:

و شتمنا قبحه اللّه، و سكت و بان ذلك فيه. قال: و كان علّويه أخذه من أبيه(3).

كان أعسر و عوده مقلوب الأوتار:

حدّثني عمّي قال حدّثنا هارون بن مخارق قال:

كان علّويه أعسر و كان عوده مقلوب الأوتار: البمّ أسفل الأوتار كلّها، ثم المثلث فوقه، ثم المثنى، ثم الزّير، و كان عوده إذا كان في يد غيره مقلوبا على هذه الصفة، و إذا كان معه أخذه باليمنى و ضرب باليسرى، فيكون مستويا في يده و مقلوبا في يد غيره.

كان بينه و بين ابن أخته الخلنجي القاضي منازعة فغنى بشعره للمأمون فعزله عن القضاء:

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال كان الخلنجيّ(4) القاضي، و اسمه عبد اللّه [بن محمد(5)]، ابن أخت علّويه المغنّي، و كان تيّاها صلفا، فتقلّد في خلافة الأمين قضاء الشّرقيّة(6)، فكان يجلس إلى أسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جسده و لا يتحرّك، فإذا تقدّم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده و ترك الاستناد حتّى يفصل بينهما ثم يعود لحاله. فعمد بعض المجّان إلى رقعة من الرّقاع التي يكتب فيها الدّعاوى فألصقها/في موضع ذنبته(7) بالدّبق(8) و مكّن(9) منها الدّبق. فلمّا تقدّم إليه الخصوم و أقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل انكشف رأسه و بقيت الذنبة موضعها مصلوبة ملتصقة، فقام الخلنجيّ مغضبا و علم أنّها حيلة وقعت عليه، فغطّى

1- الأسطار: جمع سطر و هو الخط من الكتابة. و تشبيه آثار الديار بخطوط الكتاب مستفيض في الشعر العربي.

2- في «الأصول» هنا: «... هكذا في روايته». و التصويب مما تقدّم في «الأغاني» ج 5 ص 351 من طبعة دار الكتب.

3- زاد في «ج» هنا: «يعني من أبي إسحاق و هو إبراهيم الموصلي» بالمداد الأحمر، مما يدل على أنه من وضع قارئ للنسخة، فأثبتت هذه الزيادة في «ب، س».

4- في «الأصول»: ما عدا «ج»: «الخليجي» و هو تصحيف.

5- زيادة من «مختصر الأغاني».

6- الشرقية هنا: محلة بالجانب الغربي من بغداد.

7- كذا في «مختصر الأغاني». و في «الأصول»: «دنيته» و كذلك في الموضع الآتي. و ظاهر أنها كانت من غطاء الرأس.

8- الدبق: الغراء.

9- كذا في «مختصر الأغاني». و في «الأصول»: «بالدبق و تمكن منها. فلما تقدّم إلخ».

رأسه بطيلسانه و قام فانصرف و تركها مكانها، حتى جاء بعض أعوانه فأخذها. و قال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات:

إنّ الخلنجيّ من تتايهه *** أثقل باد لنا بطلعته

ما إن لذي نخوة مناسبة(1) *** بين أخاوينه و قصعته

يصالح الخصم من يخاصمه *** خوفا من الجور في قضيّته

لو لم تدبّقه كفّ قانصه(2) *** لطارتيها(3) على رعيّته

قال: و شهرت الأبيات و القصّة ببغداد، و عمل له علّويه حكاية أعطاها للزفانين(4) و المخنّثين فأحرجوه فيها، و كان علّويه يعاديه لمنازعة كانت بينهما ففضحه، و استعفى الخلنجيّ من القضاء ببغداد و سأل أن يولّى بعض الكور البعيدة، فولّي جند دمشق أو حمص. فلمّا ولي/المأمون الخلافة غنّاه علّويه بشعر الخلنجيّ فقال:

برئت من الإسلام إن كان ذا الّذي *** أتاك به الواشون عنّي كما قالوا

/و لكنّهم لمّا رأوك غريّة(5) *** بهجري تواصوا بالنميمة و احتالوا

فقد صرت أذنا للوشاة سميعة *** ينالون من عرضي و إن شئت ما نالوا

فقال له المأمون: من يقول هذا الشعر؟ فقال: قاضي دمشق. فأمر المأمون بإحضاره، فكتب إلى صاحب دمشق بإشخاصه فأشخص، و جلس المأمون للشّرب و أحضر علّويه، و دعا بالقاضي فقال له: أنشدني قولك:

برئت من الإسلام إن كان ذا الذي *** أتاك به الواشون عني كما قالوا

فقال له: يا أمير المؤمنين هذه أبيات قلتها منذ أربعين سنة و أنا صبيّ، و الذي أكرمك بالخلافة و ورّثك ميراث النبوّة ما قلت شعرا منذ أكثر من عشرين سنة إلاّ في زهد أو عتاب صديق. فقال له: اجلس فجلس، فناوله قدح نبيذ التمر أو الزّبيب. فقال: لا و اللّه يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئا منها. فأخذ القدح من يده و قال: أما و اللّه لو شربت شيئا من هذا لضربت عنقك، و قد ظننت أنّك صادق في قولك كلّه، و لكن لا يتولّى لي القضاء رجل بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام، انصرف إلى منزلك. و أمر علّويه فغيّر الكلمة و جعل مكانها «حرمت مناي منك».

ضربه الأمين بوشاية ابن الربيع ثم تقرّب بذلك إلى المأمون فلم ير منه ما يحب:

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد اللّه بن مالك قال:

كان علّويه يغنّي بين يدي الأمين، فغنّى في بعض غنائه:

ليت هندا أنجزتنا ما تعد *** و شفت أنفسنا مما تجد

1- كـذا في «الأصول الخطية». و في «ب، س»: «مناشـبة» بالشـين المعجمة. و الأخاوين: جمع خوان (بضم أوله و كسـره) و هو ما يؤكل عليه الطعام.

2- في «ب، س»: «قـابضه» و هو تصـحيف. و التـدبيق: صـيد الطائر بالـدبق و هو الغراء يلزق بجناح الطائر فيصاد به. يقال: دبقه (من باب ضرب) و دبقه (بالتضعيف).

3- في «الأصول»: «منها». و التصويب من «مختصر الأغاني».

4- الزفانون: الرقاصون.

5- غرية: مولعة. و في «الطبري» (القسم الثالث صفحة 1150): «سريعة. إليّ».

و كـان الفضـل بن الربيع يطعن عليه، فقـال للأمين: إنّما يعرّض بك و يسـتبطئ المأمون في محاربته؛ فأمر به فضـرب خمسـين سوطا و جرّ برجله، و جفاه مـدّة، /حتى ألقى نفسه على كوثر فترضّاه له و ردّ إلى خدمته، و أمر له بخمسة آلاف دينار. فلمّا قدم المأمون تقرّب إليه بذلك، فلم(1) يقع له بحيث يحبّ، و قال له: إنّ الملك بمنزلة الأسد أو النار، فلا تتعرّض لما يغضـبه، فإنه ربّما جرى منه ما يتلفك ثم لا تقدر بعد ذلك على تلافي ما فرط منه(2)، و لم يعطه شيئا.

غضب الأمين على إبراهيم الموصلي بعد موته لتقديم اسم المأمون عليه في شعره و ترضاه ابنه إسحاق:

و مثل هذا من فعل الأمين، ما حدّثني به محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال:

دخلت على الأمين فرأيته مغضـبا كالحا، فقلت له: ما لأمير المؤمنين - تمّم اللّه سـروره و لا نغّصـه(3) - أراه كالحـائر؟ قال: غاظني أبوك الساعـة لا رحمه اللّه! و اللّه لو كان حيا لضـربته خمسـمائة سوط، و لولاك لنبشت الساعـة قبره و أحرقت عظامه. فقمت على رجلي و قلت: أعوذ بـاللّه من سـخطك يـا أمير المؤمنين! و من أبي و مـا مقـداره حتّى تغتاظ منه! و ما الـذي غاظك فلعلّ له فيه عـذرا؟ فقال: شـدّة محبّته للمأمون و تقديمه إيّاه حتّى قال في الرشـيد شـعرا يقدّمه فيه عليّ و غنّاه فيه، و غنّيته الساعة فأورثني هذا الغيظ. فقلت: و اللّه ما سمعت بهذا قطّ و لا لأبي غناء إلاّ و أنا أرويه، ما هو؟ فقال: قوله:

/

أبو المأمون فينا و الأمين *** له كفنان من كرم و لين

فقلت له: يا أمير المؤمنين لم يقدّم المأمون في الشـعر لتقديمه إياه في الموالاة، و لكنّ الشعر لم يصحّ وزنه إلاّ هكذا. فقال: كان ينبغي له إذ لم يصحّ الشعر إلاّ هكذا أن يدعه إلى لعنة اللّه. فلم أزل أداريه و أرفق به حتى سكن.

فلمّا قدم المأمون سألني عن هذا الحديث فحدّثته به، فجعل يضحك و يعجب منه.

مدحه عبد اللّه بن طاهر:

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر قال:

سمعت أبي يقول: لو خيّرت لونا من الطّعام لا أزيد عليه غيره لاخترت الدّرّاجة(4)؛ لأني إن زدت في خلّها صارت سكباجة(5)، و إن زدت في مائها صارت إسفيدباجة باجة(6)، و إن زدت في تصبيرها بل في تشييطها صارت

1- في «الأصول»: «و لم» بالواو.

2- في ب، س: «منك» و هو تحريف.

3- في «ج، ب، من»: «و لا نقصه» بالقاف.

4- الـدراج (بـالضم): ضـرب من طير العراق أسود بـاطن الجناحين و ظاهرهما أغبر، على خلقـة القطا إلا أنه ألطف. و جعله الجاحظ من أقسام الحمام لأنه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمام.

5- السكباج: مرق يعمل من اللحم و الخل، معرب «سكبا» مركب من «سك» أي خل، و من «با» أي طعام. (عن كتاب الألفاظ الفارسية المعربة»).

6- الاسفيدباجة: لون من الطعام يتكوّن من البصل و الزبدة و من أشياء أخرى. (عن «القاموس الفارسي الإنكليزي» لاستنجاس). و يبدو أن هذا التعريف لا يتفق مع ما يدل عليه سياق العبارة هنا، فإنه يدل على أنها تصير ضربا من الحساء.

مطجّنة(1). و لو اقتصرت على رجل واحد لما اخترت سوى علّويه؛ لأنه إن حدّثني ألهاني، و إن غنّاني أشجاني، و إن رجعت إلى رأيه كفاني.

حضر عند سعيد بن عجيف فأكرمه ثم طلبه عجيف:

اشارة

حدّثني عمي قال حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد الأبزاريّ قال:

كنت عند سعيد بن عجيف أنا و عبد الوهّاب بن الخصيب و عبد اللّه بن صالح صاحب المصلّى، إذ دخل عليه حاجبه فقال له: علّويه بالباب، فأذن له فدخل. فقال له: لا تحمدني فإنّي لم يجئني رسول رجل اليوم، فعرضت إخواني جميعا على قلبي فلم يقع عليه غيرك. فدعا له ببرذون ادهم بسرجه و لجامه فأهداه إليه، و جلسنا نشرب و علّويه يغنّي. فلمّا توسّطنا أمرنا جاء رسول عجيف(2) يطلبه في منزله، فقالوا له: هو عند ابنه سعيد. فأتاه الرسول فقال له: أجب الأمير. فقلنا: هذا شيء ليس فيه حيلة. و قد جاء الرسول و هو يغنّي:

صوت

أ لم تر أنّي يوم جوّ سويقة(3) *** بكيت فنادتني هنيدة ماليا

فقلت لها إنّ البكاء لراحة *** به يشتفي من ظنّ أن لا تلاقيا

- لحن علّويه في هذا رمل. و الشعر للفرزدق - قال: فقام علّويه ثم قال: هو ذا، أمضي إلى الأمير فأحدّثه بحديثنا و أستأذنه في الانصراف بوقت يكون فيه فضل لكم. فانصرف بعد المغرب و معه جام، فيه مسك و عشرة آلاف درهم و منيان(4) فيهما رماطون(5)، فقال: جئت أشرب عندكم، و آخذه(6) و أنصرف إلى إنسان له عندي أياد (يعني عليّ بن معاذ أخا يحيى بن معاذ) فلم يزل عندنا حتّى همّ بالانصراف. فلمّا رأيت ذلك فيه قمت قبله فأتيت منزل عليّ بن معاذ، فقيل له: ابن الأبزاريّ بالباب. فبعث إليّ: إن أردت مضاء فخذه (يعني غلاما كان يغنّي)، فقلت له:

لست أريده، إنّما أريدك أنت، فأذن لي فدخلت. فقال: أ لك حاجة في هذا الوقت؟ فقلت: الساعة يجيئك علّويه.

فقال: و ما يدريك؟ فحدّثته بالحديث. و دخل علّويه، فقال لي: ما جاء بك إلى هاهنا فقلت(7): ما كنت لأدع بقيّة ليلتي هذه تضيع، فما زال يغنّينا و نشرب حتى نام الناس ثم انصرفنا.

فضله عمرو بن بانة على نفسه:

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثنا هارون بن مخارق قال حدّثني أبي قال:

1- مطجنة: مقلوة بالطاجن.

2- هو عجيف بن عنبسة أحد رجالات دولة بني العباس و من قوّاد المعتصم. (راجع «الطبري أوربا القسم الثالث صفحة 1166-168 و 1256-1258 و 1364-1266).

3- جوّ سويقة: من جواء الصمان. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

4- المنى: مكيال يكيلون به السمن و غيره. و تثنيته منون و منيان، و الأوّل أعلى، و جمعه أمناء. و بنو تميم يقولون منّ (بتشديد النون) و منان و أمنان.

5- كذا في «ج». و أحسب أن الصواب: «فيهما رساطون». و الرساطون: ضرب من الشراب يتخذ من الخمر و العسل، رومي معرب. و في «سائر الأصول»: «فيهما رمان». و ظاهر أنه تحريف.

6- مرجع الضمير ما كان معه من الجام و ما نسق عليه.

7- في «الأصول»: «فقال» و سياق الكلام يأباه.

/قلت لعمرو بن بانة: أيّما أجود صنعتك أم صنعة علّويه؟ فقال: صنعة علّويه، لأنه ضارب و أنا مرتجل. ثم أطرق ساعة و قال: لا أكذبك يا أبا المهنّأ و اللّه ما أحسن/أن أصنع مثل صنعة علّويه.

فوا حسرتا لم أقض منك لبانة *** و لم أتمتّع بالجوار و بالقرب

و لا مثل صنعته:

هزئت أميمة أن رأت ظهري انحنى *** و ذؤابتي علّت بماء خضاب

و لا مثل صنعته:

ألا يا حمامي قصر دوران هجتما *** لقلبي الهوى لمّا تغنّيتما ليا

و قد مضت نسبة هذه الأصوات.

غنى في شعر هجى به عليّ بن الهيثم فأغرى الفضل بن الربيع بن الأمين حتى ضربه ثم رضي عنه:

حدّثني جحظة قال حدّثني أحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد اللّه قال حدّثني أحمد بن الخليل بن هشام قال:

كان بين علّويه و بين عليّ بن الهيثم جونقا شرّ في عربدة وقعت بينهما بحضرة الفضل بن الربيع و تمادى الشرّ بينهما، فغنّى علّويه في شعر هجاه به أبو يعقوب(1) في حاجة، فهجاه و ذكر أنه دعيّ. و كان جونقا يدّعي أنّه من بني تغلب، فقال فيه أبو يعقوب:

يا عليّ بن هيثم يا جونقا *** أنت عندي من الأراقم(2) حقّا

عربيّ و جدّه نبطيّ! *** فدبنقا لذا الحديث دبنقا(3)

/قد أصابتك في التقرّب عين *** فاستنارت لشهبها الفلك برقا(4)

و إذا قال إنني عربيّ *** فانتهزه و قل له أنت شفقا

- و للخريميّ فيه أهاج كثيرة نبطيّة - فغنّى علّويه لحنا صنعه في هذه الأبيات بحضرة الأمين، و كان الفضل بن الربيع حاضرا فقال: يا أمير المؤمنين عليّ بن الهيثم كابني، و إذا استخفّ به فإنّما استخفّ بي. فقال الأمين:

خذوه، فأخذوه و ضرب ثلاثين درّة، و أمر بإخراجه. فطرح علّويه نفسه على كوثر فاستصلح له الفضل بن الربيع، و ترضّى له الأمين حتى رضي عنه و وهب له خمسة آلاف دينار.

1- هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهى الشاعر المعروف بالخريمي. نزل بغداد و أصله من خراسان من أبناء السفد، و كان متصلا

بخريم بن عـامر المري و آله فنسب إليه. و قيـل: كـان اتصاله بعثمان بن خريم. و كان عثمان هـذا قائـدا جليلا و سـيدا شـريفا. و من شـعر الخريمي: رسا بالصـغد أصل بني أبينا و أفرعنا بمرو الشاهجان و كم بالصغد لي من عم صدق و خال ماجة بالجوزجان و كان شاعرا مجيدا من شعراء الدولة العباسية، توفي سنة 200 ه.

2- الأراقم هنا: حيّ من تغلب.

3- تظهر أن هذه الكلمة نبطية، و كذلك كلمة «شفقا» الآتية.

4- كـذا ورد هذا الشـطر في «ب، س» و في «ج»: «فشاب لها العلك برقا». و في «أ، م»: «فسارب العلك برقا». و كل ذلك غير واضح و لا مستقيم.

ادعى أنه لو شاء جعل الغناء كالجوز فرد عليه إسحاق بما أخجله:

اشارة

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد اللّه بن مالك قال حدّثني مخارق قال:

غنّى علّويه يوما بحضرة الواثق هذا الصوت:

صوت

من صاحب الدّهر لم يحمد تصرّفه *** عنا(1) و للدّهر إحلاء و إمرار

- و لحنه ثقيل أوّل - فاستحسنه الواثق و طرب عليه. فقال علّويه: و اللّه لو شئت لجعلت الغناء في أيدي الناس أكثر من الجوز، و إسحاق حاضر بين يدي الواثق، فتضاحك ثم قال: يا أبا الحسن، إذا تكون قيمته مثل قيمة الجوز، ليتك إذ قلّلته(2) صنعت شيئا، فكيف إذا كثّرته! فخجل علّويه حتى كأنّما ألقمه إسحاق حجرا، و ما انتفع بنفسه يومئذ.

ترك موعد المأمون ليذهب إلى عريب ثم غناه بما صنعاه فاستظرفه:

اشارة

حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني عبد اللّه بن المعتزّ قال حدّثني عبد اللّه الهشاميّ قال:

/قال لي علّويه: أمرنا المأمون أنّ نباكره لنصطبح، فلقيني عبد اللّه بن إسماعيل المراكبيّ مولى عريب، فقال:

أيها الظالم المعتدي أ ما ترحم و لا ترقّ، عريب هائمة من الشّوق إليك تدعو اللّه و تستحكمه عليك و تحلم بك في نومها في كلّ ليلة ثلاث مرّات. قال علّويه: فقلت/أمّ الخلافة زانية، و مضيت معه. فحين دخلت قلت: استوثق من الباب، فأنا أعرف الناس بفضول الحجّاب، فإذا عريب جالسة على كرسيّ تطبخ ثلاث قدور من دجاج. فلمّا رأتني قامت فعانقتني و قبّلتني و قالت: أيّ شيء تشتهي؟ فقلت: قدرا من هذه القدور، فأفرغت قدرا بيني و بينها فأكلنا، و دعت بالنّبيذ فصبّت رطلا فشربت نصفه و سقتني نصفه، فما زلت أشرب حتى كدت أن أسكر. ثم قالت: يا أبا الحسن، غنّيت البارحة في شعر لأبي العتاهية أعجبني، أ فتسمعه منّي و تصلحه؟ فغنّت:

صوت

عذيري من الإنسان لا إن جفوته *** صفا لي و لا إن صرت طوع يديه

و إنّي لمشتاق إلى ظلّ صاحب *** يروق و يصفو إن كدرت عليه

فصيّرناه مجلسا. و قالت: قد بقي فيه شيء، فلم(3) أزل أنا و هي حتى أصلحناه. ثم قالت: و أحبّ أن تغنّي أنت فيه أيضا لحنا، ففعلت. و جعلنا نشرب على اللّحنين مليّا. ثم جاء الحجّاب فكسروا الباب و استخرجوني، فدخلت إلى المأمون فأقبلت أرقص من أقصى الإيوان و

أصـفّق و أغنّي بالصوت، فسمع المأمون و المغنّون ما لم يعرفوه فاستظرفوه، و قال المأمون: ادن يا علّويه و ردّه(4)، فرددته عليه سبع مرّات. فقال لي في آخرها عند قولي:

يروق و يصفو إن كدرت عليه

ص: 234

1- في «ج، ب، س»: «عني». و في «أ»، م»: «عينا». و الظاهر أنه العناء (بالمد) و هو النصب و المشقة، فقصره الشاعر.

2- في «الأصول»: «ليتك إذا قلته... فكيف إذا كسرته» و هو تحريف.

3- في «الأصول»: «لم أزل» بدون الفاء.

4- يقال: ردّ القول ترددا إذا كرره، مثل ردّده.

/يا علّويه خذ الخلافة و أعطني هذا الصاحب.

لحن عريب في هذا الشعر رمل. و فيه لعلّويه لحنان: ثاني ثقيل، و ماخوريّ.

سمع منه إبراهيم بن المهدي صوتين فحسده:

اشارة

و قال العتّابيّ حدّثني أحمد بن حمدون قال:

غاب عنّا علّويه مدّة ثم صار إلينا. فقال له إبراهيم بن المهديّ: ما الذي أحدثت بعدي من الصّنعة يا أبا الحسن؟ قال: صنعت صوتين. قال: فهاتهما إذا؛ فغنّاه:

صوت

ألا إنّ لي نفسين نفسا تقول لي *** تمتّع بليلى ما بدا لك لينها

و نفسا تقول استبقى ودّك و اتّئد *** و نفسك لا تطرح على من يهينها

– لحن علّويه في هذين البيتين خفيف ثقيل – قال: فرأيت إبراهيم بن المهديّ قد كاد يموت من حسده و تغيّر لونه، و لم يدر ما يقول له؛ لأنه لم يجد في الصوت مطعنا، فعدل عن الكلام في هذا المعنى و قال: هذا يدلّ على أن ليلى هذه كانت من لينها مثل الموم(1) بالبنفسج، فسكت علّويه. ثم سأله عن الصوت الآخر، فغنّاه.

صوت

إذا كان لي شيئان يا أمّ مالك *** فإنّ لجاري منهما ما تخيّرا

و في واحد إن لم يكن غير واحد *** أراه له أهلا إذا كان مقترا

– و الشعر لحاتم الطائيّ. لحن علّويه في هذين البيتين أيضا خفيف ثقيل. و قد روي أنّ إبراهيم الموصليّ صنعه و نحله إيّاه، و أنا أذكر خبره بعقب هذا الخبر – قال أحمد(2) بن حمدون: فأتى و اللّه بما برّز على الأوّل و أوفى عليه، و كاد إبراهيم يموت غيظا/و حسدا لمنافسته/في الصّنعة و عجزه عنها. فقال له: و إن كانت لك امرأتان يا أبا الحسن حبوت جارك منهما واحدة؟ فخجل علّويه و ما نطق بصوت بقية يومه.

نحله إبراهيم الموصلي صوتا فلم يظهره إلا أمام المأمون:

و حدّثني عمّي عن عليّ بن محمد بن جدّه حمدون هذا الخبر، و لفظه أقلّ من هذا.

فأمّا الخبر الذي ذكرته عن علّويه أنّ إبراهيم الموصليّ نحله هذا الصوت. فحدّثني جحظة قال حدّثني ابن المكيّ المرتجل و هو محمد بن أحمد بن يحيى قال حدّثني علّويه قال:

قال إبراهيم الموصـليّ يوما: إنّي قد صنعت صوتا و ما سمعه منّى أحد بعد، و قد أحببت أن أنفعك و أرفع منك بأن ألقيه عليك و أهبه لك، و و اللّه ما فعلت هذا بإسحاق قطّ و قد خصصتك به، فانتحله و ادّعه، فلست أنسبه إلى نفسي و ستكسب به مالا. فألقى عليّ قوله:

1- الموم هنا: الشمع.

2- في «الأصول هنا»: «إبراهيم بن حمدون» و هو تحريف.

إذا كان لي شيئان يا أمّ مالك *** فإنّ لجاري منهما ما تخيّرا

فأخـذته و ادّعيته و سترته طول أيّام الرشـيد خوفا من أن أتّهم فيه و طول أيّام الأمين حتى حدث عليه ما حدث. و قدم المأمون من خراسان و كان يخرج إلى الشمّاسيّة(1) دائما يتنزّه، فركبت في زلاّل(2) و جئت أتبعه، فرأيت حرّاقـة عليّ بن هشام، فقلت للملاّح: اطرح زلالي على الحرّاقـة ففعل، و اسـتؤذن لي فـدخلت و هو يشـرب مع الجواري - و ما كانوا يحجبون جواريهم في ذلك الوقت ما لم يلدن - فإذا بين يديه متيّم و بذل [من] جواريه، فغنّيته الصوت فاستحسنه جدّا و طرب عليه و قال: لمن هذا؟ فقلت: هذا صوت صنعته و أهديته لك، و لم يسمعه أحـد قبلك، فازداد به/عجبا و طربا و قال لها: خذيه(3) عنه، فألقيته عليها حتى أخذته، فسـرّ بذلك و طرب، و قال لي(4): ما أجد لك مكافأة على هـذه الهديّة إلاّ أن أتحوّل عن هذه الحرّاقة بما فيها و أسـلّمه إليك أجمع. فتحوّل إلى أخرى، و سـلّمت الحرّاقة بخزانتها و جميع آلاتها إليّ و كلّ شيء فيها، فبعت ذلك بمائة و خمسين ألف درهم و اشتريت بها ضيعتي الصالحيّة.

غنى المأمون لحنا في بيت لم يعرفه أحد ثم عرف بعد:

حـدّثني جحظة قال حدّثني ابن المكيّ المرتجل عن أبيه قال قال(5) إسـحاق بن حميد كاتب أبي الرازيّ، و حدّثني به عمّي قال حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني حسّان بن محمد الحارثيّ عن إسحاق بن حميد كاتب أبي الرازيّ قال:

غنّى علّويه الأعسر يوما بين يدي المأمون(6)

تخيّرت من نعمان عود أراكة *** لهند فمن هذا يبلّغه هندا

فقال المأمون: اطلبوا لهـذا البيت ثانيا فلم يعرف، و سأل كلّ من بحضـرته من أهل الأدب و الرّواة و الجلساء عن قائل هذا الشـعر فلم يعرفه أحد. فقال إسـحاق بن حميد: لمّا رأيت ذلك عنيت بهذا الشعر و جهدت في المسألة و طلبته ببغداد عند كلّ متأدّب و ذي معرفة فلم يعرفه. و قلّد المأمون أبا الرازيّ كور دجلة و أنا أكتب له، ثم نقله إلى اليمامة و البحرين. قال إسحاق بن حميد: فلمّا خرجنا ركبت مع أبي الرازيّ في بعض اللّيالي(7) على حمارة، فابتـدأ الحادي يحـدو بقصـيدة طويلـة، و إذا البيت الذي كنت أطلبه، فسألته عنها فذكر أنها للمرقّش الأكبر، فحفظت منها هذه الأبيات:

/

خليليّ عوجا بارك اللّه فيكما *** و إن لم تكن هند لأرضكما قصدا

/و قولا لها ليس الضّلال أجازنا *** و لكنّنا جزنا لنلقاكم عمدا

1- الشماسية هنا: من ضواحي بغداد.

2- الزلال: ضرب من الزوارق.

3- الخطاب لإحدى الجاريتين.

4- كذا في «نهاية الأرب». و في «الأصول»: «و قال ما لي ما أجد لك...».

5- في «الأصول»: «كان» و هو تحريف.

6- زيد في «ج» هنا: «قال» و في «سائر الأصول»: «فقال». و ظاهر أنه لا مقتضى لهذه الكلمة هنا.

7- في «ج»: «... في بعض الليالي قبة على حمارة».

تخيّرت من نعمان عود أراكة *** لهند فمن هذا يبلغه هندا

و أنطيته(1) سيفي لكيما أقيمه *** فلا أودا فيه استبنت و لا خضدا(2)

ستبلغ هندا إن سلمنا قلائص(3) *** مهاري يقطّعن الفلاة بنا وخدا

فلمّا أنحنا العيس(4) قد طار سيرها *** إليهم وجدناهم لنا بالقرى حشدا(5)

فناولتها المسواك و القلب خائف *** و قلت لها يا هند أهلكتنا وجدا

فمدّت يدا في حسن دلّ تناولا *** إليه و قالت ما أرى مثل ذا يهدى

و أقبلت كالمجتاز أدّى رسالة *** و قامت تجرّ الميسنانيّ(6) و البردا

تعرّض للحيّ الذين أريدهم(7) *** و ما التمست إلاّ لتقتلني عمدا

فما شبه هند غير أدماء(8) خاذل *** من الوحش مرتاع مراع طلا فردا

/قال: فكتب بها إلى المأمون فاستحسنت و رويت، و أمر علّويه فصنع في البيتين الأوّلين منها غناء يشبه(9).

أغاني علّويه في هذه الأبيات: اللحن(10) الأوّل في قوله:

تخيّرت من نعمان عود أراكة

غنّاه علّويه و ليس اللحن له، اللحن لإبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر. و لحنه الثاني الذي أمره أن يصنعه في:

خليليّ عوجا بارك اللّه فيكما

رمل.

دفع إلى المعتصم رقعة في أمر رزقه ثم غناه بشعر لابن هرمة:

اشارة

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد اللّه بن مالك قال:

1- أنطى: لغة في أعطي. يريد أنه عرض العود على السيف ليقيم به أوده، فلم يستبن فيه أودا و لا كسرا.

2- في الأصول: «و لا حصدا» بحاء و صاد مهملتين. و هو تصحيف. و الخضد: كسر العود من غير أن يبين.

3- قلائص: جمع قلوص. و القلوص من الإبل: الشابـة. و المهاري (بفتح الراء و كسـرها): جمع مهرية، نسـبة إلى مهرة بن حيدان، حيّ من العرب.

4- العيس من الإبل: البيض يخالط بياضها شقرة، واحدها أعيس و عيساء.

5- الحشد (بالفتح، و مثله الحشد بالتحريك): الجماعة المحتشدون.

6- الميسـناني: ضـرب من الثياب منسوب إلى ميسان، و هي كورة من كور دجلة بسواد العراق بين البصرة و واسط، و النسبة إليها «ميساني» على القياس، و «ميسناني» بزيادة نون.

7- كذا في الأصول. و لعل صوابه: «أديرهم» أي أدوارهم و أحارفهم.

8- الأدمـة في الظبـاء و النوق: لون مشـرب بياضـا. و الخاذل من الظباء: التي تتخلف عن صواحبها و تنفرد، أو أقامت على ولـدها. و مراع: وصف من راعاه يراعيه إذا حفظه أو رعي معه. و الطلا هنا: ولد الظبية.

9- كـذا في الأصول الخطيـة. و في الكلام حـذف. و لعل تقديره: «يشـبه اللحن الأوّل» و هو اللحن الذي في قوله: تخيرت من نعمان عود أراكة و في ب، س: «شبه أغاني علوية...». و ظاهر أن «أغاني علوية في هذه الأبيات» عنوان لما بعده.

10- في ب، س: «و اللحن الأول...» بزيادة الواو.

عرض علّويه على المعتصم رقعة في أمر رزقه و إقطاعه و هو يشرب دفعها إليه من يده، فلمّا أخذها اندفع علّويه يغنّي:

صوت

إنّي استحيتك أن أفوه بحاجتي *** فإذا قرأت صحيفتي فتفهّم

و عليك عهد اللّه إن خبّرته *** أحدا و لا أظهرته بتكلّم

فقرأ المعتصم الرّقعة و هو يضحك، ثم وقّع له فيها بما أراد.

الشعر لابن هرمة كتب به إلى بعض آل أبي طالب و هو إبراهيم بن الحسن يطلب منه نبيذا و قد خرج هو و أصحابه إلى السّيالة(1)، فكتب إليه البيت الأوّل على ما رويناه، و الثاني غيّره المغنّون، و هو:

/

و عليك عهد اللّه إن أعلمته *** أهل السّيالة إن فعلت و إن لم

فلمّا قرأت الرّقعة قال: عليّ عهد اللّه إن لم أعلم به عامل السّيالة. [و كتب إلى عامل السّيالة(2)]: إنّ ابن هرمة و أصحابا له سفهاء يشربون بالسّيالة، فاركب إليهم، حتّى تأخذهم، فركب إليهم و نذروا(3) به، فهرب، و قال يهجو إبراهيم:

كتبت إليك أستهدي نبيذا *** و أدلي بالمودّة و الحقوق(4)

فخبّرت الأمير بذاك جهلا(5) *** و كنت أخا مفاضحة و موق(6)

حدّثني بذلك الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير. و قد ذكرته في أخبار ابن هرمة(7). و الغناء لعبادل.

غنى هو و مخارق معترضين بفرس كميت للمعتصم فأعطاهما غيره:

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني موسى بن هارون الهاشميّ قال/حدّثني أبي قال:

كنت واقفا بين يدي المعتصم و هو جالس على حير(8) الوحش و الخيل تعرض عليه و هو يشرب و بين يديه علّويه و مخارق يغنّيان، فعرض عليه فرس كميت أحمر ما رأيت مثله قطّ، فتغامز علّويه و مخارق، و غنّاه علّويه:

و إذا ما شربوها و انتشوا *** وهبوا كلّ جواد و طمرّ(9)

1- السيالة: أرض يطؤها طريق الحاج، قيل هي أوّل مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.

2- التكملة من «الأغاني» فيما تقدّم (ج 6 ص 98 من طبعة دار الكتب). و قد وردت هذه القصة هناك منسوبة إلى «حسن بن حسن بن

علي» و قد كتب هناك بأن هذه القصة لا يمكن أن تكون مع حسن بن حسن لتقدّم عصره على عصر ابن هرمة، بل الصحيح أنها كانت مع ابنه إبراهيم. (راجع الحاشية الثانية من تلك الصفحة).

3- نذر به: علم به.

4- الرواية فيما تقدّم: «بالجوار و بالحقوق».

5- الرواية فيما تقدّم: «غدرا».

6- الموق هنا: الحمق في غباوة.

7- لم يذكره في أخبار ابن هرمة، و إنما ذكره في أخبار «عبادل». ج 6 ص 98 و ما بعدها من طبعة دار الكتب.

8- لم أقف على هذا الموضع. و من معاني الحير في اللغة البستان.

9- الطمرّ من الخيل: الجواد.

/فتغافل عنه. و غنّاه مخارق:

يهب البيض كالظّباء و جردا(1) *** تحت أجلالها و عيس الرّكاب

فضحك ثم قال: اسكتا يا ابني الزّانيتين، فليس يملكه و اللّه واحد منكما. قال: ثم دار الدّور، فغنّى علّويه:

و إذا ما شربوها و انتشوا *** وهبوا كلّ بغال و حمر

فضحك و قال: أمّا هذا فنعم، و أمر لأحدهما ببغل و للآخر بحمار.

اجتمع مع أصحاب له عند زلبهزة و معهم هاشمي حصلوا منه بحيلة على مال:

اشارة

حدّثني عمّي قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد الأبزاريّ قال:

كنّا عند زلبهزة(2) النخّاس، و كانت عنده جارية يقال لها خشف ابتاعها من علّويه، و ذلك في شهر رمضان، و معنا رجل هاشميّ من ولد عبد الصّمد بن عليّ يقال له عبد الصمد، و إبراهيم بن عمرو بن نهبون و كان يحبّها، فأعطى بها زلبهزة أربعة آلاف دينار فلم يبعها منه، و بقيت معه حتى توفّيت، فغنّيتنا أصواتا كان فيها:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها *** إشارة محزون و لم تتكلّم

فأيقنت أنّ الطّرف قد قال مرحبا *** و أهلا و سهلا بالحبيب المسلّم(3)

و أبرزت طرفي نحوها لأجيبها *** و قلت لها قول امرئ غير معجم(4)

هنيئا لكم قتلي وصفوا مودّتي *** و قد سيط(5) في لحمي هواك و في دمي

- الغناء لابن عائشة ثقيل أوّل عن الهشامي - قال: فلما وثبنا للانصراف قال لنا و قد اشتدّ الحرّ: أقيموا عندي.

فوجّهت غلاما معي و أعطيته دينارا و قلت له ابتع/فراريج بعشرة دراهم و ثلجا بخمسة دراهم و عجّل، فجاء بذلك فدفعه إلى زلبهزة و أمره بإصلاح الفراريج ألوانا، و كتبت إلى علّويه فعرّفته خبرنا، فجاءنا و أقام، و أمطرنا عند زلبهزة، و شرب منّا من كان يستجيز الشراب، و غنّى علّويه لحنا ذكر أنه لابن سريج ثقيل أوّل، فاستغربه(6)الجماعة، و هو:

صوت

يا هند إنّ الناس قد أفسدوا *** ودّك حتى عزّني المطلب

يا ليت من يسعى بنا كاذبا *** عاش مهانا في أذى يتعب

هبيه ذنبا كنت أذنبته *** قد يغفر اللّه لمن يذنب

و قد شجاني و جرت دمعتي *** أن أرسلت هند و هي تعتب

ص: 239

1- الجرد من الخيل: القصيرات الشعر، و هو مدح فيها، الواحد أجرد و جرداء. و عيس الركاب: النوق البيض.

2- كذا ورد هذا الاسم في الأصول. و ورد في «مختصر الأغاني» مرة «زليهدة»، و مرة «زلهدة». و لم نهتد لوجه الصواب فيه.

3- في هامش أ: «المتيم» رواية أخرى.

4- المعجم: الذي لا يفصح في كلامه. و في ج، ب، س: «غير مفحم» و المفحم هنا: العيي.

5- سيط: خلط و مزج، يقال: ساط الشيء يسوطه إذا ضربه فخلط بعضه ببعض.

6- في ب، س: «فاستعذبه».

ما هكذا عاهدتنا(1) في منى *** ما أنت إلاّ ساحر تخلب

حلفت لي باللّه لا تبتغي *** غيرك ما عشت و لا نطلب(2)

/قال: و قام عبد الصمد الهاشميّ ليبول. فقال علّويه: كلّ شيء قد عرفت معناه: أمّا أنت فصديق الجماعة، و هذا يتعشّق هذه، و هذا مولاها، و أنا ربّيتها و علّمتها، و هـذا الهاشـميّ أيش معناه!. فقلت لهم: دعوني أحكّه(3) و آخذ لزلبهزة منه شـيئا. فقال: لا و اللّه ما أريد. فقلت له: أنت أحمق، أنا آخذ منه شيئا لا يستحي القاضي من أخذه.

فقال: إن كان هكذا فنعم. فقلت له إذا جاء عبد الصمد فقل لي: ما فعل الآجرّ الذي وعدتني به، فإنّ حائطي قد مال و أخاف أن يقع، و دعني و القصّة. /فلمّا جاء الهاشـميّ قال لي زلبهزة ما أمرته به، فقلت: ليس عنـدي آجرّ، و لكن اصبر(4) حتّى أطلب لك من بعض أصـدقائي، و جعلت انظر إلى الهاشـميّ نظر متعرّض به. قال الهاشـمي: يا غلام دواة و رقعة، فأحضـر ذلك. فكتب له بعشـرة آلاف آجرّة إلى عامل له، و شربنـا حتّى السّحر و انصـرفنا. فجئت برقعته إلى الآـجري ثم قلت: بكم تبيعه الآـجرّ؟ فقال: بسـبعة و عشـرين درهما الألف. قلت: فبكم تشتريه منّي؟ قال:

بنقصان ثلاثـة دراهم في الألف. فقلت: فهات، فأخـذت منه مائتين و أربعين درهما، و اشتريت منها نبيـذا و فاكهة و ثلجا و دجاجا بأربعين درهما، و أعطيت زلبهزة مائتي درهم و عرّفته الخبر، و دعونا علّويه و الهاشـمي و أقمنا عنـد زلبهزة ليلتنا الثانيـة. فقال علّوية: نعم! الآن صار للهاشميّ عندكم موضع و معنى.

هو مصلى كل سابق في الصنعة و الضرب و طيب الصوت:

أخبرني جحظة قال حدّثني أحمد بن حمدون قال حدّثني أبي قال:

قال لنا الواثق يوما: من أحذق الناس بالصّنعة؟ قلنا إسحاق. قال: ثم من؟ قلنا: علّويه. قال: فمن أضرب الناس؟ قلنا: ثقيف(5). قال: ثم من؟ قلنا: علّويه. قال: فمن أطيب الناس صوتا؟ قلنا: مخارق. قال ثم من؟ قلنا: علّويه. قال: اعترفتم له بأنه مصـلّي كلّ سابق، و قد جمع الفضائل كلّها و هي متفرّقة فيهم، فما ثمّ ثان لهذا الثالث(6).

غنى المأمون في دمشق بما أسرّه فغضب عليه و شتمه:

و حدّثني جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد المكيّ المرتجل قال حدّثني أبي قال:

دخلت إلى علّويه أعوده من علّة اعتلّها ثم عوفي منها، فجرى حـديث المأمون، فقال لي: كدت - علم اللّه - أذهب دفعة ذات يوم و أنا معه لو لا أنّ اللّه تعالى/سلمني و وهب لي حلمه. فقلت: كيف كان السبب في ذلك؟

1- في أ، م: «عاهدتني».

2- ورد هـذا الشـطر في ج محرّفا هكذا: غير ما عشت و لا تطلب و أحسب أنه محرّف عن رواية فيه تكون هكذا. ..... لا تبتغي غيري ما عشت و لا تطلب

3- أحكه، يريد: أحتك به و أتعرض له.

4- في الأصول: «اصبر لي» بزيادة «الي». و ليست في «مختصر الأغاني».

5- في الأصول هنا: «ثقف» و التصويب مما تقدّم في «الأغاني» ج 5 ص 352 من طبعة دار الكتب.

6- في الأصول الخطية: «فها ثم ثان لهذا الثالث...» و ظاهر أن في هذه العبارة تحريفا.

فقال: كنت معه لمّا خرج إلى الشام، فدخلنا دمشق فطفنا بها، و جعل يطوف على قصور بني أميّة و يتبع(1)آثارهم، فدخل صحنا من صحونه، فإذا هو مفروش بالرّخام الأخضر كلّه و فيه بركة ماء يدخلها و يخرج منها من عين تصبّ إليها، و في البركة سمك، و بين يديها بستان على أربع(2) زواياه أربع سروات(3) كأنّها قصّت بمقراض من التفافها أحسن ما رأيت من السّرو(4) قطّ قدّا و قدرا. فاستحسن ذلك، و عزم على الصّبوح، و قال: هاتوا لي الساعة طعاما خفيفا، فأتي ببزماورد(5) فأكل، و دعا بشراب، و أقبل عليّ و قال: غنّي و نشّطني، فكأنّ اللّه عزّ و جلّ أنساني الغناء كلّه إلا هذا الصوت:

لو كان حولي بنو أميّة لم *** تنطق رجال أراهم نطقوا

فنظر إليّ مغضبا و قال: عليك و على بني أميّة لعنة اللّه! ويلك! أقلت لك سؤني أو سرّني! أ لم يكن لك وقت تذكر فيه بين أميّة إلاّ هذا الوقت تعرّض بي!. فتحيّلت عليه و علمت أني/قد أخطأت(6)، فقلت: أ تلومني على أن أذكر بني أميّة! هذا مولاكم زرياب(7) عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له، و يملك ثلاثمائة ألف/دينار وهبوها له سوى الخيل و الضّياع و الرّقيق، و أنا عندكم أموت جوعا. فقال أ و لم يكن لك شيء تذكّرني به نفسك غير هذا! فقلت:

هكذا حضرني حين ذكرتهم فقال: اعدل عن هذا و تنبّه على إرادتي. فأنساني اللّه كلّ شيء أحسنه إلاّ هذا الصوت:

الحين ساق إلى دمشق و لم أكن *** أرضى دمشق لأهلنا بلدا

فرماني بالقدح فأخطأني فانكسر القدح، و قال: قم عنّي إلى لعنة اللّه و حرّ سقر، و قام فركب. فكانت و اللّه تلك الحال آخر عهدي به، حتى مرض و مات(8). قال: ثم قال لي: يا أبا جعفر كم تراني أحسن! أغنّي ثلاثة آلاف صوت، أربعة آلاف صوت، خمسة آلاف صوت، أنا و اللّه أغنّي أكثر من ذلك، ذهب علم اللّه كلّه حتى كأنّي لم أعرف غير ما غنّيت. و لقد ظننت أنه لو كانت لي ألف روح ما نجت منه واحدة منها، و لكنه كان رجلا حليما، و كان في العمر بقيّة.

نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر

صوت

لو كان حولي بنو أميّة لم *** تنطق رجال أراهم نطقوا

1- أصله يتتبع (بتاءين)، فأدغمت التاء في التاء.

2- في «الأصول»: أربعة زواياه». و التصويب من «مختصر الأغاني».

3- السروة: واحدة السرو، و هو ضرب من الشجر حسن الهيئة قويم الساق.

4- في «ج، ب، س»: «من السروات».

5- في «أكثر الأصول»: «فأتى به بين ماء و ورد». و في «ج»: «فأتى بين ما ورد». و التصويب من «مختصر الأغاني» و «الأغاني» فيما تقدّم (جزء 4 صفحة 353 من هذه الطبعة). و البزماورد: طعام يتخذ من اللحم المقلي بالزبد و البيض. و في شفاء الغليل: «زماورد معرّب، و

العامة تقول بزماورد، و ليس بغلط، لأنه [كلمة] فارسية، كما هو مسطور في لغاتهم، و هو الرقاق الملفوف باللحم...».

6- في «ب، س»: «غلطت».

7- يريد أن زريابا و هو علي بن نافع المغني مولى بني العباس ذهب إلى الأندلس فأكرمه الأمويون هناك. راجع الحاشية الأولى من صفحة 354 جزء 4 من طبعة دار الكتب.

8- الذي في الجزء الرابع أنه غضب عليه عشرين يوما، فكلمه فيه عباس أخو بحر، فرضي عنه و وصله بعشرين ألف درهم.

من كلّ قرم محض ضرائبه *** عن منكبيه القميص ينخرق(1)

الشعر لعبد اللّه بن قيس الرّقيّات. و الغناء لمعبد، ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو، و ذكر الهشاميّ أنه لابن سريج. و ذكر ابن خرداذبه أنّ فيه لدكين بن عبد اللّه بن عنبسة بن سعيد بن العاصي لحنا من الثقيل الأوّل، و أنّ دكينا مدنيّ كان منقطعا إلى جعفر بن سليمان.

صوت

الحين ساق إلى دمشق و ما *** كانت دمشق لأهلنا بلدا

قادتك نفسك فاستقدت لها(2) *** و أريت(3) أمر غواية رشدا

لعمر الواديّ في هذا الشعر ثقيل أوّل بالوسطى عن ابن المكيّ. قال: و فيه ليعقوب الواديّ رمل بالبنصر.

اعترض علي خضابه فأجاب:

حدّثني عمّي قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال سمعت الحسن بن وهب الكاتب يحدّث:

أنّ علّويه كان يصطبح في يوم خضابه مع جواريه و حرمه، و يقول: أجعل صبوحي في أحسن ما يكون عند جواريّ. فقيل له: إنّ ابن سيرين كان يقول: لا بأس بالخضاب ما لم تغرّر به امرأة مسلمة. فقال: إنّما كره لئلاّ يتصنّع به لمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوّجها على أنه شابّ و هو شيخ، فأمّا الإماء فهنّ ملكي، و ما أريد أن أغرّهنّ.

قال الحسن: فتعالل علّويه على المعتصم ثلاثة أيّام متوالية و اصطبح فيها، فدعاني، و كان صوته على جواريه في شعر الأخطل:

/

كأنّ عطّارة(4) باتت تطيف به *** حتى تسربل مثل(5) الورس و انتعلا(6)

فقال لي: كيف رويته؟ فقلت له: قرأت شعر الأخطل(7) و كان أعلم النّاس به، كان يختار «تسرول» و يقول: إنما وصف ثورا دخل روضة فيها نوّار أصفر فأثّر/في قوائمه و بطنه فكان كالسّراويل، لا أنّه صار له سربل. و لو قال:

«تسربل» أيضا لم يكن فاسدا، و لكنّ الوجه «تسرول».

مدح إسحاق لحنا له:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال:

قدمت من سرّ من رأى قدمة بعد طول غيبة، فدخلت إلى إسحاق الموصليّ، فسلّم عليّ و سألني خبري و خبر

1- انخراق القميص عن الشـخص فيه قولان: أحـدهما أنه إشارة إلى جذب العفاة له. و الآخر أنه يؤثر بجيد ثيابه فيكسوها غيره و يكتفي هو بمعاوزها.

2- في «أكثر الأصول»: «فأمنت نفسك فاستعذت لها». و في «ج»: «نامتك نفسك فاستعذت لها». و التصويب من «مختصر الأغاني».

3- في «مختصر الأغاني»: «و رأيت».

4- في «الأصول»: «عنظارة» و التصويب من كتاب «منتهى الطلب من أشعار العرب».

5- كذا في «منتهى الطلب». و في «الأصول»: «ماء الورس».

6- في «الأصول» ما عدا «ج»: «و ابتلعا» و هو تحريف.

7- ظاهر أنه يريد: «قرأت شعر الأخطل على فلان و كان أعلم الناس به... إلخ» فسقط اسم من قرأ عليه من النساخ.

النـاس حتّى انتهيـا إلى ذكر الغنـاء، فسألني عمّا يتشاغل(1) الناس من الأصوات المسـتجادة(2). فقلـت له: تركت النـاس كلّهم مغرمين بصوت لك. قال: و ما هو؟ فقلت:

ألا يا حمامي قصر دوران هجتما

فقال: ليس ذلك لي، ذاك لعلّويه. و قد لعمري أحسن فيه و جوّد ما شاء.

قال المأمون أبياتا فغناه فيها فوصله:

اشارة

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعيّ قال حدّثني علّويه قال:

خرج المأمون يوما و معه أبيات قد قالها و كتبها في رقعة بخطّه، و هي:

صوت

خرجنا إلى صيد الظّباء فصادني *** هناك غزال أدعج العين أخور

غزال كأنّ البدر حلّ جبينه *** و في خدّه الشّعرى المنيرة تزهر

فصاد فؤادي إذ رماني بسهمه *** و سهم غزال الإنس طرف و محجر

/فيا من رأى ظبيا يصيد و من رأى *** أخا قنص يصطاد قهرا و يقسر

قال: فغنّيته [فيها(3)]، فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

قال أبو القاسم جعفر بن قدامة: لحن علّويه في هذا الشعر ثقيل أوّل ابتداؤه نشيد.

غنى في مجلس الرشيد بما أغضبه عليه:

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثني حمّاد عن أبيه قال: غنّيت الرشيد يوما:

هما فتاتان لمّا يعرفا خلقي *** و بالشّباب على شيبي يدلاّن

فطرب و أمر لي بـألف دينـار. فقـال له ابن جـامع – و كان أحسـد الناس –: اسـمع غناء العقلاء و دع غناء المجانين – و كنت أخـذت هـذا الصوت من مجنون بالمدينة كان يجيده – ثم غنّى قوله:

و لقد قالت لأتراب لها *** كلمها يلعبن في حجرتها

خذن عني الظّلّ لا يتبعني *** و غدت تسعى إلى قبّتها

فطرب و أمر له بألف و خمسمائة دينار. ثم تغنّى وجه القرعة:

يمشون فيها بكلّ سابغة *** أحكم فيها القتير و الحلق(4)

فاستحسنه و شرب عليه و أمر له بخمسمائة دينار. ثم تغنّى علّويه:

1- كـذا في «ب، س». و «يتشاغل» فعل لازم فالكلام به غير مسـتقيم. و في «ج» هكـذا: «يتشام» و في «أ، م» هكذا: «يشاءم». و قد تقدم هذا الخبر نفسه في صفحة 335، و فيه: «فقال أي شيء رأيت الناس يستحسنونه في هذه الأيام من الأغاني... إلخ».

2- في «ج»: «المستحدة».

3- زيادة يقتضيها السياق.

4- الدرع السابغة: التي تجر في الأرض أو على الكعبين لطولها و سعتها. و القتير: مسامير الدرع.

و أرى الغواني لا يواصلن امرأ *** فقد الشّباب و قد يصلن الأمردا

فدعاه الرشيد و قال له: يا عاضّ بظر أمّه! تغنّي في مدح المرد و ذمّ الشّيب و ستارتي منصوبة و قد شبت! كأنّك إنّما عرّضت بي! ثم دعا بمسرور فأمره أن يأخذ بيده فيخرجه فيضربه/ثلاثين درّة و لا يردّه إلى مجلسه، ففعل ذلك، و لم ينتفع الرشيد يومئذ بنفسه و لا انتفعنا به بقيّة يومنا، و جفا علّويه شهرا فلم يأذن له حتّى سالناه فأذن له.

نسبة هذه الأصوات التي تقدّمت

صوت

هما فتاتان لمّا يعرفا خلقي *** و بالشّباب على شيبي يدلاّن

كلّ الفعال الّذي يفعلنه حسن *** يضني فؤادي و يبدي سرّ أشجاني

بل احذرا صولة من صول شيخكما *** مهلا عن الشّيخ مهلا يا فتاتان

لم يقع إليّ شاعره. فيه لابن سريج ثاني ثقيل بالسّبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و فيه لابن سريج رمل بالبنصر عن عمرو. و فيه لسليمان المصاب رمل كان يغنّيه، فدسّ الرشيد إليه إسحاق حتّى أخذه منه، و قيل: بل دسّ عليه ابن جامع.

خبر أخذ إسحاق صوتا من سليمان المصاب:

اشارة

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دعاني الرشيد لمّا حجّ، فقال: صر إلى موضع كذا و كذا من المدينة؛ فإنّ هناك غلاما مجنونا يغنّي صوتا حسنا، و هو:

هما فتاتان لمّا يعرفا خلقي *** و بالشباب علي شيبي يدلاّن

و له أمّ، فصر إليها و أقم عندها و احتل حتّى تأخذه. فجئت أستدلّ حتّى وقفت على بيتها، فخرجت إليّ فوهبت لها مائتي درهم، و قلت لها: أريد أن تحتالي على ابنك حتّى آخذ منه الصوت الفلانيّ. فقالت: نعم، و أدخلتني دارها، و أمرتني فصعدت إلى عليّة لها، فما لبثت أن جاء ابنها فدخل. فقالت له: يا سليمان فدتك نفسي! أمّك قد أصبحت اليوم خاثرة مغرمة(1)، فأحبّ أن تغنّي ذلك الصوت:

هما فتاتان لمّا يعرفا خلقي

فقال لها: و متى حدث لك هذا الطّرب؟ قالت: ما طربت و لكنّني أحببت أن أتفرّج من همّ قد لحقني. فاندفع فغنّاه، فما سمعت أحسن من غنائه. فقالت/له أمّه: أحسنت! فديتك! فقد و اللّه كشفت عنّي قطعة من همّي، فأسألك أن تعيده. قال: و اللّه ما لي نشاط، و لا أشتري غمّي بفرحك. فقالت: أعده مرّتين و لك درهم صحيح تشتري به ناطفا(2). قال: و من أين لك درهم؟ و متى حدث لك هذا السخاء؟ فقالت: هذا

فضول لاـ تحتـاج إليه و أخرجت إليه درهمـا فأعطته إيّاه، فأخـذه و غنّاه مرّتين، فـدار لي و كان يسـتوي. فأومأت إليها من فوق أن تستزيـده. فقالت: يا بنيّ

1- خاثرة: ثقيلة النفس غير طيبة و لا نشيطة. و المغرمة هنا: المصابة بألم يلازمها و يلح عليها.

2- الناطف: ضرب من الحلوى يقال له القبيطي.

بحقّي عليك إلاّ أعدته. فقال: أظنّ أنك تريدين أن تأخذيه فتصيري مغنّية. فقالت: نعم! كذا هو. قال: لا! و حقّ القبر لا أعدته إلاّ بدرهم آخر. فأخرجت له درهما آخر، فأخذه و قال: أظنّك و اللّه قد تزندقت و عبدت الكبش فهو ينقد لك هذه الدراهم، أو قد وجدت كنزا. فغنّاه مرّتين، و أخذته و استوى لي. ثم قام فخرج يعدو على وجهه.

فجئت إلى الرشيد فغنّيته به و أخبرته بالقصّة، فطرب و ضحك و أمر لي بألف دينار، و قال لي: هذه بدل مائتي الدّرهم(1).

صوت

و لقد قالت لأتراب لها *** كالمها يلعبن في حجرتها

/خذن عنّي الظّلّ لا يتبعني *** و عدت سعيا إلى قبّتها

لم يصبها نكد فيما مضى *** ظبية تختال في مشيتها

في هذه الأبيات رمل بالبنصر ذكر الهشاميّ أنه لابن جامع المكيّ، و ذكر ابن المكيّ أنه لابن سريج. و هو في أخبار ابن سريج و أغانيه غير مجنّس.

صوت

يمشون فيها بكلّ سابغة *** أحكم فيها القتير و الحلق

تعرف إنصافهم إذا شهدوا *** و صبرهم حين تشخص الحدق(2)

الغناء لابن محرز، خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ و حبش.

صوت

يجحدنني ديني(3) النهار و أقتضي *** ديني إذا وقد(4) النّعاس الرّقّدا

و أرى الغواني لا يواصلن امرأ *** فقد الشباب و قد يصلن الأمردا

الشعر للأعشى. و الغناء لمعبد، خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو.

صوت

أيّة حال يا ابن رامين *** حال المحبّين المساكين

ص: 245

1- في الأصول: «بدل المائتي درهم» بتعريف المضاف و تنكير المضاف إليه، و لم يقل به أحد من النحويين. و مذهب البصريين في مثل هذا إدخال الألف و اللام على الثاني، نحو: ثلاث الأثافي و الديار البلاقع و جوّز الكوفيون لتعريف الجزءين في العدد إذا كان مضافا نحو الخمسة الأثواب.

2- يقال: شخص بصر فلان إذا فتح عينيه و جعل لا يطرف. و شخوص الحدق هنا كناية عن الفزع و شدة الخوف في الحرب.

3- في شعر الأعشى: يلوينني ديني النهار و أجتزي وليّ الدين: مطله.

4- وقذ: صرع و غلب.

تركتهم موتى و ما موّتوا *** قد جرّعوا منك الأمرّين(1)

و سرت في ركب على طيّة(2) *** ركب تهام و يمانين

يا راعي الذّود لقد رعتهم *** ويلك من روع المحبّين

الشـعر لإسماعيل بن عمّار الأسديّ. و الغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الزّهريّ الكوفيّ، و لحنه خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى، عن الهشاميّ و أحمد بن المكيّ.

1- يقال: لقي منه الأمرين (على صـيغة الجمع) أي الدواهي، و يقال أيضا: لقيت منه الأمرين (على صـيغة المثنى). و قد كسرت نون جمع المذكر السالم في هذه القصيدة و التي بعدها للشعر أو هي لغة.
2- الطية: النية أي الوجه و القصد الذي تنتويه و تريده.

20 - نسب إسماعيل بن عمار و أخباره

نسب إسماعيل بن عمار:

هو إسـماعيل بن عمّار بن عيينـة بن الطّفيل بن جذيمة بن عمرو بن خلف بن زبّان بن كعب بن مالك بن ثعلبة بن دوذان بن أسد بن خزيمة. أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن السّكّريّ عن ابن حبيب.

من مخضرمي الدولتين و كان ينزل الكوفة:

و إسماعيل بن عمّار شاعر، مقلّ، مخضرم من شعراء الدولتين الأمويّة و الهاشميّة. و كان ينزل الكوفة.

كان ممن يختلف إلى ابن رامين و جواريه:

قال ابن حبيب: كان في الكوفـة صاحب قيان يقال له ابن رامين، قـدمها من الحجاز؛ فكان من يسـمع الغناء و يشـرب النبيذ يأتونه و يقيمون عنـده: مثـل يحيى بن زيـاد الحـارثيّ، و شـراعة بن الزّنـدبوذ، و مطيع بن إياس، و عبـد اللّه ابن العبّاس المفتون، و عون العباديّ الحيريّ، و محمد بن الأشـعث الزّهريّ المغنّي. و كان نازلا في بني أسد في جيران إسـماعيل بن عمّار، فكان إسماعيل يغشاه و يشرب عنده. ثم انتقل من جواره إلى بني عائذ [اللّه(1)]، فكان إسماعيل يزوره هناك على مشقّة لبعد ما بينهما. و كان لابن رامين جوار يقال لهن سلاّمة الزرقاء، و سعدة، و ربيحة، و كنّ من أحسن الناس غناء، و اشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلاّمة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الأشعث:

/

أمسى لسلاّمة الزرقاء في كبدي *** صدع مقيم طوال الدّهر و الأبد

لا يستطيع صناع القوم يشعبه *** و كيف يشعب صدع الحبّ في كبد(2)

قصيدة له في جواري ابن رامين:

و في جواريه يقول إسماعيل بن عمّار:

هل من شفاء لقلب لجّ محزون *** صبا(3) و صبّ إلى رئم ابن رامين

إلى ربيحة إنّ اللّه فضّلها *** بحسنها و سماع(4) ذي أفانين

و هاج قلبي(5) منها مضحك حسن *** و لثغة بعد [في(6)] زاي و في سين

1- عائذ اللّه: حيّ من العرب.

2- في بعض الأصول: «في كبدي».

3- في أ، م: «صب يصـيب». و في سائر الأصول: «صب يغيب». و قد أثبتناه كما ورد في الأصول في ذكر خبر سلامة الزرقاء و خبر محمد بن الأشعث (جزء 13 صفحة 129 طبعـة بلاق). و صـبا يصـبو: مال إلى الجهل و الفتوّة. و الصـبابة: الشوق، و قيل: رقته و حرارته؛ يقال: صب فلان يصب (وزان فرح) صبابة فهو صب إذا عشق.

4- السماع هنا: الغناء، و كل ما التذته الأذن من صوت حسن سماع.

5- في ج: «قلبك».

6- في الأصول: «بعد رائي»، و قد أثبتناه هكذا لاسـتقامة الوزن و المعنى به، و تكون لثغتها في أحرف الصـفير، فتنطق بالزاي ذالا، و بالسين ثاء. و أحرف الصفير الزاي و السين و الصاد.

نفسي تأبى لكم إلاّ طواعية *** و أنت تأبين(1) لؤما أن تطيعيني

و تلك قسمة(2) ضيزى قد سمعت بها *** و أنت تتلينها(3) ما ذاك في الدّين

إن تسعفيني بذاك الشيء أرض به *** و إن ضننت به عنّي فزنّيني(4)

أنت الطبيب لداء قد تلبّس بي *** من الجوى فانفثي في فيّ و ارقيني

نعم شفاؤك منها أن تقول لها *** أضنيتني يوم دير اللّج(5) فاشفيني

يا ربّ إنّ ابن رامين(6) له بقر *** عين و ليس لنا غير(7) البراذين

/لو شئت أعطيته مالا على قدر *** يرضى به منك غير(8) الرّبرب العين

لا أنس سعدة و الزّرقاء يوم هما *** باللّجّ شرقيّه فوق الدّكاكين(9)

يغنّيان ابن رامين على طرب *** بالمسجحيّ و تشبيب(10) المحبّين

أذاك أنعم أم يوم ظللت به *** فراشي الورد في بستان شورين(11)

يشوي لنا الشيخ شورين دواجنه *** بالجردناج(12) و سحّاج(13) الشقابين

1- الرواية فيما يأتي: «و أنت تحمين أنفا».

2- قسمة ضيزى: جائرة. و لم تنون «قسمة» هنا للشعر.

3- تتلينها: تتبعينها و تعملين بها.

4- في أكثر الأصول هنا: فعينيني». و في ج: «فيعنيني». و التصويب مما سيأتي في «الأغاني» (في ذكر خبر سلامة الزرقاء و خبر محمد بن الأشعث). و كان إسماعيل بن عمار كتب إلى سعدة بهذه الأبيات، فردّت عليه: «حاشاك من أن أزنيك، و لكني أسير إليك فأعنيك و ألهيك و أرضيك».

5- كذا في ج: و في سائر الأصول: «دير الملح» و هو تحريف. و دير اللج: بالحيرة، بناه أبو قابوس النعمان بن المنذر في أيام ملكه، و لم يكن في ديارات الحيرة أحسن منه بناء و لا أنزه موضعا.

6- الرواية فيما يأتي: «يا رب ما لابن رامين».

7- في الأصول هنا: «إلا البراذين». و التصويب مما سيأتي.

8- في ح، ب، س: «عين الربرب العين». و في أ، م: «إلا الربرب العين». و هما تحريف. و الرواية فيما يأتي: «غير الخرد العين». و الربرب: القطيع من بقر الوحش. و العين: الواسعة العيون، واحدتها عيناء. يريد جواريه اللاتي يشبهن بقر الوحش في سعة العيون.

9- الدكاكين: جمع دكان، و هو بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه، و هو المصطبة.

10- في الأصول هنا: «للمسجحي بتشتيت المحبين». و التصويب مما سيأتي. و المسجحي: الغناء المنسوب لابن مسجح.

11- كذا ورد هذا الاسم في الأصول هنا. و ورد في خبر سلامة الزرقاء و محمد بن الأشعث فيما سيأتي: «سورين» بالسين المهملة.

12- الجردناج: الشواء المكبوب على الجمر أو الطابق بعد كبسه في مياه عطرة و أفاويه أو طبخه فيها نصف طبخة. و أصله فارسي.

13- كذا في ب، س في خبر سلامة الزرقاء فيما سيأتي من الأغاني. و في أكثر الأصول هنا «شجاج الشعانين» و في بعضها: «شجاج السقانين». و الشقابين: جمع شقبان (بالتحريك) و هو طير نبطي. أما «سحاج» فأحسب أن صوابها «سحاح» (بضم السين و تشديد الحاء) جمع ساح بمعنى سمين. و المذكور في كتب اللغة أن جمع «ساح» سحاح (بضم السين و كسرها، و بتخفيف الحاء).

نسقى طلاء(1) لعمران(2) يعتقّه *** يمشي الأصحّاء منه كالمجانين

يزلّ(3) أقدامنا من بعد صحّتها *** كأنّها ثقلا يقلعن من طين

نمشي و أرجلنا مطويّة شللا(4) *** مشي الإوزّ التي تأتي من الصين

أو مشي عميان دير(5) لا دليل لهم *** سوى العصيّ إلى يوم السّعانين

/في فتية من بني تيم لهوت بهم *** تيم بن مرّة لا تيم العديّين

خمر الوجوه كأنّا من تحشّمنا *** حسناء شمطاء وافت من فلسطين(6)

ما عائذ(7) اللّه لو لا أنت من شجني *** و لا(8) ابن رامين لو لا ما يمنّيني

في عائذ اللّه بيت ما مررت به *** إلاّ و جئت(9) على قلبي بسكين

يا سعدة القينة(10) الخضراء أنت لنا *** أنس لأنّك في دار ابن رامين

ما كنت أحسب أنّ الأسد(11) تؤنسني *** حتى رأيت إليك القلب يدعوني

لو لا ربيحة ما استأنست ما عمدت(12) *** نفسي إليك و لو مثّلت من طين(13)

باع ابن رامين سلامة في حجه فقال هو شعرا:

قال: و حجّ ابن رامين و حجّ بجواريه(14) معه، و كان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحجاز، فاشترى منه

1- الرواية فيما سيأتي: «شرابا». و في «معجم ما استعجم» للبكري (في دير اللج): «يسقى شرابا كلون النار عتقه». و مرجع الضمير في «يسقي» ابن رامين في البيت قبله.

2- ذكر المؤلف فيما سيأتي أنه «يعني عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد اللّه».

3- في الأصول المخطوطة: «ينزل». و في ب، س: «تنزل». و مرجع الضمير في «يزل» الشراب في البيت قبله. و الرواية فيما سيأتي و «معجم ما استعجم»: نمشي إليها بطاء لا حراك بنا كأن أرجلنا يقلعن من طين

4- الرواية فيما يأتي: «عوج مطارحها» بدل: «مطوية شللا». و في «معجم ما استعجم»: «عوج مواقعها».

5- في الأصول هنا: «عميان عم». و التصويب مما سيأتي و «معجم ما استعجم».

6- هكذا ورد هذا الشطر الأخير في أكثر الأصول. و مكانه في ج. حينا... من فلسطين». و في ج: «تجمشنا» بالجيم بدل «تحشمنا» بالحاء.

7- في ج: «ما عابد اللّه». و في «سائر الأصول»: «يا عائذ اللّه». و عائذ اللّه: حيّ من العرب انتقل إلى جوارهم ابن رامين مع جواريه كما

تقدّم. و رواية هذا البيت فيما سيأتي: ما عائذ اللّه لي إلف و لا وطن و لا ابن رامين لو لا ما يمنيني.

8- في «الأصول»: «لو لا ابن رامين».

9- و جئت: ضربت.

10- كذا في «ب، س» فيما سيأتي. و في «الأصول» هنا: «يا أسد القبة». و الخضراء: يريد السوداء، و كانت سعدة كذلك.

11- أحسب أن صوابه: «أن السود تؤنسني» فإن سعدة كانت سوداء.

12- كذا ورد هذا الشطر فيما سيأتي. و مكان هذا الشطر في أ، م هنا بياض. و في ح: «لو لا... نسبت ما بقيت». و في ب، س هنا: لولاك تؤنسني بالقرب ما بقيت و هي جميعا غير واضحة.

13- فيما سيأتي: «و قد مثلت في طين».

14- هكذا في الأصول!.

سلاّمة الزّرقاء بمائة ألف درهم. فقال إسماعيل بن عمّار:

أيّة حال يا ابن رامين *** حال المحبّين المساكين

/تركتهم موتى و ما موّتوا *** قد جرّعوا منك الأمرّين

/و سرت في ركب على طيّة *** ركب تهام و يمانين

حججت بيت اللّه تبغي به ال *** برّ و لم ترث لمحرون

يا راعي الذّود لقد زعتهم *** ويلك من روع المحبّين

فرّقت قوما لا يرى مثلهم *** ما بين كوفان(1) إلى الصّين

مات له ابن فرثاه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا السكّريّ عن محمد قال:

كان لإسماعيل بن عمّار ابن يقال له معن فمات، فقال يرثيه:

يا موت ما لك مولعا بضراري *** إنّي عليك و إن صبرت لزاري(2)

تعدو عليّ كأنّني لك واتر *** و أؤول منك كما يؤول فراري(3)

نفس البعيد إذا أردت قريبة *** ليست بناجية مع(4) الأقدار

و المرء سوف و إن تطاول عمره *** يوما يصير لحفرة الجفّار

لمّا غلا عظم(5) به فكأنّه *** من حسن بنيته قضيب نضار(6)

فجّعتني بأعزّ أهلي كلّهم *** تعدو عليه عدوة الجبّار

هلاّ بنفسي أو ببعض قرابتي *** أوقعت أو(7) ما كنت للمختار

و تركت ربتي(8) التي من أجلها *** عفت الجهاد و صرت في الأمصار

رفض أن يكون عاملا لما رأى العمال يعذبون و شعره في ذلك:

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثني السكريّ عن محمد بن حبيب قال:

1- كوفان: الكوفة، و كوفان أيضا: قرية بهراة.

2- يقال: فلان زار على فلان إذا كان عاتبا ساخطا غير راض. و في «الأصول»: «إني إليك».

3- في «ح»: «قراري» بالقاف.

4- يحتمل أن يكون «من الأقدار».

5- في «الأصول»: «لما علا عظمي به» و هو تحريف. يقال غلا بالجارية و الغلام عظم، و ذلك في سرعة شبابهما و سبقهما لداتهما. و كل ما ارتفع فقد غلا و تغالى.

6- النضار هنا: الأثل الطويل المستقيم الغصون.

7- كذا في «الأصول»!.

8- كذا في «الأصول». و أحسب أن صوابه: «و تركت زينتي...» و الزينة ابنه. و هذا إشارة إلى قوله تعالى: اَلْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا.

قال رجل من بني أسد كان وجها(1)، لإسماعيل بن عمّار: هلمّ أركب معك إلى يوسف بن عمر، فإنه صديق، حتى أكلّمه فيك يستعملك على عمل تنتفع به. فقال له إسماعيل: دعني حتى يقول الحول. فنظر إسماعيل إلى عمّال يوسف يعذّبون، فقال في ذلك:

رأيت صبيحة النّيروز أمرا *** فظيعا عن إمارتهم نهاني

فررت من العمالة بعد يحيى *** و بعد النّهشليّ أبي أبان

و بعد الزور و ابن أبي كثير *** و فيقد أشجع و أبي بطان

فحاب بها أبا عثمان غيري *** فما شأن الإمارة لي بشان

أحاذر أن أقصّر في خراجي *** إلى النّيروز أو في المهرجان

أعجّل إن أتى أجلي بوقت *** و حسبي بالمجرّحة المتان(2)

فما عذري إذا عرّضت ظهري *** لألف من سياط الشّاهجان(3)

تعدّ ليوسف عدّا صحيحا *** و يحفظها عليه الجالدان

و أسحب في سراويلي بقيدي *** إلى حسّان معتقل اللّسان

فمنهم قائل بعدا و سحقا *** و منهم آخران يفدّيان(4)

كفاني من إمارتهم عطائي *** و ما أحذيت(5) من سبق الرّهان

/كفاني ذاك منهم ما بقينا(6) *** كما فيما مضى لي قد كفاني

شعره في بوبة وصيفة عبد الرحمن ابن عنبسة:

/و قال ابن حبيب في الإسناد الذي ذكرناه: إنه كانت لعبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وصيفة مغنّية يؤدّبها و يصنعها(7) ليهديها إلى هشام بن عبد الملك يقال لها بوبة. فقال فيها إسماعيل بن عمّار:

بوب حيّيت عن جليسك بوبا *** مخطئا في تحيّتي أو(8) مصيبا

ما رأينا قتيل حيّ حبا القا *** تل بالوتر أن يكون حبيبا

1- الوجه من الناس: سيد القوم مثل الوجيه.

2- في «الأصول»: «بالمحرجة المثان». و يريد بالمجرّحة المتان السياط الشديدة التي تقطع جلد من يضرب بها. و الشاعر يريد بهذا

الأخبار الإشفاق و الخوف.

3- الشاهجان: هي مرو الشاهجان، كانت قصبة خراسان و أشهر مدنها.

4- في «بعض الأصول» «يعذبان» و هو تصحيف.

5- أحـذيت: أعطيت. و هـذا البيت ساقط من «أ، م». و في «الأصول» التي ورد فيها: «و ما أحـذمت» و في بعضـها «و ما أخدمت». و قد أثبتناه بما يسـتقيم به المعنى و لا يبعد كثيرا عن رسم «الأصول». و السـبق (بالتحريك): ما يجعل من المال رهنا على المسابقة بين الخيل و غيرها. و أحسب أنه يريد ما يعطاه جوائز على إجادته في شعره و سبقه الشعراء.

6- في «أ، م»: «ما تهيّا».

7- صنع الجارية: ربّاها و أحن تغذيتها.

8- في «الأصول» «أم».

غير ما قد رزقت يا بوب منّي *** فهنيئا و إن أتيت عجيبا

غير منّ به عليك و إن كن *** ت بقدر القيان طبّا طبيبا(1)

بنت عشر أديبة في قريش *** بخ فأكرم بهم أبا و نسيبا

أدّبت في بني أميّة حتّى *** كملت في حجورهم تأديبا

قال: ثم أهداها ابن عنبسة إلى هشام. فقال إسماعيل بن عمّار:

ألا حيّيت عنّا ث *** مّ سقيا لك يا بوبه

و أكرم بك مهداة *** و أحبب بك مطلوبه

و واها لك من بكر *** و واها لك مثقوبه

و واها لك ملقاة *** و واها لك مكبوبه

لقد عاين من يلقا *** ك من حسنك أعجوبة

و يا ويلي و يا عولي *** فنفسي الدّهر مكروبه

/على هيفاء(2) حوراء *** على جيداء رعبوبه

إذا ضاجعها المولى *** فقد أدرك محبوبه

هجاؤه لجارية له كان يبغضها:

قال ابن حبيب في هذه الرواية: كان لإسماعيل بن عمّار جارية قد ولدت منه، و كانت سيئة الخلق قبيحة المنظر، و كان يبغضها و تبغضه، فقال فيها:

بليت بزمّردة(3) كالعصا *** ألصّ و أخبث من كندش(4)

تحبّ النساء و تأبى الرجال *** و تمشي مع الأسفه الأطيش

لها وجه(5) قرد إذا ازّيّنت(6) *** و لون كبيض القطا الأبرش(7)

1- الطب: الخبير الحاذق بعمله، و مثله الطبيب.

2- هيفاء: دقيقة الخصر. و حوراء: شديدة بياض العين مع شدّة السواد و استدارة الحدقة. و جيداء: طويلة الجيد. و الرعبوبة - و مثلها الرعبوب -: الشطبة التارّة أو هي البيضاء الناعمة.

3- زمرّدة: لغة في «زنمردة» قلبت النون ميما و أدغمت في الميم. و تروى أيضا بفتح الزاي و كسر الميم، و بكسر الزاي و فتح الميم. و الزنمردة: المرأة التي تشبه الرجال خلقا و خلقا. و الكلمة فارسية معربة. و شبهها بالعصا لقلة لحمها و هزالها. و قد نسب أبو تمام هذه القصيدة في «ديوان الحماسة» للغطمش الحنفي.

4- كندش: لقب لص منكر كان معروفا عندهم، و قيل إنه العقعق، و ذكر بعضهم إنه الفأرة. (راجع شرح التبريزي على «الحماسة»). و العقعق: طائر على قدر الحمامة، على شكل الغراب و جناحاه أطول من جناحي الحمامة، و هو ذو لونين أبيض و أسود، طويل الذنب. و في طبعه الزنا و الخيانة، و يوصف بالسرقة و الخبث، و العرب تضرب به المثل في جميع ذلك. (عن حياة الحيوان للدميري في كلامه على العقعق).

5- و يروى: «لها شعر قرد».

6- أصله «تزينت» فقلبت التاء زايا و أدغمت في الزاي، فلما سكن الأوّل اجتلبت همزة الوصل.

7- البرش و البرشة: لون مختلف: نقطة حمراء و أخرى سوداء أو غبراء أو غير ذلك.

و من فوقه لمّة جثلة(1) *** كمثل الخوافي من المرعش

/و بطن خواصره كالوطا(2) *** ب زاد على كرش الأكرش

و إن نكهت(3) كدت من نتنها *** أخّر على جانب المفرش

و ثدي تدلّى على بطنها *** كقربة ذي الثّلّة المعطش(4)

و فخذان بينهما بسطة(5) *** إذا ما مشت مشية المنتشي(6)

و ساق يخلخلها خاتم *** كساق الدّجاجة أو أحمش(7)

و في كلّ ضرس لها أكلة(8) *** أصلّ(9) من القبر ذي المنبش

و لمّا رأيت خوا(10) أنفها *** و فيها و إصلال(11) ما تحتشي

/إلى ضامر(12) مثل ظلف الغزال *** أشدّ اصفرارا من المشمش

/فررت من البيت من أجلها *** فرار الهجين من الأعمش(13)

1- وردت هذه الكلمة في «الأصول» محرفة. و التصويب من «الحماسة»، و قد صححها كذلك المرحوم الشنقيطي في نسخته. و اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن. و في «الحماسة»: لها جمة فوقها جثلة و الجمة من الشعر: دون اللمة في الطول. و الجثلة: الكثيرة الملتفة. و الخوافي من الريش: ما تخفى إذا ضم الطائر جناحيه. و المرعش (بفتح أوّله و ثالثه، و بعضهم يضم أوّله): جنس من الحمام أبيض يحلق في الهواء. و قال أبو العلاء: عني بالمرعش النسر الذي قد هرم. و قد اعتمدنا في شرح بعض هذا الشعر على شرح التبريزي ل «الحماسة».

2- الوطاب: جمع وطب (بالفتح)، و هو سقاء اللبن يتخذ من جلد الجذع فما فوقه. و الأكرش: عظيم البطن.

3- نكه (من بابي ضرب و منع): تنفس على أنف آخر.

4- الثلة (بالفتح): القطعة من الغنم. و المعطش: الذي عطشت غنمه. و رواية الشطر الأوّل في «الحماسة»: و ثدي يجول على نحرها يصفها بعظم الثدي. و يحتمل أن يريد أن ثديها طويل و إن كانت خالية، فقد وصفه بالطول و التشنج. (عن شرح «الحماسة»).

5- في «الأصول»: «بطشة» و التصويب بقلم المرحوم الشنقيطي. و في «الحماسة»: و فخذان بينهما نفنف و النفنف هنا: المهواة بين الشيئين.

6- المنتشي: السكران.

7- في هذا البيت إقواء؛ لأن المعنى على تقدير أو هي أحمش. و رواية البيت في «الحماسة»: و ساق مخلخلها حمشة كساق الجرادة أو أحمش و الحموشة: الدقة، يقال: ساق حمشة (بالفتح) و حميشة و حمشاء أي دقيقة. و المخلخل: موضع الخلخال من الساق. و أنث الخبر - على رواية «الحماسة» - لإضافة المخلخل إلى ضمير الساق، و الساق مؤنثة.

8- الأكلة (بفتح أوّله و كسر ثانيه، و سكن هاهنا للشعر): داء يقع في العضو فيأتكل منه.

9- أصلّ: أنتن. و في «الأصول»: «أضل» بالضاد المعجمة. و التصويب بقلم الأستاذ المرحوم الشنقيطي.

10- كذا في «ح». و الخواء (بالمد): الهواء بين الشيئين. و قصره الشاعر هنا للشعر. و وردت هذه الكلمة في «سائر الأصول» محرفة بين «خدا» و «حذا».

11- الإصلال: مصدر أصل اللحم إذا أنتن؛ يقال: صل اللحم و أصل، و ما تحتشيه هنا: ما تضعه من القطن و نحوه في فرجها لتحبس به دم الحيض.

12- يريد فرجها.

13- كذا في «الأصول»!.

و أبرد من ثلج ساتيدما(1) *** إذا راح كالعطب(2) المنفش(3)

و أرسح(4) من ضفدع عثّة(5) *** تنقّ على الشّطّ من مرعش(6)

و أوسع من باب جسر الأمير *** تمرّ المحامل لم تخدش

فهذي صفاتي فلا تأتها(7) *** فقد قلت طردا لها كشكشي(8)

هجا جارا له بنى مسجدا قرب داره:

و قال ابن حبيب: كان في جوار إسماعيل بن عمّار رجل من قومه ينهاه عن السّكر و هجاء الناس و يعذله، و كان إسماعيل له مغضبا. فبنى ذلك الرجل مسجدا يلاصق دار إسماعيل و حسّنه و شيّده، و كان يجلس فيه هو و قومه و ذوو التستّر و الصلاح منهم عامّة نهارهم، فلا يقدر إسماعيل أن يشرب في داره و لا يدخل إليه أحد ممن كان يألفه من مغنّ أو مغنّية أو غيرهما من أهل الرّيبة. فقال إسماعيل يهجوه - و كان الرجل يتولّى شيئا من الوقوف للقاضي بالكوفة -:

بنى مسجدا بنيانه من خيانة *** لعمري لقدما كنت غير موفّق

كصاحبة الرّمّان لمّا تصدّقت *** جرت مثلا للخائن المتصدّق

يقول لها أهل الصّلاح نصيحة *** لك الويل لا تزني و لا تتصدّقي

استعدى على غاضري كلف رهطه الطواف:

و قال ابن حبيب: ولّي العسس(9) رجل غاضريّ، فأخذ بني مالك و هم رهط إسماعيل ابن عمّار بأن كانوا معه، فطافوا إلى الغداة. فلمّا أصبح غدا على الوالي مستعديا على الغاضريّ. فقال له الوالي - و كان رجلا من همدان -: ما ذا صنع بك؟ فأنشأ يقول:

عسّ بنا ليلته كلّها *** ما نحن في دنيا و لا آخره

يأمر أشياخ بني مالك *** أن يحرسوا دون بني غاضرة

و اللّه لا يرضى بذا كائنا *** من حكم همدان إلى الساهره(10)

1- ساتيدما: جبل متصل من بحر الروم إلى بحر الهند.

2- العطب (بضمتين و يسكن ثانيه): القطن.

3- الذي في كتب اللغة أنه يقال: نفشت الصوف و القطن و نفشته (بتشديد الفاء) إذا ندفته.

4- في «الأصول»: «و أرشح» بالشين المعجمة. و التصويب بقلم المرحوم الشنقيطي. و الرسح: قلة لحم الفخذين و العجز.

5- كذا في «ح». و العثة (بالعين المهملة): المحقورة و الضئيلة الجسم. و في «سائر الأصول»: «غثة» بالغين المعجمة. و الغثة: الرديئة.

6- مرعش: مدينة بين الشام و بلاد الروم.

7- في «الأصول»: «فلا تأبها» بالباء الموحدة.

8- في «الأصول»: «كشكش» بدون الياء. و الكشكشة هنا: الهرب. يريد: فقلت لها اذهبي.

9- العسس: جمع أو اسم جمع لعاس، و هم طوّافو الليل لحراسة الناس و الكشف عن أهل الريبة.

10- كذا في «الأصول». و الساهرة في اللغة: الأرض أو وجهها، و قيل هي الفلاة، و قيل هي الأرض التي لم توطأ، و قيل هي أرض يجدّدها اللّه يوم القيامة، و بهذه الأقوال فسر قوله تعالى: فَإِذٰا هُمْ بِالسّٰاهِرَةِ.

قال فقال له الوالي: قد لعمري صدقت، و وظّف على سائر البطون أن يطوفوا مع صاحب العسس في عشائرهم و لا يتجاوزوا قبيلة إلى قبيلة، و يكون ذلك بنوائب(1) بينهم.

كان منقطعا إلى خالد بن خالد بن وليد فلما مات رثاه:

و قال ابن حبيب: كان إسماعيل بن عمّار منقطعا إلى خالد بن الوليد بن عقبة بن معيط، و كان إليه محسنا، و كان ينادمه. فولي خالد بن خالد عملا للوليد بن يزيد بن عبد الملك فخرج إليه، و كان إسماعيل عليلا فتأخّر عنه، ثم لم يلبث خالد أن مات في عمله، فورد نعيه الكوفة في يوم فطر. فقال إسماعيل بن عمّار يرثيه:

ما لعيني(2) تفيض غير جمود(3) *** ليس ترقا و لا لها من هجود

فإذا قرّت العيون استهلّت *** فإذا نمن أولعت بالسّهود

أ لنعي ابن خالد خالد الخي *** رات في يوم زينة مشهود

سنحت لي يوم الخميس غداة ال *** فطر طير بالنّحس لا بالسّعود

فتعيّفت(4) أنّهنّ لأمر *** مفظع ما جرين في يوم عيد

فنعت خالد بن أروى و جلّ ال *** خطب فقدان خالد بن الوليد

سعى به عثمان بن درباس فهجاه فاستعدى عليه السلطان فحبسه:

و قال ابن حبيب: كان لإسماعيل بن عمّار جار يقال له عثمان بن درباس، فكان يؤذيه و يسعى به إلى السلطان في كلّ حال، ثم سعى به أنّه يذهب مذهب الشّراة(5)، فأخذ و حبس. فقال يهجوه:

من كان يحسدني جاري و يغبطني *** من الأنام بعثمان بن درباس

فقرّب اللّه منه مثله أبدا *** جارا و أبعد منه صالح النّاس

جار له باب ساج(6) مغلق أبدا *** عليه من داخل حرّاس أحراس(7)

عبد و عبد و بنتاه و خادمه *** يدعون مثلهم ما ليس(8) من ناس

صفر الوجوه كأنّ السّلّ خامرهم *** و ما بهم غير جهد الجوع من باس

له بنون كأطباء(9) معلّقة *** في بطن خنزيرة في دار كنّاس

1- نوائب: جمع نيابة بمعنى نوبة؛ فإنه يقال جاءت نوبة فلان، و جاءت نيابة فلان.

2- في «الأصول»: «ما لعين» بدون ياء المتكلم.

3- عين جمود: لا تدمع. و رقوء الدمع: جفافه و انقطاعه. و الهجود: النوم.

4- عيافة الطير: زجرها، و هو أن تعتبر بأسمائها و مساقطها و ممرها و أصواتها فتتسعد أو تتشأم. و الذي في كتب اللغة التي بين أيدينا أنه يقال عاف الطير يعيفها عيافة. أما «تعيف» فلم نجدها إلا في هذا الشعر.

5- الشراة: الخوارج.

6- الساج هنا: ضرب من الشجر ينبت ببلاد الهند و يعظم جدا، و خشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه.

7- حراس و أحراس: كلاهما جمع لحارس.

8- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «من» بدل «ما». يريد أن الحراس يستعينون بمثلهم من الكلاب عددا.

9- الأطباء: حلمات الضرع لذي الخف و الظلف و الحافر و السبع، واحدها طبي (بالكسر و يضم).

إن يفتح الباب عنهم بعد عاشرة *** تظنّهم خرجوا من قعر أرماس(1)

فليت دار ابن درباس معلّقة *** بالنّجم بين سلاليم و أمراس(2)

فكان آخر عهدي منهم أبدا *** و ابتعت دارا بغلماني و أفراسي

/قال: و قال فيه أيضا:

ليت برذوني و بغلي *** و جوادي و حماري

كنّ في الناس و أبدل *** ت غدا جارا بجار

جار صدق بابن دربا *** س و إلاّ بعت داري

فتبدّلت به من *** يمن أو من نزار

بدلا يعرف ما الل *** ه و ما حقّ الجوار

لو تبدّلت سواه *** طاب ليلي و نهاري

و استرحنا من بلايا *** ه صغار أو كبار

لو جزيناه بها كنّ *** ا جميعا في فجار(3)

أو سكتنا كان ذلاّ *** داخلا تحت الشّعار(4)

كتب إلى ابن أخيه شعرا من الحبس فأجابه:

قال: فلمّا قال فيه الشعر استعدى عليه السّلطان، و ذكر أنّه من الشّراة، و أنّهم مجتمعون عنده، و أنّه من دعاة عبد اللّه(5) بن يحيى و أبي حمزة المختار. فكتب من السجن إلى ابن أخ له يقال له معان:

أبلغ معانا عنّي و أخوته *** قولا و ما عالم كمن جهلا

بأنّني و المصبّحات منّى *** يعدون طورا و تارة رملا

لخائف(6) أن يكون ودّكم *** إيّاي بعد الصفاء قد أ فلا

/أ إن عراني دهري بنائبة *** أصبح منها الفؤاد مشتعلا

/حاولتم الصّرم أو لعلّكم *** ظننتم ما أصابني جللا

1- الأرماس: القبور.

2- الأمراس: الحبال، واحدها مرس (بالتحريك).

3- فجار: اسم للفجور، و هو معرفة مبني على الكسر مثل حذام و قطام.

4- الشعار من الثياب: ما يلي البشرة. و دخول الذل تحت الشعار كناية عن الاتصاف به.

5- هو عبد اللّه بن يحيى الكندي أحد بني عمر بن معاوية من حضر موت، خرج في أيام مروان بن محمد هو و أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي ثم السلمي من أهل البصرة، و تبعهم جماعة، فغلبوا على اليمن و الحجاز، ثم قتلوا أخيرا. (راجع «الأغاني» جزء 20 صفحة 97 و ما بعدها من طبعة بلاق، ففيه تفصيل لخروجهم و مقتلهم).

6- وقعت اللام هنا في خبر «أن» المفتوحة الهمزة، و هو شاذ.

لا تغفلونا بني أخي فلقد *** أصبحت لا أبتغي بكم بدلا

تمسّكوا بالّذي امتسكت به *** فإنّ خير الإخوان من وصلا

قال: فكتب إليه ابن أخيه:

يا عمّ عوفيت من عذابهم النّ *** كر و فارقت سجنهم عجلا

كتبت تشكو بني أخيك و قد *** أرسل من كان قبلنا مثلا

«أبدأهم بالصّراخ ينهزموا(1)» *** فأنت يا عمّ تبتغي العللا

زعمت أنّا نرى بلاءك في *** دار بلاء مكبّلا جللا

يا عمّ بئس الفتيان نحن إذا *** أمّا و في رجلك الكبول فلا

عليّ إن كنت صادقا حجّ *** للبيت عامين حافيا رجلا

بعّد عنك الهموم فارج من ال *** لّه خلاصا و أحسن الأملا

أطلقه الحكم بن الصلت من السجن و شعره فيه حين عزل:

قال: ثمّ ولي الحكم بن الصّلت فأطلقه و أحسن إليه، فلم يزل يشكره و يمدحه. ثم عزل الحكم بعد ذلك، فقال إسماعيل فيه:

تبارك اللّه كيف أوحشت ال *** كوفة أن(2) لم يكن بها الحكم

الحكم العدل في رعيّته ال *** كامل فيه(3) العفاف و الفهم

/فأصبح القصر(4) و السّريران و ال *** منبر(5) كالكل(6) من أب يتم(7)

يذري عليه السرير عبرته *** و المبتر المشرفيّ يلتدم(8)

و الناس من حسن سيرة الحكم ب *** ن الصّلت يبكون كلّما ظلموا

مثل السّكارى في فرط وجدهم *** إلاّ عدوّا عليه يتّهم

يوم جرى طائر النّحوس لهم *** ينزع منه القرطاس و القلم

1- أصل هذا المثل: «ابدأهم بالصـراخ يفروا». أصـله أن يكون الرجل قد أساء إلى الرجل فيتخوف لائمة صاحبه فيبدؤه بالشـكاية و التجني ليرضى عنه بالسكوت. يضرب للظالم يتظلم ليسكت عنه.

2- كذا في «ج». و في «سائر الأصول»: «إذ لم يكن».

3- في «ج»: «منه».

4- في «الأصول»: «القبر». و لعل ما أثبتناه أقرب كلمة يستقيم بها المعنى مع قربها في الرسم مما في «الأصول».

5- ما ورد في البيت الذي يليه يرجح أن يكون «المبتر» و هو السيف.

6- كذا في «الأصول». و لعله: «فالكل» على ما في هذا من ضعف.

7- اليتم (بالتحريك): لعله مصدر وصف به هنا.

8- المشـرفيّ من السيوف: المنسوب إلى المشارف و هي قرى من أرض اليمن، و قيل: من أرض العرب تدنو من الريف. و اللدم و الالتدام: ضرب المرأة صدرها أو وجهها من الحزن.

فأرغم اللّه حاسديه كما *** أرغم هود(1) القرود إذ رغموا

في سبتهم يوم كاب خطبهم *** و اللّه ممّن عصاه ينتقم

إنا إلى اللّه راجعون أ ما *** للنّاس عهد يوفى و لا ذمم

حول علينا، و ليلتان لنا *** من لذّة العيش، بئسما حكموا

لا حكم إلاّ للّه يظهره *** يقضي لضيزائها(2) الّتي قسموا

ما ذا ترجّي من عيشها مضر *** إن كان من شأنها الّذي زعموا

ذم ولاية خالد القسريّ:

و قال ابن حبيب: سمع إسماعيل بن عمّار رجلا ينشد أبياتا للفرزدق يهجو بها عمر بن هبيرة الفزاريّ لمّا ولي العراق و يعجب من ولايته إيّاها، و كان خالد القسريّ قد ولي في تلك الأيّام العراق، فقال إسماعيل: أعجب و اللّه مما عجب منه الفرزدق من ولاية ابن هبيرة، [و هو(3)] ما لست أراه يعجب منه، ولاية خالد القسريّ و هو مخنّث دعيّ ابن دعيّ، ثم قال:

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى *** عنها أميّة بالمشارق تنزع

/فلقد رأى عجبا و أحدث بعده *** أمر تطير له القلوب و تفزع

بكت المنابر من فزارة شجوها *** فالآن من قسر تضجّ و تجزع

فملوك خندف أضرعونا(4) للعدا *** للّه درّ ملوكنا ما تصنع

كانوا كقاذفة بينها ضلّة *** سفها و غيرهم تربّ و ترضع

شعر له في عينه و قلبه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثنا عبد اللّه بن سعيد بن أسيد العامريّ قال حدّثني محمد بن أنس الأسديّ قال:

شعر له في عينه و قلبه:

جلست إلى إسماعيل بن عمّار، و إذا هو يفتل أصابعه متأسّفا، فقلت: علام هذا التأسّف و التلهّف؟ فقال:

عيناي مشئومتان ويحهما *** و القلب حرّان مبتلى بهما

1- الهود: اليهود. و هو القرود: هم أهل القرية التي كانت حاضرة البحر، و كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا و يوم لا يسبتون لا تأتيهم، و كان محرما عليهم الصيد أو العمل في يوم السبت. فلما أخذوا يعدون في السبت و عتوا عما نهوا عنه، قال لهم اللّه: كُونُوا قِرَدَةً خٰاسِئِينَ . و أرغم اللّه فلانا: أذله. و رغم فلان، أو رغم أنف فلان: ذل. و في «بعض الأصول»: «إذ زعموا».

2- الضيزي: القسمة الجائرة غير العدل. و هي مقصورة، و مدها هنا للضرورة.

3- زيادة يقتضيها سياق الكلام.

4- أضرعونا: أذلونا و أخضعونا.

عرّفتاه الهوى لظلمهما *** يا ليتني قبل ذا عدمتهما

هما إلى الحين دلّتا و هما *** ذلّ(1) على من أحبّ دمعهما

سأعذر القلب في هواه و ما *** سبّب كلّ البلاء غيرهما

شعر للأعشى و شرحه:

صوت

فكعبة نجران حتم علي *** ك حتّى تناخي بأبوابها

نزور يزيد و عبد المسيح *** و قيسا هم خير أربابها

و شاهدنا الجلّ(2) و الياسمي *** ن و المسمعات بقصّابها(3)

و بربطنا(4) دائم معمل *** فأيّ الثلاثة أزرى بها

إذا الحبرات(5) فلوت بهم *** و جرّوا أسافل هدّابها

فلمّا التقينا على آية(6) *** و مدّت إليّ بأسبابها

عروضه من المتقارب. الشعر للأعشى يمدح بني عبد المدان الحارثيّين من بني الحارث بن كعب. و الغناء لحنين، خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق. /و ذكر يونس أنّ فيه لحنا لمالك، و زعم عمرو بن بانة أنه خفيف ثقيل. و زعم أبو عبد اللّه الهشاميّ أنّ فيه لابن المكيّ خفيف رمل بالوسطى أوّله:

تنازعني إذ خلت بردها(7)

و معه باقي الأبيات مخلّطة مقدّمة و مؤخّرة. و الكعبة التي عناها الأعشى هاهنا يقال إنها بيعة بناها بنو عبد المدان

1- ذل الدمع: هان. و في «بعض الأصول»: «دلا» و هو تحريف.

2- و يروى: «و شاهدنا الورد» كما في شعر الأعشى. و الجل (بالضم و يفتح): الورد أبيضه و أحمره و أصفره، واحده جلة.

3- سيذكر المؤلف فيما بعد أن القصاب الأوتار. و قال أبو العباس ثعلب - في شرحه ل «ديوان الأعشى» صفحة 121 من طبعة مطبعة آدلف هلز هوسن سنة 1927 م - «قصاب جمع قاصب و هو الزامر. أبو عبيدة: قصابها أوتارها، و أصله من القصب، و يقال للمزامر قاصب، و ما زال يقصب...». و قد تقدّمت هذه الأبيات (جزء 9 ص 299 من طبعة دار الكتب). فراجع ما كتب على هذه الكلمة هناك.

4- البربط (وزان جعفر): العود. و الكلمة فارسية معرّبة. قيل: شبه بصدر البط. و «بر»: الصدر. و في شعر الأعشى «و مزهرنا». و المزهر:

العود أيضا.

5- في «الأـصول»: «إذا الخيرات فلوت بهم». و التصويب من شـعر للأعشـى و «مسالـك الأبصار» (جزء أوّل صـفحة 359 من طبعة دار الكتب المصرية). (و الحبرات بكسر الحاء و فتحها): ضرب من برود اليمن منمر.

6- في «الأصول»: «على آلـة». و التصويب من شـعر الأعشـى. و الآيـة: العلامة، كما فسـرها بذلك أبو العباس ثعلب. و جواب «لما» في البيت الذي بعده، و هو: بذلنا لها حكمها عندنا و حادت بحكمي لألهي بها

7- تمام البيت: مفضلة غير جلبابها و هو وارد في شعر الأعشى قبل قوله: «فلما التقينا...».

على بناء الكعبة، و عظّموها مضاهاة للكعبة، و سمّوها كعبة نجران، و كان فيها أساقفة يقيمون، و هم الذين جاءوا إلى النبيّ صلى اللّه عليه و سلم و دعاهم إلى المباهلة، و قيل: بل هي قبّة من أدم سمّوها الكعبة. و كان إذا نزل بها مستجير أجير، أو خائف أمن، أو طالب حاجة قضيت، أو مسترفد أعطي ما يريده. و المسمعات: القيان. و القصّاب: أوتار العيدان.

و قال الأصمعيّ: قلت لبعض الأعراب: أنشدني شيئا من شعرك. قال: كنت أقول الشّعر و تركته. فقلت: و لم ذاك؟ قال: لأنّني قلت شعرا و غنّى فيه حكم الواديّ و سمعته فكاد يذهل عقلي، فآليت ألاّ أقول شعرا، و ما حرّك حكم قصّابه إلاّ توهّمت أنّ اللّه عزّ و جلّ مخلدي بها(1) في النّار.

* تم الجزء الحادي عشر، و يليه الجزء الثاني عشر و أوّله:

أخبار الأعشى و بني عبد المدان و أخباره مع غيرهم

1- لعل صوابه «به» أي الشعر الذي غنى فيه، أو أنث الضمير باعتبار أنه قصيدة.

فهرس موضوعات الجزء الحادي عشر

الموضوع الصفحة

أخبار النابغة و نسبه 5

أخبار الحارث بن حلزة و نسبه 29

نسب عمرو بن كلثوم و خبره 35

ذكر لخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير و الأخطل 41

ذكر أوس بن حجر و شيء من أخباره 47

خبر ورقاء بن زهير و نسبه 51

مقتل زهير بن جذيمة العبسي 56

ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب 64

خبر الحارث و عمرو بن الإطنابة 83

خبر رحرحان الثاني 87

يوم شعب جبله 89

مقتل عمليق و سببه 113

عمر بن أبي ربيعة و صاحبه العذري 115

أخبار عائشة بنت طلحة و نسبها 120

نسب عمرو بن شأس و أخباره 132

شعر ليلى و نسبها و خبر توبة بن الحمير معها 137

ذكر الأقيشر و أخباره 167

أخبار ابن الغريزة و نسبه 186

أخبار أعشى بني تغلب و نسبه 188

أخبار أبي النضير و نسبه 191

أخبار العبليّ و نسبه 197

أخبار أبي جلدة و نسبه 209

أخبار علوية و نسبه 226

نسب إسماعيل بن عمارة و أخباره 247

ص: 261

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹